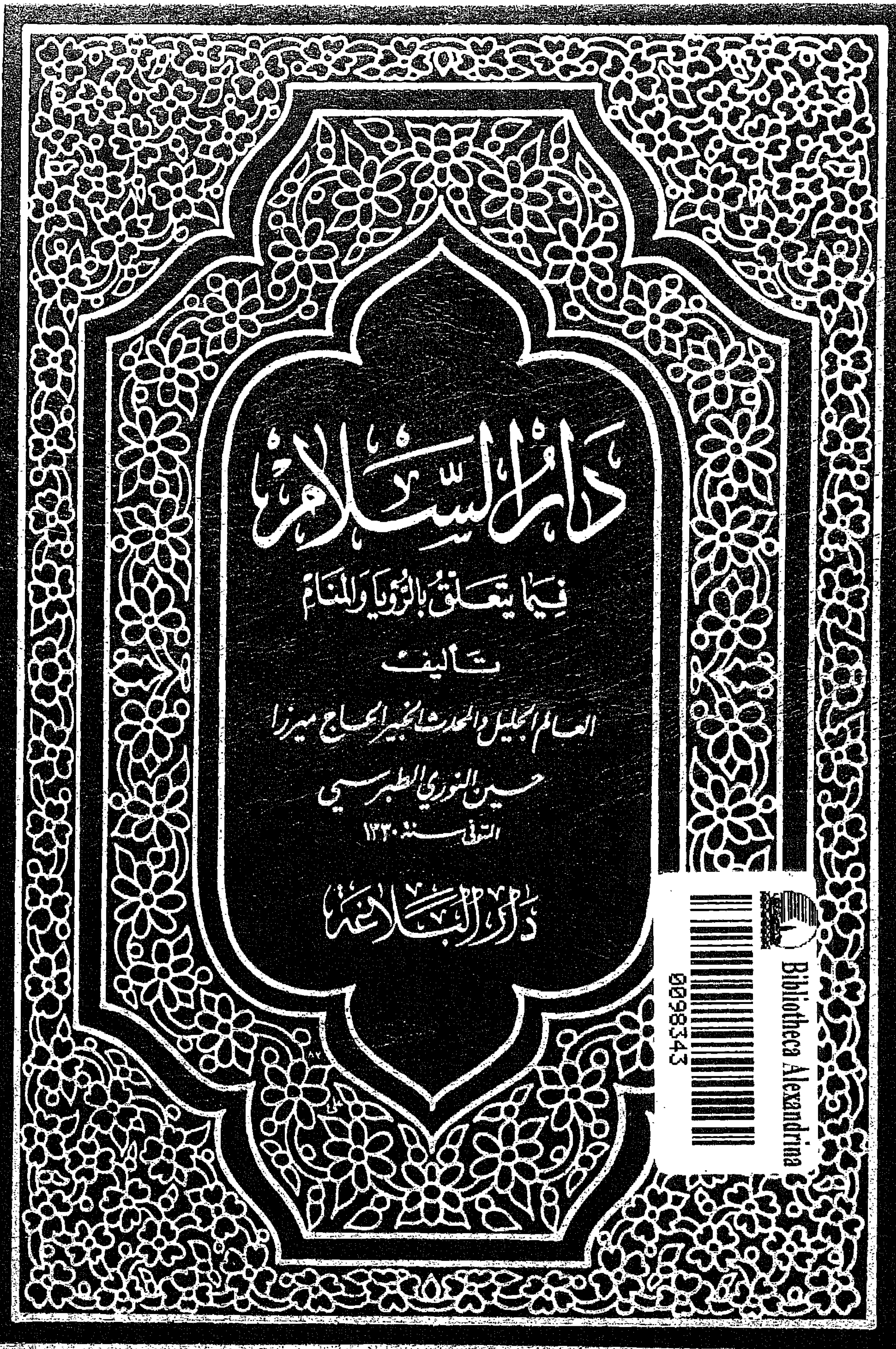
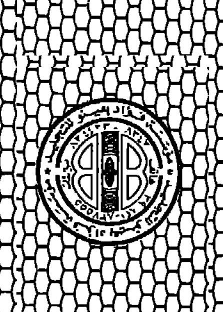
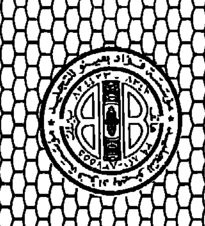

دار السلام
فيما يتعلق بالرؤيا والمنام
تأليف
العالم الجليل والمحدث الخبير الحاج ميرزا
حسين النوري الطبرسي
المتوفى سنة ١٣٢٠
دار البلاغة
Bibliotheca Alexandrina
0098343







دار السلام

فيما يتعلق بالرؤيا والمنام



دار السلام

فيما يتعلق بالرؤيا والمنام

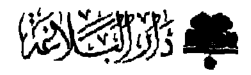
تأليف

العالم الجليل والمحدث الخبير الحاج ميرزا

حسين النوري الطبرسي

المتوفى سنة ١٣٢٠

الجزء الرابع



الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع .

هاتف وفاكس: ٣١٧٤٢٥-٨٢٠٣٢٠-٨٣٤٢٦٥ - ص.ب: ٢٥/١٦٠ - تلكس: ٢٢٥٩٧ بلاغ - بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمر الرابع

في تأكيد اجتناب ما يورث عداوة المؤمنين وبغضهم والإشارة إليه إجمالاً .

في الكافي عن رسول الله (ص) ما كان جبرائيل (ع) يأتيني إلا قال : يا محمد اتّق شحناء الرجال وعداوتهم . وفيه عنه (ص) : ما عهد إلى جبرائيل في شيء ما عهد إليّ في معاداة الرجال . وفي الغرر تجنّبوا تضاغن القلوب وتشاحن الصدور .

واعلم : أنه تقدم فوائد محبّتهم ومصاحبتهم وإخوتهم ، وبغضهم المورث لإعراضهم وهجرهم سبب لفوات تلك المنافع والخيرات العاجلة والآجلة الغير المستغنية ، فلا حاجة إلى ذكر ما ورد في ذمّه ، إنما المهم معرفة ما يورثه ليتركه فلا يقع في محذوره من حيث لا يعلم وهو إجمالاً أضداد تلك الحقوق السابقة ، كالإساءة ، والإضلال ، والإهانة ، والإيذاء ، والإذلال ، والاحتقار ، والإفساد ، والإعتراض في حديثه ، وأضمار السوء ، والإستخفاف ، وإحصاء العثرات ، وإذاعة السرّ ، والإخافة ، والإنقباض ، وإطفاء نوره ، والاستقصاء ، وإدخال الكرب عليه والإنتقام منه ، والإغراء والبهتان ، والبخل ، والبغي ، والتكبر ، والتعبير ، والتأنيب ، والتهمة ، وترك

زيارته ومعونته ، والتبرىء منه وتلبيه والجور والجفا ، والحسد والحقد ، وحبس الحقوق ، والحمية ، والخذلان ، والخيانة ، والخديعة ، والخرق ، والخصومة ، وخلف الوعد ، وردّ دعوته ، والرغبة فيما عنده ، والرواية عليه ، وسبّه ، وسوء الظن به ، وسوء الخلق ، والجوار والسعاية ، والسؤال ، والشح عليه ، والصد عن سبيل الله ، والصداقة مع أعداءه ، والضغن ، والطعن ، والطمع ، والظلم ، والعبس ، والعصيان ، والعداوة والغيبة والغضب ، والغش ، والغلظة ، والفظاظة ، والقطيعة ، والقساوة ، وكتمان الشهادة ، والمحاسن ، وكفران نعمته ومعروفه ، ولعنه ولمزه والمعاندة ، والمزاح ، والمكر والملاحاة ، والمراء ، ومنعه عمّا عنده ، والمكاشفة وهي ضدّ المداراة ، ومطالبة الإنصاف ومخالفته والنفاق ونشر العيب والوسوسة والنميمة ، وهجره وهجوه وهمزه وهتكه وغير ذلك وأعظمها الإفساد ما بينه وبين ربّه وحبس الحقوق الواجبة عن أخيه ، فإن خطر العداوة المنبعثة عنهما عظيم يجب دفعها بإصلاح نفسه كما تقدم عن أمير المؤمنين (ع) : إن من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس . وفي خبر آخر عنه من أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس ، وبأداء تلك الحقوق .

وأما المنبعثة عن ترك الحقوق المستحبة فالمضرة المترتبة على العداوة الناشئة عنه هو الحرمان عن المنافع المتقدمة ، وربما يورث الوقوع في بعض المهالك كارتكاب جملة من المكروهات .

وكيف كان فلا بأس بالتبرّك ببعض ما ورد في المقام ففي الكافي عن أحدهما (ع) الانقباض من الناس مكسبة للعداوة . وفيه عن أمير المؤمنين (ع) : إياكم والمراء والخصومة فإنهما يمرضان القلوب على الإخوان ، وينبت عليهما النفاق . وفيه عن الصادق (ع) : إياكم والخصومة فإنها تشغل القلب وتورث النفاق وتكسب الضغائن وفي مكشوة الطبرسي (ره) عن الباقر (ع) : عليكم بتقوى الله ، ولا يضمرن أحدكم لأخيه أمراً لا يحبه لنفسه ، فإنه ليس من عبد يضمر لأخيه أمراً لا يحبه لنفسه إلا جعل الله ذلك سبباً للنفاق في قلبه . وفي الغرر عن علي (ع) الجفا يفسد الإخاء ، زيادة الشح

تشين الفتوة وتفسد الإخوة . وفي الكافي عنه (ع) : إياك والمزاح فإنه يجر السخيمة ويورث الضغينة وهو السبّ الأصغر . وفيه عن الصادق (ع) : إذا قال الرجل لأخيه أفّ انقطع ما بينهما من الولاية ، وفي الغرر : ليس لبخيل حبيب ، ليس لشحيح رفيق ، ليس لحقود إخوة ، ليس لحسود خلة ، كثرة المزاح يذهب بالبهاء ، ويوجب الشحناء ، كثرة الكلام ممل الإخوان ، من لاحا الرجال كثر أعداءه ، من عاند الناس مقتوة ، لا تمازح الشريف فيحقد عليك . وفي تحف العقول عن رسول الله (ص) : لا تسب الناس فتكسب العداوة منهم ، وفي تحف العقول عن الباقر (ع) ثلاثة مكسبة للبغضاء : النفاق والظلم والعجب ، وفي الغرر قال (ع) إياك والنميمة فإنها تورث الضغينة ، وتبعد عن الله والناس . وفي الفقيه قال رسول الله (ص) : أقيموا صفوفكم إذا رأيتم خللاً ، فإني أراكم من خلفي كما أريكم من قدامي ، وبين يدي ولا تخالفوا فيخالف الله بين قلوبكم .

واعلم : أنه قد يتزاحم الحقوق فيدور الأمر بين ترك حق أخ أو حق نفسه ومراعاة آخر والأقرب إلى السداد حينئذ مراعاة الأهم منه ثم الأهم إجتهاداً أو تقليداً ، وقد يصير أداء الحق كالنصح وغيره سبباً للنفور والزيارة في الفجور ، فاللازم حينئذ مراعاة أقل الضررين منه ، ومن الصفح والهجر الجميل وهكذا والله العاصم .

الأمر الخامس
في ذم بعض المؤمن وغله

قد تقدم في علامات محبة الأئمة (ع) وفي الأمر الأول والحث على محبة أهل الإيمان ما يغني عن البيان غير أنا نشير هنا إلى بعض الفوائد الذي لا بدّ من ذكره في المقام قال الله تعالى : ﴿ **والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم** ﴾ وفي صفات الشيعة عن الرضا (ع) : من عادى أولياء الله فقد عادى الله ، وحق علي الله أن يدخله نار جهنم . وفي الفقيه عن

الصادق (ع) : عن آبائه (ع) لا تقبل شهادة ذي شحناء . وفي كتاب الإخوان عنه (ع) : لا تسألوا إخوانكم الحوائج فيمنعونكم فتغضبون وتكفرون وفي الكافي عنه (ع) : ولا يقبل الله من مؤمن عملاً وهو مضمر على أخيه المؤمن سوء . وفي أمالي ابن الشيخ عن رسول الله (ص) شرار الناس من يبغض المؤمنين وتبغضه قلوبهم . وفي كنز الكراجكي عن أمير المؤمنين (ع) ، واتّق قلبك من الغلّ تسلم . وفي صفات الشيعة عن أبي الحسن (ع) : من عادى شيعتنا فقد عادانا ، ومن والاهم فقد والانا ، لأنهم منّا خلقوا من طينتنا ، من أحبّهم فهو منّا ، ومن أبغضهم فليس منّا .

قال في المسالك في شرح قول المصنف : الحسد معصية وكذاب بغضه المؤمن والتظاهر بذلك قادح في العدالة : لا خلاف في تحريم هذين والتهديد عليهما في الأخبار مستفيض ، وهما من الكبائر فيقدحان في العدالة مطلقاً ، وإنما جعل التظاهر بهما قادحاً لأنهما من الأعمال القلبية ، فلا يتحقق تأثيرهما في الشهادة إلا مع إظهارهما وإن كنا محرّمين بدون الإظهار ، وفي الدروس وإظهار الحسد للمؤمنين والبغضاء ، وفي الرياض في ردّ من أجاز شهادة ذي العداوة الدينية لعدوّه لعمومات قبول شهادة العدل وانتفاء التهمة ، ويشكل فرض حصول العدالة مع تلك العداوة بعد الاتفاق فتوى ورواية ، علي أنّ عداوة المؤمن وبغضه لأمر ديني معصية ، فكيف يجامع قبول الشهادة ؟ ويظهر تلك النسبة إليهم من جماعة من الأصحاب .

ويدل على المقصود أيضاً ما مرّ وما لم نذكره من النهي عن التعادي والتهاجر ومعاندة الرجال وغلّهم ، والأمر بالتحبب والتعاطف والتواصل ، في نصوص لا تحصى ، بل يدل عليه كل ما دل على حرمة الحسد وكونه من الكبائر بناء على تفسير البغض والعداوة في كلام غير واحد بالسرور بمسائة الآخر والمسائة بسروره ويدل عليه العرف واللغة أيضاً وزاد في الرياض عن بعضهم أن تبلغ حداً يتمنى زوال نعمة فإنه حينئذ عين الحسد المذموم المفسر بكراهة النعمة على المحسود ، وتمنى زوالها عنه ، سواء وصلت إلى الحاسد أم لا ، ويؤيد الاتحاد أو التلازم ما في العيون ومعاني الأخبار عن رسول الله (ص) :

دبّ اليكم داء الأمم قبلكم البغضاء والحسد وفي أمالي ابن الشيخ أنه (ص) قال ذات يوم لأصحابه : إلا أنه قد دبّ إليكم داء الأمم قبلكم وهو الحسد ، ليس بحالق الشعر لكنه حالق الدين ، وينجي منه أن يكف الإنسان يده ويخزن لسانه ، ولا يكون ذا غمز على أخيه المؤمن .

قال الصدوق في شرح قوله (ع) : لا يجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا ذي غمز على أخيه . الغمز : الشحناء والعداوة ، ويشير إليه أيضاً قوله تعالى : **﴿ ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ﴾** حيث سمى تمني إدخال المشقة على المؤمنين بغضاً وقوله تعالى : **﴿ وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ، أن تمسسكم حسنة تسؤهم وأن تصبكم سيئة يفرحوا بها ﴾** .

وبالجملة فالتفكيك بين بغض أحد وعدم تمني زوال ما به من النعم مشكل جداً ، فإنه ضدّ الحب المستلزم لخلاف ذلك ، لا مجرد الاستثقال الذي له أسباب متعددة في العادات من الأغراض العادية فإنه ليس ببغض وعداوة لغة ولا عرفاً .

وينبغي التنبيه على أمرين : الأول : أن المبغوض إن كان هو المؤمن لإيمانه فهو كفر لا ريب فيه قال الله تعالى : **﴿ والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾** ، وإن كان لفسقه وارتكابه المعاصي فالواجب بغض أفعاله لا ذاته جمعاً بين جميع ما ورد في وجوب بغض العاصي وملاقاتهم ، بوجوه مكفهرة[1] وعدم معاشرتهم ، وما ورد في وجوب حبّ المؤمنين وشيعة أمير المؤمنين (ع) لعدم خروجهم بالعصيان عن التشيع والإيمان ، وحبّ من يحبّه الله تعالى من المتوكلين والصابرين والمحسنين والتّوابين والمتطهرين ، والمقاتلين في سبيله لعدم الموصوفين

---

(١) فلان مكفهر : أي منقبض كالح .

بالأنبياء والأوصياء ، بل الظاهر اختصاص أكثرها بغيرهم على ما يستفاد من موارد من موارد نزول آياتها مضافاً إلى التصريح بذلك في غير واحد من الأخبار . وفي دعوات الراوندي عن الرضا (ع) في مكتوبة كن محباً لآل محمد وإن كنت فاسقاً ومحباً لمحبيهم وإن كانوا فاسقين .

قال السيد ومن شجون الحديث أن هذا المكتوب هو الآن عند بعض أهل كرمند قرية من نواحينا إلى أصفهان ما هي ووقعته أن رجلاً من أهلها كان جمّالاً لأبي الحسن (ع) عند توجهه إلى خراسان ، فلما أراد الإنصراف قال له : يا ابن رسول الله شرّفني بشيء من خطّك أتبرّك به ، وكان الرجل من العامة فأعطاه ذلك المكتوب ، وفي أمالي ابن الشيخ عن يعقوب بن ميثم التمار مولى علي بن الحسين (ع) قال : دخلت على أبي جعفر (ع) فقلت له : جعلت فداك يا ابن رسول الله إنّي وجدت في كتب أبي أنّ عليّاً (ع) قال لأبي ميثم : أحبب حبيب آل محمد وإن كان فاسقاً ، وابغض مبغض آل آل محمد (ع) وإن كان صوّاماً قوّاماً إلى أن قال : فقال أبو جعفر (ع) هكذا هو عياناً في كتاب علي (ع) .

وفي بشارة المصطفى في حديث ورود جابر إلى كربلاء وزيارته أنّه قال لعطية أحبب محبّ آل محمد ما أحبهم وابغض مبغض آل محمد ما أبغضهم وإن كان صوّاماً قوّاماً ، وارفق بمحب آل محمد فإنه إن تزلّ قدم بكثرة ذنوبهم ثبتت لهم أخرى بمحبتهم ، فإنّ محبهم يعود إلى الجنة . وفيه عن الصادق (ع) في خبر شريف أنّ أبي كان كثيراً ما يقول : أحبب حبيب آل محمد وإن كان موقفاً زبالاً وابغض بغيض آل محمد وإن كان صوّاماً قوّاماً ، وفيه عن أمير المؤمنين (ع) أنّ من يبغض وليّاً لنا فليس بمحب لنا ، وفي أصل زيد النرسي قال : قلت لأبي الحسن موسى (ع) : الرجل من مواليكم يكون عارفاً يشرب الخمر ويرتكب الموبق من الذنب نتبرء منه ؟ فقال : تبرّؤا من فعله ولا تبرؤا منه ، أحبّوه وأبغضوا عمله ، قلت : فيسعنا أن نقول فاسق فاجر ؟ فقال : لا ، الفاسق الفاجر الكافر الجاحد لنا الناصب لأوليائنا ، أبى الله أن يكون ولينا فاسقاً فاجراً وإن عمل ما عمل ولكنكم تقولون فاسق العمل فاجر العمل مؤمن النفس ، خبيث الفعل طيبب الروح والبدن .

ويؤيد ما ذكرنا دخولهم في عموم من ورد الحث على برّهم وإعانتهم وإحسانهم بما لا يوجب تقويتهم على المعاصي والدعاء والمغفرة لهم ووعظهم ، وإخراجهم من ظلم المعاصي وغير ذلك مما هو من آثار محبة ذواتهم الطيبة بنور ولاء أهل البيت (ع) ، وفي كتاب المؤمن عن الصادق (ع) أن الله (عزّ وجلّ) خلق طينة المؤمن من طينة الأنبياء ، فلن تنجس أبداً ، وقذارة ظاهرهم بالمعاصي لا توجب بغض ذواتهم ، وإنمال توجب إنكار أفعالهم الخبيثة بالقلوب وهجرهم ، والعبس في وجههم بوجه يفهم منه كون ذلك من جهة أفعالهم ، ليكون رادعاً لهم عنها لا مطلقاً ، فإنه منهيّ حتى في حقّ المخالفين والكافرين الذين يرجى منهم الإيمان ، وفي أخبار كثيرة الأمر بحسن معاشرتهم وحضور جنازتهم وبمجاملتهم وعيادة مرضاهم .

والحاصل أن الأمر ببغض العصاة غير مسلتزم للسرور بمسائتهم والمسائة بسرورهم بغير ما توجب الردع عن عصيانهم ، فلا يوجب بغض ذواتهم المنهي في الأخبار المتقدمة ، وعدم محبتهم المندوبة في الكتاب والسنة ، وإن كان المبغوض هو المؤمن لتركه بعض الآداب والسنن العاديات ، ومنعه من برّه وصلته ، خصوصاً إذا عمّ غيره بها ، وغير ذلك مما لا ينبغي الاستثقال منه لو تبينت له جهة فعله ، فكيف مع إجماله المحتمل لوجوه من الصحة فهو المتيقن من حرمة البغض في النصوص والفتاوى ، وصاحبه داخل في قوله تعالى : ﴿ **ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون** ﴾ ، وقال الصادق (ع) إن أهل هذه الآية أكثر من ثلثي الناس ، وقد يجتمع جهات البغض كقتل ولده وسرقة ماله وهتك عرضه ، ممّا هو محذور شرعاً ومورث للعداوة طبعاً ، فالواجب عليه حينئذ أن لا يتجاوز في العمل والمكافأة عما قرّر له شرعاً ، وفي القلب عدم السرور بدخول الإساءة عليه أزيد مما استحقه بفعله ، خصوصاً إذا تاب ودخل في زمرة من يحبهم الله تعالى .

قال الشهيد الثاني : أن البغض في الله قد يؤدي إلى الغيبة ، وهو حرام وذلك بأن يبغض علي منكر فارقه إنسان فيظهر بغضه ، ويذكر اسمه على غير وجه النهي ، وكان الواجب أن يظهر بغضه عليه على ذلك الوجه ، وهذا مما يقع

فيه الخواص أيضاً فإنهم يظنّون أن البغض إذا كـان لله كان حسنـاً ، كيف كان وليس كذلك (انتهى) وتركه الإحسان إليه والبرّ به غير مضر بتكليفه ، فإنّه من عادة السابقين الذين كانوا إلى من أساء إليهم محسنين ، ولعل إلى هذا القسم يشير ما ورد في صفات المؤمن ففي حديث همام : لا يحيف على من يبغض . وفي الكـافي والتمحيص عن البـاقـر (ع) في وصف الشيعـة : وإذا غضبـوا لـم يظلموا ، وفي الثاني ، في الخصال المائة والثلاث : لا يغرق في بغضه ، وفي الأمالي أنّ الصادق (ع) قال لأصحابه : من غضب عليك ثلاث مرات فلم يقل فيك شرّاً فاتّخذه لنفسك صديقاً ، وفي الخصال عن الصادق (ع) : إنما المؤمن إذا سخط لم يخرج سخطه من الحق ، وفي الكافي : إذا غضب فإن المؤمن لا يغضب على غيره ، ولا يبغضه إلاّ إذا استحق بفعله لذلك ، هذا ولكنّ الأمر في هذا القسم مشكل جـداً حتى أنّ بعضهم أنكر حـرمة البغض مـطلقاً نـظراً إلى حصوله قهراً في هذا المقام ، وعدم قدرة الإنسان على دفعه عن نفسه ويـظهر ضعفه مما ذكرنا ويأتي .

الثاني : قيل[1] إنك إن تحبّ مساءة أعدائك بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك إليه بعقلك ، وتمقت نفسك عليه ، وتودّ لو كانت لك حيلة في إزالة ذلك الميل منك فإنك معفو عنه قطعاً ، لأنه لا يدخل تحت الاختيار أزيد منه . وفيه : أنه بعد الإعتراف بكـون البغض والعداوة من المعـاصي القلبية كـالريـا والعجب وأخـواتهما ، لا ينفـع بغض المـوجـود منـه حقيقـة في خـروجـه عن المعصية ، كما لا ينفع بغض الموجود من الريّا مثلاً في رفـع حرمتهـا ، وعدم إبطال العبادة بها ، بل أكثر المبتلين بها كـارهون لهـا إذا تنبهوا على المفـاسد المترتبة عليها ، فإنّ المؤمن من سرّته حسنته وساءته سيّئته ، والمسرور بما هو مبتلى به من ذلك في نهاية خبث الذات وسوء الفطرة ، لعله قليل الـوجود مـع عـدم تطرق الخلل في الـواجبات من معـارفه الحقـة ، بل القسمـان آتيان في المعاصي الجوارحيّة أيضاً ، وحبها وبغضها كاشفان عن سلامة الفطرة وخبثها ،

---

(١) والقائل على ما في هامش نسخة الأصل هو الكاشاني تبعاً للغزالي .

غير رافعين آثارها ومفاسدها ، وفي الدعاء إلهي أحبّ طاعتك وإن قصّرت عنها ، وأكره معصيتك وإن ارتكبتها ، فتفضّل عليّ بالجنة وإن لم أكن من أهلها ، وخلّصني من النار وإن استوجبتها ، وقوله : ولا يدخل تحت الإختيار (الخ) قد وافقه فيه النراقي في المستند فقال : والتحقيق أن العداوة القلبية ليست أمراً اختيارياً يترتب عليه معصية ، وكذا السرور بالمساءة والمساءة بالسرور ، فإن من قتل ولد شخص أو هتك عرضه بفرية عظيمة ، أو زنى بامرأته أو لاط بولده يسرّ بمساءته ويغتمّ بسروره ، ولولا من جهة كون تلك الأمور معصية وليس ذلك السرور والاختيار أمراً يكون تحت اختياره ، حتى يكلف بعدمه ، بل ربما لا يرضى بتلك المسرّة والمساءة لنفسه ، ويجاهد في دفعهما ، ولكنه يحتاج إلى زمان طويل ومجاهدة عظيمة، وما ورد في ذم العداوة والبغض فالمراد أنهما صفتان ذميمتان كالجبن وحبّ الدنيا يجب المجاهدة في دفعهما، وجعلهما من المعاصي إنّما هو إذا أظهر آثارهما وفعل ما يوجب ضرر العدو لا مطلقاً ، وحينئذ فلا شك في الخروج عن العدالة أن أظهرها بكبيرة أو فعل صغيرة (انتهى) .

وفي كلامه (ره) مواقع للنظر . أما أولاً : ففي جعله البغض والعداوة من الأمور القهرية التي تكون النفس مضطرة إليه مجبورة فيه ، فإن التحقيق أنه كالحسد المتشعب منه أو المتحد معه من الأمور الإختيارية الحاصلة من اختياره وقدرته ، إذ منشأه الميل إلى الدنيا ولذاتها وحب متاع دار الغرور والإعراض عن دار الآخرة والغفلة عن نعيمها ، إذ عند هذا المقام تغرق فكرته في زخارف الدنيا وملائماتها ، ويطول حزنه في طلبها وجمعها ، فيزداد بذلك قوة الغضب والشهوة ، ويحصل لهما الطغيان وتقتضي جمع اللذات عنده ، ويطلب جميع الالتذاذات الدنيوية ، فلو فقد شيئاً منها ووجده عند غيره ومنعه منه ، أو كان عنده وغلب غيره عليه يبغضه لذلك ، ويتمنى زواله عنه ، ويلتذ بضرره بالزوال لطغيان القوة الغضبية المقتضية لذلك ، وطغيان القوة الشهوية المقتضية لانحصار اللذات فيه ، فيحصل له البغض والحسد ويقويّ ميله ويضعف عقله ويطفىء نور الإيمان وحب الإخوان عن قلبه ، فالبغض حاصل له بسوء اختياره

يمكنه الإجتناب عنه بقلع مادّته وصعوبة علاجه بعد حصوله لا يخرجه عن القدرة بعد دخوله في قلبه بالمقدمات الاختيارية ، وإمكان خروجه عنه كذلك مع أنّ ما ذكره جار بعينه في الرياء والعجب حرفاً بحرف ولا أظنّ أحداً يلتزم بـه فيهما ، مع أنه قد يجب علاج ما يبتلى به الإنسـان قهراً كـوساوس الخنـاس من الجنة والناس في القلوب ، خصوصاً إذا كثرت وغلبت عليه ومنعته عن القيام بواجبات الحقوق ، فالدخول قهراً لا ينافي وجوب الإخراج اختياراً مع إمكانه .

وأما ثانياً : ففي جعله البغض كالجبن الذي غالب أفـراده فطريّ طبيعي جبل عليه الإنسان وإن أمكن تبديله بضدّه في طول الزمان ، إذ لم يعده أحد في عداد الكبائر ولا الصغائر مع عدّهم البغض .

وأما ثالثاً : ففي جعله البغض من المعاصي لو أضرّ عدوه بفعله أو قوله ، فإن إدخال الضرر عليه زائداً عما يستحقه شرعـاً حرام قـارنه البغض القلبي أم لا ، ومع المقارنة فإن أثّر في زيادة الإستحقـاق فقد بـطل ما ادعـاه ، وإلاّ فلا معنى لعدّة منها لأنّه يقارنه بعض الأحيان مـا هو منهـا ، فإنّـه يجب حينئذ عـدّ البخل والجبن والقساوة وأمثالها أيضاً منها للوجه المذكور ، والله العالم .

الأمر السادس

في علاج دفع البغض وكيفية دفعه ، قد لاح من الأخبار السابقة المؤيدة بما تشاهده بالوجدان ويساعده الإعتبار ، أن أكثر أسباب العداوة والبغضاء ترك ما مرّ من أسباب الإلفة والتجبب والاستئناس ، أو فعل ما يوجب نقصاً في جاهه واعتباره وماله وسائر أغراضه التي عليها مدار عادات الناس ، فأوّل ما يجب على المؤمن السالك الذي أراد خروج نفسه من المهالك أن يتأمل في قوله تعالى : ﴿ **فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **ونقلب أفئدتهم** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات** ﴾ وغيرها من الآيـات والأخبار الدالة على أن إقبال القلوب وإدبارها الذي عليه تدور رحى القيام بتلك الحقوق والتثبط عنها وتقدير أمور المعاش والزيادة والنقصان في المال والعرض والبدن ،

وسائر ما يحزنه أمره بيده المقدسة الباسطة القابضة ، لا يملك أحد ردّ ما قضاه ولا يقدر غيره على خلاف ما أمضاه ، وإنما يعطي ويمنع ويرفع ويضع ويقبض ويبسط على يد من يشاء من خلقه ، فهم في حمل ما يجريه تعالى من أفعاله المحكمة بأيديهم معذورون غير مهتمين ولا مشكورين إلا بمقدار قد أفصح عنه الشرع المنير لحكم لا يخفى على البصير ، و(ح) فمرجع إتهام أحدهم فيه وبغضه عليه إلى كراهته قضاء ربه وعدم الرضا بما أحبه له من الغنى والفقر والعزة والذلة ، وهو في حد المعارضة معه تعالى ، وجناح الشرك الأخفى ولكن معرفة حقيقة هذا المقام بنحو لا يوجب عنه اعتقاد الجبر في أفعال العباد أصعب من خرط القتاد على جلّ الأنام .

فإن قصر يده عن بلوغ هذا المرام فليعلم أنّ الذي يفعل به ذلك إما أن يكون عالماً بقبح الفعل وحرمته قاصداً لهتك عرضه وقطع إخوته ، ويفعله عداوة له وعاصياً بربّه ، وهو الفرد الأجلي لاستجلاب البغضاء ، فلا يغير هو نفسه بتغيير غيره ولا يجعلها خبيثة قذرة بصفة العدوان ، مويخة عند أهل الإيمان ، كخبث ما فعل به أخيه وتوبيخه عليه ، فيجتمع له نقصان الدنيا وخسران الآخرة ، وبعد ذلك فمن القريب أن يكون الصادر منه إليه جزاء من الله تعالى لما فعله بأخيه نظير ما في الكافي وغيره عن الصادق (ع) : من عيّر مؤمناً بذنب لم يمت حتى يركبه ، وعنه من لقي أخاه بما يؤتيه آتاه الله تعالى في الدنيا والآخرة ، وعنه (ع) : من ظلم سلط الله عليه من يظلمه أو على عقبه ، وعنه (ع) : من ظلم مظلمة أخذ بها في نفسه أو في ماله أو في ولده ، وعنه (ع) : من غدر ظالماً بظلمه سلط الله عليه من يظلمه .

ثم إن لم يظن بنفسه ذلكَ فليتنبه بأن من هو في هذا المقام من عصيان الملك العلام فالأولى أن لا يكون له يد عليه ، ويتحرز عن جعله واسطة نعمة بينه وبين منعمه ومربيه كما في الصحيفة المباركة : والبس قلبي الوحشة من شرار خلقك ، ولا تجعل لفاجر ولا كافر عليّ منة ولا له عندي يداً ، ولا بي إليهم حاجة ، بل أجعل سكون قلبي وأنس نفسي واستغنائي وكفايتي بك وبخيار خلقك ، فسرور المؤمن في منع الفاسق عنه ما عنده من الحطام ، ينبغي أن

يكون أكثر من صلته إياه بعطاياه الجسام .

ويتنبه أيضاً بأن الصفح والعفو عن جنايات الإخوان وزلات أهل الإيمان هو من أوثق عرى التوصل إلى عفو الله تعالى وصفحه الجميل عن جرائمه وزلله كما أشار إليه بقوله تعالى : ﴿ **وليعفوا وليصفحوا ألا تحبـون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم** ﴾ فإنه تعالى أجل وأعز من أن يأمر عباده بفعل جميل يأتمـره عباده ويمتثلون مراده ولا يفعله بهم وهو أحوج إليه وهو تعـالى أكرم منهم وفي الدعاء اللهم إنك أنزلت في كتابك العفو وأمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا ، فإنك أولى بذلك منّا ومن المأمورين ، وفيما كان يصنعه أئمة الدين وسادات الزمان المنزهون أذيالهم عن أقذار تلك الأوزار بـالنسبة إلى من أسيء إليهم من العفو رجاءاً لعفوه تعالى ، موعظة وعبرة للناظرين .

وفي كتاب عمل شهر رمضان للسيد الجليل رضي الدين بن طاوس مسنداً عن الصـادق (ع) قال : كـان علي بن الحسين (ع) إذا دخـل شهـر رمضـان لا يضرب عبداً له ولا أمة ، وكان إذا أذنب العبد والأمة يكتب عنده أذنب فلان ، أذنبت فلانة يوم كذا وكذا ولم يعاقبه ، فيجتمع عليهم الأدب حتى إذا كان آخر ليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله ثم أظهر الكتاب ثم قال : يـا فلان فعله كذا وكذا ولم أؤدّ بك أتذكر ذلك ؟ فيقول : بلى يا ابن رسول الله ، حتى يأتي هو على آخـرهم جميعاً ثم يقـوم وسطهم ويقـول لهم : ارفعوا أصـواتكم وقولوا : يا علي بن الحسين إنّ ربّك قد أحصى عليك كلما عملت كما أحصيت علينا كلما عملنا ، ولديه كتاب ينطق عليك بالحق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيت إلاّ أحصاها ، وتجد كلما عملت لديه حاضراً كما وجدنا كلما عملنا لديك حاضراً ، فاعف واصفح كمـا ترجـو من المليك العفـو ، وكما تحبّ أن يعفـو المليك عنك فاعف عنّا تجده عفوّاً بك ، ورحيماً ولـك غفوراً ولا يـظلم ربّك أحداً كما لديك كتاب ينطق بالحق علينا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما آتيناها إلا أحصاها ، فاذكر يا علي بن الحسين ذلّ مقامك بين ربك الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال حبّة من خردل ، ويأتي بها يـوم القيامـة وكفى بالله حسيبـاً وشهيداً فاعف واصفح يعف عنك المليك ويصفح فإنه يقول : ﴿ **وليعفوا وليصفحوا ألا**

تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ وهـو ينادي بـذلك على نفسـه ويلقنهم وهم ينادون معه ، وهو واقف بينهم يبكي وينوح ويقول : رب إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا فقد ظلمنا أنفسنا وعفونا عمن ظلمنا كما أمرت فاعف عنا فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين وأمرتنا أن لا نردّ سائلاً عن أبوابنا وقد أتينـاك سؤالاً ، ومساكين وقد أنخنا بفنائك وببابك ، فنطلب نائلك ومعروفك وعـطائك ، فـامنن بذلـك علينا ولا تخيبنا فإنك أولى بذلك منّا ومن المأمورين ، إلهي كرمت فأكرمني إذ كنت من سؤالك وجدت بالمعروف فاخلطني بأهل نوالك يا كريم .

ثم يقبل عليهم فيقول : قد عفوت عنكم فهل عفوتم عني ومما كان مني إليكم من سوء ملكه فإني مليك سوء لئيم ظالم مملوك لمليك كريم جواد عادل محسن ، متفضل فيقولون : قد عفونا عنك يا سيدنا وما أسأت فيقول (ع) لهم : قولوا اللهم اعف عن علي بن الحسين كما عفى عنّا فـأعتقه من النـار كما عتق رقابنا من الرق ، فيقولون ذلك ، فيقول : اللهم آمين يا رب العالمين اذهبوا فقد عفوت عنكم وأعتقت رقابكم رجاءاً للعفو عني وعتق رقبتي فيعتقهم ، فإذا كان يوم الفطر أجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عما في أيدي الناس (الخبر) .

ويتنبه أيضاً أن العاقل لا يغيّر نفسه من حالة إلى أخرى إلا لجلب نفع أو إبقاءه أو دفع ضرر أو رفعه في عـاجل الـزمان أو مستقبله ، والـذي يبدل حب الموجود في قلبه للإخوان بالبغض والعدوان لإساءتهم إليه ببعض ما ذكرنا يفوت عنه سائر منافعهم وخيراتهم ، بل يصير غرضاً لينال سائر مفاسدهم ومضارهم ، إذ شجرة البغضاء إذا غـرست في القلب السقيم تزداد كـل يوم عـظماً وكبـراً ، وثمرتها ولو بعد حين وصول المضار إليه من الأشرار والأخيار ويفوت عنه أيضاً المنفعة العظيمة المتقدمة وهو عفو الله ورضوانه ، ويدخل في زمرة من قطع ما أمر الله به أن يوصله بقلبه ولسانه وأفعاله ، وقد أخبر الله تعالى بأنهم من أهـل الخسران والمضلين بأمثال القرآن .

هـذا كله مـع العلم بـأن مـا صـدر من غيـره كـان على جهـة العـداوة والعصيان ، وأن جهل جهـة فعله وفتح إليه باب الحمـل على جهات الصحـة

والأغراض الحسنة فليتأمل بأن ما ابتلى به من العداوة أقبح من جهات عديدة عما صدر من أخيه وهو أولى بالملامة والتأنيب منه ، لأنه تدثّر فعلاً بجلباب البغضاء الذي هو من موبقات الإثام ومقدمة قريبة لجملة من الكبائر العظام ، كالحسد والغيبة والبهتان والمضرات وترك ما تقدم من الحقوق والآداب والأوامر الأكيدة الدالة على عدم جواز سوء الظنّ بأخيه ، وحمل فعله على المحامل الجميلة التي تأتي فيه كالجهل والسهو والنسيان عنه ، أو عن فعله والخوف من غيره ، واعتقاد كون مصلحته فيه والإنساء الإلهي لمصالح تقتضيه قال الله تعالى : **﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين ﴾** ، وقال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ﴾** .

وفي الكافي عن أمير المؤمنين (ع) : ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك بما يغلبك منه ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوء وأنت تجد لها في الخير محملاً ، وفيه عن الصادق (ع) : من اتّهم أخاه في دينه فلا حرمة بينهما ، ومن عامل أخاه بمثل ما عامل به الناس فهو بريء مما ينتحل ، وعنه (ع) : إذا اتهم المؤمن أخاه إنماث الإيمان في قلبه كما ينماث الماء في الملح[1] .

وفي تفسير العياشي عنه (ع) : لما نزلت المائدة على عيسى (ع) قال للحواريين : لا تأكلوا منها حتى آذن لكم ، فأكل منها رجل منهم ، فقال بعض الحواريين : يا روح الله أكل منها فلان ، فقال له عيسى (ع) : أكلت منها ؟ فقال : لا ، فقال الحواريون : بلى والله يا روح الله لقد أكل منها ، فقال عيسى (ع) : صدّق أخاك وكذّب بصرك ، وفيه عن محمد بن فضيل عن أبي الحسن موسى (ع) قال : قلت له : جعلت فداك الرجل من إخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكرهه فأسأله عنه ، فينكر ذلك وقد أخبرني عنه قوم ثقات ، فقال لي : يا محمد كذّب سمعك وبصرك عن أخيك فإن شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولاً فصدّقه وكذّبهم ، ولا تذيعن عليه شيئاً يشينه به ويهدم مروته

(١) ماث الشيء في الماء : أذابه فيه وإنماث مطاوع ماث أي اختلط وذاب .

فتكون من الذين قال الله : ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ﴾ .

وفي كتاب الإخوان عن الصادق (ع) : ما بالكم يعادي بعضكم بعضاً إذا بلغ أحدكم عن أخيه شيء لا يعجبه فليقله وليسأله فإن قال لم أفعله صدّقه ، وإن قال : قد فعلت استتابه ، إلى غير ذلك مما يدلّ على عدم جواز ترتيب آثار الفساد على فعل لم يتبين وجهه ، بل وإن ظهر فساده فكيف يرضى العاقل ، أن يقع نفسه في تلك المحاذير لسوء متوهم ظنه بفعل أخيه القابل لجملة من المعاذير ، ومن العلاج أن يحيي ليلة تامة في القراءة والصلوة والذكر ، كما يأتي في الفصل الآتي أن من جملة أجره أن ينزع الإثم والحسد من قلبه .

الثالث

من الحقوق المنصوصة في حال المنام ما على الزوجة للزوج فإنها لو نامت وعليها شيئاً منها وهو غير راض عنها كانت في سخط الله الملك العلام ففي الكافي عن العدة عن أحمد بن أبي عبد الله عن موسى بن القاسم عن أبي جميلة عن ضريس الكناسي عن أبي عبد الله (ع) قال : أن امرأة أتت رسول الله (ص) لبعض الحاجة فقال لها : لعلك من المسوفات ؟ قالت : وما المسوفات يا رسول الله ؟ قال : المرأة التي يدعوها زوجها لبعض الحاجة فلا تزال تسوّفه حتى ينعس زوجها فينام ، فتلك التي لا تزال الملائكة تلعنها حتى يستيقظ زوجها . وعن العدة عن أحمد بن محمد عن الجاموراني عن ابن أبي حمزة عن أبي المعزا عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال : أتت امرأة إلى رسول الله (ص) فقالت : ما حق الزوج على المرأة ؟ قال : أن تجيب إلى حاجته وإن كان على ظهر قتب ، ولا تعطي شيئاً إلا بإذنه ، فإن فعلت فعليها الوزر وله الأجر ، ولا تبيت ليلة وهو عليها ساخط ، قالت : يا رسول الله وإن كان ظالماً ؟ قال : نعم . وعن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن محمد بن الفضيل عن سعد بن عمر الجلاب قال : قال أبو عبد الله (ع) : أيّما امرأة باتت وزوجها عليها ساخط لم يتقبل منها صلوة حتى

يـرضى عنها . وعنـه عن عبد الله بن محمـد عن علي بن الحكم عن أبـان بن عثمان عن الحسن ابن المنذر عن أبي عبد الله (ع) قال : ثـلاثة لا يتقبـل لهم صلوة إلى أن قال : وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط . وفي مكارم الأخلاق عن النبي (ص) قال : لا يحلّ لامرأة أن تنام حتى تعرض نفسها على زوجها تخلع ثيـابها وتـدخل معـه في لحافـه ، فتلزق جلدهـا بجلده فـإذا فعلت ذلـك فقـد عرضت ، وفي الفقيه بإسناده عن حماد بن عمرو وأنس بن محمـد عن أبيه عن جعفر بن محمد عن آباءه في وصية النبي بعلي (ع) : يا علي ليس على النساء جمعة ولا جماعة ، إلى أن قال (ص) : ولا تبيت وزوجها عليها ساخط .

ورأيت في مجموعة عتيقة بخط بعض العلماء حديثاً جامعاً لحقوق الزوج أحببت أن أذكره بطوله لقلة وجوده وكثرة فوائده وأظنّ الخبر مـأخوذاً من كتـاب أحمد بن عبد العزيز الجلودي صورته :

بسم الله الرحمن الرحيم ، حدّثنا يحيى بن عمـر قال : حـدثنا عبس بن مسلم قال : حدثنا عمر بن إسحق عن عبد الله بن أبي بكر عن محمد بن مسلم عن مهران الثقفي عن عبد الله بن محبـوب عن رجل قـال : أنّ الحولاء كـانت امرأة عطارة لآل رسـول الله (ص) ، فلما كـانت يومـاً من الأيام أمـرها زوجهـا بمعروف فانتهرته ، فأمسى وهو ساخط عليها ، فلما دخل المسجد للصلوة تبعته فأعرض عنهـا ، فمشت إليه وقبلت يـده اليمنى وقبّلت رأسه فـأعرض عنهـا ، فعلمت أنه ساخط عليها فلطمت وجهها وعفرت خدّهـا وبكت بكاءاً شـديداً ، وانتحبت ورجفت نفسها مخافة رب العالمين ، وخوفاً من نار جهنم يوم وضـع الموازين ونشر الدواوين وإشفاقاً من عذاب مالك يوم الدين ، فـأتت بسفط فيه عطر وطيب ، فتعطرت وتطيبت كما تفعل العروس حين تزفّ إلى زوجها[1] ثم وطأت الفراش وتنجزت له اللحاف ، فدخلت وأعرضت نفسها عليـه فأعـرض عنهـا ، فانكبت عليـه تقبلّه فحوّل وجهـه عنها وبكت بكـاءً شديـداً خـوفـاً من الله (عـزّ وجلّ) وإشفـاقاً من عـذابه ، وفـزعاً وجـزعاً من نـار وقودهـا النـاس

(١) زف العروس إلى زوجها : أهداها .

والحجارة ، ولم تذق تلك اليلة نوماً ، وكانت الليلة أطول عليها من يوم الحساب لسخط زوجها عليها ، وما أوجبه الله (عزّ وجلّ) عليها من الحق فلما أصبح الصبّاح قضبت[1] وتبرقعت وأخذت على رأسها وخرجت إلى دار رسول الله (ص) ، فلما وصلت أنشأت تنادي : السلام عليكم آل بيت النبوة ومعدن العلم والرسالة ، ومختلف الملائكة ، أتأذنوا إلي بالدخول عليكم رحمكم الله ؟ فسمعت أم سلمة (رضي الله عنها) فعرفتها فقالت لجاريتها : أخرجي فافتحي لها الباب ففتحته لها فدخلت فقالت أم سلمة : ما شأنك يا حولاء وكانت حولاء أحسن أهل زمانها فقالت يا ستي[2] خائفة من عذاب رب العالمين غضب زوجي عليّ فخشيت أن أكون مبغضة ، فقالت لها أم سلمة : اقعدي لا تبرحي حتى يجيء رسول الله (ص) ، فجلست حولاء تتحدث مع أم سلمة فدخل رسول الله (ص) ، فقال : إني لأجد الحولاء عندكم فهل طيّبتكم منها بطيب ؟ فقالوا : لا والله يا نبي الله صلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين ، بل جاءت سائلة حق زوجها ثم قصت القصة فقال :

يا حولاء ، ما من امرأة ترفع عينها إلى زوجها بالغضب إلا كحلت برماد من نار جهنم .

يا حولاء ، والذي بعثني بالحق نبياً ورسولاً ما من امرأة ترد على زوجها إلا وعلقت يوم القيامة بلسانها وسمرت بمسامير من نار .

يا حولاء ، والذي بعثني بالحق نبياً ما من امرأة تمدّ يدها تريد أخذ شعرة من زوجها أو شقّ ثوبه إلا سمّر الله كفيها بمسامير من نار .

يا حولاء ، والذي بعثني بالحق نبياً ما من امرأة تخرج من بيتها بغير إذن زوجها تحضر عرساً إلا أنزل الله عليها أربعين لعنة عن يمينها وأربعين عن

---

(١) كذا في الأصل ولعله تصحيف (قصبت) بالصاد المهملة من قصب البعير : امتنع من الأكل والشرب .

(٢) كذا .

شمالها ، وترد اللعنة عليها من قدمها فتغمرها حتى تغرق في لعنة الله من فوق رأسها إلى قدمها ، ويكتب الله عليها بكل خطوة أربعين خطيئة إلى أربعين سنة ، فإن أتت أربعين سنة كان عليها بعدد من سمع صوتها وكلامها ، ثم لا يستجاب لها دعاء حتى يستغفر لها زوجها بعد دعائها له ، وإلا كانت تلك اللعنة إلى يوم تموت وتبعث .

يا حولاء ، والذي بعثني بالحق نبياً ورسولاً ما من امرأة تصلي خارجة عن بيتها أو دارها إلا أتاها الله يوم القيامة بتلك الصلوة فتضرب بها وجهها ، ثم يأمر بها إلى النار وتشرح كما يشرح الحوت[1] فتقدد كما يقدد اللحم في نار جهنم .

يا حولاء ، والذي بعثني بالحق نبياً ورسولاً ما من امرأة في وادي أو نهر جار وهي محصنة إلا رماها الله (عزّ وجلّ) يوم القيامة في واد من أودية جهنم ، تلهب ناراً وجمراً عظيماً ، ثم تقوم فيه موجاً ساطعاً كما يقوم الحوت إذا طرح في النار .

يا حولاء ، والذي بعثني بالحق نبياً هذه المنكرات الأرواح .

يا حولاء ، والذي بعثني بالحق نبياً ورسولاً ما من امرأة تثقل على زوجها المهر إلا ثقل الله عليها سلاسل من نار جهنم .

يا حولاء ، والذي بعثني بالحق نبياً ورسولاً ما من امرأة تؤخر المهر على زوجها إلى يوم القيامة إلا أذاقها الله الخزي في الحيوة الدنيا وعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون .

يا حولاء ، والذي بعثني بالحق نبياً ورسولاً ما من امرأة تصوم بغير إذن زوجها ـ إلا لفرض شهر رمضان وغيره من النذر ـ إلا كانت من الآثمين .

يا حولاء ، والذي بعثني بالحق نبياً ورسولاً لا ينبغي للمرأة أن تتصدق بشيء من بيت زوجها إلا بإذنه ، فإن فعلت ذلك كان له الأجر وعليها الوزر .

---

(١) شرح اللحم : قطعه قطعاً طوالاً .

يا حولاء ، والذي بعثني بالحق نبياً ورسولاً خليفة الرب جلّ ذكره ألرجل على المرأة فإن رضي عنها رضي الله عنها وإن سخط عليها ومقتها سخط الله عليها ومقتها وغضب عليها وملائكته .

يا حولاء ، والذي بعثني بالحق نبياً ورسولاً هادياً ومهدياً أن المرأة إذا غضب عليها زوجها فقد غضب عليها ربّها وحشرت يوم القيامة منكوسة منعوشة في أصل جهنم يعني قعرها مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار ، وسلّط الله عليها الحيات والعقارب والأفاعي والثعابين ينهشوا لحمها[1] كل ثعبان مثل الشجر والجبال الراسيات

يا حولاء ، ما من امرأة صلّت صلوتها ولزمت بيتها وأطاعت زوجها إلا غفر الله لها ذنوبها ما قدّمت وما أخّرت .

يا حولاء ، لا يحل للمرأة أن تكلّف زوجها فوق طاقته ولا تشكوه إلى أحد من خلق الله (عزّ وجلّ) لا قريب ولا بعيد .

يا حولاء ، يجب على المرأة أن تصبر على زوجها على الضرّ والنفع وتصبر على الشدة والرّخاء كما صبرت زوجة أيّوب المبتلي ، صبرت على خدمته ثمانية عشر تحمله على عاتقها مع الحاملين ، وتطحن مع الطّاحنين ، وتغسل مع الغاسلين ، وتأتيه بكسرة يأكلها وتحمد الله (عزّ وجلّ) ، وكانت تلفّيه في الكساء وتحمله على عاتقها شفقة وإحساناً إلى الله وتقرباً إليه (عزّ وجلّ) .

يا حولاء ، والذي بعثني بالحق نبياً ورسولاً كل امرأة صبرت على زوجها في الشدة والرخاء ، وكانت مطيعة له ، ولأمره ، حشرها الله تعالى مع امرأة أيوب .

يا حولاء ، لا تبدي زينتك لغير زوجك .

---

(١) نهشه : تناوله بفمه ليعضه فيؤثر فيه ولا يجرحه .

يا حولاء ، لا يحل للمرأة أن تظهر معصمها[١] وقدمها لرجل غير بعلها ، وإذا فعلت ذلك لم تزل في لعنة الله وسخطه وغضب الله عليها ولعنتها مـلائكة الله وأعد لها عذاباً أليماً .

يا حولاء ، أي امرأة[٢] دخلت الحمام إلا وضـع إبليس اللعين يده على قبلها فإن شاء أقبل بها وإن شاء أدبرها ويلعنها حتى يخرج منه ، لأن الحمام بيت من بيوت جهنم ومن بيوت الكفار والشياطين .

يا حولاء ، والذي بعثني بالحق نبياً ورسولاً أن للرجل حقاً على امرأته إذا دعاها ترضيه وإن أمرها لا تعصيه ولا تجاوبه بالخلاف ، ولا تخالفه ولا تبات[٣] وزوجها عليها ساخط ولو كان ظالماً لها ولا تمنعه نفسها إذا أراد ولو كانت على ظهر قتب .

يا حولاء ، إن المرأة يجب عليها أن ترضي زوجها إذا غضب عليهـا ولا يحل لها أن تنـظر إلى وجهه نـظرة مغضبة ، ولكن تقتحم علي رجليـه تقبلهما وتمسـح على رجليـه حتى يـرضى عنهـا ربهـا ، وإن سخط عليهـا فقـد سخط الله (عزّ وجلّ) عليها .

يا حولاء ، للمرأة على زوجها أن يشبـع بطنهـا ويكسو ظهـرها ويعلّمهـا الصلوة والصوم والزكوة إن كان في مالها حق ، ولا تخالفه في ذلك .

يا حولاء ، والذي بعثني بالحق نبياً ورسولاً لقـد بعثني المقام المحمـود فـأعرضني على جنتـه وناره ، فـرأيت أكثر أهـل النار النسـاء فقلت : يا حبيبي جبـرائيل ولم ذلـك ؟ فقال : بكفـرهنّ ، فقلت : يكفرن بـالله (عزّ وجـلّ) ؟ فقـال : لا ولكنهن تكفرن النعمـة . فقلت : كيف ذلك يـا حبيبي جبـرائيـل ؟ فقال : لو أحسن إليها زوجها الدهر كله ثم تبدأ إليها سيئة قالت : ما رأيت منه

(١) المعصم : موضع السوار من الساعد .
(٢) لعل الصحيح (ما من امرأة اه) .
(٣) من البيتوتة .

خيراً قطّ .

يا حولاء ، أكثر النار من حطب السعير النساء .

فقالت الحولاء : يا رسول الله وكيف ذلك ؟ قال : لأنها إذا غضبت على زوجها ساعة تقول : ما رأيت منك خيراً قط عسى أن يكون قد ولدت منه أولاداً .

يا حولاء ، للرجل على المرأة أن تلزم بيته وتودّده وتحبه وتشفقه وتجتنب سخطه ، وتتبع مرضاته وتوفي بعهده ووعده ، وتتقي صولاته ولا تشرك معه أحداً في أولاده ولا تهينه ولا تسعينه(١) ولا تخونه في مشهده ولا ماله ، وإذا حفظت غيبته حفظت واستوت في بيتها وتزينت لزوجها ، وأقامت صلوتها واغتسلت من جنابتها وحيضها واستحاضتها ، فإذا فعلت ذلك كانت يوم القيامة عذراء بوجه منير ، فإن كان زوجها مؤمناً صالحاً فهي زوجته ، وإن لم يكن مؤمناً تزوّجها رجل من الشهداء ولا تطيبي(٢) وزوجك غائب .

يا حولاء ، من كانت منكنّ تؤمن بالله واليوم الآخر لا تجعل زينتها لغير زوجها ، ولا تبدي خمارها ومعصمها وإيما امرأة جعلت شيئاً من ذلك لغير زوجها فقد أفسدت دينها وأسخطت ربها عليها .

يا حولاء ، لا يحل لامرأة أن تدخل بيتها من قد بلغ الحلم ، ولا تملأ عينها منه ولا عينه منها ، ولا تأكل معه ولا تشرب إلا أن يكون محرماً عليها ، وذلك بحضرة زوجها ، فقالت عائشة عند ذلك : يا رسول الله وإن كان مملوكاً ؟ فقال رسول الله (ص) : وإن كان مملوكاً ، فلا تفعل شيئاً من ذلك فإن فعلت فقد سخط الله عليها ومقّتها ولعنها ولعنتها الملائكة .

يا حولاء ، ما من امرأة تستخرج ما طيبت لزوجها إلا خلق الله لها في الجنة من كل لون فيقول لها : كلي واشربي بما أسلفت في الأيام الخالية .

---

(١) من السعاية .
(٢) هنا بياض في نسخة الأصل.

يا حولاء ، ما من امرأة تحمّل من زوجها كلمة إلا كتب الله لها بكل كلمة ما كتب من الأجر للصائم والمجاهد في سبيل الله (عزّ وجلّ) .

يا حولاء ، ما من امرأة تشتكي زوجها إلا غضب الله عليها ، وما من امرأة تكسي زوجها إلا كساها الله يوم القيامة سبعين خلعة من الجنة كل خلعة منها مثل شقائق النعمان والريحان ، ويعطي يوم القيامة أربعون جارية تخدمها من حور العين .

يا حولاء ، والذي بعثني بالحق نبياً ورسولاً ومبشرّاً ونذيراً ما من امرأة تحمل من زوجها ولداً إلا كانت في ظل الله (عزّ وجلّ) حتى يصيبها طلق ، يكون لها بكل طلقة عتق رقبة مؤمنة ، فإذا وضعت حملها وأخذت في رضاعه فما يمصّ الولد مصة من لبن أمه إلا كان بين يديها نوراً ساطعاً يوم القيامة يعجب من رآها من الأولين والآخرين وكتبت صائمة قائمة وإن كانت غير مفطرة كتب لها صيام الدهر كله وقيامه سروراً فإذا فطمت ولدها قال الحق جلّ ذكره : يا أيتها المرأة قد غفرت لك ما تقدم من الذنوب فاستأنفي العمل رحمك الله .

فقالت الحولاء : يا رسول الله صلى الله عليك هذا كله للرجل ؟ قال (ص) : نعم ، قالت : فما للنساء على الرجال ؟ قال رسول الله (ص) : أخبرني أخي جبرائيل ولم يزل يوصيني بالنساء حتى ظننت أن لا يحلّ لزوجها أن يقول لها أف ، يا محمد اتقّ الله (عزّ وجلّ) في النساء ، فإنهن أعوان بين أيديكم أخذموهن[1] على أمانات الله (عزّ وجلّ) ما استحللتم من فروجهنّ بكلمة الله وكتابه من فريضتي وسنتي وشريعة محمد بن عبد الله (ع) ، فإن لهنّ عليكم حقاً واجباً لما استحللتم من أجسامهنّ ، وبما واصلتم من أبدانهنّ ويحملن أولادكم في أحشائهنّ ، حتى أخذكم الطلق[1] من ذلك فاشفقوا عليهنّ ، وطيّبوا قلوبهن حتى يقفن معكم ، ولا تكرهوا النساء ولا تسخطوا بهنّ ولا تأخذوا مما آتيتموهنّ شيئاً إلا برضاهن وإذنهن وإن عنفتم عليهنّ فإن

---

(١) واستظهر في الهامش أن الصحيح (أخذتموهنّ).

(٢) واستظهر في الهامش أن الصحيح (أخذهن الطلق).

الله (عزّ وجلّ) يوم القيامة يعذبكم عذاباً أليماً ، وكانت الملائكة تجادل عنهن فتلطفوا بهنّ ، فأي رجل منكم لطم امرأته لطمة أمر الله (عزّ وجلّ) مالك يوم (ظ) القيامة خازن النيران فيلطمه على حرّ وجهه سبعين لطمة في نار جهنم ، وأيّ رجل منكم وضع يده على شعر امرأة مسلمة سمّر كفه بمسامير من نار ، وأيما امرأة غضبت زوجها وخانته وخالفته وخرجت بغير إذنه وأضاعت الصلوة فإن الله (عزّ وجلّ) أمر بهجرهنّ في المضاجع ويضربهنّ ويحبسهنّ في البيوت ، وعلموهنّ ما يحتجن إليهن من دينهنّ الحق الذي ارتضى لهنّ ، واضربوهنّ ضرباً وجيعاً ، فإن الرجال يسألون عن النساء يوم القيامة ولتسألنّ عن الرجال وكل من له عند صاحبه حق يقضيه يوم القيامة ، والرجل يكرههن على طاعة الله (عزّ وجلّ) وحسن المباشرة وحسن الخلق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنّ ولا تظلموا عليهن وكونوا رحماء بينكم .

وأخرج ابن الأثير الجزري في كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة عن أبي موسى عن أبي علي محمد بن علي الكاتب والحسن بن أحمد عن أبي منصور عبد الرزاق بن أحمد عن أبي الشيخ عبد الله بن محمد عن محمد عن إسحاق بن جميل عن إسحاق بن النيض عن القاسم بن الحكم عن جرير بن أيوب البجلي عن حماد بن أبي سليمان عن زياد الثقفي عن أنس بن مالك قال : كانت امرأة بالمدينة عطارة تسمى الحولاء فجاءت حتى دخلت على عائشة فقالت : يا أمّ المؤمنين إني لأتطيّب كل ليلة وأتزيّن حتى كأنّي عروس أزفّ فأجيء حتى أدخل في لحاف زوجي ، أبتغي بذلك مرضات ربّي فيحوّل وجهه عنّي فأستقبله فيعرض عني ولا أراه إلا قد أبغضني ، فقالت لها عائشة : لا تبرحي حتى يجيىء رسول الله (ص) فلما جاء رسول الله (ص) قال : إنّي لأجد ريح الحولاء فهل أتتكم وهل ابتعتم منها شيئاً ؟ قالت عائشة : لا والله يا رسول الله ولكن جاءت تشكو زوجها ، فقال لها رسول الله (ص) : ما لك يا حولاء ؟ فقالت : يا رسول الله إنّي لأتزين وأفعل كذا وكذا نحو ما ذكرت لعائشة ، فقال لها رسول الله (ص) : اذهبي أيتها المرأة فاسمعي وأطيعي زوجك ، قالت : يا

رسول الله ، فما لي من الأجر ، الحديث فذكر من حقّ الزوج على المرأة وحقّ المرأة على الزوج ، وما في الحمل والولادة والفطام من الأجر (انتهى) والظاهر اتحاد الخبرين وتبديلهم أمّ سلمة بعائشة لترويج سوقهم الكاسدة[1] . هذا آخر ما أردنا ذكره من الحقوق المنصوصة ، وفي الفقيه عن أبي بصير قال ، قلت لأبي عبد الله : ما على الإمام من الزكوة ؟ فقال : يا أبا محمد أما علمت أن الدنيا للإمام يضعها حيث يشاء ، ويدفعها إلى من يشاء ، جائز من الله (عزّ وجلّ) له ذلك ، إن الإمام لا يبيت ليلة أبداً والله (عزّ وجلّ) في عنقه حق يسأله عنه ، وفي الغرر عن أمير المؤمنين (ع) : ما بات لرجل عندي موعد قط فبات يتململ على فراشه ليعدو بالظفر بحاجته أشدّ من تململي على فراشي حرصاً على الخروج إليه من دين عذّبه وخوفاً من عائق يوجب الخلف فإن خلف الوعد ليس من أخلاق الكرام ، وفي الكافي عن الصادق (ع) في حديث : ثم علّم الله تعالى نبيّه كيف ينفق ، وذلك أنه كانت عنده أوقية من ذهب فكره أن تبيت عنده فتصدّق بها فأصبح وليس عنده شيء ، وجاء من يسأله فلم يكن عنده ما يعطيه فلامه السائل واغتمّ حيث لم يكن عنده ما يعطيه ، وكان رحيماً رفيقاً فأدّب الله نبيّه بأمره فقال : ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة** ﴾ الآية يقول : قد يسألونك ولا يعذرونك ، فإذا أعطيت جميع ما عندك من المال كنت قد خسرت من المال ، وتقدم حديث أبي ذر ودخوله مع عثمان عليه (ع) .

---

(١) وفي روضة الكافي عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن عبد الرحمن بن أبي نجران عن صفوان عن خلف بن حماد عن الحسين بن مزيد الهاشمي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: جاءت زينب العطارة الحولاء إلى نساء النبي وكانت تبيع منهن العطر، فجاء النبي وهي عندهن، فقال: إذا أتيتنا طابت بيوتنا فقالت: بيوتك بريحك أطيب يا رسول الله! قال: إذا بعت فأحسني ولا تغشي فإنه أتقى وأبقى للمال، فقالت: يا رسول الله ما أتيت بشيء من بيعي وإنما أتيت أسألك عن عظمة الله فقال: جل جلاله سأحدثك (الخبر منه ره).

الفصل الرابع

في بيان مقدار الممدوح من النوم وذمّ الإكثار منه وسببه وعلاجه ، ومدح السهر والليالي المندوبة فيها الإحياء ، وذم التفريط فيه ، وذكر ما يورث الأرق من الأسباب الطبيعية والنفسانية والعقلانية وعلاجها .

وتنكشف تلك المطالب في ضمن مباحث :

البحث الأول : في مقدار الممدوح منه .

اعلم : رزقك الله المحجة الوسطى ، وسلك بك الطريقة المثلى ، إنّه لما كان النوم من الستة الضرورية التي تتوقف عليها صلاح جسد الإنسان ، ويحتاج إليها لرفع المفاسد عنه في كل آن ، فالممدوح منه هو المشتمل على ما وضع له من المصالح الجامع لما أعدّ له من المنافع ، الخالي عن حدوث ومفسدة في دينه أو عرضه أو جسده ، وحيث أن أوضح منافعه استراحة القوى عمّا عرضها من النّصب والعناء ، كما قال تعالى : ﴿ **وجعلنا نومكم سباتا** ﴾[1] وتكميل هضم الغذاء وإعانة الهاضمة في هضمها ، فمقدار الممدوح منه يختلف باختلاف مقدار التعب الذي عراه في رضاه تعالى ، أو لم يكن في سبيل سخطه ومقدار احتياج ما أكله بآدابه المقررة في محله ، خصوصاً ما يتعلق بكمية المأكول إلى انهضامه به ، ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص والأحوال والأزمان والحركات المبتلى بها في العادات والعبادات ، واختلاف كمّ المأكولات وكيفها ، ولا يمكن ضبطه لكل أحد في كل وقت ، فلازم على كل شخص مراعاة حاله ومعرفة المقدار الذي يحتاج إليه في كل وقت ليكون واضعاً كل شيء في محله ، ومستعملاً دنياه بما لا يضر بأمر آخرته ، هذا .

وصرّح المحدث الكاشاني في منهاج النجاة بكون المأذون منه شرعاً في اليوم وليلته ثمان ساعات ثلثها ، فإن عاش ستين سنة نام منها عشرين سنة ، ولا

---

(١) سورة النبأ، الآية: (٩).

أدري من أين أخذ ذلك ، وقال في نخبته أيضاً : وليكن النوم ثلث اليوم والليلة .

وأما ما روي في وصية أمير المؤمنين (ع) إلى ابنه الحسن (ع) : للمؤمن ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بين نفسه وبين لذتها فيما يحل ويجمل ، وليس للمؤمن بد من أن يكون شاخصاً في ثلاث : مرمة لمعاش أو خطوة لمعاد أو لذة في غير محرم ، فظاهره كون تمام وقت الأكل والشرب والنكاح والنوم وغيرها بمقدار الثلاث ، نعم يظهر من بعض الأطباء عدم جواز النقص عن الربع أي ست ساعات من الليل والنهار في غالب الطبائع ، ومن غلب عليه السوداء فيكتفي بأقل منه طبيعة .

البحث الثاني : في ذم الإكثار منه وسببه وعلاجه .

في الأمالي والعلل للصدوق عن أبيه عن محمد بن أحمد الأسدي عن محمد بن أبي أيوب عن جعفر بن سند بن داود عن أبيه عن يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله (ص) : قالت أمّ سليمان بن داود لسليمان : إيّاك وكثرة النوم بالليل ، فإن كثرة النوم بالليل تدع الرجل فقيراً يوم القيامة .

وفي الفقيه : عن الباقر (ع) : ثلاث فيهنّ المقت من الله (عزّ وجلّ) : نوم من غير سهر ، وضحك من غير عجب ، وأكل على الشبع ، وفي الخصال في حديث الأربعمائة عن أمير المؤمنين (ع) : ليس في البدن أقلّ شكراً من العين فلا تعطوها سؤالها فتشغلكم عن ذكر الله (عزّ وجلّ) .

وروى : الكليني عن العدة عن البرقي عن أبيه عن ابن سنان عن ابن مسكان وصالح النيلي جميعاً عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال : إن الله (عزّ وجلّ) يبغض كثرة النوم وكثرة الفراغ . وعنهم عن سهل بن زياد عن ابن محبوب عن يونس بن يعقوب عمن ذكره عنه (ع) قال : كثرة النوم مذهبة للدين والدنيا . وعن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن فضال عمّن ذكره عن بشير الدهان قال : سمعت أبا الحسن موسى (ع) يقول : إن

الله (عزّ وجلّ) يبغض العبد النوّام الفارغ ، ورواه في الفقيه عنه (ع) .

وفي النهج قال (ع) : ما أنقض النوم لعزائم الأمور ، قال الشارح : هذه الكلمة تجري مجرى المثل يضرب لمن يعزم على أمر فيغفل عنه ، أو يتهاون فيه ويتراخى عن فعله ، حتى ينتقض عزمه عنه وأصله أن الإنسان قد ينوي السفر مثلاً أو الحركة بقطعة من الليل ، ليتوفّر في نهاره على سيره فيغلب النوم إلى الصباح فيفوت وقت عزمه فيقض ما كان عزم عليه من يومه .

وفي الغرر قال (ع) : ويح النائم ما أخسره قصر عمله وقلّ أجره ، وفيه قال (ع) : من كثر في ليله نومه فاته من العمل ما لا يستدركه في يومه ، وفيه قال (ع) : كثرة الأكل والنوم يفسدان النفس ويجلبان المضرة ، وفي حديث الأربعمائة عنه (ع) : أصناف السّكر أربعة : سكر الشباب وسكر المال وسكر النوم وسكر الملك ، وفيه عنه (ع) في صفات المقصرين : يؤخر الصوم ويعجل النوم ، لا يبيت قائماً ولا يصبح صائماً .

وفي الخصال عن محمد بن علي ماجيلويه عن العطار عن محمد بن أحمد الأشعري عن صالح يرفعه بإسناده قال : أربعة القليل منها كثير : النار القليل منها كثير ، والنوم القليل منه كثير ، والمرض القليل منه كثير ، والعداوة القليل منها كثير .

وفي تحف العقول للشيخ الأقدم حسن بن علي بن شعبة في وصايا الصادق (ع) لعبد الله بن جندب : يا ابن جندب أقلّ النوم بالليل والكلام بالنهار ، فما في الجسد شيء أقلّ شكراً من العين واللسان ، فإنّ أم سليمان قالت لسليمان : يا بني إياك والنوم فإنه يفقرك يوم يحتاج إلى الناس إلى أعمالهم ، يا ابن جندب إنّ للشيطان مصائد يصطاد بها ، فتحاموا أشباكه ومصائده[1] قلت : يا ابن رسول الله وما هي ؟ قال : أما مصائده فصدّ عن برّ الإخوان ، وأما شباكه فنوم عن قضاء الصلوة التي فرضها الله ، أما أنه ما

---

(١) تحامى الشيء : اجتنبه وتوقاه.

يعبـد الله بمثل نقـل الإقدام إلى بـرّ الإخـوان وزيـارتهم ، ويـل للسـاهين عن الصلوات ، النائمين في الخلوات المستهزئين بالله وآياته في الضرات ، أولئك الـذين لا خلاق لهم في الآخـرة ولا يكلمهم الله يوم القيـامة ولا يـزكيهم ولهم عذاب أليم .

وفي معاني الأخبار عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد عن ابن فضـال رفعه إلى أبي جعفـر (ع) قال : قـال رسول الله (ص) : إن لإبليس كحلاً ولعوقاً وسعوطاً[١] فكحله النعاس ولعوقه الكـذب وسعوطـه الكبر ، وفي البحار عن كتاب غور الأمور للترمذي عن أبي مقاتل عن صالح بن سعيد عن أبي سهل عن الحسن قال : قال رسول الله (ص) في حديث طويل ذكر فيه مكالمات يحيى (ع) مع شيطان إلى أن قال : قال يحيى : هل أصبت مني فرصتك قط في لحظة من بصر أو لفظة بلسان أو همّ بقلب ؟ قـال : اللهم لا إنه كـان يعجبني منك خصلة ، فكثر ذلك عنك ووقع عندي مـوقعاً شـريفاً فتغيـر لون يحيى من قوله ، وتبلّد وتقاصرت إليه نفسه[٢] وارتعدت فرائصه وغشي عليه ، قال : وما ذلك يا أبا مرّة ؟ قال : أنت رجل أكول وكنت أحياناً تكثر الطعام فتبشم منـه[٣] ويعتريك الوهن والنوم والثقل والكسل والنعاس ، فكنت تنام على جنبيك أحياناً من الأوقات التي كنت تقوم فيها من الليل هذا يعجبني منك ، قال : وبهذا كنت تجـد عليّ الفـرصـة ؟ قـال : نعم إلى أن قـال يحيى (ع) : عـاهـدت الله (عزّ وجلّ) نـذراً واجباً عليّ أن أخـرج من الدنيـا ولا أشبع من الـطعام ، قال : فغضب إبليس وحزن على ما أخبره فاحترز يحيى واعتصم قال : خدعتني يا ابن آدم وكسرت ظهري بما خـدعتني وأنا أعـاهد الله نـذراً واجباً على أن لا أنصح آدمياً ، وروى قريباً منه ابن الشيخ في أماليه عن الرضا (ع) عن أبيه عن جعفر بن محمد عن آبائه (ع) .

---

(١) اللعوق: اسم لما يلحس به باللسان أو الاصبع كـالدواء والعسـل، والسعوط: الـدواء يصب في الأنف.

(٢) تبلد: تردد متحيراً. تلهف وتقاصرت نفسه: تصاغرت.

(٣) بشم من الطعام: أتخم.

وروى البرقي في المحاسن عن نوح بن شعيب النيسابوري عن الدهقان عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (ع) قال : قال رسول الله (ص) : إن أول ما عصى الله به ستّ : حب الدنيا ، وحب الرئاسة ، وحب الطعام ، وحب النساء ، وحب النوم ، وحب الراحة . وفي الأمالي عن السجاد (ع) في صفات المنافق يمسي وهمّه الطعام ويصبح وهمه النوم ولم يسهر . وفي الكافي عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبي أيوب الخزاز عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر (ع) يقول : إن العبد يوقظ ثلاث مرات من الليل ، فإن لم يقم أتاه الشيطان فبال في أذنه . وروى الشيخ في التهذيب عن محمد بن علي بن محبوب عن محمد بن الحسين عن صفوان عن العلا عن محمد عن أبي عبد الله (ع) أنه قال : ليس من عبد إلا ويوقظ في كل ليلة مرة أو مرتين أو مراراً ، فإن قام كان ذلك وإلا فحج الشيطان فبال في أذنه ، أولا يرى أحدكم أنه إذا قام ولم يكن ذلك منه قام وهو متخثر[1] ثقيل كسلان .

قال في البحار كان بول الشيطان كناية عن قوة استيلاءه وغلبته عليه وإن احتمل الحقيقة أيضاً .

قال في النهاية : فيه أنه بال قائماً ففحج رجليه أي فرقهما وباعد بينهما ، والفحج : تباعد ما بين الفخذين ، وقال فيه : من نام حتى أصبح فقد بال الشيطان في أذنه ، قيل : معناه سخر منه وظهر عليه حتى نام عن طاعة الله . كقول الشاعر : « بال سهيل في الفضيخ ففسد »[2] أي لما كان الفضيخ يفسد بطلوع سهيل كان ظهوره عليه مفسداً له . وفي حديث آخر عن الحسن مرسلاً أن النبي (ص) قال : فإذا نام شغر الشيطان برجله[3] فبال في أذنه ، كفى بالرجل شهراً أن يبول الشيطان في أذنه ، وكل هذا على سبيل المجاز

---

(١) قال الفيض (ره) متخثر بالخاء المعجمة والثاء المثلثة والراء أي متثقل غير طيب النفس ولا نشيط، وفي بعض النسخ (متحير).

(٢) الفضيخ : شراب يتخذ من التمر.

(٣) شغر الكلب من باب نفع : رفع إحدى رجليه ليبول.

والتمثيل (انتهى) .

وقال الطبيعي[1] فيه تمثيل لتثاقيل نومه ، وعدم تنبهه بصوت المؤذن بحال من بول في أذنه وفسد حسّه ، وقال النوري قال القاضي : لا يبعد حمله على ظاهره ، وخصّ الأذن لأنها حاسة الانتباه . وفي تنبيه الخواطر عن الوحي القديم : لا تطاوعوا أنفسكم على منام كل الليل وخذوا هزيعاً منه .

قال في المجمع : ومضى هزيع من الليل أي طائفة وهو نحو من ثلثه أو ربعه .

وتقدم عن عدّة الدّاعي عن النبي (ص) : إن كلّ يوم من أيّام عمر الإنسان أربعة وعشرون خزانة ، عدد ساعات الليل والنهار ، إلى أن قال : ثم يفتح له خزانة أخرى فيراها خالية ليس فيها ما يسرّه ولا ما يسوءه ، وهي الساعة التي نام فيها أو اشتغل فيها بشيء من مباحات الدنيا فيناله من الغبن والأسف ، حيث كان متمكناً من أن يملأها حسنات ما لا يوصف .

وفي إرشاد الديلمي في خبر المعراج قال الله تعالى : يا أحمد أبغض الدنيا وأهلها ، وأحبّ الآخرة وأهلها ، قال : يا ربّ ومن أهل الدنيا ومن أهل الآخرة ؟ قال : أهل الدنيا من كثر أكله وضحكه ونومه .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : وإنّ في كثرته آفات وإن كان على سبيل ما ذكرنا أي النوم بعد الفراغ من أداء الفرائض والسنن والواجبات من الحقوق ، قال (ع) : وكثرة النوم يتولد من كثرة الشرب ، وكثرة الشرب يتولد من كثرة الشبع ، وهما يثقلان النفس عن الطاعة ويقسيان القلب عن التفكر .

وفي تفسير البرهان عن كتاب تحفة الاخوان عن أبي بصير عن الصادق (ع) في حديث طويل في كيفية خلقة آدم (ع) ودخوله في الجنة وصعوده على المنبر وتعليمه الملائكة الأسماء قال (ع) : ونزل آدم من منبره وزاد الله في

---

(١) كذا في الأصل ولم أظفر على ترجمة الرجل في كتب الرجال ولعله مصحف الضبيعي أو الطبعي أو غيرهما.

حسنه أضعافاً زيادة على ما كان عليه من الحسن والجمال ، فلما نزل قرب إليه قطف[1] من عنب أبيض ، فأكله وهو أول شيء أكله من طعام الجنة ، فلما استوفاه قال : الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : يا آدم لهذا خلقتك وهو سنّة بينك إلى آخر الدهر ، ثم أخذته السنة أي النعاس لأنه مبادىء النوم ، لأنه لا راحة لبدن يأكل إلا النوم ، ففزعت الملائكة وقالت : النوم هو الموت ! فلما سمع إبليس لعنه الله ، يأكل آدم فرح وتسلّى بعض ما فيه وقال سوف أغويه (الخبر) .

إذا عرفت ذلك فاعلم أن مفاسد الإكثار من النوم كثيرة قد أشير إليها في تلك الأخبار ولاحث مما مرّ من كلماتنا .

منها : أن العبد الضعيف المحتاج إذا تحقق في قلبه حضور مولاه القوي الغني القاهر عليه ، واستشعرت فيه عظمته وجلاله ، وعرف منه إرادته منه القيام بوظائف وآداب عيّنها له في ساعات ليله ونهاره فلا يمكنه عادة أن ينام ملقياً بين يديه وهو حي قيوم ينظر إليه إلا في وقت أذن له فيه ، وأمره بالخروج من التعب الذي بلغ به مقاماً لا يقدر معه على امتثال أوامره وترك مناهيه ، فيكون حينئذ مرخصاً في تلك الجسارة ، مأذوناً في النوم للإجبار والراحة ، وما زاد عن الإحتياج غير مأذون فيه ، وجسارة على مقدس حضرته ، ومخالف أيضاً لما يدّعيه من محبته كما يأتي في الحديث القدسي : كذب من زعم أنه يحبني وإذا جنّه الليل نام عني .

قال طاووس العلماء رضي الدين في فلاح السائل بعد ذكر جملة مما ورد في عبادات الأئمة (ع) في الليل : أقول : فإذا لم يحصل لك قوة ولا توفيق للسلوك بمطايا الليل على هذا الطريق فكن كما قال مولانا علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) : وتقتضيه معرفتك بمولاك الذي أنت بين يديه فإنه قال (ع) : إذا ضعفت عن الخير فاضعف عن الشر ، أقول واعتبر صدق دعويك

---

(١) القطف بكسر القاف : العنقود ساعة يقطف.

من بطلانها فإن نفسك تريد النوم وتتكاسل عن خدمة مالكها وسلطانها بـأنه لـو جاءك واحد من أصدقائك أو بعض خدم ملوك دار الغرور ، أو جاءك حويجة من حويجات السرور التي تطلبها من الدنيـا التي تفنى لذاتهـا وتبقى تبعاتهـا ، أما كنت تترك الكسل والنوم بالكلية ، فإذا عرفت ذلك من نفسك فابك عليها فإنك مريض في قلبك أو ضعيف في عقائدك الدينية ، فتب إلى الله (جـل جلالـه) واسـأله العفـو ، وأن يكمّل لـك ما هـو (جـل جـلالـه) من السعـادة الـدينيـة والدنيوية ، فإنهما حاصلتان في مراقبة تلك الجلالة الإلهية ، أقول : فإذا جـاء النوم وصرت كالمغلوب فإنك إن كنت كذلـك كنت معذوراً مـا لم يكن نومـك لذنب طردك به علاّم الغيوب .

ومنها : أن النفس خلقت للمعرفة والعبادة وتحصيل الزاد والاستعداد لدار الآخرة ، وإنما تقدر على ذلك إذا كانت الحواس طائعة والجوارح غير معطلة ، وبالنوم تتعطل الحواس فتبطل تصرفها واستعمالهـا إياهـا في مرضـاته تعـالى ، فتقعد ملومة مظلومة خاسرة في تجارتها ، وصرف العمر الذي يمكنها أن يشتري بكل ساعة منه ما لا يوصف من نعم تبقى فيما لا يعود إليها نفع أصلاً ، فمن أكثر من النـوم فقد ظلـم نفسـه وهي أمانـة بيده ، ومن أظلم كـان ممّن خان الله في وديعته .

ومنها : أنّ المكثر من النوم يفوته المواهب الإلهية التي أعدّها النائم بأمره تعالى من حفظ ملائكته وحراسة جنوده وإطعامه وسقيه فيه من طعامه وشرابه ، وكشفه له كثيراً مما جهله ، واستراحة النفس والقوى عن الكلال والعنا بما يورث من الأدواء التي ذكرها الأطباء وغير ذلك مما مرّ ذكره ، فإنّ جميع ذلك لمن نام بإذنه لا من كان في سخطه وغضبه ، وقد مرّ أنه تعالى يبغض النوام ، فهو بعيد مدحور[1] عن ساحة الإنعام والإكرام .

ومنهـا : أنه يبتلي بمفـاسد من لا يكـون نومـه محموداً من الإقتـران مع

---

(١) أي مطرود.

الشياطين والاشتغال بـالوسـاوس والأوهام ، والأضغـاث ، والأحلام ، وزيـادة الثقل والكسالة ، والجهل والغباوة ، وفوت كثير من العبادة .

ومنها : أنه يبتلي غـالباً بـالنوم في وقت قيـام الناس ، والقيـام في وقت نومهم ، فيفوته ما يصل إليه من الخيرات والبركات بتوسطهم ، ويصل إليـه ما كان يدفع عنه من جهتهم ودعائهم .

ومنها : ما ذكره الأطباء وأشار إليه أمير المؤمنين (ع) بقوله : كثرة الأكـل والنوم يفسدان النفس ويجلبان المضرة ، قـال صاحب كـامل الصنـاعة : فـأما اختلاف فعل النوم من مقدار زمانه ، فإن النوم الكثير يرخي القـوة النفسانيـة ، ويضعفها ، ويبرد البدن ويرطبه ، ويكثر فيه البلغم ويضعف الحرارة الغريزية ، وقال غيره : ويبـرد ويجفف الباطن إن طـال النوم ، لأن الحـرارة إذا انعكست واحتنقت في الباطن وتأثرت في المواد تنضجها وتفرقها ، وإذا طال المكث مـا تجـد مادة تـرفيها[1] فتحـل الرطـوبات الأصليـة فيتبعه تحلل الـروح والحـرارة الغريزية ، ولنقصان الحـرارة يعرض التبـريد . ولنقصـان الرطـوبة التجفيف ، فيورث الأمراض المتولدة منهما .

وأما أسباب كثرة النوم : فهي كثيرة ككثرة الأكل وكثرة الشرب ففي بعض المواضع مرسلاً عنهم (ع) لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فتناموا كثيراً فيمقتكم الله كثيراً ، وقد مرّ عن الصادق (ع) مثله والتعب الشديد واستعمال الأدوية المخدرة كالأفيون والشوكران والبنج والبيردج واللفاح وجوز الماثل والقطر واللبن المتجبن في المعدة والكزبرة الرطبة وبزر القطونا الكثير والأغذية الرطبة جداً وغيـر ذلك مما يورثها كيفية أو خـاصية من الحبـوبات والبقـولات وأمثالهـا ، وفي عجائب المخلوقات حجر جالب النوم حجر أحمر إذا علق على الإنسان نام نوماً ثقيلاً ، وإن وضع تحت رأس النائم لم يستيقظ حتى يدور رأسه ، وفي حيـوة الحيوان وغيره : وقرن المعز الأبيض يسحق ويشد في خرقة ، ويجعل تحت رأس النائم

(١) رفوت الرجل: سكنته من الرعب.

فإنه لا ينتبه ما دام تحت رأسه .

ومن الأسباب : الغفلة عما أعدّ الله تعالى للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع مما لا عين رأت ولا أذن سمعت والذنب كما تقدم وإصابة الرأس برداً شديداً من الخارج كالماء البارد والهواء البارد وقد تبلغ في الكثرة حداً يسمّى بالسبات وهو من الأمراض المعروفة عند الأطباء قالوا : هو نوم ثقيل مفرط في المدة أطول من النوم الطبيعي ، ويكون ثقله في الكيفية قوية فيعصب الانتباه عنه وإن تنبه بالعنف وذكروا له أقساماً تحدث من اختلاف أسبابه لا حاجة لنا إلى ذكرها وذكر علاجها إنّما المقصود ذكر ما كان سببه ضعف النفس ومرض القلب وطغيان الشهوة ، وزيادة الحرص والمرض ، إذا عرف أسبابه وظهرت مفاسده سهل علاجه إن أراده بقطع الأسباب المذكورة له ، فيقل أكله ويترك الإكثار من الماء الذي هو مادة كل داء ، وسائر ما أشرنا إليه ، ويتعمق النظر في المفاسد التي ذكرناها ، وفي فوائد السهر التي يأتي ، وفيما يذهب تذكره النوم عن المؤمن .

وفي مكارم الأخلاق لدفع غلبة النوم أنه يقرأ هذه الآية على الماء ويغسل به وجهه وهي : ﴿ **ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك إني تبت إليك وأنا أول المؤمنين** ﴾[1] ، وفيه عن رسول الله (ص) : الحجامة في الرأس شفاء من سبع : من الجنون والجذام والبرص والنعاس ووجع الضرس وظلمة العين والصداع .

وروى الصدوق في الخصال عن أبيه عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن إسماعيل بن مرار عن يونس عن أبي الحسن (ع) قال : علامات الدم أربعة : الحكة والبثرة[2] والنعاس والدوران ، وفي علاج الأسقام عن الصادق (ع) : إن

---

(١) سورة الأعراف، الآية: (١٤٣).

(٢) البثرة بفتح الباء وسكون الثاء وقد تفتح واحدة البثر: خراج صغير.

الحجامة تنفع للعين وغلبة النوم ، وذكر الدميري في حيوة الحيوان في خواص الخفاش : أنه إذا وضع رأسه في حشو مخدة لم ينم من وضع رأسه عليها ، وقيده صاحب التحفة بالجاهل به وفي عجائب المخلوقات : حجر الجراع هو حجر له ألوان كثيرة توجد ببلاد الصين واليمن ، مَن استصحبه أورثه الهمّ والغمّ والحزن ، وأراه أحلا ماردية ، وتعسر قضاء حوائجه ، وإذا علق على صبي كثر بكاءه وفزعه وسيلان لعابه ، ومن سقى منه مسحوقاً قلّ نومه ، وفي حيوة الحيوان : إذا ذبح البوم بقيت إحدى عينيه مفتوحة والأخرى مضمومة ، فالمفتوحة إذا جعلت تحت فص خاتم من لبسه سهر ما دام عليه والأخرى بالعكس ، وفي شرح ابن أبي الحديد عن الحكماء : أن حراقة النمل إذا أضيف إليها شيء من قشور البيض وريش هدهد ، وعلقت على العضد منعت من النوم .

البحث الثالث : في مدح قلة النوم والسهر وقيام الليل وذكر بعض القائمين فيه والليالي المندوبة فيها الاحياء قال الله تبارك وتعالى في وصف عباد الرحمن : ﴿ **والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطعماً ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون (ع)** ، **وقال تعالى** : ﴿ **إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتيهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً نصفه أو أنقص منه قليلاً أو زد عليه** ﴾ ، إلى قوله : ﴿ **وإن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قيلاً** ﴾ .

في المجمع كان النبي (ص) وطائفة من المؤمنين يقومون حتى يصبحوا مخافة أن لا يحيطوا ما بين النصف وثلاث وثلاثين حتى خفف الله عنهم ، وكان بيّن التكليف بذلك والتخفيف منه عشر سنين ، وفي إرشاد الديلمي عن النبي (ص) : إذا جمع الله الأولين والآخرين نادى مناد : ليقوم الذين كانوا تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ، فيقومون وهم

قليل ، ثم يحاسب الله الناس بعدهم ، وقال : إذا قام العبد من مضجعه والنعاس في عينيه وأرضى ربّه بصلوة ليلة ، باهى الله به الملائكة فيقول : أما ترون عبدي هذا قام من مضجعه ، وترك لذيذ منامه ، إلى ما لم أفرضه عليه ، اشهدوا أنّي قد غفرت له .

وفي البحار عن كتاب عيون الحكم والمواعظ لعلي بن محمد الواسطي من القدماء عن رسول الله (ص) : إن الله (عزّ وجلّ) أوحى إلى الدنيا أن اتعبي من خدمك واخدمي من رفضك ، وأنّ العبد إذا تخلى بسيّده في جوف الليل المظلم وناجاه أثبت الله النور في قلبه فإذا قال : يا رب يا رب ناداه الجليل (جل جلاله) لبّيك عبدي سلني أعطك وتوكل عليّ أكفك ، ثم يقول (جلّ جلاله) لملائكته : يا ملائكتي انظروا إلى عبدي قد تخلى في جوف هذا الليل المظلم ، والبطّالون لاهون ، والغافلون نيام ، اشهدوا إنّي قد غفرت له .

وفي الغرر عن أمير المؤمنين (ع) : السهر روضة المشتاقين ، وقال (ع) : أفضل العبادة سهر العيون بذكر الله تعالى ، وقال (ع) : سهر الليل شعار المتقين وشيمة المشتاقين ، سهر العيون بذكر الله خلصان العارفين وحلوان المقربين سهر الليل في طاعة الله ربيع الأولياء وروضة السعداء ، سهر العيون بذكر الله غنيمة الأولياء وسجية الأتقياء ، سهر العيون بذكر الله فرصة السعداء ونزهة الأولياء ، وقال (ع) : فاتقوا الله تقية من أنصب الخوف بدنه وأسهر التهجد غرار نومه[1] وأظمأ الرجل هواجر يومه[2] .

وفي النهج وغيره في حديث همام وأما الليل فصافون أقدامهم ، تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً ، يحزنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم ، فإذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً ، وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً ، وظنوا أنها نصب أعينهم ، وإذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم ، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم فهم حافون ـ وفي خبر جاثون ـ على أوساطهم ، مفترشون بجباههم وأكفّهم وركبهم وأطراف أقدامهم ، يطلبون

(١) الغرار: القليل من النوم.
(٢) الهواجر جمع الهاجرة: شدة الحر.

إلى الله تعالى في فكاك رقابهم وفيه في كتابه (ع) إلى عثمان بن حنيف : طوبى لنفس أدّت إلى ربها فرضها ، وعركت بجنبها بؤسها[1] وهجرت في الليل غمضها حتى إذا غاب الكري عليها افترشت أرضها ، وتوسدت كفّها في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم ، وتجاقت عن مضاجعهم جنوبهم ، وهمهمت بذكر ربهم شفاهم ، وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم ، أولئك حزب الله ألا أن حزب الله هم المفلحون .

وفي الإرشاد والأمالي وغيره أن أمير المؤمنين (ع) خرج ذات ليلة من المسجد وكانت ليلة قمراء فأمّ الجبانة[2] ولحقه جماعة يقفون أثره ، فوقف عليهم ثم قال (ع) : فما لي لا أرى فيكم سيماء الشيعة ؟ قالوا : وما سيماء الشيعة يا أمير المؤمنين ؟ فقال : صفر الوجوه من السهر .

وفي صفات الشيعة عن الصادق (ع) : شيعتنا أهل الورع والإجتهاد ، وأهل الوفاء والأمانة وأهل الزهد والعبادة أصحاب إحدى وخمسين ركعة في اليوم والليلة القائمون بالليل الصائمون بالنهار . وفيه عنه (ع) قال : كان علي بن الحسين (ع) قاعداً في بيته إذ قرع قوم عليه الباب ، فقال : يا جارية انظري من بالباب ؟ فقالوا : قوم من شيعتك فوثب عجلان حتى كاد أن يقع ، فلما فتح الباب ونظر إليهم فرجع وقال : كذبوا فأين السمة في الوجوه ، أين أثر العبادة ، أين سيماءه على السجود إنما شيعتنا يعرفون بعبادتهم وشعثهم ، قد قرحت العبادة منهم الآناف ، ودثرت الجباه والمساجد ، خمص البطون ذبل الشفاه[3] قد هيجت[4] العبادة وجوههم وأخلق السهر وقطع الهواجر جثثهم ،

---

(١) أي صبرت على بؤسها والمشقة التي تنالها، يقال: قد عرك فلان بجنبه الأذى أي أغضى عنه وصبر عليه.

(٢) قال ياقوت: أهل الكوفة يسمون المقابر جبانة كما يسميها أهل البصرة المقبرة وبالكوفة محال تسمى بهذا الاسم، ثم ذكر أساميها. وفي اللغة الجبانة الصحراء وتسمى بها المقابر لأنها تكون في الصحراء تشبيه للشيء بموضعه.

(٣) خمص البطون: أي ضامرها. ذبل شفته: جف.

(٤) وفي بعض النسخ: (اصفر) بدل (هيجت).

المسبحـون إذا سكت الناس والمصلون إذا نـام الناس والمحـزونـون إذا فـرح الناس ، يعرفون بالزهد وكلامهم الرحمة وتشاغلهم بالجنة .

وفي مشكوة الأنوار وغيره عن السجاد (ع) قال : صلى أمير المؤمنين (ع) ثم لم يزل في موضعه حتى صارت الشمس على قدر رمح ، وأقبل الناس بوجهه فقال : والله لقد أدركنا أقواماً كانـوا يبيتون لـربهم سجداً وقيـاماً يـراوحون بين جباههم وركبهم كان زفير النار في آذانهم إذا ذكـر الله عندهم مـادوا كما يميـد الشجر كأن القوم باتوا غافلين قال : ثم قام فما رأى ضاحكاً حتى قبض . وفيه عن الصـادق قال : أنّ أصحـاب علي (ع) كانـوا المنظور إليهم في القبـائل ، وكانوا أصحاب الودائع مرضيّين عند الناس ، سهار الليل مصابيح النهار .

وفي النهج قال أمير المؤمنين (ع) في بعض خطبه : لقد رأيت أصحـاب محمد (ص) فما أرى أحداً يشبههم ، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً ، قد باتوا سجداً وقياماً (الخبر) .

وفي كنز الكراجكي بإسناده عن الباقر (ع) عن أبيـه عن جدّه قـال : قال علي (ع) لمولاه نوف الشامي ، وهو معه في السطح : يا نوف أرامق أم نبهان ؟ قال : نبهان أرمقك يا أمير المؤمنين[١] قال : هل تدري من شيعتي ؟ قال : لا والله ، قـال : شيعتي الذبـل الشفاه الخمص البـطون الذين تعـرف الرهبـانيـة والربانية في وجوههم ، رهبان بالليل أسد بالنهار ، الذين إذا جنّهم الليل اتّزروا على أوساطهم وارتدوا على أطرافهم ، وصفوا أقدامهم ، وافترشـوا جباههم ، تجري دموعهم على خدودهم ، يجأرون إلى الله في فكاك رقابهم .

وفي كتـاب زيد الـزراد عن الصادق (ع) في حـديث طويـل في صفـات المؤمنين إلى أن قال (ع) : فهم الخفي عيشهم ، المثقلة ديارهم من أرض إلى أرض ، الخميصة بطونهم من الصيـام ، الذبلة شفـاههم من التسبيح ، عمش العيون من البكاء[٢] الصفر الوجوه من السهر ، فذلك سيماهم مثلاً ضربه الله في

(١) رمقه : أطال النظر إليه .

(٢) عمشت عينه : ضعف بصرها مع سيلان دمعها في أكثر الأوقات .

الإنجيل لهم وفي التورية والفرقان والزبور وصحف الأولي وصفهم ، فقال : ﴿ **سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الإنجيل** ﴾[1] ، عني بذلك صفرة وجوههم من السهر . وفي الفقيه عن عبد الله بن سنان قال : سأل الصادق (ع) عن قول الله (عزّ وجلّ) ﴿ **سيماهم في وجوههم من إثر السجود** ﴾ ؟ قال : هو السهر في الليل . وفي الخصال عن أبي جعفر قراء القرآن ثلاثة إلى أن قال : ورجل قرأ القرآن فجعل دواء القرآن على داء قلبه فأسهر به ليله ، وأظمأ به نهاره ، وقام به في مساجده وتجافى به عن فراشه ، فبأولئك يدفع الله العزيز الجبار البلاء ، وبإولئك يديل الله (عزّ وجلّ) من الأعداء[2] وبأولئك ينزل الله الغيث من السماء ، فوالله هؤلاء قراء القرآن أعز من الكبريت الأحمر .

وتقدم قول أمير المؤمنين (ع) في خطابه إلى نفسه بعد مناجاة ربه : وتشبهي بنفوس قد أقرح السهر رقة جفونها ، ودامت في الخلوات رنة أنينها ، وفي التهذيب والعلل عن الصادق (ع) : لا تدع قيام الليل فإن المبغون من حرم قيام الليل ، وفي الغرر عن علي (ع) : إذا أراد الله سبحانه صلاح عبد ألهمه قلّة الكلام وقلّة الطعام وقلّة المنام . وفي الخصال عنه (ع) : إن في الجنة لشجرة يخرج من أعلاها الحلل ، ومن أسفلها خيل بلق مسرج ملجمة ، ذوات أجنحة لا تروث ولا تبول ، فيركبها أولياء الله فتطير بهم في الجنة حيث شاءوا ، فيقول الذين أسفل منهم : يا ربنا ما بلغ بعبادك هذه الكرامة ؟ فيقول الله (عزّ وجلّ) : إنهم كانوا يقومون الليل ولا ينامون ، ويصومون النهار ولا يأكلون ، ويجاهدون العدو ولا يجبنون ، ويتصدقون ولا يبخلون . وفي كتاب الفضائل والروضة لشاذان بن جبرائيل عن رسول الله (ص) في ذكره (ع) ما رآه مكتوباً على أبواب الجنة والنار : أنه كان مكتوباً على باب الثالث من الجنة : لا إله إلا الله محمد رسول الله (ص) علي ولي الله (ع) ، لكل شيء حيلة وحيلة

---

(١) سورة الفتح ، الآية : (٢٩) .

(٢) أي ينزع منهم الدولة .

الصحة في الدنيا أربع خصال : قلة الكلام وقلة المنام وقلة المشي وقلة الطعام . وفي أخبار كثيرة عنه (ع) : شرف المؤمن قيامه بالليل ، وفي الصحيفة الكاملة : ولا أستجير بتهجدي ليلاً ، ولا تثني عليّ بإحيائها سنة ، وفي تعقيب ظهر الجمعة : ولا في جنبك سفك دمي ، ولم ينحل الصيام والقيام جسمي ، فبأيّ ذلك أزكي نفسي .

وفي ثواب الأعمال عن أمير المؤمنين (ع) : من صلى ليلة تامة تالياً لكتاب الله (عزّ وجلّ) ، راكعاً وساجداً وذاكراً أعطي من الثواب ما أدناه ، يخرج من الذنوب كيوم ولدته أمه ، ويكتب له عدد ما خلق الله (عزّ وجلّ) من الحسنات ، ومثلها درجات ويثبت النور في قبره وينزع الإثم والحسد من قلبه ، ويجار من عذاب القبر ، ويعطى براءة من النار ، ويبعث مع الآمنين ، ويقول الرب تبارك وتعالى لملائكته : يا ملائكتي انظروا إلى عبدي أحيى ليلة ابتغاء مرضاتي ، أسكنوه الفردوس ، وله فيها مائة ألف مدينة ، في كل مدينة جميع ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، ولم يخطر على بال سوى ما أعددت له من الكرامة والمزيد والقربة ، وفي ربيع الأبرار عن ابن عباس عن رسول الله (ص) : أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل .

وفي الكافي عن العدة عن البرقي عن بعض أصحابنا رفعه عن أحدهما عن أمير المؤمنين (ع) في خبر أنه قال : فأخبرني يا رسول الله بصفة المؤمن فنكس رسول الله (ص) رأسه فقال : عشرون خصلة في المؤمن ، فإن لم يكن فيه لم يكمل إيمانه إلى أن عدّ منها رهبان بالليل ، أسد بالنهار ، صائمون النهار قائمون الليل .

قال في البحار : أي يمضون إلى الخلوات ويتضرعون رهبة من الله ، أو يتحملون مشقة السهر والعبادة كالرهبان ، وفسّر الرهبانية في قوله تعالى : ﴿ **ورهبانية ابتدعوها** ﴾ بصلوة الليل . قال الراغب : الترهّب التعبد وهو استعمال الرهبة والرّهبانية غلوّ في تحمل التعبد من فرط الرهبة ، قال تعالى : ﴿ **ورهبانية ابتدعوها** ﴾ والرهبان يكون واحداً وجمعاً ، والفرق بين الرهبانية

بـالليل وقيـامه أن الأولى إشـارة إلى التضرع والـرهبة أو التخلي أو التـرهب ، والثاني للصلوة ، ولا يستلزم شيئاً من ذلك .

وفيه وفي معاني الأخبار وغيره عن الصادق (ع) : أن رسول الله (ص) لقي حارثة بن مالك ، فقال له : كيف أنت يا حارثة بن مالك النعماني ؟ فقـال : يا رسول الله مؤمن حقاً ، فقال له رسول الله (ص) : لكل شيء حقيقة فما حقيقة قولك ؟ وفي الثاني : لكل إيمان حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ فقال : يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا[1] وأسهرت ليلي وأظمأت هواجري إلى أن قال (ص) : عبد نوّر الله قلبه ، أبصرت فأثبت ، وفي التمحيص في الخصال المائة والثلاث التي ذكر رسول الله (ص) : أنه لا يكمل المؤمن إلا باحتواءها طويل القيام قليل المنام ، وفي البحار عن أعلام الدين عن أبي محمد العسكري (ع) أنه قال : أن الوصول إلى الله (عزّ وجلّ) سفـر لا يدرك إلا بـامتطاء الليـل[2] وروى السيد الأجلّ علي بن طاوس (ره) في فلاح السائل عن كتاب زهد مولينا علي بن أبي طـالب (ع) عن سعد بن عبـد الله عن إبـراهيم بن مهـزيـار عن أخيـه علي عن محمد بن سنان عن صالح بن عقبة عن عمرو بن أبي المقدام عن أبيه عن حبة العرني قال : بينا أنا ونوف نائمين في رحبة القصر ، إذ نحن بأمير المؤمنين (ع) في بقية من الليل واضعاً يده على الحائط شبه الواله وهو يقول : ﴿ **إن في خلق السموات والأرض** ﴾ إلى آخر الآية ، قال : ثم جعل يقرأ هذه الآيات ويمرّ شبه الطائر عقله ، فقال : أراقد يا حبّة أم رامق ؟ قال : قلت : رامق هذا أنت تعمل هذا العمل فكيف نحن ؟ قال : فأرخى عينيه فبكى ، ثم قال : يـا حبّة إن الله موقفاً وأنا بين يديه موقف ، لا يخفى عليـه شيء من أعمالنـا ، يا حبـة إن الله أقرب إليك وإليّ من حبـل الوريـد ، يا حبّـة إنّه لن يحجبني ولا إيـاك عن الله شيء ، قال : ثم قال : أراقد يا نوف ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ما أنا براقد ، ولقد أطلت بكائي هذه الليلة ، فقال : يـا نوف إن طـال بكاؤك في هـذا الليل

---

(١) عزفت نفسه عن الشيء : زهدت فيه وملته .

(٢) أي اتخاذها مطية حكى الجوهري عن أبي زيد أمطيتها : أي اتخذتها مطية .

مخافة من الله (عزّ وجلّ) قرّت عيناك غداً بين يدي الله (عزّ وجلّ) يا نوف إنه ليس من رجل أعظم منزلة عند الله من رجل بكى من خشية الله وأحب في الله وأبغض في الله ، يا نوف إنه ليس من قطرة قطرت من عين رجل من خشية الله تعالى إلا أطفأت بحاراً من النيران ، يـا نوف من أحب فيّ الله لم يستـأثر علي محبته ، ومن أبغض فيّ الله لم ينل مبغضيه خيراً عنـد ذلك استكملهم حقـائق الإيمان ، ثم وعظهما وذكّرهما وقال في أواخره : فكونـوا من الله على حذر ، فقد أنذرتكما ، ثمّ جعل يمرّ وهو يقول : ليت شعري في غفلاتي أمعرض أنت عنّي أم ناظر إليّ ، وليت شعري في طول مناي وقلة شكري في نعمك علي ما حالي ، قال : فوالله ما زال في هذا الحال حتى طلع الفجر .

وفي صفـات الشيعـة للصـدوق عن أبيـه عن الحميـري عن مسعـدة بن صدقة ، عن الصادق (ع) : إنّ علامات المؤمن أربعة نومه نوم الغرقى ، وأكله أكـل المرضى ، وبكـاؤه بكاء الثكلى ، وقعـوده قعـود الـواثب ، وفي وصـايـا النبي (ص) لعليّ (ع) : يا عليّ كلّ عين باكية يوم القيامة إلا ثلاث أعين : عين سهرت في سبيل الله ، وعين غضّت عن محارم الله ، وعين فاضت من خشيـة الله . وفي النهج : عباد الله إن تقوى الله حمت أولياءه محارمه ، وألزمت قلوبهم مخافته ، حتى أسهرت لياليهم وأظمأت هواجرهم إلى غير ذلك مما لا يحصى مما ورد في مدح الساهرين والقائمين ، وفي فلاح السـائل ومن صفـات مولينـا علي (ع) في ليله ما ذكره نوف لمعاوية بن أبي سفيان وأنّه ما فرش له فراش في ليل قط ، ولا أكل طعاماً في هجير قط . وفي الأمالي في حديث ضرار بن ضمرة ووصفه عليّاً (ع) لمعاوية : كان والله طويل السهار ، قليل الرقاد ، وفي الخصال عن الباقر (ع) : كـان عليّ بن الحسين (ع) يصلي في اليوم والليلة ألف ركعـة كما كان يفعل أمير المؤمنين (ع) ، كان له خمسمائة نخلة ، فكـان يصلي عند كـل نخلة ركعتين ، وعن المناقب لابن شهـرآشـوب عن إبـانـة العكبـري عن سليمان بن المغيرة عن أمه قالت : سـألت أم سعيد سـرية علي (ع) عن صلوة علي في شهر رمضان ؟ فقالت : رمضان وشوال سواء يحيي الليل كله . وعنه أنّ

عدي بن حاتم رآه وبين يديه شنة[1] فيها قراح ماء وكسرات من خبز شعير وملح فقال : إنّي لا أرى لك يا أمير المؤمنين لتظل نهارك طاوياً مجاهداً وبالليل ساهراً مكابداً ثم يكون هذا فطورك فقال (ع) : علّل النفوس بالقنوع وإلا طلبت منك فوق ما يكفيها ، وعنه عن الصادق (ع) : إنّه (ع) حلف أن لا ينام بالليل أبداً إلا ما شاء الله .

وفي فلاح السائل عن الجزء الرابع من عقد ابن عبد ربه قيل لعلي بن الحسين (ع) : ما أقل ولد أبيك ؟ فقال : العجب كيف ولدت ! كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة فمتى كان يتفرغ للنساء ؟ وفي الخصال : ولقد سألت عنه عن السجاد (ع) مولاة له ، فقالت : أطنب أو أختصر ؟ فقيل لها : بل اختصري ، فقالت : ما أتيته بطعام نهاراً قطّ وما فرشت له فراشاً بليل قط . وفي علل الشرائع عن أبي حازم : ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين (ع) ، وكان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة ، حتى خرج بجبهته وآثار سجوده مثل كركرة البعير[2] .

وفي الإرشاد : ولقد دخل أبو جعفر ابنه (ع) عليه ، فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد ، فرآه وقد اصفرّ لونه من السهر ، ورمضت عيناه من البكاء[3] ودبرت وجهه وانخرم أنفه من السجود[4] وقد ورمت ساقاه وقد ماه من القيام في الصلوة ، فقال أبو جعفر (ع) : فلم أملك حين رأيته بتلك الحال البكاء ، فبكيت رحمة له فإذا هو يفكّر ، فالتفت إليّ بعد هنيهة من دخولي فقال : يا بنيّ اعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب (ع) ، فأعطيته فقرأ فيها شيئاً يسيراً ثم تركها من يده تضجراً ، وقال : من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب (ع) ؟

---

(١) الشنّة : القربة الخلق الصغيرة .
(٢) الكركرة بالكسر : صدر كل ذي خف من البهائم .
(٣) رمضت عينه : حميت حتى كادت أم تحترق .
(٤) انخرم أنفه : انشقت وترته .

وفي كشف الغمة عن الحافظ عبد العزيز بن الأخضر روى عن يوسف بن أسباط عن أبيه ، قال : دخلت مسجد الكوفة فإذا شابّ يناجي ربّه ، وهو يقول في سجوده : سجد وجهي متعفراً في التراب لخالقي وحق له ، فقمت إليه فإذا هو علي بن الحسين (ع) فلما انفجر الفجر نهضت إليه فقلت له : يا ابن رسول الله تعذب نفسك وقد فضّلك الله بما فضلك ، فبكى ثم قال : حدّثني عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله (ص) : كل عين باكية يوم القيامة إلا أربعة أعين : عين بكت من خشية الله ، وعين فقئت في سبيل الله ، وعين غضت عن محارم الله ، وعين باتت ساخرة ساجدة ، يباهي بها الله الملائكة يقول : انظروا إلى عبدي وروحه عندي وجسده في طاعتي ، قد جافى بدنه عن المضاجع ، يدعوني خوفاً من عذابي ، وطمعاً في رحمتي ، اشهدوا إني قد غفرت له .

وفي مناقب ابن شهرآشوب عن أحمد بن عبد الله عن أبيه عن الفضل بن الربيع في كيفية عبادة أبي إبراهيم موسى بن جعفر (ع) قال : فإذا صلى العتمة أفطر ، ثم يجدّد الوضوء ثم يسجد فلا يزال يصلي في جوف الليل حتى يطلع الفجر ، وفي مصباح الزائر في الصلوة عليه (ع) بعد زيارته الذي كان يحيي الليل بالسهر إلى السحر بمواصلة الاستغفار . وفي العيون عن جعفر بن نعيم بن شاذان عن أحمد بن إدريس عن إبراهيم بن هاشم عن إبراهيم بن العباس في وصف الإمام أبي الحسن الرضا (ع) وكان (ع) قليل النوم بالليل ، كثير السهر ، يحيي أكثر لياليه من أولها إلى الصبح . وفي أمالي ابن الشيخ أنه (ع) قال لدعبل : احتفظ بهذا القميص فقد صليت فيه ألف ليلة ألف ركعة [1] وختمت فيه القرآن ألف ختمة . وفي إرشاد المفيد (ره) أن الموكّلين اللذين كانا على أبي محمد العسكري (ع) عند حبسه عند صالح بن وصيف ، قالا له : ما نقول في رجل يصوم النهار ، ويقوم الليل كله (الخبر) . ويأتي أنّ داود

(١) كذا في الأصل والمصدر ولعله سقط منه شيء وكأن الصحيح «فقد صليت فيه ألف ليلة كل ليلة ألف ركعة».

ويحيى (ع) كانا يسهـران تمام الليـل . وفي الإرشاد في حـال الكاظم (ع) في السجن ، وكان (ع) مشغولاً بالعبادة يحيي الليل كله صلوة وقراءة للقرآن ودعاءاً واجتهـاداً . وفي الخصـال عن الصـادق (ع) كـان أصحـاب رسـول الله (ع) اثني عشـر ألفاً إلى أن قـال : كانـوا يبكون الليـل والنهار ، ويقـولون : اقبض أرواحنا من قبل أن نأكل خبز الخمير - وفي نسخة نسمع خبر الحسين (ع) وفي إرشاد القلوب للديلمي كان سليمان (ع) مع ما هو فيه من الملك يلبس الشعر ، وإذا جنّ الليل شدّ يديه إلى عنقه ، فلا يزال قائماً حتى يصبح باكياً ويأتي مثله عن أبيه ، وفيه روي عن بعض الصالحين أنه قال : قد نمت ذات ليلة فسمعت هاتفاً يقول : أتنام عن حضرة الرحمن وهو يقسم الزوائد بالرضوان بين الأحبـة والخـلان ؟ فمن أراد مني المزيـد فلا ينـام ليله الطويـل ، ولا يقنع من نفسـه بالقليل .

وفي البحار عن در المنثور عن ابن عباس أنه قال لرجل عنده : أحـدّثك عن الأنبياء المذكورين في القرآن إلى أن قال : وأحدثك عن ابن العذراء البتول عيسى أنه كان لا يخبأ شيئاً لغد ويقول : الله الذي غداني سوف يعشيني والذي عشّاني سوف يغدّيني ، يعبد الله ليلته كلها وهو بالنهار صائم ، وقال الطريحي : روى جعفر بن محمـد بن المؤدب أن أبـا إسحـاق واسمـه عمـرو بن عبـد الله السبيعي صلّى أربعين سنة صلوة الغداة بوضوء العتمة وكان يختم القرآن في كل ليلة ، ولم يكن في زمانه أعبد منه ولا أوثق في الحديث عند الخاص والعام ، وكان من ثقات علي بن الحسين (ع) .

قيل:

لله قـوم إذا مـا الـليـل جنّـهـم	قـامـوا من العـرش للرحمٰن عبّـادا
ويـركـبـون مـطايـا لا تـمـلّهـم	إذا هم بمنـادي الصبح قـد نـادى
هم إذا مـا بيـاض الصبـح لاح لهم	قالوا من الشـوق ليت الليل قـد عادا
هم المطيعون في الـدنيان لسيـدهم	وفي القيـامـة سـادوا كـل من سـادا
الأرض تبكي عليهم حين تفقـدهـم	لأنـهـم جـعـلوا لـلأرض أوتـادا

وقال آخر :

ليلك شطر عمرك فاغتنمه ولا تذهب بنصف العمر نوماً

وتقدم في الباب الأول ويأتي أيضاً جملة من الساهرين .

وأما المواضع التي ندبت فيها الاحياء وقلة المنام مخصوصاً

فمنها : المدينة المشرفة ، ففي كامل الزيارة روى عن بعضهم (ع) : إذا كان لك مقام بالمدينة صمت ثلاثة أيام إلى أن قال : فإن استطعت أن لا تتكلم بشيء في هذه الثلاثة الأيام إلا ما لا بد لك منه ولا تخرج من المسجد إلا لحاجة ولا تنام في ليل ولا نهار فافعل فإن ذلك مما يعد فيه الفضل .

ومنها : شهر رمضان وخصوصاً ليالي القدر ، ففي دعاء هلاله الذي رواه السيد بن طاوس عن أمالي أبي المفضل الشيباني : اللهم أهلّه علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، وصحة من السقم ، وفراغ لطاعتك من الشغل واكفنا بالقليل من النوم يا رحيم . وفي فضائل الأشهر للصدوق (ره) عن أمير المؤمنين (ع) في خطبته في أول يوم منه في الكوفة : أنظر أن لا تكون بالليل نائماً ، وبالنهار غافلاً ، فينقضي شهرك وقد بقي عليك وزرك فتكون عند استيفاء الصائمين أجورهم من الخاسرين وعند فوزهم بكرامة مليكهم من المحرومين ، وعند سعادتهم بمجاورة ربهم من المطرودين وفي التهذيب عن الصادق (ع) في حديث طويل ، وفي ليلة إحدى وعشرين وثلاث وعشرين يصلي في كل واحدة منهما إذا قوي مائة ركعة ، سوى هذه الثلاث ، عشرة ركعة وليسهر فيهما حتى يصبح (الخبر) وفي الكافي عن أبي حمزة عنه (ع) فاطلبها أي ليلة القدر في ليلة إحدى وثلاث ، صَلِّ في كل واحدة منها مائة ركعة ، وأحيهما إن استطعت إلى النور . وفي كتاب عمل شهر رمضان للسيد بن طاووس عن النبي (ص) قال موسى (ع) : إلهي أريد قربك ، قال : قربي لمن استيقظ ليلة القدر . وفيه عن الباقر (ع) : من أحيا ليلة القدر غفرت له ذنوبه ، ولو كانت ذنوبه عدد نجوم السماء ومثاقيل الجبال ومكائيل البحار . وفيه عنه من

أحيا ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان ، وصلّى فيه مائة ركعة وسّع الله عليه معيشته في الدنيا (الخبر) .

ومنها : ليلة عيد الفطر وفيه عنه (ع) قال : كان علي بن الحسين (ع) يحيي ليلة عيد الفطر بصلوة حتى يصبح ، ويبيت ليلة الفطر في المسجد ويقول : يا بني ما هي بدون ليلة يعني ليلة القدر .

ومنها : الليالي الأربع التي رواها الشيخ عن الصادق (ع) عن أبيه عن جده عن علي (ع) قال : كان يعجبه أن يفرغ نفسه أربع ليال في السنة ، وهي أول ليلة من رجب ، وليلة النصف من شعبان ، وليلة الفطر وليلة الأضحى . وفي البحار عن نوادر الراوندي عن رسول الله (ص) في خبر : الأوان في رجب ليلة من حرم النوم على نفسه وقام فيها حرّم الله جسده على النار ، وصافحه سبعون ألف ملك ويستغفرون إلى يوم مثله فإن عاد عادت الملائكة . وفي الإقبال عن رسول الله (ص) : كنت نائماً ليلة النصف من شعبان فأتاني جبرائيل فقال : يا محمد أتنام في هذه الليلة ! قلت : يا جبرائيل وما هذه الليلة ؟ قال : هي ليلة النصف من شعبان ، قم يا محمد فأقامني (الخبر) وفي ثواب الأعمال عنه (ص) من أحيا ليلة العيد وليلة النصف من شعبان لم يمت قلبه يوم تموت القلوب .

ومنها : ليلة عاشوراء وفيه عن كتاب دستور المذكرين بإسناده عن رسول الله (ص) قال : من أحيى ليلة عاشوراء فكأنما عبد الله عبادة جميع الملائكة وأجر العامل فيها يعدل سبعين سنة .

ومنها : ليلة الأضحى لمن كان في المشعر ، ففي الكافي عن الصادق (ع) في حديث له ولا تجاوز الحياض ليل المزدلفة إلى أن قال : وإن استطعت أن تحيي تلك الليلة فافعل ، فإنّه بلغنا أن أبواب السماء لا تغلق تلك الليلة لأصوات المؤمنين ، لهم دوي كدوي النحل (الخبر) .

ومنها : ليلة الجمعة ، ففي الكافي عن الصادق (ع) أن ليلة الجمعة مثل يومها فإن استطعت أن تحييها بالصلوة والدعاء فافعل .

ومنها : ليالي شعبان ففي دعاء أيّامه الذي كان رسول الله (ص) يدأب في صيامه وقيامه في لياليه وأيّامه بخوعاً لك في إكرامه وإعظامه إلى محل حمامه .

ثم إن المراد بالإحياء في تلك الليالي وغيرها ما هو الظاهر منها وهو القيام فيها إلى الفجر ، وإن لم تشتغل بعبادة ، وإنما ينافيه النوم ولو قليلاً ، ويحتمل بعيداً أن يكون المراد من الإحياء الاشتغال فيها بالعبادة من الصلوة والقراءة والذكر والفكر ، فإن بذلك تكون حيوة الليل ، لا بمجرد عدم النوم فيه ، وحينئذ فلو توقف الإحياء ولو كماله على قليل من النوم أو غلبه النوم للتعب الذي اعتراه من كثرة العبادة فيه لم يكن نومه هذا منافياً لإحياءه ليلته ، مع أنّ الغالب في العادة تسلط الكسالة وغلبة النوم في آخر الليل الذي أحياه ، كذلك المطلوب فيه التضرّع والاستغفار المحتاج إلى النشاط والإرتياح ، المتوقف على قليل من النوم قبله .

بقي التنبيه على أمور

الأول : أن دلالة تلك الأخبار على مدح قلة النوم مطلقاً مع اختصاص كثير منها بالليل إنما هي بملاحظة أن الليل خلق للراحة والسكون والمنام ، فأشير فيها إلى عدم تبيّت كله فيه ، ليبقى وقت للعبادة الخالصة عن اشتغال القلب بالأمور الدنيوية كما في النهار ، وقد أشير إليهما في قوله تعالى : ﴿ **إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلاً** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **إن لك في النهار سبحاً طويلاً** ﴾ ، وأما النهار فقد جعل الابتغاء فضل الله وتنظيم أمور المعاش المنافي للنوم من أصله ، مع ما تقدم من النهي من النوم فيما بين الطلوعين ، وصدر النهار والعصر ، وإنما الممدوح منه الساعة التي قبيل الزوال ، مع أنّ أكثر الناس إما مشتغلين برمة المعاش فلا يمكنهم النوم فيه ، أو مواظبين للآداب الشرعية وتحصيل ما ينفعهم في يوم الآخرة فهم أضيق وقتاً من الاشتغال بالنوم ، إلا بما يعينهم عليه ، وأشار الشرع إليه فالمحتاج إلى التنبيه هو الليل ، مضافاً إلى تصريح الأطباء بأن النوم النهاري يورث سوء الهضم والبخر في الفم ، ويفسد اللون ويضرّ الطحال ، ويرخي القوى النفسانية فيبلد الذهن لتحير الطبيعة

وتشويش فعلها ، لأن شأنها أن يدفع الفضلات بمعاونة حرارة النهار ، وإذا تحيرت احتقنت الفضلات في البدن فيظهر ما ذكر .

وفي بعض الأخبار أن لقمان لم ينم في النهار قط ، وأما الليل فالنوم يتم فيه لأن الحرارة لبرد الهواء تغوص إلى داخل فيتم الهضم وتتولد الرطوبة وهي مادة النوم ، ولظلمته يسكن الحواس كما أن النهار بضوئه يحرّكها وينشرها ولا يدع الطبيعة إلى أن تغوص إلى العمق ، وتستريح كما أنه بحرارته أيضاً يجذب الحار العزيزي إلى الظاهر للمجانسة ، فلا يتم النوم والهضم .

الثاني : أن ظاهر كثير من تلك الأخبار جواز إدخال الضرر على النفس بالعبادة ، بأن يعمل ما يضر بالبدن كصفرة الوجه من طول السهر ، وعمش العين من البكاء وأمثالها ، مثل ما في جامع الأخبار عن النبي (ص) التائب إذا لم يتبين عليه أثر التوبة فليس بتائب يرضى الخصماء ، ويعيد الصلوة ، ويتواضع بين الخلائق ويتقي نفسه عن الشهوات ، ويهزل رقبه بصيام النهار ، ويصفر لونه بقيام الليل ، ويخمص بطنه بقلة الأكل ويقوس ظهره من مخافة النار ، ويذيب عظامه شوقاً إلى الجنة ، ويرقّ قلبه من هول ملك الموت ، ويخفف جلده على بدنه بفكر الآخرة فهذا أثر التوبة ، فإذا رأيتم العبد على هذه الصفة فهو تائب ناصح لنفسه ، وقريب منه ما يأتي عن النهج ويؤيدها ما روي في عبادة الأئمة ولا سيما مولانا زين العابدين (ع) والأنبياء (ع) وكذا جملة من صالحي أصحابهم كما لا يخفى على من وقف على أحوالهم وسيرتهم وهو مناف لرفع الضرر في الإسلام وحرمة إدخاله على النفس أو الغير وعدم رجحان العبادة الضررية ولذا أفتى الأصحاب ببطلان الصوم وحرمة السفر والوضوء لمن قطع أو ظنّ بل خاف على نفسه حدوث مرض أو بطئه ، أو صعوبة علاجه حتى شين اليد وخشونتها ، فكيف التوفيق في الجمع بينها ، وبين هذه القاعدة المسلمة ، والذي يمكن أن يقال في رفع التناقض وجوه :

(أ) : الالتزام بعدم جواز ماحتي يورث الضرر وما تقدم من المدح وعمل الحجج (ع) لا دلالة فيه على الجواز ، لأنّ الأمراض المذكورة إنما تحدث في

طول المدة وخلال القيام بالعبادة شيئاً فشيئاً ، فكل عمل لا يستلزم ذلك وإنما يحدث فيه به استعداد ما لحدوثها ، وليس هو من الضرر المنفي في الشرع والعمل الأخير الذي به يتم السبب ، ويدخل الضرر غير معلوم ، فلا يمنع من إتيانه شيء والحاصل أنّه لا ظنّ بالضرر في كل واحد من العمل ، فلا محذور فيه ، وإن استلزم من مجموعه دخوله عليه .

(ب) : إن مورد تلك الأخبار والممدوحين بالعمل بها جماعة كملت فيهم الصفات الحميدة التي منها المحبة والخوف اللتين هما كالجناحين للمؤمن للعروج إلى مدارج الكمال وتسهيل تحمل مشاق الأعمال ، فقد يبلغان بهم مقاماً لا يلتفتون إلى استلزام ما هم فيه من العمل لحدوث الضرر ، فلا جناح عليهم لخروج موارد السهو والغفلة والجهل بالضرر عن عموم أدلة نفيه كما تقرّر في محلّه ، وليس هذا ما يزعمه بعض المنتحلين إلى الإسلام من أنه قد يبلغ الإنسان بعد المجاهدات إلى مقام يرفع عنه التكاليف الظاهرية ، فإنّ غرضهم من ذلك الخروج عن تحت مشقة الأعمال والإتيان بكل منكر من الأفعال ، وغرضنا فتح باب المشاق وجواز إتيانهم منها ما لا يجوز لغيرهم ، فارتفع الوفاق ولعل من الأولْ بكاء شعيب حتى عمي ، ومن الثاني بكاء يحيى حتى خاف عليه أبوه زكريا (ع) .

(ج) : الإلتزام بالجواز وخروجه عن تحت العموم تخصيصاً أو تخصّصاً كخروج جملة من العبادات عنه التي منها الجهاد المشارك معه في الإسم ، وحكمة الجواز فإن جهاد النفس وإصلاحها من المفاسد التي يهلكها وتحقّ عليها القول والعذاب إذا توقف على مثل تلك الأعمال ، بل هو كذلك دائماً أو غالباً يجب عليه رفعها به ، وإن أورث ضرراً كما يجب عليه تعريض نفسه للهلاك إذا توقف صلاح أمر الدين والمسلمين عليه ، بل الضرر هنا أقل والإهتمام به أشد ، لأن بهذا الجهاد يسلم ثغر حقيقة الإسلام المنتهى إلى حدود أوهام الأبالسة وشبهات شياطين الإنس عن تطرقها على أهله ، وضرره أشدّ من ضرر غلبة الكفار عليهم ، ولهذا سمي الأوّل بالأكبر لأن إصلاح النفس الذي به تصلح النفوس والأرواح أصعب ، ونفعه أعظم ، والثاني بالأصغر لأن به تحفظ

الأموال والأعراض والأشباح وقد أشار إلى ذلك العسكري (ع) في تفسيره بقوله : فإنهم أضرّ على العوام من جيش يزيد على الحسين بن علي (ع) وأصحابه ، فإنّه يسلبونهم الأرواح والأعمال ، وهؤلاء علماء السوء الناصبون المتشبهون بأنهم لنا موالون ، ولأعدائنا معادون ، يدخلون الشك والشبهة على ضعفاء شيعتنا ، فيضلونهم ويمنعونهم من قصد الحق المصيب . وفي النهج وغيره في شرائط التوبة و « الخامس » أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد « والسادس » أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية . وفي تفسير الإمام (ع) قال الصادق (ع) : علماء شيعتنا مرابطون بالثغر الذي يلي إبليس وعفاريته ، ويمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا ، ومن أن يسلط عليهم إبليس وشيعته النواصب ، إلا فمن انتصب لذلك من شيعتنا ، كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرة لأنه يدفع عن أديان محبينا ، وذلك يدفع عن أبدانهم وفي الأمالي عن رسول الله (ص) : إن أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه . وفي النهج : المجاهد من جاهد نفسه . وفي الكافي عن الصادق (ع) : الجهاد على أربعة أوجه فجهادان فرض وجهاد سنّة لا تقام إلا مع الفرض وجهاد سنة ، فأما أحد الفرضين فمجاهدة الرجل نفسه عن معاصي الله (عز وجل) وهو من أعظم الجهاد وفي خبر المعراج وذكره تعالى صفات أهل الخير يموت الناس مرة واحدة ويموت أحدهم في كل يوم سبعين مرة من مجاهدة أنفسهم ومخالفة هواهم ، والشيطان الذي يجري في عروقهم وفي الغرر ، قال (ع) : جاهد نفسك على طاعة الله مجاهدة العدو عدوه ، وغالبها مغالبة الضد ضدّه فإن أقوى الناس من قوي على نفسه .

(د) : أن تكون تلك الصفات عطية وخلعة من الله تعالى ، سماهم بها وألبسها عليهم عقيب عباداتهم ومجاهدتهم ليعرفهم إخوانهم ، ويتّعظ بهم أقرانهم ، من غير أن تكون أعمالهم سبباً لها ، وإلى ذلك يشير ما رواه في العلل أنّه سأل علي بن الحسين (ع) : ما بال المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجهاً ؟ قال : لأنهم خلوا بالله فكساهم الله من نوره . وفي جملة من الأخبار :

إنّ صلوة الليل تبيض الوجه . وفي نزهة أبي يعلى الجعفري عن الصادق (ع) : إنّ الزهاد في الدنيا نور الجلال عليهم وأثر الخدمة بين أعينهم وكيف لا يكونون كذلك وإن الرجل لينقطع إلى بعض ملوك الدنيا فرأى أثـره عليه ؟ فكيف لمن ينقطع إلى ملك الملوك لا يرى أثره عليه .

(هـ) : أن تكون تلك الصفات والهيئات بنفسها مطلوبة للشارع ، قد أرادها من العباد الاتصاف بها بتلك الأعمال المطلوبة في نفسها ، والموصلة إليها أيضاً ، فإذا كانت محبوبة مطلوبة كان سبيلها سبيل العبادات الضررية الخارجة عن تحت العموم ، والفرق بين هذا والوجه الثالث واضح ، فإن المقصود هيهنا محبوبية نفس تلك الهيئات ، وفيه محبوبية أشياء أخر لا تحصل إلا بتلك الأعمال التي تلزمها هذه المضرات ، وإلى هذا الوجه يشير ما رواه الشيخ في التهذيب عن الصادق (ع) قال : قال علي (ع) : إني لأكره للرجل أن أرى جبهته جلحاء[1] ليس فيها أثر السجود .

وفي غير واحد من الأخبار إنما شيعة علي (ع) الشاحبون[2] الناحلون الذابلون ، بل يشير إليه كل ما دلّ على رجحان الأعمال الصالحة الشاقة والحثّ على إتيانها والمواظبة على ما لا ينفك عنها عادة ، فإنّ لوازم المطلوب مطلوبة محبوبة ، ولذا ورد أن خلوف أفواه الصائمين في شهر رمضان حين يمسون أطيب عند الله (عز وجل) من ريح المسك .

ومن طريف ما حكاه بعض الفضلاء من المعاصرين في ترجمة السيد صدر الدين بن السيد محمد الرضوي القمي صاحب شرح الوافية أنه اجتمع مع العالم الجليل السيد أبي القاسم جعفر بن حسين الموسوي الخونساري في موسم الحج واتفق أنّهما في يوم النحر كانا من ناحية منى فرأيا رجلاً لم يعرفاه

---

(١) قال الطريحي (ره): في الحديث إني لأكره للرجل (اه) الجلحاء: اللمساء والأرض الجلحاء: الذي لا نبات فيها، والجلح بالتحريك فوق النزع وهو انحسار الشعر عن جانبي الرأس (انتهى).

(٢) شحب لونه: تغير من جوع أو مرض أو نحوهما.

ورد الجمع في يمينه مـدية فـرفع رأسـه إلى السماء وكشف عن حلقـومه بيـده اليسرى ، ونادى إن كان هؤلاء يتقربون إليك بقرابينهم ، فأنا أتقرب إليك بقربان نفسي ، ثم وضع المدية على حلقه فـذبح نفسـه من الأذن إلى الأذن ، وسقط على الأرض ، فتعجب القوم من صنيع ذلك الرجل ووقع الكـلام بين السيدين في شرعية ذلك الأمر وعدمها ، ودلّـل كل منهمـا على مقالـة نفسه في التقبـل والإنكار . وكان السيد أبو القاسم (ره) هو المنكر قال سلمه الله : ولا يخفى ما فيه فإن العارف الكاشف المتنبه على أسرار المعارف يعرف بالقطع واليقين ، إن الله تبارك وتعالى ليس يؤاخذ أبداً عبده المفدي نفسه المتقرب إليه بذلك في يوم الـدين بل يفتخـر على سائـر عباده المنتجبين ، ولا يبـذل له إلا أرفـع درجات المقربين وأشرف مقامات المكرمين وهل العبودية الكاملة الدالة على خصوص المحبـة وتماميـة اليقين إلا مثل هـذا ؟ فلولا أن لطف الله بعبـاده اقتضى أن لا يكلفهم إلا بمـا يطيقـون أم لا يمتثلون لرأيت أن هـذا الأمر كـان أحب الأمـور وأعظم المناسك لديه ولذا ترى أنه جلت عظمته قد شاء ذلك من جملة أولياءه المطيعين وأصفياءه المربدين (انتهى) .

وفي إطلاق كلامه نظر فإن المحبة الصادقة تستدعي تتبع رضى المحبوب والعمل به بعد معرفته من ألسنة أولياءه وحججه ، لا العمل بما يجعله من نفسه مقرّباً ككثير من أوراد الصوفية ورياضاتهم ومجالس ذكرهم وآلات لهوهم الذين يزعمون أنها تذكرهم ربهم فإن جميع ذلك مما يتقرب عامله إلى الشيطان ، وما استشهد به منحصر في قصة ذبيح الله ولم يأمر هو بذبح نفسه ولأمر الخليـل به حكم لا تخفى .

الثالث : أن الذين يظهر من آثار العصمة (ع) أن الطريقة المحمـودة في عمل الليالي القيام في أوله إلى ثلثه للاشتغال بالعـاديات والعبـادات المطلوب منها الإعلان والإجتماع ، ثم النوم في الثلث الثاني إلا وسطه ، ثم القيـام في الثلث الآخـر للتضرع والاستغفـار والإنابـة والتهجـد والمنـاجـاة ، ويـدل على المجموع سوى الثالث ما رواه في العيون في خبر رجاء في سيرة الرضا (ع) ، قـال : ثم يفـطر ثم يلبث حتى يمضي من الليـل قـريب من الثلث ، ثم يقـوم

فيصلي العشاء الآخرة إلى أن قال : ثم يأوي إلى فراشه فإذا كان الثلث الأخير من الليل قام من فراشه (الخبر) .

وفي البحار عن درّ المنثور عن عبد الله بن معقل قال : قال رسول الله (ص) : أن عيسى بن مريم قال : يا معشر الحواريين الصلوة جامعة ، فخرج الحواريون في هيئة العبادة قد تضمرت البطون وغارت العيون واصفرّت الألوان ، فسار بهم عيسى إلى فلاة من الأرض ، فقام على رأس جرثومة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، ثم أنشأ يتلو عليهم من آيات الله وحكمته ، فقال : يا معشر الحواريين اسمعوا ما أقول لكم : إني لأجد في كتاب الله المنزّل الذي أنزله الله في الإنجيل أشياء معمولة ، فاعملوا . قالوا : يا روح الله وما هي ؟ قال : خلق الليل لثلاث خصال ، وخلق النهار لسبع خصال ، فمن مضى عليه الليل والنهار وهو في غير هذه الخصال خاصمه الليل والنهار يوم القيامة فخصماه ، خلق الليل لتسكن فيه العروق الفاترة التي اتبعتها في نهارك ، وتستغفر لذنبك الذي كسبت بالنهار ، ثم لا تعود فيه وتقنت فيه قنوت الصابرين ، فثلاث تنام وثلاث تقوم ، وثلاث تضرع إلى ربك ، فهذا ما خلق له الليل (الخبر) .

وإلى ما ذكره تعالى في الإنجيل أشار في التنزيل بقوله : ﴿ **هو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا** ﴾[1] ، فالليل خليفة للنهار يتدارك فيه ما تذكر من المعاصي التي اقترفها في نهاره ، بطول ذكر الله والاستغفار في ناشئة عند الأسحار ، والنعم التي سيقت إليه في يومه ، فيقوم بشكرها إن نسيه عند نومه ، ويؤخر النوم في النهار يستدرك بكل منهما ما فات من الآخر من الأعمال والأذكار ، وعلى الجزء الأول ما مرّ في القمام الثاني من الفصل الثاني ، وعلى الثاني ما مرّ بطرق متعددة من قولهم : لا سهر بعد العشاء الآخرة إلا لرجلين ، وفي بعضها لثلاثة ، وعلى الثالث ما رواه الكليني والشيخ عن أبي عبد الله (ع) : إنّ في الليل لساعة ما يوافقها عبد مسلم يصلي ويدعو

(١) سورة الفرقان، الآية: (٦٢).

لله (عز وجل) فيهـا إلا استجاب لـه في كل ليلة ، قلت : أصلحـك الله وأيّ ساعة هي من الليل ؟ قال : وهي السدس الأول من أوّل النصف الباقي ، وروى الشيـخ في التهـذيب مثله ، وفي روايـة : إذا مضى نصف الليـل إلى الثلث الباقي ، وفي خبر آخر قلت : ليلة من الليالي أو كل ليلة ؟ فقال : كلّ ليلة .

ويستبعـد أن ينام الإمـام (ع) في مثل تلك السـاعة التي هي من أشـرف ساعات الليل بل ظاهر جملة من الأخبـار مداومـة النبي (ص) على التهجد في تلك السـاعة ، ففي الفقيـه عن الصـادق (ع) كـان رسـول الله (ص) إذا صلى العشاء آوى إلى فراشه ، فلم يصل شيئاً حتى ينتصف الليل ، وفي التهذيب عن أحدهما (ع) : أنه كان يصلي بعد ما ينتصف الليل ثلاث عشر ركعة ، وظاهره عدم التراخي عنه بل فيه : كتبت إليه في وقت صلوة الليل فكتب عند زوال الليل وهو نصفه أفضل ، وقد أشكل ذلك على الأصحاب مع ما هو المسلم عنـدهم في وقت صلوة الليل ، من أن كلما قرب من الفجر أفضل ، وحمله بعضهم على مريد التفريق تأسياً بالنبي (ص) ، ففي التهـذيب عن الصادق (ع) : كـان يأتي بطهور فيخمر عند رأسه ويوضع سواكه تحت فراشه ، ثم ينام مـا شاء الله فـإذا استيقظ جلس ثم قلب بصره في السماء ، ثم تلا الآيات من آل عمران أن في خلق السموات (الآية) ثم يستن (يستك ظ) ويتطهر ، ثم يقوم إلى المسجد فيركع أربع ركعات ، إلى أن قال : ثم يعود إلى فراشه فينـام ما شـاء الله ، ثم يستيقظ فيجلس ثم ذكر (ع) مثل ما قال ، ثم قال : ثم يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله ، ثم يستيقظ فيجلس (الخبر) بناءاً على أن أول الإنتباء عنـد النصف وتمام الكلام محرر في الفقه .

وعلى الرابع ما فيه عن الرضا (ع) أن أفضل ساعـات صلوة الليل الثلث الباقي وما في الفقيه والأمالي وغيـرهما عن الـرضا (ع) : أن الله تبـارك وتعالى ينزل ملكاً إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخيـر ، وليلة الجمعة في أول الليل فيأمره فينادي هل من سائل فأعـطيه إلى أن قـال (ع) : ينادي بهـذا حتى يطلع الفجر فإذا طلع الفجر عاد إلى محله من ملكوت السماء ، وكل ما ورد في

مدح آخر الليل والسحر والمستغفرين فيه وكراهة النوم بين صلوة الليل وركعتي الفجر خلافاً للعامة فقال الغزالي الشافعي في إحياءه : أن أحسن الطريق لمن لا يريد إحياء كل الليل أن ينام ثلث الأول من الليل والسدس الأخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه ، ثم ذكر أن دونه أن ينام النصف الأول والسدس الأخير ، وبالجملة نوم آخر الليل محبوب لأنه يذهب النعاس بالغداة ، وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفرة الوجه والشهرة فلو قام أكثر الليل ونام سحراً قلّت صفرة وجهه وقلّ نعاسه ، ثم ذكر نوم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيه ، ثم قال : وكان نوم هذا الوقت سبباً للمكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب ، وذلك لأرباب القلوب ، وفيه استراحة تعين على الورد الأول من أوراد النهار وقيام ثلث الليل من النصف الأخير ، ونوم السدس الأخير قيام داود (ع) (انتهى) قبّح الله تعالى قوماً يمدحون النوم في وقت مدح الله تعالى الاستغفار فيه ، قال تعالى : ﴿ **والمستغفرون بالأسحار** ﴾[1] ، وقال : ﴿ **وبالأسحار هم يستغفرون** ﴾[2] ، والسحر إما هو السدس الآخر من الليل كما نقله المطرزي في المغرب وصاحب الكشاف ، أو آخر الليل أو قبيل الفجر أو مثل ذلك ممّا هو داخل في السدس قطعاً ، وأما عمل داود (ع) فقال شيخه المتقدم الثعالبي في عرايسه عن قتادة عن حسن ، قال : كان داود (ع) قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر ، فلما كان من خطيئة ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله . ومن طريق أهل البيت (ع) ما رواه صاحب تحف العقول في وصية النبي (ص) إلى عبد الله بن مسعود قال (ص) : وإن شئت نبأتك بأمر داود (ع) خليفة الله في الأرض : وكان إذا جنه الليل شدّ يده إلى عنقه فلا يزال يصلي حتى يصبح ، وأما مدح النوم في آخر الليل لكونه سبباً لقلة الصفرة فهو متوقف على رجحان اختفاء أمثال ذلك من آثار العبادة ، ولم يرد في الشرع إلا نور ما يومىء إليه ، بل مدح الله تعالى أصحاب رسوله (ص) بظهور آثار السجدة في

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٧).

(٢) سورة الذاريات: الآية: (١٨).

سيماهم المفسرة بصفرة وجوههم ، يعرب عن حبه وجودها فيهم ، ولا يجتمع مع رجحان سترها وإنما ينبغي للمؤمن أن يستر عبادته المندوبة إذا لم يكن ممن يقتدى به ويستضيىء بنور طريقته ، ويسلك بمحجته حين فعلها ، ولا يظهرها قولاً وفعلاً بعدها ، وظهورها لغيره بتلك الآثار ليس إظهاراً لها منه ، وإن كانت من آثار أفعاله ، إذ هو حيثما قصد وجودها عند العبادة أو يعرضها على الناس حرصاً على إظهار التنسك والزهادة ، وهو حينئذ خارج عن زمرة الموحدين .

البحث الرابع

في ذم التفريط فيه وأسباب الأرق وعلاجها

قال الله تعالى : ﴿ **وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام** ﴾[1] ، قال الصادق (ع) كما مرّ عن تحفة الإخوان : لا راحة لبدن يأكل إلا النوم . وفي الفقيه عن عبيدة الحذاء عن أبي جعفر (ع) في قوله تعالى : ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾ ، فقال : لعلك ترى أن القوم لم يكونوا ينامون ، فقلت : الله ورسوله أعلم ، فقال : لا بدّ لهذا البدن أن تريحه حتى يخرج نفسه فإذا خرج النفس استراح البدن ورجعت الروح فيه وفيه قوة على العمل . وفي الكافي عن علي بن محمد عن صالح بن أبي حماد عن غير واحد عن الشعيري عن أبي عبد الله (ع) قال : من بات ساهراً في كسب ولم يعط العين حظها من النوم فكسبه ذلك حرام .

قال شارح الأسباب : الروح جسم لطيف سهل التحلل ، فلو استمرت اليقظة لتحلل بالكلية وفنى ، لأن اليقظة إنما يتمّ بأعمال القوى النفسانية التي هي الإحساس والتحريك الإرادي ، وهذه إنما يكون بحركة الروح والحركة المحللة لجوهره ، وجوهره من جوهر الروح الحيواني ، فاحتيج إلى أن يجتمع إلى نفسه رثيماً[2] يغتذي وينمي وينال عوض ما يتحلل منه في اليقظة ، لأنه إذا

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: (٨).

(٢) كذا.

بطل الأفعال نقض التحلل من الروح ، وهو دائماً في الاستمداد ، فيلزم تكثر جوهره ، وطلباً لهضم الغذاء أيضاً . فإن اشتغال النفس في اليقظة بالأفعال مما يمنعه عن تكميل الهضم ، فاحتيج إلى أن يجتمع إلى نفسه ليتدارك تقصير الهضم الواقع فيها ، ويتبعه الروح النفساني في الرجوع والإجتماع إلى الباطن على مثال ما يقع في حركات الأجسام اللطيفة المتمازجة بعضها ببعض ، لضرورة الخلا ، وعند ذلك يجتمع الرطوبات التي تتحلل في اليقظة ، وترتفع إلى الدماغ أبخرة رطبة عذبة دهنية ، فيسترخي بها الأعصاب ، وينطبق بعض أجزائها على بعض ، ويمتنع الروح من النفوذ فيها لذلك ، ولكثافة الأبخرة أيضاً ، فإن نفوذ الروح فيها كما قال جالينوس على مثال نفوذ شعاع الشمس في الهواء والماء ، فإنهما متى كانا صافيين لم يمتنع نفوذه فيهما ، ومتى حصل فيهما تكدّر كالضباب أو الدخان في الهواء ، وكالحماة والعكر في الماء امتنع ، ويختلط أيضاً تلك الأبخرة بالأرواح فيغلظ قوامها ، وحينئذ يعسر نفوذها في مسالكها (انتهى) .

وذكرنا في صدر الكتاب جملة من الفوائد التي لا يمكن تحصيلها إلا بالنوم ، وأن من أجلها المنامات الصادقة التي هو طريق إليها ، ولتحصيل فوائدها التي أشرنا إليها فيه وضعنا هذا الكتاب ، فتركه رأساً موجب الحرمان من تلك الفوائد ومورث لما ظهر من القوم من الأمراض قال صاحب الكامل : وإذا أدمنت اليقظة حتى يسهر الإنسان زاد في سخونة بدنه وتجفيفه ، وأفسد سحنة البدن وأحدث غوراً في العين ، وقال شارح القانونجه : وإفراط اليقظة يفسد مزاج الدماغ ويضعف لكثرة التحليل ، وإنما كان خاصاً بالدماغ لأنه مبدء للأفعال التي تكون في اليقظة وهي الحس والحركة الإرادية ، فيحدث اليبوسة واختلاط العقل كما أن الرطوبة يحدث بلادة القوة النفسانية لإرخاء الدماغ والعصب لأنه لا شيء أضرّ على الذهن من الرطوبة ولذا قيل أن الإنسان ينحط عن درجة الملكية لتعلق نفسه بجوهر رطب وهو البدن .

إذا عرفت ذلك ، فاعلم أن سبب السهر وعدم القدرة على النوم إما سوء مزاج بارد يابس مع مادة سوداوية أو بدونها ، أو حارّ يابس مع مادة صفراوية أو

بدونها ، أو حمى أو وجع أو امتلاء وسوء هضم وعلامة معرفة كل واحد منها مع علاجها مذكور في كتب الأطباء ، أو الإشتغال بالأمور الصناعية وغيرها سيما أن ساعده مزاج دماغه ، فإن من الأبدان ما يكون جوهر الدماغ فيه مائلاً إلى اليبس فيكتفي من النوم بالمقدار اليسير ، قالوا : ويكون في هذا على الأمر الطبيعي أو التقليل من الغذاء والتخفيف فإنه يخفف الدماغ فيقل النوم وعلاجه تركه والأكل بمقدار يزيله عنه أو فرح أو خوف أو فكر أو همّ عظيم ، فإنها تحدّ مزاج الروح ويوجب خروجها إلى الظاهر ، وتشتغل النفس بها عن تدبير البدن وإصلاح أحواله التي منها النوم ، وقد تقدم في المقام الرابع من الفصل الثاني بعض الأدعية المأثورة لرفع الأرق واستجلاب النوم ، ولعله نافع من أكثر تلك الأسباب والله العالم ، وفي مكارم الأخلاق عن رسول الله (ص) كلوا الخس[1] فإنّه يورث النعاس ويهضم الطعام .

تنبيه للغافلين وإيقاظ للراقدين

روى الصدوق في الخصال عن أبيه عن أحمد بن إدريس عن محمد بن أحمد عن موسى بن جعفر البغدادي عن عبيد الله بن عبد الله بن عرفة عن شعيب عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال : خمسة لا ينامون : الهام بدم يسفكه ، وذو المال الكثير لا أمين له ، والقائل في الناس الزور والبهتان عن غرض من الدنيا يناله ، والمأخوذ بالمال الكثير ولا مال له ، والمحب حبيبا يتوقع فراقه . ورواه في الفقيه عنه (ع) . وفي معدن الجواهر المكراجكي عن بعض الحكماء : تسعة لا ينامون : المدنف الذي لا طبيب له والكثير المال يخاف على ماله ، والهام بدم يسفكه ، والمتنمي الشر للناس لا ينام الليل في عشّهم ، والمحارب يخاف البيات ، والغارم لا مال عنده ، وصاحب البغية[2] لا يصل إلى بغيته والمطلع على السوء من أهله والمعضوه بالبهت .

قال التقي المجلسي (ره) في شرح الخبر : الظاهر أنّ الغرض بيان

---

(١) الخس بقلة يقال له بالفارسية (كاهو).

(٢) وفي نسخة مخطوطة من المصدر «والعاشق الذي لا يصل اه».

الواقع ، ويمكن أن يكون المراد أنه إذا كان هؤلاء الجماعة لا ينامون لأغراض باطلة سهلة فلا ينبغي لجماعة يكون أغراضهم صحيحة عظيمة أن يناموا ، مثل من كان له عدو مثل النفس الأمّارة ويكون مأموراً بقتله وقتاله ، ومن كان له أصناف الطاعات فعلاً أو قوّة ، ويكون الشياطين بصدد إضاعتها وسرقتها ومنعه عن تحصيلها وضبطها ، ومن تكلم بكلمات الحق مثل ﴿ **إن صلوتي ونسكي** ﴾ ﴿ **وإياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ ويطلب فيه العمل بمصداقها لنيل الدرجات العالية والمراتب الغير المتناهية ، ومن يكون مأخوذاً بأن يكون أوقاته مصروفة لله ولا يعمل إلا له وتكاليف الله بالنسبة إليه كثيرة في الأيام والليالي ، ولا يكون شيء منها ، ومن يكون مأموراً بحبّ الله تعالى ومخلوقاً له كيف يغفل وينام ويكون كالأنعام (انتهى)(١) .

قلت : الهمّ إذا عظم ينفي النوم عن العين كما عرفت ، سواء كان للأمور الدنيوية أو الأخروية قال الكفعمي (ره) : الفرق بين الغم والحزن والهمّ أن الهمّ قبل نزول الأمر ، وهو يطرد النوم والغمّ بعد نزوله وهو يجلب النوم والهموم الدنيوية كثيرة ولا يظهر من الخبر حصرها فيما ذكره (ع) فلا بأس بأن نشير إلى جملة منها تبعاً له ، وقد أشير إلى ما يقابلها من هموم الآخرة للمؤمن في الأخبار ، ويساعدها الاعتبار ويحرم هجومها الهجوع عن أبصار أولي الأبصار .

فمنها : همّ العبد الذليل العاجز الأسير المحبوس في مطمورة مغمورة بضروب المؤذيات المهلكات ، والشدائد والبليّات ، معمورة بصنوف من الأراذل اللئام وطغاة أضل من الأنعام ، موائدها أخبث من الميتة ، ونفاحها أنتن

---

(١) وفي كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي عن عامر الشعبي أنه أي ابن الكوا سأل أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال يا أمير المؤمنين أي خلق الله أشد؟ قال: إن أشد خلق الله عشرة: الجبال الرواسي، والحديد ينحت به الجبال، والنار تأكل الحديد، والماء يطفيء النار، والسحاب المسخر بين السماء والأرض تحمل الماء والريح تقل السحاب والانسان يغلب الريح يتقيها بيديه ويذهب بحاجته، والسكر يغلب الإنسان والنوم يغلب السكر، والهم يغلب النوم، فأشد خلق ربك الهم (منه ره).

من ريح الجيفة ، نورها ظلمة وسرورها نقمة ، ومائها حميم وعذابها أليم وهوائها سموم وعيشها غموم ، وقد وعده من يوثق بمواعيده الخروج منها قريباً إلى جنان ذات أفنان ، وقصور رفيعة البنيان ، مزينة بخزد حسان[1] وفيها ما يتم به سرور المهتم ويرغد عيش بني آدم فهو لا ينام ليلاً ونهاراً ويترقب من وراء سجنه داراً يرجو فيها نضرة وسروراً ، وراحة وحبوراً ، ويتوسل التنجز الموعود بكل ما يحتمل فيه ذلك وإن بلغ من الشدة ما يهلك فيه السالك .

وكذلك : المؤمن الموقن المسجون في ظلم مطامير الدنيا المقيّد في كل حالاته بسلاسل من الشدة واللاواء ، الواقف على صدق ما أخبر به من النعم الغير المتناهية المعدّة لأهل الطاعة ، والصّابر على مضاضة المحن والفاقة ممّا لا يخطر بالبال ولا يحوم حوله الخيال ، مالكه ملك غني رؤوف رحيم ومخبر وعده رسول صادق أمين كريم ، والمحبوبة مخلد لا يسلب عنه النعيم فكيف ينام وهو في ذلك الهمّ العظيم ، إلا أن يظنّ النقم المحيطة به نعمة ، كما عليه بناء أهل الجهل والغفلة أو لا يثق بتلك المواعيد المتواترة ، أو يتوهم ما أعدّ في تلك الدار الباقية مثل زخارف الدنيا الفانية ، والمؤمن بريء من هذه العقائد ، مشتاق إلى الوصول إلى تلك الموائد .

وفي تحف العقول في مواعظ الباقر (ع) لجماعة من الشيعة يا طالب الجنة ما أطول نومك وأكلّ مطيتك[2] وأدهى همّتك ! فلله أنت من طالب ومطلوب . وفيه في خطبة أمير المؤمنين (ع) المعروفة بالديباج : إني لم أرَ مثل الجنة نام طالبها ، وفي الغرر عنه (ع) : ألا وإني لم أرَ كالجنة نام طالبها ، وكيف تنام عين من وقف على ما ورد في صفات الجنة ونعيمها ، خصوصاً ما رواه المفيد (ره) في كتاب الاختصاص كما في البحار وغيره عن كتاب صفة الجنة والنار للثقة سعيد بن جناح الكوفي من أصحاب الكاظم والرضا (ع) بإسناده عن أبي عبد الله (ع) عن رسول الله (ص) : إذا أراد الله تعالى قبض

---

(١) الخرد بضمتين جمع الخريدة: البكر لم تمس قط.
(٢) أكل الرجل: أعيا بعيره.

روح المؤمن ثم ذكر (ص) كيفية قبض روحه ونزوله في قبره ، وما يلقى فيه وفي الحشر وعند الحساب في كلام طويل قال (ص) : فإذا انتهى ـ يعني المؤمن ـ إلى باب الجنة قيل له : هات الجواز ، قال : هذا جوازي مكتوب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا جواز جائز من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلان من رب العالمين ، فينادي مناد يسمع أهل الجمع كلهم ألا أن فلان بن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً ، قال : فيدخل فإذا هو بشجرة ذات ظلّ ممدود وماء مكسوب وثمار مهدلة[1] تسمى رضوان يخرج من ساقها عينان تجريان ، فينطلق إلى إحداهما كما أمر بذلك ، فيغتسل منهما فيخرج وعليه نضرة النعيم ، ثم يشرب من الأخرى فلا يكون في بطنه مغص ولا مرض ولا داء أبداً ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وسقاهم ربهم شراباً طهورا ﴾[2] ، ثم تستقبله الملائكة وتقول : طبت فادخلها مع الداخلين فيدخل فإذا هو بسماطين[3] من شجر أغصانها اللؤلؤ وفرعها الحلى والحلل ثمرها مثل ثدي الجواري الأبرار ، وتستقبله الملائكة معهم النوق والبراذين[4] والحلى والحلل ، فيقولون : يا ولي الله اركب ما شئت واسأل (والبس ظ) ما شئت ، قال : فيركب ما اشتهى ويلبس ما اشتهى وهو على ناقة أو برذون من نور وثيابه من نور ، وحليته من نور ، ويسير في دار النور معه ملائكة من نور ، وغلمان من نور ، ووصائف من نور حتى تهابه الملائكة مما يرون من النور ، فيقول بعضهم لبعض تنحوا فقد جاء وفد الحليم الغفور ، فينظر إلى أول قصر له من فضة مشرفاً بالدر والياقوت فتشرف عليه أزواجه ، فيقلن مرحباً مرحباً أنزل بنا فيهمّ أن ينزل بقصره قال : فتقول له الملائكة : سر يا ولي الله فإن هذا لك وغيره حتى ينتهي إلى قصر من ذهب مكلل بالدر والياقوت ، فيهمّ أن ينزل بقصره فيقول له الملائكة : سر يا ولي الله ، قال : ثم يأتي قصراً من ياقوت أحمر مكلل بالدر والياقوت ، فيهمّ

---

(١) أهدل الشيء : أرسله .

(٢) سورة الإنسان ، الآية : (٢١) .

(٣) قال الطريحي : السماطان من النخل : الجانبان يقال : مشى بين السماطين .

(٤) البراذين جمع البرذون : التركي من الخيل وخلافها العراب .

النزول بقصره فتقول له الملائكة : سر يا ولي الله فإن هذا لك وغيره ، قـال : فيسير حتى يأتي تمام ألف قصر كل ذلك ينفذ فيه بصره ويسير في ملكـه أسرع من طرف العين .

فإذا انتهى إلى أقصاها قصراً نكّس رأسه فتقول له الملائكـة : ما لـك يا ولي الله ؟ قال : فيقول : والله لقد كاد بصري أن تختطف أنـه ليس غمم وفي نسخة غم ولا ضيم فيأتي قصراً يرى ظاهره من باطنه وباطنه من ظاهره لبنة من فضة ولبنة من ذهب ولبنة من ياقوت ولبنة من در ، ملاطة[1] المسك قد شـرف بشرف من نور يتـلألأ ويرى الـرجل وجهـه في الحائط ، وذلـك قولـه تعالى : ﴿ **ختامه مسك** ﴾[2] يعني ختام الشراب .

ثم ذكر النبي (ص) الحور العين ، فقالت أم سلمة : بـأبي أنت وأمي يا رسول الله أما لنا فضل عليهن ؟ قـال : بلى بصلاتكن وصيـامكن وعبادتكم لله بمنزلة الظاهرة على الباطنة ، وحدّث أن حور العين خلقهن الله تعالى في الجنة مع شجرها وحبسهن على أزواجهن في الدنيا ، على كل واحـدة منهن سبعون حلة يرى بياض سوقهن من وراء الحلل السبعين ، كما ترى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء أو كالسلك الأبيض في الياقوتة الحمراء يجامعها في قوة مـائة رجل في شهوة أربعين سنـة ، وهنّ أتراب أبكـار عذارى كلمـا نكحت صارت عذرى ، ﴿ **لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان** ﴾ ، يقول : لم يمسهن أنسي ولا جني قط ، ﴿ **فيهن خيرات حسان** ﴾ : يعني خيرات الأخلاق حسان الوجوه ، ﴿ **كأنهن الياقوت والمرجان** ﴾ : يعني في صفاء الياقوت وبياض اللؤلؤ وأن في الجنة لنهراً حافتاه الجواري .

قـال : فيوحي إليهن الـربّ تبـارك وتعـالى : اسمعن عبـادي تمجيـدي وتسبيحي وتحميدي ، فيرفعن أصواتهن بألحان وترجيع لم يسمع الخلائق مثلها قط ، فتطرب أهل الجنة ، وأنه لتشرف على ولي الله المرأة ليست من نساءه من

---

(١) الملاط بالكسر: الطين الذي يطلى به الحائط.

(٢) سورة المطففين، الآية: (٢٦).

السجف[١] فيملأ قصره ومنازله ضوءاً ونوراً فيظنّ ولي الله أنّ ربه أشرف عليه أو ملك من الملائكة فيرفع رأسه فإذا هو بزوجة قد كادت يذهب نورها نور عينيه ، قال : فتناديه قد آن لنا أن تكون لنا منك دولة ، قال فيقول لها : ومن أنت ؟ قال : فتقول : أنا ممن ذكر الله في القرآن : ﴿ **لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد** ﴾[٢] فيجامعها في قوة مائة شاب وعانقها سبعين سنة من أعمار الأولين ، وما يدري أينظر إلى وجهها أم إلى خلفها أم إلى ساقها ، فما من شيء ينظر إليه منها إلاّ يرى وجهه من ذلك المكان من شدة نورها وصفاءها ، ثم تشرف عليه أخرى أحسن وجهاً وأطيب ريحاً من الأولى ، فتناديه تقول : قد آن لنا أن يكون لنا منك دولة ، قال : فيقول لها : ومن أنت ؟ فتقول : أنا من (ممن ظ) ذكر الله تعالى في القرآن : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاءاً بما كانوا يعملون** ﴾[٣] .

قال : وما من أحد يدخل الجنة إلا كان له من الأزواج خمسمأته حوراء مع كل حوراء سبعون غلاماً وسبعون جارية كأنهن اللؤلؤ المنثور كأنهن اللؤلؤ المكنون ، وتفسير المكنون بمنزلة اللؤلؤ في الصدف لم تمسه الأيدي ولم تره الأعين ، وأما المنثور فيعني في الكثرة ، وله سبع قصور في كل قصر سبعون بيتاً وفي كل بيت سبعون سريراً ، وعلى كل سرير سبعون فراشاً عليها زوجة من الحور العين تجري من تحتهم الأنهار ، أنهاء من ماء غير آسن صاف ليس بالكدر ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، لم يخرج من ضرع المواشي ، وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل ، وأنهار من خمر لذة للشاربين لم يعصره الرجال بأقدامهم ، فإذا اشتهوا الطعام جاءهم طيور بيض يرفعن أجنحتهن فيأكلون من أي الألوان جلوساً إن شاؤوا أو متكئين ، وإن اشتهوا الفاكهة تسعبت[٤] إليهم الأغصان فيأكلون من أيها اشتهوا والملائكة يدخلون

(١) السجف : الستر.
(٢) سورة ق، الآية : (٣٥).
(٣) سورة السجدة، الآية : (١٧).
(٤) أي تمددت.

عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار .

فبينما هم كذلك إذ يسمعون صوتاً من تحت العرش يا أهل الجنة كيف ترون منقلبكم فيقولون خير المنقلب منقلبنا وخير الثواب ثوابنا قد سمعنا الصوت واشتهينا النظر إلى أنوار جلالك وهو أعظم ثوابنا ، وقد وعدته ولا تخلف الميعاد فيأمر الله الحجب فيقوم سبعون ألف حاجب فيركبون على النوق والبراذين ، وعليهم الحلى والحلل فيسيرون في ظل الشجر حتى ينتهون إلى دار السلام ، وهي دار الله دار البها والنور والسرور والكرامة ، فيسمعون الصوت فيقولون : يا سيدنا سمعنا لذاذة منطقك فأرنا نور وجهك فيتجلّى لهم سبحانه وتعالى حتى ينظرون إلى نور وجهه تبارك وتعالى المكنون من عين كل ناظر ، فلا يتمالكون حتى يخروا على وجوههم سجداً فيقولون : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك يا عظيم ، قال : فيقول : يا عبادي ارفعوا رؤوسكم ليس هذه بدار عمل إنما هي دار كرامة ومسألة ونعيم ، قد ذهب عنكم اللغوب والنصب فإذا رفعوها ، رفعوها وقد أشرقت وجوههم من نور وجهه سبعين ضعفاً ، ثم يقول تبارك وتعالى : يا ملائكتي أطعموهم واسقوهم فيؤتون بألوان الأطعمة لم يروا مثلها قط في طعم الشهد وبياض الثلج ولين الزبد ، فإذا أكلوا قال بعضهم لبعض : كأن طعامنا الذي خلفناه في الجنة عند هذا حلماً .

قال : ثم يقول الجبار تبارك وتعالى : يا ملائكتي اسقوهم ، قال : فيؤتون بأشربة فيقضيها ولي الله فيشرب شربة لم يشرب مثلها قط ثم يقول : يا ملائكتي طيّبوهم فتأتيهم ريح من تحت العرش بمسك أشدّ بياضاً من الثلج تغير وجوههم وجباههم وجنوبهم تسمى المثيرة ، فيستمكنون من النظر إلى نور وجهه ، فيقولون يا سيدنا حسبنا لذاذة منطقك والنظر إلى نور وجهك ، لا نريد به بدلاً ولا نبتغي به حولاً فيقول الرب تبارك وتعالى : إني أعلم أنكم إلى أزواجكم مشتاقون ، وأن أزواجكم إليكم مشتاقات فيقولون : يا سيدنا ما أعلمك بما في نفوس عبادك ؟ فيقول : كيف لا أعلم وأنا خلقتكم وأسكنت أرواحكم في أبدانكم ، ثم رددتها عليكم بعد الوفاة فقلت : أسكني عبادي خير مسكن

ارجعوا إلى أزواجكم ، قال : فيقولون : يا سيدنا اجعل لنا شرطاً ، قال : فإن لكم كل جمعة زورة ما بين الجمعة إلى الجمعة سبعة آلاف سنة مما تعدون ، قال : فينصرفون فيعطي كل رجل منهم رمانة خضراء ، في كل رمانة سبعون حلة لم يرها الناظرون المخلوقون فيسيرون فيقدمهم بعض الولدان حتى يبشروا أزواجهم ، وهنّ قيام على أبواب الجنان ، فلما دنى منها نظرت إلى وجهه فأنكرته من غير سوء فقالت : حبيبي لقد خرجت من عندي وما أنت هكذا ؟ قال : فيقول : حبيبتي تلوميني أن أكون هذا وقد نظرت إلى نور وجه ربي تبارك وتعالى ؟ فأشرق وجهي من نور وجهه ، ثم يعرض عنها فينظر إليها نظرة فيقول : حبيبتي لقد خرجت من عندك وما كنت هكذا ؟ فتقول : حبيبي تلومني أن أكون هكذا ، وقد نظرت إلى وجه الناظر إلى نور وجه ربي فأشرق وجهي من وجه الناظر إلى نور وجه ربي سبعين ضعفاً فتعانقه من باب الخيمة والرب تعالى يضحك إليهم فينادون بأصواتهم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إنّ ربنا لغفور شكور .

قال : ثم أن الرب تعالى يأذن للنبيين فيخرج رجل في موكب حوله الملائكة والنور أمامهم فينظر إليه أهل الجنة ويمدون أعناقهم إليه ، فيقولون : من هذا إنه لكريم على الله ؟ قال : فتقول الملائكة : هذا المخلوق بيده والمنفوخ فيه من روحه والمعلم للأسماء ، هذا آدم قد أذن له على الله ، قال : ثم يخرج رجل في موكب حوله الملائكة قد صفّت بأجنحتها والنور أمامه ، قال : فيمدّ إليه أهل الجنة أعناقهم فيقولون من هذا ؟ فتقول الملائكة : هذا الخليل إبراهيم قد أذن له على الله ، ثم يخرج رجل في موكب حوله الملائكة قد صفت أجنحتها والنور أمامه ، قال : فيمد إليه أهل الجنة أعناقهم فيقولون : من هذا ؟ فتقول لملائكة : هذا موسى بن عمران الذي كلّم الله تكليماً قد أذن له على الله ، قال : ثم يخرج رجل في موكب حول الملائكة قد صفت أجنحتها والنور أمامه فيمدّ إليه أهل الجنة أعناقهم فيقولون : من هذا الذي قد أذن له على الله ؟ فتقول الملائكة : هذا روح الله وكلمته هذا عيسى بن مريم ، قال : ثم يخرج رجل في موكب مثله في مثل جميع مواكب من كان قبله سبعون

ضعفاً ، حوله الملائكة قد صفّت أجنحتها والنور أمامهم ، فيمد إليه أهل الجنة أعناقهم ، فيقولون : من هذا الذي قد أذن له على الله ؟ فتقول الملائكة : هذا المصطفى بالوحي المؤتمن على الرسالة سيّد ولد آدم ، هذا النبي محمد (ص) ، قد أذن له على الله ، ثم قال : يخرج رجل في موكب حوله الملائكة وقد صفت أجنحتها والنور أمامه فيمدّ إليه أهل الجنة أعناقهم فيقولون من هذا ؟ فتقول الملائكة : هذا أخو رسول الله في الدنيا والآخرة .

قال ثم يؤذن للنبيين والصديقين والشهداء فيوضع للنبيين منابر من نور ، وللصديقين سرر من نور ، وللشهداء كراسي من نور ، ثم يقول الرب تبارك وتعالى : مرحباً بوفدي وزواري وجيراني ، يا ملائكتي أطعموهم ، فطال ما أكل الناس وجاعوا ، وطال ما روى الناس وعطشوا ، وطال ما نام الناس وقاموا ، وطال ما أمن الناس وخافوا ، قال : فيوضع لهم أطعمة لم يروا مثلها قطّ على طعم الشهد ولين الزبد وبياض الثلج ، ثم يقول : يا ملائكتي فكّهوهم ، فيفكهونهم بألوان من الفواكه لم ير مثلها قط ، ورطب عذب دسم على لين الزبد وبياض الثلج ، قال : ثم قال النبي (ص) : إنه لتقع الجنة من الرمان ، فتستر وجوه الرجال بعضهم عن بعض ، ثم يقول : يا ملائكتي اكسوهم ، قال : فينطلقون إلى شجر في الجنة فيجتنون منها حللاً مصقولة بنور الرحمن ، ثم يقول : طيّبوهم فتأتيهم ريح من تحت العرش تسمى المثيرة أشدّ بياضاً من الثلج تغير وجوههم وجباههم وجنوبهم ، ثم يتجلى لهم تبارك وتعالى حتى ينظروا إلى نور وجهه المكنون من عين كل ناظر ، فيقولون : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك يا عظيم ، ثم يقول الرب تبارك وتعالى لا إله غيره لكم كل جمعة زورة ما بين الجمعة إلى الجمعة سبعة آلاف سنة مما تعدون ﴿ ولنعم ما قيل ﴾ .

شعر

أألهتك اللذائذ والأماني ... عن البيض الأوانس في الجنان

(١) ألهاه اللعب عن كذا : شغله .

تعيش مخلداً لا موت فيها وتلهو في الجنان مع الحسان
تنبّه من منامك أنّ خيراً من النوم التهجد بالقرآن

وقال آخر :

في الخلد جارية بالغنج ماشطة للزوج ساقية في وسط أشجار
من مكة عجنت بعنبر خلطت لم ترى خلقت للزاهد القاري
ممشوقة حرة في قدها حمرة كأنها درة في نقش دينار
بالدل مقبلة للشعر مرسلة بالذيل مسبلة في شطّ أنهار
قد زانها عشب في قرنها طرب في خلفها ذوب شيبت بأنوار
تسقي الولي بها خمراً مشعشعة خمر الفراديس لا من خمر خمار
والطير في غر الياقوت صائحة كأن أصواتها أكان مزمار
فيا لها طرب من شأنها عجب من حيث شاء من الجنات مختار

ومنها : همّ العبد الذي بعثه السلطان المنعم عليه إلى بعض ممالكه ، وقرّر له أعمالاً يفعلها وحدوداً يقف عندها ومفاسد يصلحها ، وبلاقع يعمرها ، ونفقة يقتصر عليها ، وأعداء يهلكها ، وأحباء يحسن إليها ، ورأس مال يتّجر به ، فلما أتى إليه واستقر به المكان نسي ما عهد إليه السلطان وشغلته همة البطن والفرج عن امتثال ما أمره به وقرّره إليه فتعدى حدوده وأفسد ما أصلحه وعمّر ما أبغضه وخرب ما أحب عمارته ، وأنفق أضعاف ما عيّنه وصاحب أعداءه وأساء إلى أحبائه ، وعظم ما صغّره وصغر ما عظمه ولما أسرف في طغيانه وعلا في ظلمه وعدوانه بعث إليه من يحضره عنده في موعد لا يخلفه ، يجلس لحسابه فيه ويجمع خاصته وحواشيه وجنوده وعساكره ومنجزي سخطه وغضبه ليعد عليه في موقفهم ما جناه ، وهتك من أستار مولاه المنعم عليه بما أحبّه وكفاه ، فيحكم عليه بما يريده ، ويجزيه بما يستحقه ، فهو لا ينام في طول ليله الذي قد أمر بالحضور إلى هذا المحضر في غده ، ويتفكر في التنصل من تبعاته ، والإنفلات من يده .

وكذلك : المؤمن الذي جعل الله تعالى الدنيا له طريقاً يتزود فيها لآخرته

في طول حياته ، وأيَّام مهلته ، ولا يتمتع منها إلاّ بما يعينه إليها ويصـرف تمام عمره الذي هو رأس ماله في مرضاته وحدوده ، فسوّلته نفسه وأغواه شيطانـه ، وتـزينت له دنيـاه ، وغرّه إمهـال الله ، فانهمـك في اللذات ، وغمر في بحـار التبعات ، إذا تفكّر في يوم الجمع الذي يحضر فيه للعرض والحساب ، ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحقّ وهم لا يظلمون ، ووفيت كلّ نفس ما عملت ، كيف ينام عينه ويطمئن قلبه وهـو في شدة واضـطراب ، وخيفة من المناقشة وسوء الحساب .

قال الصادق (ع) : ولو لم يكن للحساب مهولة الإحياء العرض على الله تعالى وفضيحتك هتك الستر على المخفيات لحق للمرء أن لا يهبط من رؤوس الجبال ، ولا يأوي إلى عمران ، ولا يشرب ولا ينام إلاّ عن اضطرار متصـل ، ومثل ذلك يفعل من يرى القيامة بأهوالها وأشدادها ، قائمة في كل نفس وتعاين بالقلب الوقوف بين يدي الجبـار ، حينئذ يـأخذ نفسـه بالمحـاسبة ، كـأنّه إلى عرصاتها مدعوّ وفي غمراتها مسؤول .

وفي صفـات الشيعة للصـدوق بإسنـاده إلى أميـر المؤمنين (ع) أنـه قـال لأحنف : إنّ الله تعالى أحبّ أقواماً تنسكوا له في دار الدنيا ، تنسك من هجم على ما علم من قربهم من يوم القيامة ، من قبل أن يشاهدوها ، فحملوا أنفسهم على مجهودها ، وكانوا إذا ذكروا صباح يوم العرض على الله سبحـانه تـوهموا خروج عنق يخرج من النار ، يحشر الخلائق إلى ربهم تبارك وتعالى ، وكتاب يبدو فيه على رؤوس الأشهاد فضائح ذنوبهم ، فكادت أنفسهم تسيل سيلاناً ، أو تـطير قلوبهم بـأجنحة الخـوف طيرانـاً وتفارق عقـولهم إذا غلت بهم من أجل المحشر إلى الله سبحانه غلياناً ، فكانوا يحنّون حنين الواله في دجى الـظلم ، وكانوا يفجعون من خوف ما أوقفوا عليه أنفسهم فمضوا ذبل الأجسام ، حـزينة قلوبهم ، كـالحـة وجـوههم ، ذابلة شفـاههم ، خـامصـة بـطونهم[1] تـريهم سكارى ، أسهاراً وحشة الليل متخشعون ، كأنهم شنان بوالي ، قد أخلصوا لله

---

(١) كلح وجهه: عبس. ذبل شفته: شف. خمص البطن: فزع وضمر.

اعمالهم سرّاً وعلانية ، فلم يأمن من فزعه قلوبهم ، بل كانوا كمن جرسوا قباب خراجهم ، فلو رأيتهم في ليلتهم ، وقد نامت العيون وهدأت الأصوات وسكنت الحركات من الطير في الوكور ، وقد نبّههم خوف يوم القيامة والوعيد ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون ﴾[1] . فاستيقظوا لها فزعين ، وقاموا إلى صلوتهم معولين ، باكين تارة وأخرى مسبحين ، يبكون في محاريبهم ويرنون يصطفون ليلة مظلمة بهماء[2] يبكون ، فلو رأيتهم يا أحنف في ليلتهم قياماً على أطرافهم منحنية ظهورهم ، يتلون على أجواء[3] القرآن لصلوتهم ، قد اشتدّت أعوالهم ونحيبهم وزفيرهم ، إذا زفروا خلت النار قد أخذت منهم إلى حلا قيمهم ، وإذا عولوا حسبت السلاسل قد صفدت في أعناقهم .

ومنها : العبد المذكور إذا ارتدع بنفسه وحاسب عمله ووقف على دقائق ما ارتكبه ، واطلع على تفصيل ما أعدّ السلطان القاهر لكل واحد من تلك الجرائر ، من قبيح النكال وشنيع الأفعال ، مما يكفي لتنغّص عيشه ، وتبديل سروره وفرحه ، واستحقاق واحد من تلك العقوبات ، كيف وهو يرى نفسه بعد العثور على ما اكتسبته مستحقة لجميع ما أعدّه من النقمات ، فكيف تنام عيناه ولا خفير يؤمنه من مولاه ، ولا حصن يحجبه عنه ولا عذر يعتذر إليه .

وكذلك : المؤمن إذا رأى ما ورد في الحثّ على حساب الأعمال ، قبل حضور الآجال ، خصوصاً عند منامه كما تقدم في مقامه ، فنشر ديوان السيئات فرآها مسودة من الجرائم ، ونظر في صحيفة الحسنات فلم ير فيها غير قليل من العزائم ، وهو مع ذلك غير جازم بخلوصها من آفاتها ، وخائف من عدّها الحفظة في خلال سيئاتها ، فيرى نفسه متدثرة بجميع المثالب ، ونقم الله العاجلة والآجلة ، محيطة بها من كل جانب مستحقة لكل ما أعدّه للخاطئين مما

---

(١) سورة الأعراف، الآية: (٩٧).
(٢) ليلة بهماء: لا ضوء فيها إلى الصباح.
(٣) كذا.

لا يقوم لأدناه السموات والأرضون قال الله تعالى : ﴿ **وكم من قرية أهلكناها فجائهم بأسنا بياتاً أو هم قائلون** ﴾[1] .

وفي الكافي عن أمير المؤمنين (ع) : ولا تأمن البيات من عمل السيئات[2] . وفي مصباح الشريعة وروي أنّ يحيى بن زكريا (ع) كان يفكّر في طول الليل في أمر الجنة والنار ، ويسهر ليلته ولا يأخذه نوم ، ثم يقول عند الصباح : اللهم أين المقر وأين المستقر اللهم إليك . وفي تحف العقول عن الباقر (ع) : يا هارباً من النار ما أحثّ مطيتك إليها ، وما أكسبك لما يوقعك فيها ، وفيه في مواعظ السجاد (ع) : واعلموا عباد الله من خاف البيات تجافى عن الوساد وامتنع من الرقاد وأمسك عن بعض الطعام والشراب من خوف سلطان أهل الدنيا ، فكيف ويحك يا ابن آدم من خوف بيات سلطان ربّ العزة وأخذ الأليم وبياته لأهل المعاصي والذنوب ، مع طوارق المنايا بالليل والنهار ، فذلك البيات الذي ليس منه منجا ولا دونه ملتجىء ولا منه مهرب ، فخافوا الله أيها المؤمنون من البيات خوف أهل اليقين وأهل التقوى فإن الله يقول : ﴿ **ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد** ﴾[3] وفيه في خطبة ديباج لأمير المؤمنين (ع) : فإني لم أرَ مثل النار نام هاربها ، وفي النهج عنه (ع) : كيف لا يوقظك بيات نقمه ، وقد تورطت بمعاصيه مدارج سطواته ، فتداو من داء الفترة من قلبك بعزيمة ، ومن كرى الغفلة في ناظرك بيقظة .

وفي الكافي فيما أوحى الله تعالى به موسى (ع) : يا موسى صرخ الكتاب إليك صراخاً بما أنت إليه صابر ، فكيف ترقد على هذه العيون ؟ أم كيف يجد قوم لذة العيش لولا التمادي في الغفلة والاتباع للشقوة والتتابع للشهوة ، ومن دون هذا يجزع الصديقون . وفي بلد الأمين وغيره فيما كان يخاطب به

---

(١) سورة الأعراف، الآية: (٤).

(٢) في المجمع: وفي الحديث لا يأمن البيات من عمل السيئات، البيات: الأخذ بالمعاصي.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: (١٤).

السجاد (ع) نفسه المقدسة : أم كيف تنام عين من يخشى البيات أو تسكن نفس من يتوقع الممات .

ألا لا ولكنا نغرّ نفوسنا — وتشغلنا اللذات عما نحاذر
وكيف يلذ العيش من هو موقن — بموقف عدل حين تبلى السرائر
كأنا نرى إلا نشور وأننا — سدي ما لنا بعد الفناء مصائر

وفي أمالي الشيخ الطوسي ، عن أمير المؤمنين (ع) في خطبة له : يا من يسلم إلى الدود ، ويهدي إليه اعتبر بما تسمع وترى ، وقل لعينيك تجفوا لذة الكرى ، وتفيض من الدموع بعد الدموع تترى ، بيتك القبر بيت الأهوال والبلى ، وغايتك الموت يا قليل الحياء ، اسمع يا ذا الغفلة والتصريف من ذي الوعظ والتعريف الخطبة . وفي دعوة الراوندي عنهم (ع) : الخير كله بعد الموت والشر كله بعد الموت أن الملكين إذا أتيا العبد الصالح ليعذباه قعدا من عند رأسه فتقول صلوته : لا تؤتي من قبلي فربّ ليلة قد بات فيها ساهراً حذاراً لهذا المضجع ، وفي مناجاة السيد السجاد (ع) إلهي ينام كل عين ويستريح إلى وطنه ، وأنا وجل القلب وعيناي تنظر إلى رحمة ربي . وفي الكافي عن الصادق (ع) في أقسام طلبة العلم وصاحب العقل والفقه ذو كآبة وحزن وسهر ، قد تحنّك في برنسه ، وقام الليل في حندسه ، يعمل ويخشى وجلاً داعياً مشفقاً مقبلاً على شأنه (الخبر) وفي أمالي الشيخ في وصايا النبي (ص) : يا أبا ذر ما رأيت كالنار نام هاربها ، ولا مثل الجنة نام طالبها . وفي مصباح الشريعة قيل لربيع بن خثيم : ما لك لا تنام الليل ؟ قال : لأني أخاف البيات . وفي البحار عن الأربعين عن رسول الله (ص) : أيها الناس إنه من خاف البيات أدلج[1] ومن أدلج المسير وصل ، وإنّما تعرفون عواقب أعمالكم لوقد طريت آجالكم . وفي كتاب المسلسلات لجعفر بن أحمد القمي مسنداً عن الصادق (ع) : إنه كان يتمثل لأبي ذر الغفاري .

---

(١) أدلج القوم: ساروا الليل كله أو في آخره

أنت في غفلة وقلبك ساهي	نفد العمر والذنوب كما هي
جمّة حصلت عليك جميعاً	في كتاب وأنت عن ذاك ساهي
لم تبادر بتوبة منك حتى	صرت شيخاً وحبلك اليوم واهي
عجباً منك كيف تضحك جهلاً	وخطاياك قد بدت لإلهي
فتفكر في نفسك اليوم جهداً	وسل عن نفسك الكرى يا مناهي

ولقد أجاد المحقق الشيخ حسن بن الشهيد (ره)

ولقد عجبت وما عجبت لكل ذي عين قريرة
ووراؤه يوم عظيم فيه تنكشف السريرة

هذا ولو ذكر ابن آدم ما يلاقي في الحفيرة
لبكي دماً من هول ذلك مدة العمر القصيرة

فاجهد لنفسك في الخلاص فدونه سبل عسيرة

وكيف تقرّ عين وقفت على ما نطق به المشاهدون لأوضاع النار، الواقفون على أسرار ملك الجبار، مثل ما عن المفيد (ره) في الكتاب المذكور عن الكتاب المذكور بسنده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر (ع) قال: إذا أراد الله تعالى قبض الكافر قال: يا ملك الموت انطلق أنت وأعوانك إلى عدوّي فإني قد أبليته فأحسنت البلاء، ودعوته إلى دار السلام فأبى إلا أن يشتمني وكفر بي وبنعمتي وشتمني على عرشي، فاقبض روحه حتى تكبّه في النار، قال: فيجيئه ملك الموت بوجه كريه كالح[1] عيناه كالبرق الخاطف وصوته كالرعد العاصف، لونه كقطع الليل المظلم، نفسه كلهب النار، رأسه في السماء الدنيا ورجل في المشرق ورجل في المغرب وقدماه في الهواء، معه سفود[2] كثير الشعب معه خمسمائة ملك أعوان، معهم سياط من قلب جهنم تلتهب تلك

---

(١) كلح وجهه: عبس.
(٢) السفّود بتشديد الفاء: يشوى عليها اللحم.

السباط وهي من لهب جهنم ، ومعهم أسود وجمرة من جمر جهنم ، ثم يدخل عليه ملك من خزان جهنم يقال له سحقطائيل ، فيسقيه شربة من النار لا يـزال منها عطشاناً حتى يدخل النار ، فإذا نظر إلى ملك الموت شخص بصـره وطار عقله قال : يا ملك الموت ارجعون ، قال : فيقول ملك الموت : **كلا إنها كلمة هو قائلها** ، قال : فيقـول : يا ملك المـوت فإلى من أدع مـالي وولدي وأهلي وعشيرتي وما كنت فيه من الدنيا ؟ فيقول : دعهم لغيرك واخرج إلى النار .

قال : فيضربه بالسفود ضربة فلا يبقى منه شعبة إلا أنبتهـا في كل عـرق ومفصل ، ثم يجذبه جذبة فيسلّ روحه من قدميه نشطاً (بسـطاً خ) فإذا بلغت الركبتين أمر أعوانه فأكبّوا عليـه بالسيـاط ضربـاً ثم يرفعـه عنه فيـذيقه سكـراته وغمراته قبل خروجها ، كأنما ضربه بألف سيف ، فلو كان له قوة الجن والإنس لاشتكى كل عرق منه على حياله بمنزلة سفود كثير الشعب ، ألقى على صوف مبتل ثم يطوقه فلم يأت على شيء إلا انتزعه ، كذلك خروج نفس الكافـر من عرق وعضو ومفصل وشعرة فإذا بلغت الحلقوم ضـربت الملائكـة وجهه ودبـره وقيل : ﴿ **اخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون** ﴾ ، وذلك قولـه : ﴿ **يوم يـرون الملئكة لأبشري يومئذ للمجرمين ويقولون حجـراً محجوراً** ﴾ فيقـولون حـراماً عليكم الجنة محرماً ، وقال : تخرج روحه فتضعها ملك الموت بين مطرقة وسندان ، فيفضح أطراف أنامله وآخر ما يشدخ منه العينان فيسطع لها ريح منتن يتأذى منه أهل السماء كلّهم أجمعون فيقولون : لعنة الله عليها من روح كافرة منتنة خرجت من الدنيا ، ويلعنه الله ويلعنه اللاعنون فإذا أتى بروحه إلى السماء الدنيا أغلقت عنه أبواب السماء وذلك قوله تعالى : ﴿ **لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخيـاط وكذلـك نجزي المجـرمين** ﴾ ، يقول الله : ردّوها عليه فمنها خلقتهم ومنها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى .

فإذا حمل سريره حملت نعشه الشياطين فإذا انتهوا به إلى قبره قالت كلّ بقعة منها : الله لا تجعله في بطني حتى يوضع في الحفرة التي قضـاها الله ، فإذا وضع في لحده قالت له الأرض : لا مرحباً بك يا عدو الله ، أمـا والله لقد

كنت أبغضك وأنت على متني وأنا لك اليوم أشد بعضاً وأنت في بطني ، أما وعزّة ربّي لأسيئنّ جوارك ، ولأضيقنّ مدخلك ، ولأوحشنّ مضجعك ، ولأبدلنّ مطعمك ، إنما أنا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران ، ثم ينزل عليه منكر ونكير وهما ملكان أسودان أزرقان يبحثان القبر بأنيابهما ويطئان في شعورهما ، حدقتاهما مثل قدر النحاس ، وكلامهما مثل الرعد العاصف وأبصارهما مثل البرق اللامع فينتهرانه ويصيحان به ، فيتقلص نفسه حتى تبلغ حنجرته ، فيقولان له : من ربّك ومن نبيّك ومن إمامك ؟ فيقول : لا أدري ، قال (ص) : فيقولان شاك في الدنيا وشاك في اليوم لا دريب ولا هديت . قال : فيضربانه ضربة فلا يبقى في المشرق ولا في المغرب شيء إلا مع صيحته إلا الجن والإنس ، قال : فمن شدة صيحته تلوذ الحيتان بالطين وتنفر الوحوش في الخياس[1] ولكنكم لا تعلمون ، قال : ثم يسلط الله عليه حيّتين سوداوين زرقاوين يعذبانه بالنهار خمس ساعات وبالليل ست ساعات لأنه كان يستخفي من الناس ولا يستخفي من الله ، فبعداً لقوم لا يؤمنون .

قال ثم يسلط الله عليه ملكين أصمين أعميين ، معهما مطرقتان من حديد من نار يضربانه فلا يخطيانه ويصيح فلا يسمعانه إلى يوم القيامة ، فإذا كان صيحة القيامة اشتعل قبره ناراً فيقول : لي الويل إذا اشتعل قبري ناراً فينادي مناد ألا الويل قد دنا منك والهوان ، قم من نيران القبر إلى نيران لا يطفىء ، فيخرج من قبره مسودّاً وجهه ، مزرقة عيناه ، قد طال خرطومه وكشف باله ، منكساً رأسه يساق النظر فيأتيه عمله الخبيث فيقول : والله ما علمتك إلا كنت عن طاعة الله مبطئاً وإلى معصيته مسرعاً ، قد كنت تركبني في الدنيا فأنا أريد أن أركبك اليوم كما كنت تركبني ، وأقودك إلى النار .

قال : ثم يستوي على منكبيه فيركل قفاه[2] حتى ينتهي إلى عجزة جهنم فإذا نظر إلى الملائكة قد استعدوا له بالسلاسل والأغلال ، قد عضّوا على

---

(١) الخياس : الشجر الملتف . غابة الأسد.

(٢) ركله : ضربه برجل واحدة.

شفاههم من الغيظ والغضب فيقول : يـا ويلتي ليتني لم أوت كتابيـه ، وينادي الجليل جيئوا بـه إلى النار ، فصـارت الأرض تحته نـاراً والشمس فوقـه ناراً ، وجاءت نار فأحدقت بعنقه فينادي : واطول عقباه ، قال : فتكلمه النار فتقول : أبعد الله عقبيك عقباً فما عقبت في طاعة الله قال : ثم تجيىء صحيفته تطير من خلف ظهره فتقع في شماله ثم يـأتيه ملك فيقلب صـدره إلى ظهره ، ثم يقبـل شماله إلى خلف ظهره ، ثم يقال له : اقرأ كتابك قال : فيقول أيها الملك كيف أقرأ وجهنم أمامي ؟ قال : فيقول الله دقّ عنقـه واكسر صلبـه وشدّ نـاصيته إلى قدميه ، ثم يقول : خذوه فغلوه قال : فيبتدره لتعظيم قول الله سبعون ألف ملك غلاظ شداد ، فمنهم من ينتف لحيته ، ومنهم من يعض لحمه ، ومنهم من يحطّ عظامه .

قال : فيقول أما ترحموني ؟ قال : فيقـولون : يـا ليتنا أطعنـا الله وأطعنا الرسول ، قال : فيقرن معه حجر عن يمينه وشيطان عن يساره ، وحجر كبريت من نار يشتعل في وجهـه . ويخلق الله له سبعين جلداً كـل جلد غلظه أربعون ذراعاً بذراع الملك الذي يعذبه بين الجلد إلى الجلد حيات وعقارب من نار ، وديدان من نار ، رأسه مثل الجبل العظيم ، وفخذاه مثل جبل ورقان وهو جبل بالمدينة ، مشفره أطول من مشفر الفيل فيسحبه سحباً وأذناه عضوضان[1] بينهما سرادق من نار تشتعل قد اطلعت النار من دبره على فؤاده ، فـلا يبلغ دركاً من دركاتها حتى يبدو له سبعون سلسل للسلسلة سبعون ذراعاً ، ما بين الذراع حلق عدد قطر المطر لو وضعت حلقة منها على جبال الأرض لأذابتها ، قال : وعليه سبعون سربالاً من قطرا من نار ، وتغشى وجوههم النار عليه قلنسـوة من نار ، وليس في جسده موضع فتراً وفيه حلية من نار ، وفي رجليه قيـود من نار قـد نقب رأسه ثلاثمائة وستين نقباً يخرج من ذلك النقبات الدخان من كل جانب ، وقد غلى منها دماغه حتى يجري على كتفيه ، يسيل منها ثلاثمائـة نهر وستـون نهراً من صديـد ، يضيق على منزلـه كما يضيق الـرمح في الـزج ، فمن ضيق منازلهم عليهم ومن ريحها ومن شدة سوادها وزفيرهـا وشهيقها وتغيـظها ونتنهـا

(١) العضوض: البئر البعيدة القعر.

اسـودّت وجـوههم ، وعـظمت ديـدانهم ، فينبت لهـا أظفـار كـأظفـار السنـور والعقبان ، تأكل لحمه وتقرض عظامه وتشرب دمه ، وليس لهنّ مأكل ولا مشرب غيره ، ثم يدفع في صدره وقعة فيهوي على رأسه سبعين ألف عام حتى يواقع الحطمة ، فإذا واقعها رقت عليه وعلى شيطانه وجاذبه الشيطان بالسلسلة ، كلما رفع رأسه ونظر إلى قبح وجهه كلح في وجهه .

قال : فيقول : يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ، ويحك بما أغويتني احمل عني من عذاب الله من شيء فيقول : يا شقي كيف أحمـل عنك من عذاب الله من شيء وأنا وأنت اليوم في العذاب مشتركون ، ثم يضرب على رأسه ضربة فيهوي سبعين ألف عام حتى ينتهي إلى عين يقال لهـا آنية ، يقول عين ينتهي حرها وطبخها وأوقد عليها منذ خلق الله جهنم كل أوديـة النار تنام وتلك العين لا تنام من حرّها ، وتقول الملائكة : يا معشـر الأشقياء ادنـوا فاشربوا منها ، فإذا أعرضوا عنها ضربتهم الملائكة بالمقامع وقيل لهم : ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وإن الله ليس بظلّام للعبيد ، ثم قـال : يؤتون بكأس من حديد فيه شربه من عين آنية فـإذا أدنى منهم تقلصت شفاهم وانتشر لحوم وجوههم فإذا شربوا منها وصار في أجوافهم يصهر به ما في بطونهم والجلود .

ثم يضرب على رأسه ضربة فيهوي به سبعين ألف عام حتى يواقع السعير فإذا واقعها سعـرت في وجوههم ، فعنـد ذلك غشيت أبصـارهم من نفخها ثم يضرب على رأسه ضربة فيهوي به سبعين ألف عام حتى ينتهي إلى شجرة تخرج من أصل الجحيم ، طلعها كأنه رؤوس الشياطين عليها سبعون ألف غصن من نار في كل غصن سبعون ألف ثمرة من نار كل ثمرة كأنهـا رأس الشيطان قيحـاً ونتناً تنبت على صخرة ملسة سوداء ، كأنّها مرآة زلقة ما بين أصل الصخرة إلى الشجرة سبعون ألف عام أغصانها تشرب من نار ، ثمارها نار وفروعها نار فيقال له : يا شقي اصعد فكلما صعـد زلق ، وكلما زلق صعـد[1] فلا يـزال كذلـك

---

(١) زلقت القدم: زل ولم تثبت.

سبعين ألف عام في العذاب ، وإذا أكل منها ثمرة يجدها أمرّ من الصبر وأنتن من الجيف ، وأشـدّ من الحـديـد ، فـإذا وقعت في بـطنه غلت في بـطنـه كغلي الحميم ، فيذكرون ما كانوا يأكلون في دار الدنيا من طيب الطعام ، فبينما هم كذلك إذ تجذبهم الملائكة فيهوون دهراً في ظلم متراكمـة ، فإذا استقـرّوا في النـار سمع لهم صـوت كصيح السمـك على المقلاة ، أو كقضيت القصب ثمّ يرمي بنفسه من الشجر في أودية مذابة من صفر من نار ، وأشـدّ حراً من النـار تغلي بهم الأودية ترمي بهم في سواحلها ولها سواحل كسواحل بحركم هـذا ، فأبعدهم منها باع ، والثاني ذراع ، والثالث فتر فتحمل عليهم هوام النار الحيات والعقارب كأمثال البغال الدلم[1] لكل عقرب ستون فقار في كل فقار قلة من سم وحيات سود زرق أمثال البخاتي ، فيتعلق بالرجل سبعون ألف حية وسبعون ألف عقرب ، ثم يكب في النار سبعين ألف لا تحـرقه قـد اكتفى بسمها ، ثم يعلق على كل غصن من الزقوم سبعون ألف رجل ما ينحني ولا ينكسر فيدخل النار من أدبارهم فتطلع على الأفئدة ، تقلص الشفاه وتطير الجنان وتنضج الجلود وتذوب الشحوم ويغضب الحي القيوم .

فيقول : يا مالك قل لهم ذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً ، يا مالك سعّر سعّر ند اشتد غضبي على من شتمني على عرشي واستخف بحقي وأنا الملك الجبار نينادي مالك : يا أهل الضلال والاستكبار والنعمة في دار الدنيا كيف تجـدون سّ سقر ؟ قال : فيقولون : قد أنضجت قلوبنا وأكلت لحومنا وحطمت عظامنا نليس لنا مستغيث ولا لنا معين ، قال : فيقول مالك : وعزة ربي لا أزيدكم إلا عذاباً ، فيقولون : إن عذبنا ربنا لم يظلم شيئاً . قال : فيقول مالك : فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحـاب السعير ، يعني بعـداً لأصحاب السّعيـر ، ثم يغضب الجبّار فيقول : يـا مالـك سعّر سعّـر ، فيغضب مالـك فيبعث عليهم سحـابـة سوداء ، وتظل أهـل النار كلهم ثم ينـاديهم فيسمعها أولهم وآخـرهم وأفضلهم وأدناهم فيقول : ماذا تريـدون أن أمطركم ؟ فيقـولون : المـاء البارد واعـطشاه

---

(١) دلم دلماً: اشتد سواده في ملوسة.

واطول هواناه ، فيمطرهم حجارة وكلاليب وخطاطيف[1] وغسليناً وديداناً من نار ، فينضج وجوههم وجباهم ويعمي أبصارهم ويحطم عظامهم ، وعند ذلك ينادون واثبوراه فإذا لقيت العظام عوارى من اللحوم اشتد غضب الله فيقول : يا مالك اسجرها عليهم كالحطب في النار ، ثم يضرب أمواجها سبعين خريفاً في النار ، ثم يطبق عليهم أبوابها من الباب إلى الباب مسيرة خمسمائة عام ثم يجعل كل رجل في ثلاث توابيت من حديد من نار بعضها في بعض ، فلا يسمع لهم كلام أبداً إلا أن لهم فيها شهيقاً كشهيق البغال ونهيقاً مثل نهيق الحمار ، وعواء كعواء الكلب ، صمّ بكم عمي فليس لهم فيها كلام ، يطبق عليهم أبوابها ، ويشتدّ عليهم عمدها ، فلا يدخل عليهم روح أبداً ولا يخرج منهم الغم أبداً ، فهي عليهم موصدة أي مطبقة ليس لهم من الملائكة شافعون ولا من أهل الجنة صديق حميم وينساهم الرب ويمحو ذكرهم من قلوب العباد فلا يذكرون أبداً فنعوذ بالله العظيم الغفور الرحيم .

شعر

يا طويل الرقاد والغفلات	كثرة النوم تورث الحسرات
إن في القبر إن نزلت إليه	لرقاداً يطول بعد الممات
ومهاداً ممهّداً لك فيه	بذنوب عملت أو حسنات

وقيل

منع القرآن بوعده ووعيده	مقل العيون بليلها أن تهجعا[2]
فهموا عن الملك الجليل كلامه	فرقابهم ذلت إليه تخضعا

---

(١) كلاليب جمع الكلاب: حديدة معطوفة يعلق بها اللحم وغيره. خطاطيف جمع الخطاف: حديدة يجتذب وينتزع بها.

(٢) مقله مقلاً: نظر إليه. وهجع: نام.

وقيل

إذا ما الليل أظلم كابدوه[1] فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع

وقيل

غيرت موضع مرقدي ليلاً ففارقني السكون
قل لي فأول ليلتي في حفرتي أنى يكون

ومنها : همّ من أراد لإصلاح أمور دنياه وتخليص ما عكف عليه من الشهوات عما نغّصه أو أفتاه قتل آخر يضاده ويعاديه ، ويلهيه عن الأمتاع بما هو فيه كما مر ذكره في الخبر فإنه دائماً متفكر في طريق الغلبة عليه وتحصيل الآلات التي يتمكن بها من قتله ، والأعوان التي تعينه عليه وكيفية قتله وزمانه وتترسه عن صوله وبطشه ، وتعوذه عن كيده ومكره ، وكلما قوي العدو وكثر أعوانه وعظم ضرره والإحتياج إلى قتله تشتد الفكرة وتدوم الحيرة ، وينفي الرقاد ويطول السهار ، وكذلك المؤمن الذي لا يصلح أمر آخرته إلا بقتل نفسه التي بين جنبيه التي هي من أعدى عدوه ، ولها مكائد وشقائق وأعوان كالهواء والدنيا والشيطان .

وفي الغرر قال أمير المؤمنين (ع) : جهاد النفس مهر الجنة ، جهاد النفس ثمن الجنة ، فمن جاهدها ملكها ، وهي أكرم ثواب الله لمن عرفها وقال (ع) لا عدو أعدى على المرء من نفسه وقال (ع) لا عاجز أعجز ممن أهمل نفسه فأهلكها وفي مشكوة الطبرسي عن كتاب ناصح الدين عنه (ع) قال (ع) : النفس مجبوبة[2] عن سوء الأدب ، والعبد مأمور بملازمة حسن الأدب ، والنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة ، والعبد يجهد بردها عن سوء المطالبة ،

---

(١) كابد المسافر الليل: ركب هوله وصعوبته.
(٢) كذا في الأصل ولعل الصحيح (مجبولة).

فمتى أطلق عنانها فهو شريك في فسادها ، ومن أعان نفسه في هوى نفسه فقد أشرك نفسه في قتل نفسه . وفي كتاب الغايات وغيره عن النبي (ص) أشجع الناس من غلب هواه ، وقال الصادق (ع) : طوبى لمن جاهد في الله نفسه وهواه ، ومن هزم جند هواه ظفر برضى الله تعالى ، ومن جاوز عقله نفسه الأمارة بالسوء بالجهد والاستكانة والخشوع على بساط خدمة الله فقد فاز فوزاً عظيماً ، ولا حجاب أظلم وأوحش بين العبد وبين الله تعالى من النفس والهوى ، وليس لقطعهما وقتلهما سلاح وآله مثل الافتقار إلى الله تعالى ، والخشوع والجوع والظمأ بالنهار ، والسير بالليل فإن مات صاحبه مات شهيداً وإن عاش واستقام أدّاه عاقبته إلى رضوان الله الأكبر .

وفي الغرر عن علي (ع) : أن نفسك لخدوع أن تثق بها يقتدك الشيطان إلى ارتكاب المحارم ، إن النفس لأمّارة بالسوء والفحشاء ، فمن ائتمنها خانته ومن استنام إليها أهلكته ، ومن رضي عنها أوردته شرّ الموارد ، إنّ المؤمن لا يمسي ولا يصبح إلا ونفسه ظنون عنده ، فلا يزال زارياً عليها ومستزيداً لها ، وإذ قد عرفت أن همّ قتل عدو واحد ينفي النوم فإذا تعدد وكثر فأولى للعين أن تسهر لكثرة الهموم وأنت تعلم ، إنّ غير الله سبحانه وقليلاً ممن يدعو إليه ويقرب إليه أعداء للمؤمن كما أشار إليه الخليل (ع) بقوله : « أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدوّ لي إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين » ويدخل فيهم الأهل والأولاد وأبالسة الجن وشياطين الانس وملاهي الدنيا والهوى .

وبالجملة فكل ما يصده عن طريق مولاه وهو أكثر من أن يعد أو يحصى وعليه أن يجاهد مع كل واحد بما يمكن دفعه به ، ويرفع عنه مضرته ، ولا يبقى له حينئذ فترة عن المجاهدة في طول حياته ومن خاف من فتك الأعداء وهجومهم بغتة لا ينام في لياليه وأيّامه ، قال الصادق (ع) : وإذا رأيت مجتهداً أبلغ منك في اجتهاده فوبّخ نفسك ولمّها وعيرها وحثّها على الإزدياد عليه ، واجعل لها زماماً من الأمر وعناناً من النهي وسقها كالرايض للفارة الذي لا يذهب

عليه خطرة[1] منها إلا وقد صحّح أولها وآخرها ، وكان رسول الله (ص) يصلي حتى يتورم قدماه ، ويقول : أفلا أكون عبداً شكوراً أراد أن يعتبر أمته فلا يغفلون عن الإجتهاد والتعبّد والرياضة بحال ، ألا وإنك لو وجدت حلاوة عبادة الله ورأيت بركاتها واستضاءت بنورها لم تصبر عنها ساعة واحدة ولو قطعت إرباً إرباً .

وفي غوالي اللئالي روي في بعض الأخبار أنه دخل على رسول الله (ص) رجل اسمه مجاشع فقال : يا رسول الله كيف الطريق إلى معرفة الحق ؟ فقال (ص) : رجل معرفة النفس ، فقال : يا رسول الله فكيف الطريق إلى موافقة الحق ؟ قال : مخالفة النفس ، فقال : يا رسول الله فكيف الطريق إلى رضا الحق ؟ قال (ص) : سخط النفس ، فقال : يا رسول الله فكيف الطريق إلى وصل الحق ؟ قال : هجرة النفس ، فقال : يا رسول الله فكيف الطريق إلى طاعة الحق ؟ قال : عصيان النفس ، فقال : يا رسول الله فكيف الطريق إلى ذكر الحق ؟ قال (ص) : نسيان النفس ، فقال : يا رسول الله فكيف الطريق إلى قرب الحق ؟ قال (ص) : التباعد من النفس ، فقال : يا رسول الله فكيف الطريق إلى أنس الحق ؟ قال (ص) : الوحشة من النفس ، فقال : يا رسول الله فكيف الطريق إلى ذلك ؟ قال : الاستعانة بالحق على النفس .

وفي تفسير علي بن إبراهيم : « ومن جاهد » قال (ع) : يعني نفسه عن الشهوات واللذات والمعاصي ﴿ **فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين** ﴾ وبالجملة فإذا اشتغل المؤمن بمجاهدة تلك الأعداء بما معه من العدة والسلاح يرجى له الفوز والفلاح بوعد الله تعالى له ذلك بقوله : ﴿ **لنهدينهم سبلنا وإنّ الله لمع المحسنين** ﴾ والدخول في زمرة أخبر عنهم بقوله : ﴿ **لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار إلا كتب لهم به عمل صالح إنّ الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا**

---

(١) راض الدابة: وطأها وذللها. ودابة فارهة: أي نشيطة حادة قوية يقال جمل فاره وحمار فاره، ولا يقال للفرس فاره، بل يقال فيه الجواد. والخطرة: الحين.

يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون ﴾ .

ومنها : همّ مسكين عاجز له عدو قاهر أراد قتله خصوصاً إذا كان العدو ممن لا يغلب بالعدّة والعدد ، ولا يقبل الشفاعة عن أحد ولا يمكن التستر عنه بظلمة ليل داج ، وقصور مشيدة الأبراج ، ولا يقبل الرشوة والمال ، ولا تشغله عن قتله المشاغل ، وفتور الحال ، ولم يكن له هم إلا اختطاف نفسه واقتطاف رأسه ، فلا ينام من خوف وثوبه عليه وشدة الهم الذي سكن في خوافيه .

وكذلك المؤمن الذي وكل الله تعالى عليه ملك الموت الذي يتوفى نفسه وهو حاضر عنده في كلّ حالاته ، ولا يدفعه شيء من عدته وآلاته ، ولا يمنعه عنه ظلمة الديجور والبيت المستور ، ولا يرقّق قلبه عليه عويل الأهل والبنين ، ولا ينظر إلى قلة ما مضى عليه من السنين ، ولا يرحم من استعطفه وطلب منه الإمهال ، ولا يعصي الله تعالى طرفة عين بتأخير الآجال ، يتصفح الناس في كل يوم خمس مرات ، ويتعاهدهم في أوقات الصلوات ، يعدّ أنفاس الرجال والنساء ، حتى تتنزل عليه لقبضهم الصكاك من السماء فكم له في كل آن من آنات عمره من حين ولادته إلى زمان فكره نفوس مختطفة وأرواح مختلسة ، وصغار صرعى وشباب هلكى ، لا تمضي عليه ساعة إلا ويصادفه هلاك جماعة ممن شاركه في الرضاعة ، فكيف يطمئن القلب وترقد العيون ، وهو يرى أقرانه بأيدي المنون ، وكيف يستلذ طيب المنام فلعل ملك الموت تجلى لقبض روحه من حجب الغيوب ، ورماه عن قوس المنايا بأسهم وحشة الفراق ، وداف له من ذعاف الموت[1] كأساً مذمومة المذاق . ودنا منه إلى الآخرة رحيل وانطلاق ، وصارت الأعمال قلائد في الأعناق ، وكانت القبور هي المأوى إلى ميقات يوم التلاق .

وفي دعاء سيد العابدين (ع) في جوف الليل : اللهم إن ذكر الموت وأهوال المطلع والوقوف بين يديك نغّصني مطعمي ومشربي ، وأغصّني

---

(١) داف الدواء: خلطه، والذعاف: السم الذي يقتل من ساعته.

بريقي[1] وأقلقني عن وسادي ، ومنعني رقادي كيف ينام من يخاف ملك الموت في طوارق الليل وطوارق النهار ؟ بل كيف ينام العاقل وملك المـوت لا ينام لا بالليل ولا بالنهار ويطلب روحه بالبيات وفي آنـاء الساعـات . ومما ينسب إلى أمير المؤمنين (ع) :

تنـام ولم تنم عنـك المنـايـا ... تـنبّـه لـلمـنيـة يـا نـووم[2]
تـروم الخلد في دار المنـايـا ... فكم قـد رام قبلك مـا تـروم
إلى الديان يوم الديـن يقضـي ... وعنـد الله تجتمـع الخصـوم
ستعلم في المعـاد إذا التقـينـا ... غداً عند المليـك من الظلـوم

ولبعضهم

نـام الخلي ولا أحـسّ رقادي ... والنـوم محتضـر لديّ وسـادي
من غيـر ما سقم ولكن شفني ... هـمّ أراه قـد أصـاب فـؤادي
أين الملوك الأقربـون وعهدهـم ... بين القريب وبيـن أرض مـرادي
أرض تخيرها لـطيـب مقيلهـا ... كعب بن مـامـة وابن أم داود
أرض الخورنـق والسدير فباقر ... والقصـر ذي الشرفـات من شداد
عاشوا بها زمناً بـأطيب عيشـه ... في ظـل ملك ثـابـت الأوتـاد
بـاد النعيم وكـلمـا يلهـى بـه ... يـومـاً يصيـر إلى بلـي ونفـاد
جرت الريـاح على محل ديارهـم ... فكـأنمـا كـانـوا على ميعـاد

وللمحقق صاحب الشرائع

يـا راقداً والمنـايا غيـر راقـدة ... وغافلاً وسهـام الموت تـرميـه
فيم اغتـرارك والأيـام مرصـدة ... والدهـر قد ملأ الأسمـاع داعيه
أما أرتك الليالي قبـح دخلتها ... وغدرها بالذي كانـت تضافيـه

---

(١) غص بالطعام والماء: اعترض في حلقه شيء منه فمنعه التنفس.
(٢) النووم: الكثير النوم.

وفي كتـاب لبّ اللبـاب للقـطب الـراونـدي وممـا ينسب إلى زين العابدين (ع) :

بلغت الأربعين فصرت كهلاً وشارفت المقابر والوفاتا

وعلّمت العلوم فصرت حبراً فهيّ الآن للموت البياتا[1]

أقل النوم يا بن أبي تراب أما تخشى من الموت البياتا

ألم تذكر أباك وكان حيّاً وأمك حية دهراً فماتا

ولبعضهم

آمنت البيات من ملك الموت وكم نال آمناً ببيات

ومنها : همّ ذي المال الكثير المشار إليه في الخبر السابق خصوصاً إذا أتعب نفسه في جمعه ، وأفنى عمره في طلبه وحزنه ليوم فاقته وفقره ، ولا يجد نصيراً لحفظه وحراسته وقد تعاهد لصوص مكره لسرقته ، ولهم علم بمحلّه وموضعه وقدرة على فتح مغالق خزينته ، ولا يزال يتردد في سد طرق آفته ، وكذلك المؤمن الذي حزن في كندوج قلبه جوهرة الإيمان ، وجمع في آناء ليله ونهاره متاعاً من صالح الأعمال وخالص الأركان ، وتجهز ليوم فقره في القيامة شطراً من الآداب والفقه والسداد وتزود لطول فاقته عند وقوفه بين يدي الجبار وطولاً في الإجتهاد وقصراً في الأكل والرقاد وقد أحلف عدوه إبليس اللعين أن يسلب عنه ذاك الجوهر الثمين ، ويسلّط هو وجنوده على أعماله وأفعاله التي يرجى بها الخلاص عن شدائده وأهواله ، فيضرمون عليها ناراً تجعلها هباءاً منثوراً ويفتحون عليها أبواب الآفات فيصبح المسكين وقد صارت حسناته سيّئات .

وفي الصحيفة الشريفة السجادية : وجعلت لنا عدواً يكيدنا سلّطته منا على ما لم تسلطنا عليه منه ، وأسكنته صدورنا وأجريته مجاري دماءنا ، لا يغفل

---

(١) هي ـ بتشديد الياء ـ: اسم فعل للأمر بمعنى أسرع.

إن غفلنا ولا ينسى إن نسينا يؤمننا عقابك ويخوفنا بغيرك . وقد تقدم في الباب الأول في وصية أمير المؤمنين (ع) إلى كميل ما ينبغي أن يلاحظ .

وفي بعض مناجاته (ع) إلهي جعلت لي عدواً يدخل قلبي ويحل محل الرأي والفكرة مني وأين الفرار إذا لم يكن منك عون عليه ؟ إلهي إن الشيطان فاجر خبيث كثير المكر شديد الخصومة قديم العداوة كيف ينجو من يكون معه في دار وهو المحتال ؟ وتأتي إنشاء الله تعالى كيفيّة الاستعاذة منه والخلاص من شرّه .

ومنها : همّ صاحب الدين الكثير الذي لا مال له يوفيه ، ولا عشيرة له تواسيه ، ولا رأفة لغريمه فيبرأ ذمته أو يرجيه قد أثقل الدين ظهره وشتّت عليه أمره واختلّ فكره ، وفي الفقيه عن علي (ع) : إياكم والدين فإنه همّ بالليل وذلّ بالنهار ، وعنه (ع) : إياكم والدين فإنه مذلة بالنهار ومهمة بالليل ، وعن مناقب ابن شهرآشوب أنه أصيب الحسين (ع) وعليه دين بضع وسبعون ألف دينار فأهمّ علي بن الحسين (ع) بدين أبيه حتى امتنع من الطعام والشراب والنوم في أكثر أيامه ولياليه . وفي الصحيفة المباركة وأعوذ يا رب من همّ الدين وفكره ، وشغل الدين وسهره . وفي الكافي عن رسول الله (ص) : لا وجع إلا وجع العين ولا همّ إلا همّ الدين ، وكذلك الإنسان إذا بلغ الحلم ودخل في دائرة التكليف وتشرف بخلعة العقل المنيف تتعلق برقبته حقوق كثيرة من الله تعالى ومن أنبياءه وخلفاءه ومن عباده المؤمنين الذين جعلهم أخوة له في الدين ، ومن ملائكته وسمواته وكواكبه وسحابه وأمطاره وبقاع أرضه وراسيات جباله وأشجاره وأنهاره ونباته وبهائمه وأنعامه وجوارحه وقواه ، وسائر ما يرى وما لا يرى مما هو من جنود ربه ، ونعمه السابغة عليه بلا واسطة أو بواسطة أو وسائط ، ويجب عليه معرفتها وصرفها في مواضع عيّنها الله تعالى ، فإذا تأمل في تلك الحقوق الكثيرة اللازمة عليه وأربابها الذين يطلبونها عنه في كل آن بلسان الحال والمقال ، ولا يرى نفسه تقوم بأداء حق كل ذي حق إليه ، ويخاف أن يصير كل ما هو نعمة له للتقصير في حقه خصماً عليه ، فيصبح ويشكوه إلى الله السموات وسكانها والأرض وعمارها والبحار والمسبح في غمراتها ، والجوارح والأعضاء وسائر ما

يعينه على أداء الحقوق وشكر الآلاء ، يحار ذهنه ويضطرب قلبه وتطول فكرته ، وتسكب عبرته وتشتد حسرته وتطير عن عينه رقدته .

وفي الفقيه والخصال في رسالة السجاد (ع) إلى بعض أصحابه : اعلم أن لله (عزّ وجلّ) عليك حقوقاً محيطة بك في كل حركة تحركها أو سكنة سكنتها ، أو حال حاولتها أو منزلة نزلتها ، أو جارحة قلبتها أو آلة تصرفت فيها ، وأكبر حقوق الله تبارك وتعالى ما أوجب الله عليك لنفسه من حقه الذي هو أصل الحقوق ، ثم ما أوجب الله عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك فجعل (عزّ وجلّ) للسانك عليك حقاً ، ولسمعك عليك حقاً ، ولبصرك عليك حقاً ، وليدك عليك حقاً ولرجلك عليك حقاً ، ولبطنك عليك حقاً ، ولفرجك عليك حقاً ، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال ثم جعل (عزّ وجلّ) فجعل لصلوتك عليك حقاً ، ولصومك عليك حقاً ، ولصدقتك عليك حقاً ، ولهديك عليك حقاً ، ولأفعالك عليك حقاً ، ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك فأوجبها عليك حقوق أئمتك ثم حقوق رعيتك ثم حقوق رحمك ، فهذه حقوق تتشعب منها حقوق فحقوق أئمتك ثلاثة ثم أوجبها عليك حق سايسك بالسلطان ، ثم حق سايسك بالعلم ، ثم حق سايسك بالملك ، وكل سايسك أمام وحقوق رعيتك ثلاثة أوجبها عليك حق رعيتك بالسلطان ثم حق رعيتك بالعلم فإن الجاهل رعية العالم ، ثم حق رعيتك بالملك من الأزواج وما ملكت الإيمان وحقوق رعيتك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة فأوجبها عليك حق أمك ثم حق أبيك ثم حق ولدك ثم حق أخيك ثم الأقرب فالأقرب والأولى فالأولى ، ثم حق مولاك المنعم عليك ، ثم حق مولاك الجارية نعمته عليك ثم حق ذوي المعروف لديك ثم حق مؤذنك لصلوتك ثم حق إمامك في صلوتك ، ثم حق جليسك ، ثم حق جارك ، ثم حق صاحبك ثم حق شريكك ثم حق مالكك ثم حق غريمك الذي تطالبه ، ثم حق غريمك الذي يطالبك ثم حق خليطك ثم حق خصمك المدعي عليك ، ثم حق خصمك الذي تدعي عليه ، ثم حق مستشيرك ثم حق مشيرك عليك ثم حق مستنصحك ثم حق الناصح لك ، ثم حق من هو أكبر منك ثم حق

من هو أصغر منك ، ثم حق سائلك ، ثم حق من سألته ، ثم حق من جرى لك على يديه مساءة من قول أو فعل عن تعمد منه أو غير تعمد ، ثم حق أهل ملتك عليك ، ثم حق أهل ذمتك ، ثم الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصرف الأسباب ، فطوبى لمن أعانه الله تعالى على قضاء ما أوجب الله عليه من حقوقه ووفقه الله لذلك وسدده ، ثم شرع (ع) في تفصيل الحقوق بما يطول ذكره .

وفي الخصال عن النبي (ص) : الناس اثنان واحد أراح وآخر استراح وأما الذي استراح فالمؤمن إذا مات استراح من الدنيا وبلائها ، وأما الذي أراح فالكافر إذا مات أراح الشجر والدواب وكثير من الناس وفيه إشارة إلى ما ذكرنا .

ومنها : همّ بعض البطالين الذين خلت قلوبهم عن حلاوة محبة رب العالمين فأذاقها الله تعالى محبة بعض الصور الجميلة والأشكال المتناسبة عقوبة له في عاجل الدنيا لا للوصول إلى محبته كما زعمه بعض السفهاء فأصبح شاغلاً قلبه عن كل ما سواه وراغباً عن كل شيء إلا ما يقربه إلى لقاه ، باغضاً كلما يصده عن مناه ، ينكر كل نظرة إلا ما كانت إليه ، ويستوحش عن كل كلام إلا ما كان فيه أو صدر عن فيه ، ويتنفر عن كل حسن إلا ما ينتسب إليه ، لا يجد في قلبه همّاً إلا الخلوة معه والالتذاذ بإدراك ما استحسنه ، وهو تمام مهمه ومقصده وغاية مرامه ومطلبه ، فإن وجد فرصة للوصال ، وأمن من بوائق العزال وعوائق الآمال ينتهز إليها وإن كان فيه هلاك نفسه ، خائفاً من أن يصير يومه كأمسه ولا يتمكن من تطبيق الجفون وهجع العيون ولما بلغ إلى مراده وهجم على ما سكن في فوائده .

قال الشاعر

نعم سرى طيف من أهوى فأرقني والحب يعترض اللذات بالألم

وقال آخر

سلوا غير طرفي إن سألتم عن الكرى فما لجفون العاشقين منام

وقام آخر

فخذوا النوم من عيوني فإني   قد خلعت الكرى عن العشاق

وقال آخر

تهوى ليلى وتنام الليل   وحقك ذا طلب سمج

وكذلك : المؤمن الكامل الذي استضاء قلبه بنور محبة الله ، وأشرق فيه شعاع من ضياء نار الله التي لا تمر على شيء إلا أحرقه وأفناه ، كشفت عن أبصار قلبه حجب العمية فرقت روحه على أجنحة الملائكة وأرسلت عليه ستور عصمة الأولياء وخصت نفسه بطهارة الصفا لا يرى كمالاً إلا كماله الذي لا يتصور فوقه الكمال ولا نعمة ونوالاً إلا ومنه بدؤها وإليه المآل ، أخلى حبه قلبه عن كل شاغل ، وعلم أن ما سواه مضمحلّ باطل وأن المحبة لا تليق إلا للدائم الكامل ، لا الفاني الزائل ، وإذا ذاق من حلاوة المحبة شيئاً يصير مشتاقاً لا يشتهي ـ كما قال الصادق (ع) ـ طعاماً ولا يلتذ شراباً ولا يستطيب رقاداً ، ولا يأنس حميماً ولا يأوى داراً ، ولا يسكن عمراناً ، ولا يلبس ثياباً ليناً ، ولا يفر فراراً ، ويعبد الله ليلاً ونهاراً ، راجياً بأن يصل إلى ما يشتاق إليه ويناجيه بلسان الشوق ، معبراً عما في سريرته كما أخبر الله تعالى عن موسى (ع) في ميعاد ربّه ﴿ **وعجلت إليك ربّ لترضى** ﴾ وفسّر النبي (ص) عن حاله : أنه ما أكل ولا شرب ولا نام ولا اشتهى شيئاً من ذلك في ذهابه ومجيئه أربعين يوماً شوقاً إلى ربه .

وفي إرشاد القلوب في خبر المعراج أنّه تعالى قال : يا أحمد ليس من قال إني أحب الله تعالى أحبني حتى يأخذ قوتاً ويلبس دوناً وينام سجوداً ويطيل قعوداً ويلزم صمتاً ، ويتوكل عليّ ويبكي كثيراً ، ويقلّ ضحكاً ويخالف هواه ، ويتخذ المسجد بيتاً والعلم صاحباً والزهد جليساً ، والعلماء أحباء ، والفقراء رفقاء ، ويطلب رضاي ويفرّ من سخطي ويهرب من المخلوقين هرباً ، ويفرّ من المعاصي فراراً ، ويشتغل بذكري اشتغالاً ، فيكثر التسبيح دائماً ويكون بالوعد

صادقاً والعهد وافياً ، ويكون طاهراً وفي الصلوة زاكياً وفي الفرائض مجتهداً ، وفيما عندي من الثواب راغباً ومن عذابي راهباً مشفقاً ولأحبائي قريناً وجليساً .

وفي الأمالي وغيره عن الصادق (ع) قال : كان فيما ناجى الله به موسى بن عمران أنه قال : يا ابن عمران كذب من زعم أنه يحبني فإذا جنّه الليل نام عني ، أليس كل محبّ يحبّ خلوة حبيبه ؟ ها أنا يا ابن عمران مطلع على أحبائي إذا جنهم الليل حولت أبصارهم في قلوبهم ، ومثلت عقوبتي بين أعينهم ، يخاطبوني عن المشاهدة ، ويكلموني عن الحضور ، يا ابن عمران هب لي من قلبك الخشوع ، ومن بدنك الخضوع ، ومن عينيك الدموع ، وادعني في ظلم الليل تجدني قريباً مجيباً . وفي أنوار الجزائري في الحديث القدسي : يا موسى كذب من زعم أنّه يحبني وهو ينام طول ليله ، أليس كلّ حبيب يحب الخلوة مع حبيبه ، يا ابن عمران لو رأيت الذين يصلون في الدجى وقد مثلت نفسي بين أعينهم ، يخاطبوني وقد جللت عن المشاهدة ، ويكلموني وقد عززت عن الحضور (الخ) .

وفي مسكن الفؤاد للشهيد (ره) أوحى الله تعالى إلى بعض الصديقين : أنّ لي عباداً من عبيدي يحبوني وأحبهم ، ويشتاقوا إليّ وأشتاق إليهم ، ويذكروني وأذكرهم ، فإن أخذت طريقهم أحبك ، وإن عدلت عنهم مقتك ، قال : يا ربّ ، وما علامتهم ؟ قال : يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الشفيق غنمه ، ويحنون إلى غروب الشمس كما تحنّ الطير إلى أوكارها عند الغروب ، فإذا جنّهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الأسترة وخلى كل حبيب بحبيبه ، نصبوا إلى أقدامهم وافترشوا إلى وجوههم ، وناجوني بكلامي وتملقوني بأنعامي ، ما بين صارخ وباك وبين متأوه وشاك ، وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد ، بعيني ما يتحملون من أجلي ، وبسمعي ما يسألون من حبي ، أول ما أعطيهم ثلاثاً : الأول : أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم ، والثاني : لو كانت السموات والأرضون وما فيهما من مواريثهم لاستقللتها لهم ، والثالث : أقبل بوجهي عليهم أفتري من أقبلت عليه بوجهي يعلم أحد ما أريد أن أعطيه إليه .

وفي المناجات المنسوبة إلى السجاد (ع) : فأنت لا غيرك مرادي ، ولك لا لسواك سهري وسهاري ، ولقائك قرة عيني وفي مناجات أمير المؤمنين :

إلهي حليف الحب بالليل ساهر ... يناجي ويدعو والمغفل يهجع
إلهي وهذا الخلق ما بين نائم ... ومنتبه في ليله يتضرع

وفي مناجات أخرى

يا ذا المعالي عليك معتمدي ... طوبى لعبد تكون مولاه
طوبى لمن كان نادماً أرقاً ... يشكو إلى ذي الجلال بلواه
وما به علّة ولا سقم ... أكثر من حبّه لمولاه

ولبعضهم

يا مدعي الحب قم إن كنت تهوانا ... وانهض إلينا وهذا الوقت قد آنا
كم ذي الرقاد ألم تعلم بأنّ لنا ... في آخر الليل قبل الفجر إحسانا
واهجر كراك وخلّ الفرش عاطلة ... وانهض إلينا ولا تنسى فتنسانا
نحن الذي نتجلى في الظلام كما ... نشاء فاسمع وكن للذكر يقظانا
لا يشغلنك عنّا غيرنا فلنا ... حسن الوفاء لمن وافى ووافانا
طوبى لمن قام قبل الفجر مجتهداً ... ويقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

وفي مصباح الشيخ في أدعية الوتر : إلهي هجت العيون وأغمضت الجفون وغربت الكواكب ودجت الغياهب وغلقت دون الملوك الأبواب وحال بينها وبين الطراق الحراس والحجاب وعمر المحاريب المهتجدون وقام لك المخبتون وامتنع من التهجاع الخائفون ودعاك المضطرون ونام الغافلون ، إلى أن قال (ع) : وفازوا لله عبد هداه الاستبصار وصحت له الأفكار وأرشده الإعتبار ، وأحسن لنفسه الإختيار ، فقام إليك بنية منه صادقة ، ونفس مطمئنة بك واثقة ، فناجاك بحاجته متذللاً ، وناداك متضرعاً ، واعتمد عليك في إجابته متوكلاً وابتهل يدعوك وقد رقد السائل والمسؤول ، وأرخيت لليل سدول ،

وهدأت الأصوات ، وطرق عيون عبادك السبات[1] فلا يراه غيرك ولا يرجو إلا لك ، ولا يسمع نجوه إلاّ أنت ، ولا يلتمس طلبه إلا من عندك ، ولا يطلب إلاّ ما عودته من رفدك ، بات بين يديك لمضجعه هاجراً ، وعن الغموض نافراً ، ومن الفراش بعيداً ، وعن الكرى يصدّ صدوداً (الدعاء) .

واعلم : أنّه قد صرح في الخبر السابق أنّ من الخمسة الذين لا ينامون المحب حبيباً يتوقع فراقه ، وهو كذلك بالوجدان فإن ابتلي بالفراق والهجران فأولى أن لا تغمض له العينان .

ومثاله في المؤمن أنّه إذا تأمل فيما أشرنا إليه في الموضع الثالث من المقام الخامس من الفصل الثاني واستجلب من طريق العلم والعمل انموذجاً من محبة سادات الزمان ومعادن الحكمة والبيان ، ووسائذ نعم الرحمن وشرب من هذا البحر غرفة ، اهتزّت بها الجوارح ، ونشرت به ميت الجنان ، ثم يرى أن لا طريق له إلى مولاه الذي إليه ينتهي المكارم ، ومنه يبتدي الفوائد والغنائم ، ولا سبيل له إلى مقدس حضرته ، ولا علم له بموضع طعنه وإقامته ، قد ضربت بينه وبين مستقره المطهر أستار لا تهتك ، وحيل بينهما بحار وقفار لا تسلك ، أسدلت دون حمى حرمه الشريف حجب إلهية لا ترتفع بالأماني والآمال ، وأرخيت دون ظلال قصره المنيع كلل تقصر عن الوصول إليها الأيدي ويكل الخيال ، فهيهات من لقيا حبيب تعرضت لنا دون لقياه مهامة بيد هذا ، والجور قد مدّ باعه ، وأسفر الظلم ذراعه ، وعطلت الحدود والأحكام ، وخفيت معالم الدين ، وشرائع الإسلام ، هجمت جنود الأبالسة على ثغور الشريعة ، وصارت أذل الطوائف عصابة الشيعة ، تعضهم من كلّ ناحية كلاب عاويات ، وترضهم عساكر الكفر والنفاق بخيول عاديات ، صار المعروف أشدّ المنكرات ، والمنكر معروفاً لا قبح فيه عند البريات ، أقبلت الفتن من كل جانب ، وأظلمت نور الحق شبهات الأجانب ، لا يمكن تحصيل ما بقي من الين إلا بجهد كثير وعناء ، وصار حفظ ما وجد منه أصعب من استمساك جمر

---

(١) السبات ـ كغراب : النوم .

الغضا ، تكشف تلك الكروب لو بدي نور وجهه من حجب الغيوب ، وتحترق جموع الشياطين وشبهات المعاندين ، لو أشرقت بضياء طلعته المباركة ظلمات الأرضين ، لكاد يتفتت قلبه ويطير لبّه ، ويتشعب فكره ، فكيف بأن يستلذ طيب المنام ، وتهجع عينه ونار الفراق كلّ يوم في اضطرام .

وفي الإكمال عن سدير الصيرفي قال : دخلت أنا والمفضل بن عمر وداود بن كثير الرقي وأبو بصير وأبان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) فرأيناه جالساً على التراب وعليه مسح[١] خيبري مطوق بلا جيب مقصر الكمين وهو يبكي بكاء الوالهة[٢] الثكلى ذات الكبد الحرى ، قد بان الحزن [من] وجنتيه[٣] وشاع التغيير في عارضيه وأملت الدموع محجريه[٤] وهو يقول : سيدي غيبتك نفت رقادي ، وضيقت علي مهادي ، وابتزّت مني راحة فؤادي[٥] ، سيدي غيبتك وصلت مصابي بفجائع الأبد ، وفقد الواحد بعد الواحد بفناء الجمع والعدد ، فما أحس بدمعة ترقى من عني ، وأنين من صدري عن دوارج الرزايا وسوالف البلايا إلا ما مثل لعيني من غوائل أعظمها وأقطعها وبواقي أشدها وأنكرها ، ونوائب مخلوطة بقضاءك ونوازل معجونة بسخطك قال سدير : فاستطارت عقولنا ولهاً ، وتصدعت قلوبنا جزعاً من ذلك الخطب الهائل ، والحادث الغائل ، فظننا أنه أشمت لمكروهة قارعة ، أو حلت به من الدهر بائقة ، فقلنا : لا أبكى الله يا ابن الورى عينيك من أية حادثة تستذرف دمعتك ، وتستمطر عبرتك ؟ وأية حالة حتمت عليك هذا المأتم ؟ قال : فزفر الصادق (ع) زفرة انتفخ منها جوفه واشتد عنها خوفه ، فقال : ويلكم نظرت في كتاب الجفر صبيحة هذا اليوم ، وهو الكتاب المشتمل على علم المنايا والبلايا وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، الذي خصّ الله تقدس

(١) المسح بالكسر: ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشعها وقهراً للجسد.
(٢) وفي المصدر (الوالد) بدل (الوالهة).
(٣) الوجنة: ما ارتفع من الخدين. وما بين المعقفتين إنما هو في المصدر دون الأصل.
(٤) المحجر ـ بتقديم المهملة ـ من العين: ما دار بها.
(٥) ابتزّه: استلبه.

إسمه محمداً والأئمة من بعده (ع) به ، وتأملت فيه مولد قائمنا وغيبته وإبطاءه وطول عمره ، وبلوى المؤمنين من بعده في ذلك الزمان ، وتولد الشكوك في قلوب الشيعة من طول غيبته وارتداد أكثرهم عن دينهم ، وخلعهم ربقة الإسلام عن أعناقهم التي قال الله تعالى : ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه** ﴾ يعني الولاية فأخذتني الرقة واستولت عليّ الأحزان (الخبر) .

فإذا كان هذا حال الإمام (ع) في حزنه على ما يرد على الشيعة في غيبته ، فبالحري للمؤمن المبتلي بتلك الهلكة أن يطول حزنه ، ولا ينام في ليلته ويتأسف دائماً في غيبة إمامه ، ويتحسر لفراقه في آناء ليله وأطراف أيامه ، ويناجي ربه تارة ويقول : اللهم أنت كشاف الكرب والبلوى وإليك استعدي فعندك العدوى ، وأنت رب الآخرة والأولى ، فأغث يا غيّاث المستغيثين عبيدك ، وأره سيده يا شديد القوي ، وأزل عنه به الأسى والجوى ، وبرّد غليله يا من على العرش استوى .

ويخاطب إمامه أخرى : ويقول : ليت شعري أين استقرت بك النوى ؟ بل أيّ أرض تقللك أو ثرى أبرضوي أو غيرها أم ذي طوى ، عزيز عليّ أن أرى الخلق ولا ترى ولا أسمع لك حسيساً ولا نجوى عزيز عليّ أن تحيط بك دوني البلوى ولا ينالك مني ضجيجاً ولا شكوى ، عزيز عليّ أن أجاب دونك وأناغي ، عزيز عليّ أن أبكيك ويخذلك الورى ، عزيز عليّ أن يجري عليك دونهم ما جرى ، هل من معين فأطيل معه العويل والبكاء ؟ هل من جزوع فأساعد جزعه إذا خلا ؟ هل قذيت عين فساعدتها عيني على القذاء هل إليك يا ابن أحمد سبيل فتلقى ؟ هل يتصل يومنا منك بغده فنحظى ؟ متى نرد منا هلك الروية فنروي متى ننتقع من عذب مائك فقد طال الصدى ، متى نغاديك ونراوحك فنقر منها عيناً ، متى ترانا ونراك وقد نشرت لواء النصر ؟ أترانا نحفّ بك وأنت تأمّ الملأ ، وقد ملأت الأرض عدلاً وأذقت أعدائك هواناً وعقاباً ، وأبرت العتاة وجحدت الحق ، وقطعت دابر الكافرين ، واجتثثت أصول الظالمين ونحن نقول الحمد لله رب العالمين .

نــرى يــدك ابتلت بقــائمـة العضب — فحتــام حتــام انتــظارك بــالضـرب[١]
أطلت النوى فاستأمنت مكرك العدى — وطــالت علينا فيـك ألسنة النصب[٢]
إلى م لنــا في كــل يــوم شكــايــة — تبحّ بها الأصوات بحّاً من النـدب[٣]
هلـمّ فقـد ضـاقت بنـا سبـل القضـا — من الضيم والأعـداء أمنـة الــرب[٤]
وفيت وعهــدي إن عـزمــك لأنني — ولكنمـا قــد يــربض الليث للوثـب
أحاشيك من غض الجفون على القذاء — وإن تملأ العينين نوماً على الغلب[٥]
متى ينجلي ليـل النوى عن صبيحـة — نرى الشمـس فيها طالعتنا من الغرب
وفـيلقــك الـجـرار غصّـت بخـيـله — رحاب الفيافي الملـس والأكم الهدب[٦]
عليهـا كماة عيـدها الحـرب أفزعت — ســوابــغ داود عـلى أســد غلب[٧]
فــديــنــاك أدركـنــا فــإن قـلوبــنـا — تلظى إلى سلسـال منهلك العذب[٨]
متى تشتفي منــك القلـوب بســطوة — تـديـر على أعـداك أرحيـة الحــرب
فقم وامـلاء الـدنيـا فـدائـك أهلهــا — بعدل تقيل الشـاة فيـه مع الـذئب[٩]
واعـطف علينا بـرد عـطفك سـايسـاً — أمـور جميع الخلق بـالعزل والنصب

---

(١) العضب: السيف القاطع.

(٢) النوى: البعد. الوجه الذي يذهب فيه وينوبه المسافر.

(٣) بح بحاً: أخذته بحة وخشونة وغلظ في صوته. والندب جمع الندبة: أثر الجرح الباقي على الجلد.

(٤) السرب ـ بالفتح والكسر ـ: الطريق يقال فلان مخلى السرب أي موسع عليه وفلان واسع السرب أو آمنه أي رخى البال.

(٥) حاشاه: أعطاه. والغض: الطري. والجفون جمع الفن: غطاء العين من أعلى وأسفل. والقذي: ما يقع في العين من تبنة أو غيرها.

(٦) الفيلق: الجيش العظيم. وعض المنزل بالقوم: امتلأ بهم وضاق عليهم. رحاب جمع الرحب: المكان الواسع. والفيافي كصحارى لفظاً ومعنى. والأكم جمع الأكمة التل. والهدب بمعنى الطويل من الشيء.

(٧) الكماة جمع الكمي: الشجاع. وأفرغ الذهب وغيره: صبه والسوابـغ جمع السـابغة: الدرع الواسعة. وغلب جمع أغلب: الذي غلظ عنقه.

(٨) السلسال: الماء العذب البارد. والمنهل: المشرب.

(٩) القيلولة: الشرب والنوم في القائلة أي نصف النهار.

ودم قــاضيــاً حقّ الـعلـي بـعــزائم تهبّ هبوب الريح في الشرق والغرب
ولاحت فأرضت من يواليـك وانثنت بسخط على من لا يــواليـك منصب

ويخاطب نفسه مرة ويقول : ويحك يا نفس إن كنت قد حرمت عن النظرة إلى تلك الطلعة الرشيدة والغرة الحميدة ومنعت عن الإقتباس من أنوار علومـه الإلهية وحكمته المحمدية بمرء من الناس ومسمـع منهم ، ومحضر من الخلق ومشهد لهم ، لمصالح وحكم تدور عليها نظام العالم . لكن أبواب الوصول إليه مفتوحة ، ومناهل الظمأ لديه متـرعة ، دخلهـا قوم لم يسلكـوا غير طـريقتهم ، وشرب منها زمرة لم يشربوا من غير آنيتهم ، فـارجعي البصر كـرتين تريهم بين الناس متخفين ، وقد أشـرنا إلى بعضهم في مـطاوي هذا الكتـاب ، ولعل الله يوفقنا لاستقصاء جماعة منهم في رسالة منفردة تحنّ إليها قلوب أولي الألباب ، فلو شابهتهم في الأعمال والأقوال ، وصرت كأحدهم في الأفعال والأحوال كنت معهم عند تقسيم هذا النوال ، لكنك تدثرت بجلباب أعدائه ، وأنخت راحلتك بغير فنائـه ، تصبحين وتمسين ولا يجري ذكـره على قلبك ولسـانك ، وتبتغين مرضاة رب العالمين وفضله ، ولا تقدمه في إمامك فاتخـذته ورائـك ظهريـاً ، فكـأنه (ع) صـار نسياً منسيـاً ، فصرت محـرومة من خصـائص لطفـه ونفحات رحمته ، فابك طويلاً فقد عظم المصاب وطال العذاب ، وإلى الله المشتكى من اتصال الغفلة وسوء المآب .

هذه نبذة من الأبواب التي تدخل منها الهموم على المؤمن لو تأمل فيهـا قليلاً بل هي أبواب نزول آجاله لو تدبر فيها طويلاً كما أشار إليـه أمير المؤمنين في صفات المتقين بقوله : لولا الأجل الذي كتب الله لهم لم تستقـر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب ، وفي الأمالي وغيره عن الصـادق (ع) عن آبائـه (ع) قال : قـال رسـول الله (ص) : من عـرف الله وعظمه منع فاه من الكلام ، وبطنه من الطعام ، وعنا نفسـه بالصيـام والقيام ، قالوا : بآبائنا وأمهاتنا هؤلاء أولياء الله قال إن أولياء الله سكتـوا فكان سكـوتهم فكراً ، وتكلموا فكان كلامهم ذكراً ، ونظروا فكان نظرهم عبرة ، ونطقوا فكان نطقهم حكمة ، ومشوا فكان مشيهم بين الناس عبرة لولا الآجال التي قد كتبت

عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم خوفاً من العذاب وشوقاً إلى الثواب ، وإلى ذلك أيضاً يشير قول أمير المؤمنين (ع) بعد موت همام هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها ، بناء على أن سبب موته العلم بتلك الصفات وضعف نفسه عمّا ورد عليها من خوف الله ورجاءه ، وعدم بلوغ رياضته حد السكينة لا تحسر فوتها ، ويؤيد الأول ما في ذيل خبر الكراجكي حيث قال (ع) بعد تعداد الأوصاف : أولئك عمال الله ومطايا أمره وطاعته وسرح أرضه وبريته ، أولئك شيعتنا وأحبتنا ومنا ومعنا الاهاه شوقاً إليهم ، فصاح همان بن عبادة صيحة وقع مغشياً عليه فحرّكوه فإذا هو قد فارق الدنيا رحمة الله عليه ، فاستعبر البرمع وهو ابن خيثم عمه باكياً وقال : لأسرع ما أودت موعظتك يا ابن أخي أمير المؤمنين (ع) يا ابن أخي ولوددت لو إني بمكانه ، فإن تمنيه مكانه ظاهر في علو مقامه المناسب للأول .

وفي بعض الأخبار أن لقمان وعظ ابنه « فاتان » حتى تفتر وانشقّ .

واعلم : أن الله تعالى بمنّه وجوده وانفاذ أمره وإتمام قضائه وجرى العالم على أحسن ما أودع فيه من نظامه ، يسلك بعباده الذين بهم يمطر سماؤه ، وينبت أرضه بما ينتظم به معاشهم التي هي عون لإصلاح معادهم ومعاد أتباعهم فتارة بإثارة سحائب الرحمة والرجاء إذا اشتد في قلوبهم حرارة نار الخوف والأحزان ، وأخرى بإرسال جذوة من نار الخشية والفراق إذا جاوز بهم الرجاحد الممدوح من السكينة والاطمئنان وثالثة بإلقاءه عليهم النعاس وحكمة بتعطيل الحواس وترويح الأنفاس ، ورابعة بإذهاب بعض ما استكن في الفؤاد وحرم عليه الرقاد ، ولولا ذلك لكان خلص أصفياءه وأنبياءه وخلفاءه هائمين دائماً في البراري والقفار متفتتي الأكباد والقلوب من ذكر الجنة والنار ، وفي الكافي عن الصادق (ع) : إن الميت إذا مات بعث الله ملكاً إلى أوجع أهله ، فمسح على قلبه فأنساه لوعة الحزن[1] ولولا ذلك لم تعمل للدنيا . وفي توحيد المفضل قال الصادق (ع) : وأعظم من النعمة على الإنسان في الحفظ النعمة في النسيان

---

(١) لوعة الحزن : حرقته.

فإنه لولا النسيان لما سلي أحد عن مصيبة ، ولا انقضت له حسرة ، ولا مات له حقد ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكر الآفات ولا رجا غفلة من سلطان ولا فترة من حاسد وغير ذلك من النعم الخفية التي بها يهنا العيش وتتم الألطاف الإلهية التي تجب في الحكمة أعمالها في البرية ، وهذا أحد الوجوه في قوله تعالى : ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ بناءاً على أن يكون من باب إضافة المصدر إلى الفاعل ، فإنه تعالى يذكر عباده في كل وقت بما يحتاجون إليه ، وينعمهم بما فيه صلاحهم ، فعند المصيبة بإلقاء الصبر وعند الرخاء بإرسال البلاء ، وعند الشكر بازدياد الآلاء ، وعند الخوف بتقوية الرجاء وهكذا ، وأما عمل نفس الإنسان حيثما بلغ إلى هذا المقام ومنعه بعض ما دهمه عن المنام وغيره من ضروريات الأنام ، فالتأمل أولاً في أن الواجب على العبد في حالتي سخط مولاه عليه ورضاه عند عدم التخطي عن تكليفه المعين عليه وقتئذ ، ثم الاشتغال بالعبادات التي تشبه العاديات في حفظ الجسد والتذاذ النفس ، كالأنس بأخيه المؤمن وزيارته وصلة الأرحام ، وتعليم الحلال والحرام ، وزيارة أئمة الأنام وغير ذلك ممّا فيه رضى الرب وحفظ النظام .

تنبيه

وللأرق سببان آخران يجب الإشارة إليهما :

الأول : يسهر المؤمن لكون أحد من إخوانه في الأظلة شاكياً ساهراً لبعض الأوجاع الذي ابتلى به ، وذلك لاتصال روحيهما وشدة الإلفة بينهما كما مرّ في الصادقي إنما المؤمنون إخوة بنو أب وأم ، فإذا ضرب على رجل منهم عرق سهر الآخرون ، بل يدخل على كل واحد من الهمّ والفرح والحزن ما يدخل على الآخر . وفي الكافي عن أبي جعفر (ع) : أن الله (عزّ وجلّ) خلق المؤمنين من طينة الجنان ، وأجرى فيهم من ريح روحه ، فلذلك المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه ، فإذا أصاب روحاً من تلك الأرواح في بلد من البلدان حزن حزنت هذه لأنها منها .

الثاني : أن يذهب عن عين مؤمن نومها بظلمه وجوره عليه سواء كان ذلك

بإدخال وجع في جسده أورث له الأرق ، أو بهتك عرضه وسلب ماله وقتل أحبته وتخويفه بقتله وغيره مما يورث الإضطراب والقلق ، ويبتلي الإنسان بالسهر والأرق . وفي الغرر عن أمير المؤمنين (ع) : ينام الرجل على الثكل ولا ينام على الظلم . وفي ربيع الأبرار للزمخشري عنه (ع) : ينام الرجل على الثكل ولا ينام على الحرب ، يعني أنه يصبر على قتل الولد ولا يصبر على سلب المال ، فإذا بات المظلوم ساهراً قلقاً وشاكياً فرقاً يعاقب الله تعالى ظالمه (ح) بمثله ، كما يشير إليه قوله تعالى ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ على بعض الوجوه فيه .

ثم : إن الظالم إن بلغ في ظلمه الغاية ولم يفعل ما تسبقه بسببه العناية ، يعاقب بالسهر والأرق ، ولا يعرف وجه ذلك فتارة يتشبث بذيل الأوراد والدعوات ، وأخرى باستعمال المبخرات والمنومات ، فلا يزيده الدعاء إلا سهراً وسهوداً ، ولا تؤثر فيه الأدوية إلا جفافاً وجموداً ، وهذا القسم من الأرق ممحض في العقوبة ، وكفارة لبعض مراتب الحوبة ، وقد يتقدم من الظالم من الصدقات ودعاءه ودعاء الوالدين والإخوة والأخوات ما يوجب رفع البلاء عنه ، ومع ذلك لا يبلغ ظلمه حداً لا يهتك به ستره ، ويحقّ عليه قوله ، فإن نام (ح) والمظلوم يدعو عليه وقد وعده تعالى الإجابة ونصرته على من ظلمه ، يحلّ عليه ما هو أعظم من الأرق ، قال (ص) : اتقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام ، يقول الله (عزّ وجلّ) ﴿ وعزتي وجلالي لأنصرنّك ولو بعد حين ﴾ ، وقال (ع) : إياك ودعوة المظلوم فإنما سأل الله حقه وإنّ الله لا يمنع من ذي حق حقه ، وقال (ع) : ولئن أمهل الله الظالم فلن يفوته أخذه وهوله بالمرصاد على مجاز طريقه ، وبموضع الشجي من مساغ ريقه ، وقال (ع) : وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً القصاص هناك شديد ، ليس هو جرحاً بالمدى ، ولا ضرباً بالسياط ، ولكنه ما يستصغر ذلك معه .

ولنعم ما قيل

بغي وللبغي سهام تنتظر　　أنفذ في الإحشاء من وخز الوبر[1]
سهام أيدي القانتين في السحر

وقيل

لا تأمنن الدهر حرّاً ظلمته　　فما ليل حرّ إن ظلمت بنائم

وإن عوقب بالأرق كسابقه كان على خلاف مقتضى صدقاته ودعاءه فمقتضى الحكمة الإلهية والألطاف الغيبية أن يوقظه عن نومته وغفلته ، ويذكره سبب يقظته ويعرفه أن ذلك لبغيه وظلامته لينهض إلى المظلوم فيستبرىء منه حقه عنده ، ويستوهب ماله عليه ، فيكون أرقه حينئذ نعمة من الله عليه ، لكونه وسيلة إلى الخروج من تبعة ظلمة الذي تخسر به آخرته فأول ما ينبغي لمن ابتلى به أن يجول فكره فيما صدر منه في يومه بالنسبة إلى كل من عاشره فيه ، حتى الصامت من الحيوانات لئلا يكون فيه ما أورثه الأرق ، فجوزي به .

ومن عجيب ما يناسب المقام : أن بعض السادة الأعلام المراقب لمرضاة الملك العلام كان عليه ثوب بطانته من جلود الأغنام ، فكثر فيه القمل في أيام الشّتاء ، فخلعه ليلاً وعلقه على بعض الأشجار ليموت ما فيه منه من البرد ، فلما أخذ مضجعه سلب عن عينه النوم ، فانقلب يميناً وشمالاً فلم ينجعه ذلك ، فسرح بريد فكره في أفعاله فلم يذكر إلاّ ما صنع بالقماميل ، فأخذ الثوب وجمعه وطرحه في البيت فنام على عادته ، وعاهد أن لا يلبس مثله مما يعذّب بلبسه في الحالين ، ولا يخفى أن مثل هذه الألطاف مخصوص بعصابة خلصوا

---

(١) الوخز: طعن ليس بنافذ وكل شيء قليل. والوبر معلوم ويحتمل أن يكون تصحيف الإبر بالكسر جمع الإبرة.

من تبعة الجرائم العظام ، وإلا فلا يؤاخذ بالهجر والسباب من يقاد للقصاص بقتله الأنبياء والأئمة الأبرار الكرام .

الفصل الخامس

في أن النوم مسلّط على كل ذي روح من البريات من الإنس والجن والحيوان والملائكة بل النباتات ، وإن الذي لا ينام هو الحي القيوم الملك الجبار ، ومن يخلد في الجنة أو النار .

اعلم : أن من كتب الله عليه الفناء ، وجعل لأجله انقضاء مما سكن في الأرض والسماء ، ويتصف بالحيوة تارة وبالموت أخرى ، تتوارد عليه حالتي النوم واليقظة ويقهر بطلك تحت سلطان القدرة ، ويتذكر به نزول الموت والنشور في القيامة ، ويعترف بعجزه إذا غلبته عينه وأنّ مدبره غيره ، فيزداد يقينه ، فالحي الذي لا يموت هو القيوم الذي لا ينام ، وغيره تعالى المركب من لطيف هو المؤثر فيه ، وكثيف حامل له ومظهر لتأثيره على حسب اختلاف الموجودات في شدة لطافة الأول وقلة كثافة الثاني وعكسها ، قد يبقى تركيبه بحاله ولا يعرضه ما يمنعه عن فعله ، فهي حالة حيوته ويقظته ، وقد يبطل التركيب ويعود كل جزء إلى محله الذي بدأ منه فهي حالة موته ، وقد يمنعه مع بقاء التركيب عارض يمنعه عن التأثير مع بقاء اقتضاءه فهي حالة نومه ، وهو في كل شيء بحسب حيوته المتصورة فيه والموت الذي يلاقيه ، ويدل على شمول تلك الحالة للجميع قوله تعالى : ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم** ﴾ ، فإن ظاهره اختصاص سلب تلك النقيصة بذاته المقدسة ، فإن الجملة الثانية بيان للقيوم الذي هو من خاصة أسمائه ، فإنّه الذي لا يفتقر في قوامه بغيره وغيره يفتقر في قوامه وحركاته وسكناته وشئوناته وأطواره إليه ، فلو نام لم يتمكن من تقويم غيره فيبطل بذلك قوامه .

وفي النهج في دعاء أمير المؤمنين (ع) : أنت الذي لا تبيد ولا تنيفك الدهور ، ولا تغيرك الأزمنة ولا تحيط بك الأمكنة ، ولا تأخذك نوم ولا سنة ، ولا يشبهك شيء . وفي البرهان عن الصادق (ع) عن رسول الله (ص) : سألت

بنو إسرائيل موسى (ع) هل ينام ربنا ؟ فأوحى الله تعالى إليه : لو نمت لسقطت السموات على الأرضين ، قال (ع) : وسألت اليهود نبينا محمداً (ص) : هل ينام ربك ؟ فأنزل الله تعالى جبرائيل (ع) بهذه الآية : ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم** ﴾ ، وفي تفسير النيشابوري روى عن النبي (ص) : أن موسى سأل الملائكة هل ينام ربنا ؟ فأوحى الله إليهم أن يوقظوه ولا يتركوه ينام ، ثمّ أعطاه قارورتين مملوءتين في كل يد واحدة ، وأمره بالاحتفاظ ، فكان يتحرز بجهده إلى أن نام في آخر الأمر فضرب أحديهما على الأخرى فانكسرتا وكان ذلك مثلاً في بيان أنه لو كان ينام لم يقدر حفظ السموات والأرضين . ثم نسب السؤال إلى جهلة قومه (ع) صوناً له (ع) عن تجويز النوم عليه تعالى ، وفي خلال كثير من الدعوات : إنك قيوم لا تنام (هذا) .

ولكنا نذكر ما يدل على ورود تلك الحالة على جملة من الموجودات بحيث لا يرتاب أحد في قياس باقيها عليها سوى أهل الجنة والنار وفي البرهان عن كتاب تحفة الإخوان في خبر طويل عن الصادق (ع) أن اليهود سألوا النبي (ص) فقالوا : تنام أهل الجنة ؟ فقال النبي (ص) : لا ينامون لا النوم أخو الموت ، وأهل الجنة لا يموتون ، وكذلك أهل النار لأنهم معذبُون . وفي تفسير علي بن إبراهيم في قوله تعالى : ﴿ **لا يذوقون برداً ولا شراباً** ﴾[1] قال قال : أي الصادق (ع) : البرد هو النوم وأما قوله تعالى : ﴿ **أصحاب الجنة خير مستقراً وأحسن مقيلاً** ﴾[2] ، فأما هو المكان الذي يأوي إليه للاستروا ح تجوزاً له من مكان القيلولة للتشبيه ، أو إشارة إلى جنة الدنيا وأحوال البرزخ كما تقدم في صدر الكتاب عن أمير المؤمنين (ع) ، ثم يفتحان له باباً من الجنة ، ثم يقولان له : نم قرير العين نوم الشاب الناعم ، فإنّ الله يقول : ﴿ **أصحاب الجنة خير مستقراً وأحسن مقيلا** ﴾ وذكرنا هنا مشابهة حال أهل البرزخ لحال النائم فراجع .

---

(١) سورة الدخان، الآية: (٥٦).

(٢) سورة الفرقان، الآية: (٢٤).

إشارة إلى نوم الإنسان

وهو مشاهد بالعيان غير أنّه ينبغي التنبيه على أمرين :

الأول : أنه ورد في جملة من الأخبار أنّ نوم الأنبياء والأئمة (ع) على خلاف نوم سائر الناس وإنه تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ، فروى الطبرسي عن الباقر (ع) في حديث طويل في رجم اليهوديين إلى أن قال : ثم سأله ابن صوريا عن نومه ؟ فقال (ص) : تنام عيناي ولا ينام قلبي ، فقال : صدقت . وفي البصائر عن أبي جعفر (ع) قال : قال رسول الله (ص) : إنّا معاشر الأنبياء تنام عيوننا ولا تنام قلوبنا ، ونرى من خلفنا كما من قدمنا . وفيه وفي الخرايج عن الصادق (ع) يقول : طلب أبو ذر (ره) رسول الله (ص) فقيل له : إنّه في حائط كذا وكذا ، فتوجه في طلبه فوجده نائماً فأعظمه أن ينبّهه ، فأراد أن يستبرىء[1] نومه فسمعه رسول الله (ص) فرفع رأسه فقال : يا أبا ذر أتخدعني ؟ أما علمت إني أرى أعمالكم في منامي كما أريكم في يقظتي إن عيني تنام وقلبي لا ينام ، وفي رواية أخرى أنه أخذ عسيباً يابساً وكسره ليستبرىء به نومه (ص) . وعن مناقب ابن شهرآشوب في خواص أعضائه (ص) أذنيه كان يسمع (ص) في منامه كما يسمع في انتباهه قلبه (ص) كان تنام عيناه ولا ينام قلبه .

وفي قصص الأنبياء عن شهر بن حوشب قال : لما قدم رسول الله (ص) المدينة أتاه رهط من اليهود ، فقالوا : إنا سائلوك عن أربع خصال إلى أن قالوا : أخبرنا عن نومك كيف هو ؟ قال : أنشدكم بالله هل تعلمون من صفة هذا الرجل الذي تزعمون إني لست به تنام عينه وقلبه يقظان ؟ قالوا : اللهم نعم ، قال : وكذا نومي . وفي معاني الأخبار والخصال والعيون عن ابن فضال عن الرضا (ع) فيما عدده من صفات الإمام (ع) : تنام عينه ولا ينام قلبه . وفي الخصال عن الصادق (ع) عشر خصال من صفات الإمام (ع) وعدّ منها : تنام عينه ولا ينام قلبه ، إلى غير ذلك مما ورد في هذا المعنى .

---

(١) أي يستبينه .

ثم إن الظاهر من عدم نوم القلب عـدم انقطاع تـوجهه عن عـالم الحس ومعرفته بما يجري فيه من طريق الحواس ، وهو مستلزم لعدم غلبته النوم على السمع ، إذ بها ينام القلب وقد صرح بذلك في رواية المنـاقب ، وعليه فليس نـومهم (ع) من نواقض الـوضوء وأخـويه إذ النـاقض منه مـا غلب على السمع المستلزم للغلبة عليه أو مع الغلبة عليـه كما ورد كـذلك في بعض الأخبـار بل صريح بعض المحققين أنّ ما لا يغلب على الحاستين لا يسمّى نوماً حقيقـة ، وإن أطلق عليه مسامحة ، ويؤيد ذلك ما رواه الكـراجكي في كنز الفـوائد عن النبي (ص) مـرسلاً قـال : وقد روي عنـه (ع) أنه غفي ثمّ قـام يصلّي من غير تجديد وضوء ، فسأل عن ذلك ؟ فقال : إنّي لست كأحدكم تنام عيناي ولا ينام قلبي ، وبما ذكرنا صرّح جماعة قال كاشف اللثام في شرح قول العلامة (ره) في خصائص النبي (ص) : وكان ينظر من وراءه كما ينظر من قدامه بمعنى التحفظ والحس ، وكان تنام عينه ولا ينام قلبـه ، كذلـك أي بمعنى التحفظ والحس ، وقد ورد مشاركة الأئمة (ع) له فيهما ويتفرع على الثانية عدم انتقـاض الوضـوء بالنوم وقد نص عليه في التذكرة وفي جامع المقاصد « التاسع » أنه كان ينام عينه ولا ينـام قلبه ، قـال (ع) : تنام عيني ولا ينـام قلبي ، والمراد استـوائهمـا في التحفظ والحس ، قال : فعلى هذا لا ينتقض وضوءه بالنوم فيحصل باعتبار ذلك خاصة أخرى وقد عدّها المصنف في التذكرة في التخفيفات (التخصيصات ظ) حيث أنه (ص) لا يجب عليه الوضوء بالنوم ، وذكر في المسالك ما يقرب منه .

ويحتمل بعيداً أن يكون المراد من عدم نوم القلب عدم غفلته عن التوجه إلى الحق تعالى والإستمداد منه والتضرع إليـه وعدم تـطرق هواجس الأبـالسة والخطرات الملهية عن مقدس حضرته حول حريمه كما في حال يقظته ، فيكون كل ما يرونه في المنام ويدخـل في قلوبهم فيه من أنـواع الوحي والإلهـام ، لا الأضغاث والأحلام ، ويشير إلى ذلك ما في الحديث القدسي المروي في إرشاد القلوب : يا أحمد إن أهل الخير رقيقة وجوههم ، كثيـر حياؤهم قليـل حمقهم كثيـر نفعهم ، قليل مكـرهم ليس النـاس منهم في تعب ، كـلامهم مـوزون ، محـاسبين لأنفسهم متعبين لهـا ، تنـام أعينهم ولا تنـام قلوبهم (الخبـر) فـإن

المعنى السابق مختصّ بالحجج الطاهرين وغيرهم يعتريهم النوم الغـالب على الحـاستين ، إلا أن يحمـل أهـل الخبـر فيـه على تلك العصـابـة ، أو يلتـزم باختصاص الإحتمال الثاني بتلك الرواية .

الثاني : في مراتب نوم الإنسان قال الثعالبي في سـرّ الأدب : أول النوم النعاس وهو أن يحتاج إلى النوم ، ثم الوسن وهو ثقـل النوم ، ثم التـرنيق وهو مخالطة النعاس العين ، ثم الكرى والغمض وهو أن يكون الإنسـان بين النائم واليقظان ، ثم الإغفاء وهو النوم الخفيف ، ثم التهـويم والعرار والتهجـاع وهو النـوم القليل ، ثم الـرقاد وهـو النوم الـطويل ، ثم الهجـود والهبوغ وهـو النوم الغرق ، وفسّر بعضهم النعاس بالسنة ، وخصّ الرقود بالنوم في الليل ، وينفيه قوله تعالى : ﴿ **وتحسبهم إيقاظاً وهم رقود** ﴾ .

وفي النهـاية النعـاس : الوسن وأول مـراتب النوم ، وقـال : الوسن أول النوم ، فيشكل عليه قوله تعالى : ﴿ **لا تـأخذه سنـة ولا نوم** ﴾ إذ القيـاس في الإثبات الترقي من الأدنى إلى الأعلى كقوله تعـالى : ﴿ **فكان قـاب قوسين أو أدنى** ﴾ وفي النفي بالعكس فإنه أدلّ على المبالغة في نفي المراد إذ نفي النوم لا يستلزم نفي السنة كما أن نفي السنة يستلزم نفي النوم فمقتضى المقام أن يقتصر على نفي السنة لأداء المقصود من تكثير الألفاظ ، فيكون أقرب إلى الفصاحة أو يقدم نفي النوم عليه ليكون بذكر السنة بعد النوم مزيد فائدة وذكر لدفعه وجوه :

(أ) : أن يراد من مجموع النوم والسنة الحالة الممتدة التي مبدؤها أول استرخاء أعصاب الدماغ ، فلا تقدم لكلمة على أخرى ، بل الكل كلمة واحدة من قبيل الرمان حلو حامض ، أي مزّ وضعّفه البهائي بأن توسط كلمة لا مما لا يساعد عليه ، ويمكن أن يقال أن كلمة لا مزيدة لتأكيد النفي وعلى تقدير عدم زيادتها لا يدلّ على التعدد ، ولا ينافي الوحدة كما في قولك الرمان ليس حلواً ولا حامضاً .

(ب) : أن يكون المراد لا تأخذه سنة التي هي الفتور ، فضلاً أن يأخذه النوم الذي تلزمه الغفلة الكلية وفيه ما لا يخفى .

(ج) : أنه تعالى نفى الأخص أولاً ثم نفى الأعم ليفيد المبالغة من حيث لزوم نفي النوم ضمناً أولاً ثم صريحاً ثانياً ولو اقتصر على نفي الأخص لم يلزم منه نفي الأعمّ وهذا مبني على إمكان تحقق النوم بدون السنة ، وإنّ تقدّمها عليه غير لازم فلا ترتيب طبيعي بينهما كما صرّح به في مفتاح الفلاح وأجاب عن الإشكال بملاحظته في مقام النفي وإن اقتضى القياس عكسه وأيّده بتكرار لا وفيه منع التقدم المذكور بعد التأمل .

(د) : إنّ النوم مختصّ بالإنسان والسنة بالحيوان لقلّة استغراقه في النوم فكأنه تعالى قال : إن حيوته ليست كحيوة الحيوانات بل ولا كالإنسان ، فالحيوان أكثر منقصة فنفي حيوته عنه سبحانه ، ثم ترقى فقال : ولا كالإنسان الذي هو أشرف وأقوى وأقل منقصة بل هو حي دائم القيام بالأمور ، « وفيه » أن الدعوى صحيحة ولكن لا يساعد هذا الإصلاح لغة ولا عرف ، وفي الأخبار الكثيرة إطلاق النوم على ما يعتري الحيوان ، والسنة على ما يغلب على الإنسان ، فحمل الآية على ما لا شاهد له غير جائز عند أحد .

(هـ) : أن يقال : إنّ في تقديمها عليه مبالغة لطيفة مع رعاية ترتيب الوجود لأن مفهوم قوله ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ إنه لا تغلبه السنة التي هي سبب غفلة الشخص في الجملة ، ولا النوم الذي هو سبب الغفلة بالكلية ، وحاصله أنه لا يمنعه مانع جزئي ولا مانع كلي عن حسن قيامه بحفظ المخلوقات ، ولا يخفى أن هذا الأداء مشتمل على المبالغة وهذه الجملة تأكيد للقيوم ، فإن من كان دائم القيام بحفظ شيء لزمه عدم عروض السنة والنوم له أصلاً ، وإلا اختلّ لزوم الحفظ ، وذكر لازم الشيء بعده تأكيد ، ولما كانت هذه الجملة تأكيداً لما اشتملت عليه الأولى ترك العاطف بينهما ، ذكر ذلك المولى إسماعيل الخواجوئي في حواشيه على مفتاح الفلاح .

(و) : أن تكون السنة هو النوم الاضطراريّ وهو ما يغلب على الدماغ بعد تصاعد الأبخرة أو الحركة المتعبة ، ولا يتمكن الإنسان من دفعه ، والنوم هو القسم الذي يختاره الإنسان عند الحاجة إليه مع تمكنه من غيره ، ويكون المراد

أنه تعالى لا يغلبه النوم ولا يقهر عليه ولا هو يختاره ويميل إليه .

((ز)) : ما قيل أنه من باب فحوى الخطاب والتتميم وهو أبلغ من عكسه وذلك أن قوله تعالى : ﴿ لا تأخذه سنة ﴾ يفيد انتفاء سنة ، واندرج تحته انتفاء النوم بطريق أولي ، ثم جيء بقوله ﴿ ولا نوم ﴾ تأكيداً للنوم المنفي ضمناً ، ولو عكس كان من باب الترقي والتتميم ، وهو تقييد الكلام بتابع يفيد مبالغة ، بأن يؤخذ من الأعلى في الشيء ، ثم بما هو أحطّ منه ، ليستوعب جميع ما يدخل تحت ذلك الشيء أبلغ من الترقي ، إذ يحصل بذكر مرتبة منه من غير الانتهاء إلى الأعلى ، ومثل هذا قوله تعالى : ﴿ لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ﴾ فإن القياس يقتضي العكس ، لأنه إذا لم يغادر صغيرة فمن الأولى أن لا يغادر كبيرة ، وأما إذا لم يغادر كبيرة فإنه يجوز أن يغادر صغيرة ، والجواب واحد ، هذا ويأتي في شرح الألفاظ المتداولة في النوم والرؤيا ما يناسب المقام .

إشارة إلى نوم الروح

في توحيد الصدوق بإسناده عن الصادق عن آبائه قال : قال أمير المؤمنين (ع) : إن للجسم ستة أحوال : الصحة والمرض والموت والحيوة والنوم واليقظة ، وكذلك الروح فحيوتها علمها ، وموتها جهلها ، ومرضها شكّها ، وصحّتها يقينها ، ونومها غفلتها ، ويقظتها حفظها . وفي البصائر للصفار عن أبي عبد الله (ع) أنه قال للمفضل : إن الله تبارك وتعالى جعل للنبي (ص) خمسة أرواح : روح الحيوة فيه دبّ ودرج ، وروح القوة فيه نهض وجاهد ، وروح الشهوة فيه أكل وشرب ، وآتى النساء من الحلال ، وروح الإيمان فيه أمر وعدل ، وروح القدس فيه حمل النبوة ، فإذا قبض النبوة انتقل روح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهب ولا يذهب والأربعة الأرواح تقام وتلهب وتغفل وتذهب وروح القدس ثابت يرى به ما في شرق الأرض وغربها .

إشارة إلى نوم الكراكب

في البحار عن كتاب الاختصاص عن العالم قال : خلق الله عالمين

متصلين ، فعـالم علوي وعالم سفلي ، وركّب العـالمين جميعاً في ابن آدم ، وخلقه كروياً مدوراً فخلق الله رأس ابن آدم كقبة الفلك ، وشعره كعدد النجوم ، وعينيـه كالشمس والقمـر ، ومنخريـه كالشمـال والجنوب ؛ وأذنيـه كـالمشـرق والمغرب ، وجعل لمحه[1] كالبرق ، وكلامه كالرعد ، ومشيـه كسير الكـواكب وقعوده كشرفهـا وغفوه كهبـوطها ، ومـوته كـاحتراقهـا ، وخلق في ظهره أربعـة وعشرين فقرة كعدد آنات الليـل والنهار ، وخلق لـه ثلاثين معي كعـدد الهلال ثلاثين يوماً ، وخلق له اثني عشر وصلا كعدد السنة اثني عشر شهراً ، وخلق لـه ثلاثمائة وستين عرقاً كعدد السنة ثلاثمائة وستين يوماً ، وخلق له سبعمائة عصبة واثني عشـر عضواً وهـو مقدار مـا يقيم الجنين في بطن أمّـه ، وعجنه من ميـاه أربعة ، فخلق المالح في عينيه فهما لا يذوبان في الحر ولا يجمدان في البرد ، وخلق المرّ في أذنيه لكيلا تقربهما الهوام وخلق المني في الظهر لكيـلا يعتريـه الفساد ، وخلق العذب في لسانه ليجد طعم الطعـام والشراب ، وخلقـه بنفس وجسد وروح ، فروحه التي لا تفارقه إلا بفراق الدنيا ، ونفسه التي تريه الأحلام والمنامات ، وجسمه الذي يبلى ويرجع في التراب .

الغفو : النوم .

أتـزعـم إنّـك جـرم صـغـيـر   وفيـك انطـوى العـالم الأكبـر

إشارة إلى نوم الملائكة

وهـو ممكن في حقهم وواقـع ، ومـا ورد في نفيـه مـأوّل فـالكـلام في مواضع :

الأول : في إمكانه ويدلّ عليه وجوه :

الأول : أنّ كل من يموت يمكن له أن ينام ، والملائكة يموتون فلا يمتنع في حقهم النوم ، أمّا الأولى فلقوله تعالى : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ ، وفي

---

(١) هذا هو الظاهر الموافق للصدر ص (١٤٣) لكن في الأصل (لحمد).

الكافي عن يعقوب الأحمر قال : دخلنا على أبي عبد الله (ع) نعزيه بإسماعيل فترحم عليه ثم قال : إن الله (عزّ وجلّ) نعى إلى نبيه (ص) نفسه فقال : ﴿ إنك ميّت وإنهم ميتون ﴾ وقال : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ ثم أنشأ يحدث ، فقال : إنه يموت أهل الأرض حتى لا يبقى أحدكم يموت أهل السماء ، حتى لا يبقى أحد إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرائيل وميكائيل ، قال : فيجيىء ملك الموت حتى يقوم بين يدي الله تعالى فيقال له : من بقي وهو أعلم ؟ فيقول : يا رب لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرائيل وميكائيل . فيقال : قل لجبرائيل وميكائيل أن يموتا ، فيقول الملائكة عند ذلك : يا رب رسوليك وأمينيك ؟ فيقول : إني قد قضيت على كل نفس فيها الروح الموت ، ثم يجيىء ملك الموت حتى يقف بين يدي الله (عزّ وجلّ) فيقال له : من بقي وهو أعلم ؟ فيقول : يا رب لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش ، فيقول : قل لحملة العرش فليموتوا ، قال : ثم يجيىء مكتئباً حزيناً لا يرفع طرفه ، فيقال له : من بقي وهو أعلم ؟ فيقول : يا رب لم يبق إلا ملك الموت ، فيقال له : مت يا ملك الموت فيموت .

وفي أصل زيد النرسي وتفسير علي بن إبراهيم عن ابن أبي عمير عنه عن عبيد بن زرارة قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : إذا أمات الله أهل الأرض لبث ما كان الخلق ومثل ما أماتهم وأضعاف ذلك ثم أمات أهل السماء الدنيا ، ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض والسماء الدنيا وأضعاف ذلك ثم أمات أهل السماء الثانية ، ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض والسماء الدنيا والسماء الثانية وأضعاف ذلك ، ثم أمات أهل السماء الثالثة ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض والسماء الثانية والسماء الثالثة وأضعاف ذلك ، ثم أمات أهل السماء الرابعة ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض والسماء الدنيا والسماء الثانية والسماء الثالثة والسماء الرابعة وأضعاف ذلك ثم أمات أهل السماء الخامسة ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض والسماء الدنيا والسماء الثانية والثالثة والرابعة والخامسة وأضعاف ذلك ، ثم أمات أهل السماء السادسة ثم لبث مثل

ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة وأضعاف ذلك ثم أمات أهل السماء السابعة ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السموات إلى السماء السابعة وأضعاف ذلك ثم أمات ميكائيل ، ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك كله ، ثم أمات جبرئيل ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك كله ، ثمّ أمات إسرافيل ثم لبث ما خلق الخلق ومثل ذلك وأضعاف ذلك ثم أمات ملك الموت (الخبر) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم بسند صحيح عن السجاد (ع) في كيفية النفختين قال (ع) : أما النفخة الأولى فإنّ الله تعالى يأمر إسرافيل فيهبط إلى الدنيا ومعه الصور وللصور رأس واحد وطرفان وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض ، قال : فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا : قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء ، قال : فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة ، فإذا رآه أهل الأرض قالوا : قد أذن الله في موت أهل الأرض ، قال : فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلّا صعق ومات ، ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي السموات فلا يبقى في السموات ذو روح إلا صعق ومات إلا إسرافيل ، قال : فيقول الله لإسرافيل مت ، فيموت إسرافيل إلى أن قال (ع) : فينفخ الجبار نفخة في الصور يخرج الصوت من أحد الطرفين الذي يلي السموات فلا يبقى في السموات أحد إلا حيّ وقام كما كان ويعود حملة العرش (الخبر) .

وفي البرهان عن بستان الواعظين عن حذيفة قال : كان الناس يسألون رسول الله (ص) عن الخير وكنت أسأله عن الشر ؟ فقال النبي (ص) : يكون في آخر الزمان فتن كقطع الليل المظلم ، فإذا غضب الله على أهل الأرض أمر الله سبحانه وتعالى إسرافيل أن ينفخ نفخة الصعق على غفلة من الناس فمن الناس من هو في وطنه ، ومنهم من هو في سوقه ، ومنهم من هو في حرثه ، ومنهم من هو في سفره ، ومنهم من هو يأكل فلا يرفع اللقمة إلى فِيهِ حتى يخمد ويصعق ،

ومنهم من يحدث صاحبه فلا يتمّ الكلمة حتى يموت فيموت الخلائق كلهم من آخرهم وإسرافيل لا يقطع صيحته حتى تفور عيون الأرض وأنهارها ونباتها وأشجارها وجبالها وبحارها ويدخل الكلّ بعضهم في بعض في بطن الأرض ، والناس خمود وصرعى ، فمنهم من هو صريع على ظهره ومنهم من هو صريع على جنبه ومنهم من تكون اللقمة في فيه فيموت ، فما أدرك به أن يبتلعها وتنقطع السلاسل التي فيها قناديل النجوم فتسوى بالأرض من شدّة الزلزلة وتموت ملائكة السماوات السبع والحجب والسرادقات والصافون والمسبحون وحملة العرش والكرسي وأهل السرادقات المجد والكروبيون وبقي جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت (ع) .

فيقول الجبار : يا ملك الموت من بقي وهو أعلم ؟ فيقول ملك الموت : سيدي ومولاي بقي إسرافيل وجبرائيل وميكائيل ، وبقي عبدك الضعيف ملك الموت خاضع خاشع ذليل قد ذهبت نفسه لعظم ما عاين من الأهوال . فيقول الجبار تبارك وتعالى : انطلق إلى جبرائيل فاقبض روحه فينطلق ملك الموت إلى جبرائيل فيجده ساجداً وراكعاً فيقول له : ما أغفلك عما يراد بك يا مسكين ؟ قد مات بنو آدم وأهل الدنيا والأرض والطيور والسباع والهوام وسكان السموات وحملة العرش والكرسي والسرادقات وسكان سدرة المنتهى ، وقد أمرني المولى بقبض روحك فعند ذلك يبكي جبرائيل ويقول متضرعاً إلى الله تعالى : يا الله هوّن عليّ سكرات الموت ، فيضمه ملك الموت ضمة يقبض فيها روحه ، فيخرّ جبرائيل منها ميتاً صريعاً .

فيقول الجبار (جل جلاله) : من بقي يا ملك الموت وهو أعلم ؟ فيقول : سيدي ومولاي ، أنت أعلم بمن بقي ميكائيل وإسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت فيقول الجبار (جل جلاله) : انطلق إلى ميكائيل فاقبض روحه ، فينطلق ملك الموت إلى ميكائيل كما أمره الله تعالى فيجده ينظر إلى الماء يكيله إلى السحاب ، فيقول له : ما أغفلك يا مسكين عمّا يراد بك ما بقي لبني آدم رزق ولا الأنعام ولا للوحوش ولا للهوام قد مات أهل السموات وأهل الأرض وأهل الحجب والسرادقات وحملة العرش والكرسي وسرادقات المجد

والكروبيون والصافون والمسبحون وقد أمرني ربي بقبض روحك فعند ذلك يبكي ميكائيل ويتضرع إلى الله تعالى ويسأله أن يهون عليه سكرات الموت فيحتضنه ملك الموت ويضمّه ضمّة يقبض فيها روحه فيخرّ صريعاً ميّتاً لا روح فيه .

فيقول الجبار (عزّ وجلّ) : من بقي يا ملك الموت وهو أعلم ؟ فيقول : مولاي وسيدي أنت أعلم من بقي إسرافيل وعبدك الضعف ملك الموت ، فيقول الجبار تبارك وتعالى : انطلق إلى اسرافيل فاقبض روحه ، فينطلق ملك الموت إلى إسرافيل كما أمره الجبار فيقول له : ما أغفلك يا مسكين عما يراد بك قد مات الخلائق كلهم وقد أمرني ربي ومولاي أن أقبض روحك فيقول إسرافيل : سبحان من قهر العباد سبحان من تفرد بالبقاء ، ثم يقول : مولاي هوّن عليّ سكرات الموت ، مولاي هوّن عليّ سكرات الموت ، مولاي هوّن عليّ مرارة الموت ، فيضمه ملك الموت ضمّة يقبض فيها روحه ، فيخرّ ميتاً صريعاً ، فيقول الجبار (جل جلاله) : من بقي يا ملك الموت وهو أعلم ؟ : فيقول : أنت أعلم يا سيدي ومولاي بمن بقي ، بقي عبدك الضعيف ملك الموت ، فيقول الجبار وعزّتي وجلالي لأذيقنك مثل ما أذقت عبادي انطلق بين الجنة والنار مت فينطلق بين الجنة والنار فيصيح صيحة ، فلولا أن الله تبارك وتعالى أمات الخلائق لماتوا عن آخرهم من شدة صيحة ملك الموت ، فيموت فتبقى السماوات خالية من أملاكها وساكنة أفلاكها وتبقى الأرض خالية من أنسها وجنها وطيرها وهوامها ، وسباعها وأنعامها ويبقى الملك تعالى الواحد القهار الذي خلق الليل والنهار (الخبر) .

وفي العيون عن النبي (ص) إذا كان يوم القيامة يقول الله (عزّ وجلّ) لملك الموت : يا ملك الموت وعزتي وجلالي وارتفاعي في علوي لأذيقنك طعم الموت كما أذقت عبادي .

وفي الإرشاد وغيره في جملة كلام أبي عبد الله (ع) ليلة عاشوراء لأخته زينب واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون وأن كل شيء هالك

إلا وجه الله الذي خلق الخلق بقدرته ، ويبعث الخلق ويعيدهم وهو فرد وحده .
وفي البحار عن أعلام الدين للديلمي مرسلاً أن رسول الله (ص) تلا هذه الآية :
﴿ **ونفخ في الصور فصعق من في السموات والأرض إلا ما شاء الله** ﴾ قالوا : يا رسول الله من هؤلاء الذين استثنى الله ؟ قال : جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، فإذا قبض الله أرواح الخلائق قال : يا ملك الموت من بقي ؟ قال : يقول : سبحانك ربي تباركت ربي وتعاليت ربي ذا الجلال والإكرام ، بقي جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت قال : فيقول : خذ نفس إسرافيل فيأخذ نفس اسرافيل قال : فيقول : يا ملك الموت من بقي ؟ قال : فيقول : سبحانك ربي تباركت وتعاليت ، ربي ذا الجلال والإكرام بقي جبرائيل وميكائيل وملك الموت ، قال : فيقول : خذ نفس ميكائيل فيأخذ نفس ميكائيل فيقع كالطود العظيم[1] فيقول : يا ملك الموت من بقي ؟ فيقول : تباركت ربي وتعاليت بقي جبرائيل وملك الموت ، قال فيقول : مت يا ملك الموت فيموت ، قال : فيقول : يا جبرائيل من بقي ؟ فيقول : تباركت ربي وتعاليت ذا الجلال والإكرام وجهك الباقي الدائم وجبرائيل الميت الفاني ، قال : يا جبرائيل لا بد من الموت فيخرسا جداً فيخفق بجناحيه فيقول : سبحانك ربي تباركت وتعاليت ذي الجلال والإكرام ثم قال رسول الله (ص) فعند ذلك يموت جبرائيل وهو آخر من يموت من خلق السموات والأرض .

إلى غير ذلك مما ورد في موت جميع الأشياء وهلاكها وفنائها على خلاف بين الأمة في فنائها بأسرها وانعدامها أو اضمحلال تركيبها وبطلان آثارها والتفريق بين كل جسد لطيف أو كثيف ، وبين روحه بل الروح بناء على تجسمها كما عليه جماعة وفي الاحتجاج في خبر الزنديق الذي سأل عن الصادق (ع) مسائل إلى أن قال : أيتلاشى الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باق ؟ قال : بل هو باق إلى وقت ينفخ في الصور ، فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنى فلا حس ولا محسوس (الخبر) وفي صحيفة الرضا (ع) قال : قال رسول الله (ص) لما

(١) الطود: الجبل العظيم.

نزلت هذه الآية : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ قلت : يا رب أيمـوت الخلائق وتبقى الملائكة فنزلت : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت ثم إلينـا ترجعـون** ﴾ وكيف كان فلا إشكال في موت الملائكة عند موت كـل ذي روح وحيوة لكـل من أقرّ بالشريعة المحمدية .

وأما الثاني : وهو إمكان النوم لمن يموت فواضح ، فإن الموت بأيّ معنى أخذ في كل جنس فنومه أخوه ، بل هو في الحقيقة أحد مراتبه الذي يستدل به عليه كما قال رسول الله (ص) : والذي بعثني بالحق نبياً لتموتن كما تنامـون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، وقال (ص) : من علامـة الموت النـوم ، ومن علامـة القيامة اليقظة ، فإن كان الموت بانتزاع الروح مع الجسـد المثالي عن الجسم العنصري الكثيف فنومه بمنع الروح عن التصرف فيه ببعض الأسباب ، وإن كان بانتزاع الأرواح من الأجساد المثاليـة و العنصريـة اللطيفة فنـومها بتعـطيلها عن تصرفاتها ، وبالضرورة انتزاعها منها أصعب من حيث هو عن إغفالها عنها ومنعها عن التقلب فيها مع بقاء علقتها .

الثاني : أن الأبالسة والشياطين ينامون كما يأتي ، فجاز للملائكة أيضاً أن ينامون ، لأن الطائفتين وإن تباينتـا عندنـا في أصل المـادة التي خلقوا منهـا ، فالأولى من مارج من نار والأخرى من النور الخالص عن الظلمة والأكدار ، وفي الفعل فلا يصدر من الأولي إلا الشر ولا يأمرون إلا به ، ولا يفعلون الأخرى إلا الخير ولا يدعون إلا إليه ، إلا أنهما متحدتان في أمثال هذه الأحكام عنـد كل مذهب ، لكونهما في عالم واحد يرى بعضهم بعضاً ، ويدفع طائفة فريق آخر ، وربما تقتله وتحرقه ويتكلمون كل مع الآخر ويشاهدون أفعالهم وحركاتهم « أما المسلمون » فذهبوا إلى أن لهم أجسام لطيفة وهوائية نورانية أو ظلمانية ، ولهم قدرة على التشكل بالأشكال المختلفة ، ولهم عقول وأفهام وقدرة على أعمـال صعبة شاقة يراهم الأنبياء والأوصياء (ع) « وأما الفلاسفـة » فأثبتـوا بمختلفاتهم موجودات مجردة عن الجسمية ، غير متحيزة ولا حالة في المتحيز ، وزعموا أنّها قد تكون عالية عن تدبير الأجسام بالكلية وهي الملائكة المقربين ، وقـد تكون

مدبرة لها وأشرفها حملة العرش ، وتليها الحافون به ، ثم ملائكة الكرسي ثم ملائكة كلّ طبقة طبقة من السموات ، ثم ملائكة كرة الأثير ثم الهواء ثم الزمهرير ثم الأرواح المتعلقة بالبحار ، ثم الجبال ثم الأرواح السفلية المتصرفة في هذه الأجسام النباتية والحيوانية الموجودة في هذا العالم ، قالوا : ولفظ الجنّ وإن صدق في أصل اللغة على كلّ الملائكة لكونه مأخوذاً من الاجتنان وهو الاستتار ، وكون الملائكة مستترين على الأعين إلا أنّه مخصوص في العرف أي عرفهم بالأرواح التي تخصّ عالم العناصر ، فتارة يطلقون عليها أنّها ملائكة باعتبار كونهم مرسلين من عند الله فاعلين لما أمر الله جارين على نظام العقل ، وتارة يطلقون عليها أنها جنّ باعتبار الإجتنان وهم جنّ مسلمون باعتبار موافقة النقل ، والتصرف على وفق مصلحة العالم ونظامه ، وكفار وشياطين باعتبار مخالفتها لذلك .

وبالجملة فلا فرق بينهما من هذه الجهات ، وما قيل : إنّ الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون ، وإنّ الشياطين يأكلون كما يظهر مما ورد في النهي عن نهش العظام والاستجمار به وبالروث[1] ويتوالدون كما في أخبار كثيرة ، فقد غفل عما ورد في أن الملائكة يعيشون بنسيم العرش ، وإنّ طعامهم التسبيح وشرابهم التهليل ، فيتقوون ويبقون بهما كما يتقوى الإنسان بالطعام والشراب في أسؤلة زنديق عن أبي عبد الله (ع) وغيرها ، بل قال الشيخ في التبيان : الأكل والشرب لو علم فقدهما في الملائكة فلا نعلم أن إبليس كان يأكل ويشرب وقد قيل أنهم يتشمّمون الطعام ولا يأكلونه ، وقال : من قال : إنّ إبليس له ذرية والملائكة لا ذرية لهم ولا يتناكحون ولا يتناسلون فقد عوّل على خبر غير معلوم .

قلت : في تفسير البرهان عن بستان الواعظين عن ابن عباس في صفة إسرافيل يسبّح الله بكل لسان بألف ألف لغة ، فيصير من كل نفس ملك يسبحون

---

(١) نهش العظم: أخذ ما عليه من اللحم بالأسنان والاستجمار بالعظم والروث الاستنجاء بهما.

الله إلى يوم القيامة وهم المقربون وحملة العرش وكرام كاتبين ، هم على صفة إسرافيل وفي صفة ميكائيل ، كما يأتي فيقطر من كل عين سبعون ألف ألف قطرة ، فيصير ملكاً على صورة ميكائيل وأسماؤهم الكروبيون ، وهم أعوان لميكائيل (الخبر) وفي صفة جبرائيل : وكل يوم يدخل في بحر نور ثلاثمائة وستين مرة ، فإذا خرج سقط من أجنحته قطرة فتصير ملكاً على صورة جبرائيل يسبحون الله إلى يوم القيامة وهي الروحانيون وفي غيره أن جبرائيل (ع) يغتمس كل يوم في نهر النور ثم يخرج منه فينفض جناحه ، فليس من قطرة تقطر من أجنحته إلا خلق الله تبارك وتعالى منه ملكاً مقرباً له ، عشرون ألف وجه ، وأربعون ألف لسان ، يلفظ بلغة لا يفقهها اللسان الآخر وهذا نوع من التوالد أيضاً .

الثالث : أن الملك مركب من جسم وروح وكل من كان ذلك جاز له النوم « أما الأول » فيدل عليه وجوه :

(أ) : إجماع الأمة قال العلامة المجلسي (ره) في البحار : أجمعت الإمامية بل جميع المسلمين إلا من شذّ منهم من المتفلسفين الذين أدخلوا أنفسهم بين المسلمين لتخريب أصولهم وتضييع عقائدهم على وجود الملائكة ، وأنهم أجسام لطيفة نورانية أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع وأكثر قادرون على التشكل بالأشكال المختلفة ، وأنه سبحانه يورد عليهم بقدرته ما شاء من الأشكال والصور على حسب الحكم والمصالح ، ولهم حركات صعوداً وهبوطاً ، وكان يراهم الأنبياء والأوصياء (ع) والقول بتجردهم وتأويلهم الملائكة بالعقول والنفوس والقوى والطبائع ، وتأويل الآيات المتظافرة والأخبار المتواترة تعويلاً على شبهات واهية واستبعادات وهميّة زيغ عن سبيل الهدى ، واتباع لأهل العمى ، وقال المفيد (ره) في كتاب المقالات في رؤية المحتضر الملائكة : وجائز أن يراهم ببصره بأن يزيد الله تعالى في شعاعه ما يدرك به أجسامها الشفافة الرقيقة ، وقال (ره) في سماع الأئمة (ع) كلام الملائكة : وإن كانوا لا يرون منهم الأشخاص ، وأقول بجواز هذا من جهة العقل ، وأنّه ليس يمتنع في الصديقين من الشيعة المعصومين من الضلال ، وقد جاءت بصحته

في الأئمة (ع) ، وكذا من سميت من شيعتهم الصالحين الأبرار الأخيار واضحة الحجة والبرهان ، وهو مذهب فقهاء الإمامية وأصحاب الآثار ، وقال العلامة في مناهج اليقين : ذهب قوم إلى أنّ الملائكة والجن أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة ، وربما فسروا الأوائل الملائكة بالنفوس الفلكية والجن والشياطين بالنفوس الأرضية الشريرة ثم نقل عن مشائخ المعتزلة وجود الجنّ بأنّها إن كانت كثيفة وجب إدراكها وإلا تمزقت عند هبوب الرياح ولا تكون قوية على الأفعال الشاقة ، وأجاب بأنّها غير كثيفة وغير رقيقة بمعنى رقة القوام وإن كانت لطيفة بمعنى الشفافية ، فتدفع المحاذير والمراد من القوم هو المسلمون لأنه لم ينقل الخلاف إلا من الفلاسفة ، ففي شرح المقاصد ظاهر الكتاب والسنة وهو قول أكثر المسلمين إنّ الملائكة أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكلات بأشكال مختلفة ، كاملة في العلم والقدرة على الأفعال الشاقة ، ثم نقل عن الفلاسفة أنهم هم العقول المجردة والنفوس الفلكية ، وعن أصحاب الطلسمات مقالة تشبه مقالتهم وقال الرازي أن : الناس اختلفوا في الملائكة وطريق ضبط المذاهب أن يقال : الملائكة لا بدّ وأن تكون ذوات قائمة بنفسها ، ثم أنّ تلك الذوات إمّا أن تكون متحيزة أو لا تكون .

أما الأول ، ففيه أقوال « أحدها » : أنها أجسام لطيفة هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة ، مسكنها السموات وهذا قول أكثر المسلمين . « وثانيها » : قول طوائف من عبدة الأوثان وهو أن الملائكة في الحقيقة هي هذه الكواكب . « وثالثها » : قول معظم المجوس والثنوية وهو أن هذا العالم مركب من أصلين أزليين وهما النور والظلمة ، وهما في الحقيقة جوهران شفافان حساسان مختاران قادران ، متضادا النفس والصورة ، مختلفا الفعل والتدبير إلى أن قال : أن جوهر النور لم يزل يولد الأولياء وهم الملائكة (الخ) .

القول الثاني : أنّ الملائكة ذوات قائمة بأنفسها وليست بمتحيزة ولا أجسام فهي هنا قولان : « أحدهما » : قول طوائف من النصارى وهو أنّ الملائكة في الحقيقة هي الأنفس الناطقة بذاتها المفارقة لا بد أنها على نعت

الصفاء والخيرية ، وإن هذه النفوس المفارقة إن كانت صافية خالصة فهي الملائكة ، وإن كانت خبيثة كدرة فهي الشياطين ، ثم ذكر قول الفلاسفة وإنها جواهر قائمة بنفسها ليست بمتحيزة البتة وإنها بالمهية مخالفة لنوع النفوس الناطقة البشرية ، وإنها أكمل قوة منها وأكثر علماً ، وإنها للنفوس البشرية جارية مجرى الشمس بالنسبة إلى الأضواء ، ثم ذكر طبقاتها عندهم ولم ينسب إلى أحد من المسلمين قولاً بعدم تجسّمها ، وإنما انحصر القائل به في النصارى والفلاسفة ، فظهر أن النسبة إلى الأكثر بملاحظة انتحال بعض الفلاسفة الإسلام ، وذكره في عدادهم ، نعم فصلّ بعض المتأخرين في أقسامها فذهب إلى تجرد بعضها وتجسم بعض الآخر ، ويبقى الكلام معه في تسمية ما ذكره بعد صحة أصله بالملك ، فإن أشرف الملائكة الأربعة المقربين الذين تواترت الأخبار بتجسمها ، فلا يجوز القول بتجرد ما هو دونها وكيف كان ففي الكتاب والسنة المتواترة ما فيه غنى عن تجشم تحصيل الإتفاق ، وتكلف رفع الشقاق ، بل المتأمل في مسألة الحدوث والقدم يجد الملازمة بين القول بتجردها وقدمها بالمعنى الذي على خلافه أطباق المليين .

(ب) : الآيات الكثيرة قال الله تعالى : ﴿ **جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير** ﴾[1] أطبق المفسرون على أنه تعالى جعل لهم أجنحة ليتمكنوا بها من العروج إلى السماء ومن النزول إلى الأرض ، ويأتي في الأخبار المستفيضة أنها محسوسة ملموسة وتأويلها بأنّ للملائكة وجه إلى الله تعالى يأخذون منه نعمة ويعطون من دونهم ما أخذوا فهما جناحان ومنهم من يفعل الخير بواسطة ومنهم من يفعله لا بواسطة ، فالفاعل بواسطة فيه ثلاث جهات ، وفيهم من له أربع جهات وأكثر ، أو بما في شرح النهج لابن ميثم عند قوله (ع) : ﴿ **أنشأهم على صور مختلفات وأقدار متفاوتات أولي أجنحة** ﴾ من أنّ لفظ الأجنحة مستعار لقواهم التي بها حصلوا على المعارف الإلهية ، وتفاوتها بالزيادة والنقصان كما

---

(١) سورة القيامة، الآية: (١).

في الآيـة كنـايـة عن تفـاوت إدراكهم لجـلال الله وعلوّ مهم بمـا ينبغي لـه ، صحيح[1] من حيث صحة أصل الدعوى لا في قصر الآية عليها ، فلعلها والله يعلمه والراسخون وقال تعالى : ﴿ أن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ﴾[2] واختلف كلام المفسرين والأخبار في أصل التابوت ، وأنّه الذي أنزله على موسى فوضعته فيه أمه وألقته في اليم ، فكان في بني إسرائيل يتبركون به ، فلما حضر موسى الوفاة وضع فيه الألواح ودرعه ، وما كان عنده من آيات النبوة وأودعه يوشع وصيّه ، فلم يـزل التـابـوت بينهم حتى استخفّـوا بـه ، وكـان الصبيـان يلعبـون بـه في الطرقات ، فلم يزل بنو إسرائيل في عـزّ ما دام التـابوت عنـدهم ، فلما عملوا بالمعاصي واستخفوا بالتابوت رفعه الله منهم إلى أن بعث الله طالوت ، فردّ الله إليهم كمـا في تفسيـر القمي ، أو أنـه الـذي أنـزلـه الله على آدم فيـه صـورة الأنبياء (ع) فتوارثه أولاد آدم ، وكان في بني إسرائيل يستفتحون به على عدوهم ولكنها متفقة في كونه من الأجسام الثقيلة الكثيفة سعته ثلاثـة أذرع في ذراعين وي بعضها أن أصله كان من شمشاد وكان عليه صفائح الذهب ووجـه الدلالـة ظاهر ، وقال تعالى : ﴿ يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ إني ممدكم بألف من الملائكة مـردفين ﴾[4] ، وقال تعـالى : ﴿ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ﴾[5].

وبالجملة فيدل عليه جميع الآيات الدالة على اعتراضهم على الله تعالى في جعل الخليفة في الأرض وطردهم لذلك عن حول العرش مسيرة خمسمائة وسجودهم لآدم (ع) بناء على كون المراد منه وضع الجبهة على الأرض كما هو الظاهر منـه والمنصوص عليـه في المقـام وعلى مكـالمـاتهم مـع الأنبيـاء (ع)

---

(١) خبر قوله: وتأويلها.
(٢) سورة البقرة، الآية: (٢٤٨).
(٣) سورة الفرقان، الآية: (٢٢).
(٤) سورة الأنفال، الآية: (٩).
(٥) سورة الأحزاب، الآية: (٩).

وإهلاكهم الأمم بأنواع العذاب المذكورة فيه ، وحراستهم الانسان من بين يديه ومن خلفه عن الحوادث وكتبهم أعمالهم وغير ذلك مما لا يجوز التأويل فيه إلا بعد وجود البرهان على امتناع تجسمهم أو قرائن تصرفه عن ظاهره وكلاهما مفقودان .

(ج) : الأخبار المتواترة الصريحة في عدم تجردهم ولو أردنا استقصائها أو ذكر أكثرها لخرجنا عن وضع الكتاب ، غير أنا نشير إلى أنموذج منها على ترتيب حسن فنقول : لا شبهة في تجسمهم بعد ثبوت أكثر خواص الجسم ولوازمه وآثاره لهم ، بحيث لو أراد أحد طرحه كلياً مع كونه طرحاً لما ثبت عن الحجج قطعاً كان أهون من تأويله وصرفه عن ظاهره ، والحكم بكون المقصود الإشارة إلى أمور لا يصل إليها الأفهم الأوحدي ، مع عدم إمكان تطرق التأويل في كثير وعدم الحاجة إلى التعبير عن تلك الأمور بما لا يفهمها منه في كل طبقة من الأصحاب إلا معدود قليل ، وخروجه عن قانون التخاطب وطريقة الأنبياء (ع) من تكلمهم مع الناس على قدر عقولهم ، بمكان لا يلتزمه من له أدنى شعور وكون كلامهم (ع) كآيات القرآن فله بطون وتأويل صحيح بعد صحة إرادة الظاهر منه كما فيها فيكون لكل طبقة حظ ونصيب وما يتراآى من إرادة خلاف الظاهر في بعض المواضع فالوجه فيه اختفاء ما أحاطت به من القرائن ، وإلا فإرادة خلاف الظاهر مع عدمها خصوصاً ما لا يتمكن المخاطب من الوصول إليه قبيح عند كل طائفة وطريقة .

المادة : في تفسير الإمام (ع) والطبرسي عنه (ع) في مناظرة رسول الله (ص) مع المشركين واليهود قال (ص) : وأما قولك ولو كنت نبياً لكان معك ملك يصدقك ونشاهده بل لو أراد أن يبعث إلينا رسولاً لكان إنما يبعث لنا ملكاً لا بشراً مثلنا ، فالملك لا تشاهده حواسكم لأنه من جنس هذا الهواء لا عيان منه ولو شاهدتموه بأن يزاد في قوى أبصاركم لقلتم ليس هذا ملكاً بل هذا بشر . وفي البحار عن أمالي المفيد (ره) عن أبي عبد الله العزّي قال : إنّا لجلوس مع علي بن أبي طالب (ع) يوم الجمل إذ جاء الناس يهتفون به يا أمير المؤمنين لقد نالنا النبل والنشاب فسكت ، ثم جاء آخرون فذكروا مثل ذلك

فقالوا : قد جرحنا ، فقال علي (ع) : يا قوم من يعذرني من قوم يأمروني بالقتال ولم ينزل بعد الملائكة ؟ فقال : إنّا لجلوس وما نرى ريحاً ولا نحسها إذ هبت ريح طيبة من خلفنا ، والله لوجدت بردها بين كتفي من تحت الدرع والثياب ، قال : فلما هبّت صبّ أمير المؤمنين (ع) درعه ثم قام إلى القوم فما رأيت فتحاً كان أسرع منه .

وفيه عن مصباح الأنوار عن النبي (ص) في حديث ابتداء الخلقة ثمّ فتق نور أخي عليّ فخلق منه الملائكة فالملائكة من نور عليّ ونور عليّ من نور الله وعلي أفضل من الملائكة . وفي سعد السعود عن صحيفة إدريس (ع) ثمّ كان مساء ليلة الأربعاء ، فخلق الله ألف ألف صفّ من الملائكة منهم على خلق الغمام ، ومنهم على خلق النار متفاوتين في الخلق والأجناس وفي تفسير فرات عن أمير المؤمنين (ع) في حديث طويل في ترتيب الخلقة قال : وجعل في كل ساكناً من الملائكة خلقهم معصومين من نور من بحور عذبة وهي بحر الرحمة وجعل طعامهم التسبيح والتهليل والتقديس وفي تفسير علي بن إبراهيم في سياق غزوة بدر وأقبلت قريش ويقدّمها إبليس ومعه الرّاية وكان في صورة سراقة بن مالك ، فنظر إليه رسول الله (ص) فقال : غضّوا أبصاركم وعضوا على النواجذ ، ولا تسلوا سيفاً حتى آذن لكم ، ثمّ رفع يده إلى السماء فقال : يا رب إن تهلك هذه العصابة لم تعبد ، وإن شئت أن لا تعبد لا تعبد ، ثم أصابه الغشي فسرى عنه وهو يسلت العرق عن وجهه ويقول : هذا جبرائيل قد أتاكم في ألف من الملائكة مردفين ، قال : فنظرنا فإذا بسحابة سوداء فيها برق لائح قد وقعت على عسكر رسول الله (ص) ، وقائل يقول : أقدم حيزوم أقدم حيزوم[1] وسمعنا قعقعة السلاح من الجوّ ، ونظر إبليس إلى جبرائيل فتراجع فرمى اللواء إلى أن قال : وحمل جبرائيل على إبليس فطلبه حتى غاص في البحر ، وقال : رب أنجز لي ما وعدتني من البقاء إلى يوم الدين . وروى في

---

(١) حيزوم: اسم فرس كان لرسول الله(صلى الله عليه وآله) وقيل: اسم فرس جبرائيل (عليه السلام) أراد أقدم يا حيزوم فحذف حرف النداء والياء فيه زائدة.

خبر أنّ إبليس التفت إلى جبرائيل في الهزيمة فقال : يا هذا بدا لكم فيما أعطيتمونا فقيل لأبي عبد الله (ع) : أترى كان يخاف أن يقتله ؟ فقال : لا ولكنه كان يضربه ضربة يشينه منه إلى يوم القيامة .

الهيئة : في النهج في خطبة الأشباح[1] في وصفهم « منهم من هو في خلق الغمام الدلج ، وفي عظم الجبال الشمخ ، وفي قترة الظلام الأيهم ، ومنهم من خرقت أقدامهم تخوم الأرض السفلى ، فهي كرايات بيض قد نفذت في مخارق الهواء ، وتحتها ريح هفافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية »[2] وفي أخبار كثيرة أن لله تعالى ملائكة نصفها من الثلج ونصفها من النار . وفي التوحيد عن أمير المؤمنين (ع) أن الله خلق الملائكة في صورة شتى إلا أن لله تعالى ملكاً في صورة ديك أبج بالجيم أو بالحاء أشهب براثنه[3] في الأرضين السابعة السفلى وعرفه[4] مثنى تحت العرش له جناحان جناح في المشرق وجناح في المغرب واحد من النار والآخر من الثلج وفي جملة من الأخبار أن حملة العرش أحدهم على صورة ابن آدم والثاني على صورة الديك والثالث على صورة الأسد ، والرابع على صورة الثور وفي بعضها مكان الديك النسر وعن المفيد في الاختصاص عن ابن عباس فيما سأله عبد الله بن سلام عن النبي (ص) : أخبرني عن جبرائيل في ذي الاناث أم في الذكور ؟ قال (ص) : في ذي الذكور .

(١) الأشباح : الأشخاص، والمراد بهم الملائكة لأن الخطبة تتضمن ذكرهم وهذه الخطبة من جلائل خطبه (عليه السلام) . كما قاله الشريف الرشقي (رحمه الله) ولابن أبي الحديد في فصاحتها كلام طويل فراجع .

(٢) الدلج : الثقال . والجبال الشمخ العالية الشاهقة، وقوله (عليه السلام) في فترة الظلام أي سواده . والأيهم : الذي لا يهتدي فيه . والتخوم بضم التاء جمع تخم : وهي منتهى الأرض وريح هفافة أي ساكنة طيبة . يقول : كان إقدامهم التي وقبت الهواء إلى حضيض الأرض رايات بيض تحتها ريح ساكنة ليست مضطربة فتموج تلك الرايات بل هي ساكنة تحبسها حيث انتهت .

(٣) براثن جمع برثن وهو من الطير بمنزلة الاصبح من الإنسان .

(٤) العرف : لحمة مستطيلة في أعلى رأس الديك .

الجوارح ـ الرأس :

علي بن إبراهيم في تفسيره عن أبيه عن ابن عمير عن هشام عن الصادق (ع) في خبر المعراج قال رسول الله (ص) : ثم مررنا بملائكة من ملائكة الله (عزّ وجلّ) خلقهم الله كيف شاء ووضع وجوههم كيف شاء ليس شيء من إطباق أجسادهم إلا وهو يسبح الله ويحمده من كل ناحية بأصوات مختلفة أصواتهم مرتفعة بالتحميد والبكاء من خشية الله ، فسألت جبرائيل عنهم فقال : كما ترى خلقوا أن الملك منهم إلى جنب صاحبه ما كلّمه كلمة قط ، ولا رفعوا رؤوسهم إلى ما فوقها ولا خفضوها إلى ما تحتها خوفاً لله وخشوعاً ، إلى أن ذكر في السماء السابعة ديكاً رجلاه في تخوم الأرضين السابعة ورأسه عند العرش . وفي حديث دردائيل الآتي فطار مقدار خمسمائة عام فلم ينل رأسه قائمة من قوائم العرش وفي الكافي عن الصادق (ع) عن رسول الله (ص) أن لله ملكاً رجلاه في الأرض السفلى مسير خمسمائة عام ، ورأسه في السماء العليا مسيرة ألف سنة ، وفي البحار عن أمالي المفيد عنه (ص) في خبر المعراج : ورأيت حملة العرش قد نكسوا رؤوسهم إلى الأرض ، فقلت : يا جبرائيل لم نكس حملة العرش رؤوسهم ؟ فقال : يا محمد ما من ملك من الملائكة إلا وقد نظر إلى وجه علي بن أبي طالب ما خلا حملة العرش فإنهم استأذنوا الله (عزّ وجلّ) في هذه الساعة فأذن لهم أن ينظروا إلى عليّ بن أبي طالب (ع) فنظروا إليه . وفي البرهان في صفة إسرافيل : ولو صبت جميع البحور والأنهار على رأس إسرافيل ما وقعت قطرة على الأرض . وعن مناقب ابن شهرآشوب في خبر تزويج فاطمة (ع) : أنّه دخل على رسول الله (ص) ملك له عشرون رأساً في كل رأس ألف لسان ، وكان إسم الملك صرصائيل ، وعن تفسير محمد بن العباس الماهيار عن الصادق (ع) أنه هبط على النبي (ص) ملك له عشرون ألف رأس .

الجبهة : الشيخ الطوسي في مصباحه في تعقيب صلوة أمير المؤمنين (ع) « وبإسمك المكتوب على جبهة إسرافيل » وفي كتاب المسلسلات عن

الحسن بن علي (ع) قال : قال رسول الله (ص) : آية الكرسي في لوح من زمرد أخضر مكتوب بمداد مخصوص بالله ، ليس من يوم جمعة إلا صك ذلك اللوح جبهة إسرافيل ، فإذا صك جبهته سبّح (الخبر) وفي تفسير : على اللوح المحفوظ له طرفان طرف على العرش وطرف على جبهة إسرافيل ، فإذا تكلم الرب جل ذكره بالوحي ضرب اللوح جبين إسرافيل ، فنظر في اللوح فيوحى بما في اللوح إلى جبرائيل ، « وعن در المنثور » عن رسول الله (ص) : إنّي أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون ، أطت السماء وحقّ لها أن تئط ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجداً .

الأطيط صوت الأقتاب وأطيط الإبل أصواتها وحنينها .

« وفي الخصال » وغيره عنه (ص) : في فضل دعاء وهي تسعة عشر حرفاً أربعة منها مكتوبة على جبهة إسرافيل ، وأربعة منها مكتوبة على جبهة ميكائيل ، وأربعة منها مكتوبة على جبهة جبرائيل ، « وفي الاحتجاج » عن الصادق (ع) في حديث طويل : ولما خلق الله إسرافيل كتب على جبهته : لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين . « وفي قصص الأنبياء للراوندي » عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله (ع) : سجدت الملائكة لآدم ووضعوا جباههم على الأرض ؟ قال : نعم تكرمة من الله تعالى .

الجبين : في خبر عبد الله بن سلام المتقدم في صفة جبرائيل (ع) قال (ص) : واضح الجبين ، « وفي تفسير البرهان » عن ابن عباس عن النبي (ص) في صفته لما تصور له أجلى الجبينين ، « وفي تفسير علي بن إبراهيم » عن أبي جعفر (ع) قال : قال جبرائيل لرسول الله (ص) في وصف إسرافيل : هذا حاجب الربّ وأقرب خلق الله منه واللوح بين عينيه من ياقوتة حمراء ، فإذا تكلم الرب تبارك وتعالى بالوحي ضرب اللوح جبينه (الخبر) وفي عقائد الصدوق « الاعتقاد في نزول الوحي من عند الله » (عزّ وجلّ) اعتقادنا أن بين عيني إسرافيل لوحاً فإذا تكلم الرب تعالى ضرب اللوح جبين إسرافيل .

العين ودمعتها : في النهج في وصف حملة العرش ناكسة دونه أبصارهم

« وفي الصحيفة السجادية » في أوصاف الملائكة : الخشع الأبصار فلا يرومون النظر إليك « وفي الخصال » عن الصادق (ع) : أن حملة العرش ثمانية لكل منهم ثمانية أعين كل عين طباق الدنيا ، « وفي الخبر المتقدم في صفة جبرائيل أغر أدعج . الدعج : شدة سواد العين مع سعتها . « وفي التوحيد والخصال » عن أمير المؤمنين (ع) في بيان أصنافهم : ومنهم من لو ألقيت السفن في دموع عينيه لجرت دهر الداهرين ، وفي مصباح الزائر ومزار محمد بن المشهدي عن الأئمة (ع) في زيارة جامعة لهم (ع) وفيها : بل يتقرب أهل السماء بحبكم وبالبراءة من أعدائكم وتواتر البكاء على مصابكم ، وفي كامل الزيارة عن الصادق (ع) أنّ الحسين (ع) وكّل الله به أربعة آلاف ملك شعثاء غبراء يبكونه إلى يوم القيامة ، وفيه عنه (ع) أنّ الله (عزّ وجلّ) وكّل بقبر الحسين (ع) أربعة آلاف ملك شعثاً غبراً يبكونه من طلوع الفجر إلى زوال الشمس ، فإذا زالت هبط أربعة آلاف ملك ، وصعد أربعة آلاف ملك ، فلم يزل يبكونه حتى يطلع الفجر ، وفي لبّ اللباب للقطب الراوندي قال النبي (ص) : رأيت ليلة الأسرى ملكاً يجري من عينيه مثل نهرين من الدموع : لولا أن الله يخلق منه الملائكة لغرقت السموات والأرض كلها من دموعه . وفي كشف اليقين عن النبي (ص) في حديث طويل وفيه : والذي نفسي بيده أنّ حول قبره ـ أي الحسين (ع) ـ أربعة آلاف ملك شعثاً غبراً يبكون عليه إلى يوم القيامة .

وفي كامل الزيارة وغيره أخبار مثله قريبة من التواتر . وفيه عن الصادق (ع) : إذا زرتم أبا عبد الله (ع) فالزموا الصمت إلا من خير ، وإن ملائكة الليل والنهار من الحفظة تحضر الملائكة الذين بالحيرة ، فتصافحهم فلا تجيبونها من شدة البكاء فينظرونهم حتى تزول الشمس ، وحتى ينور الفجر ، ثم يكلمونهم ويسألونهم عن أشياء من أمر السماء ، فأما ما بين هذين الوقتين فإنهم لا ينطقون ولا يفترون عن الدعاء والبكاء إلى أن ذكر (ع) صعود الحفظة ولقاءهم النبي والأئمة (صلوات الله عليهم) عند إسماعيل صاحب الهواء ، وسؤالهم (ع) عنهم حال الزوار ، وأن فاطمة (ع) إذا نظرت إليهم ومعها ألف نبي وألف شهيد ومن الكروبيين ألف ألف يساعدونها على البكاء ، وأنها لتشهق

شهقة فلا تبقى في السموات ملك إلا بكى رحمة بصوتها ، وما تسكن حتى يأتيها النبي (ص) فيقول : يا بنية قد أبكيت أهل السموات وشغلتهم عن التسبيح والتقديس فكفى حتى يقدسوا . وفيه عن صفوان الجمال عنه (ع) قال : سألته في طريق المدينة ونحن نريد مكة ، فقلت : يا ابن رسول الله ما لي أراك كئيباً حزيناً منكسراً ؟ فقال : لو تسمع ما أسمع لشغلك عن مسائلتي ، فقلت : وما الذي تسمع ؟ قال : ابتهال الملائكة إلى الله (عزّ وجلّ) على قتلة أمير المؤمنين وقتلة الحسين (ع) ، ونوح الجن وبكاء الملائكة الذين حوله وشدة جزعهم . وفيه عنه (ع) أنه قال لجعفر بن عفان لما أنشد عنده في المرثية : والله لقد شهدت ملائكة الله المقربون هيهنا يسمعون قولك في الحسين (ع) ، ولقد بكوا كما بكينا وأكثر . وفيه عن ابن عباس أن الملك الذي جاء إلى محمد (ص) يخبره بقتل الحسين (ع) كان جبرائيل الروح الأمين منشور الأجنحة ، باكياً صارخاً وفي هذا المعنى أخبار لا تحصى .

وفي تفسير البرهان عن ابن عباس في صفة إسرافيل : وينظر إسرافيل في كل يوم وليلة ثلاث مرات إلى جهنم فيذوب إسرافيل ويصير كوتر القوس ويبكي لو انسكب دمعه من السماء ليطبق ما بين السماء إلى الأرض حتى يغلب على الدنيا ولولا أن الله منع بكائه ودموعه لامتلاءت الأرض بدموعه فصار طوفان نوح وفيه عنه في صفة ميكائيل من رأسه إلى قدمه شعور من الزعفران وأجنحة من زبرجد أخضر على كلّ شعرة ألف ألف وجه ، في كل وجه ألف ألف فم ، في كل فم ألف ألف لسان ، وعلى كل لسان ألف ألف عين ، تبكي رحمة على المذنبين من المؤمنين بكل عين وبكل لسان يستغفر فيقطر من كل عين سبعون ألف ألف قطرة إلى آخر ما تقدم . وفي دروع الواقية عن كتاب زهد النبي (ص) في حديث يأتي فانكب النبي (ص) وأطرق يبكي وكذلك جبرائيل فلم يزالا يبكيان . وفي البحار عن در المنثور روي أنّ جبرائيل أتى النبي (ص) وهو يبكي فقال له : ما يبكيك ؟ قال : ما لي لا أبكي فوالله ما جفّت لي عين منذ خلق الله النار مخافة أن أعصيه فيقذفني فيها .

الأذن وقوة السمع : في التوحيد والكافي وتفسير علي عن الصادق (ع) :

أن لله ملكاً بعد ما بين شحمة أذنه إلى عينيه مسيرة خمسمائة عام خفقان الطير[1] وفي التوحيد والخصال عن أمير المؤمنين (ع) : وكيف يوصف ملائكته من سبعمائة عام ما بين منكبيه وشحمة أذنه ، وفي الأول عن أبي جعفر (ع) : أن الله خلق إسرافيل وجبرائيل وميكائيل من سبحة واحدة ، وجعل لهم السمع والبصر وموجود العقل وسرعة الفهم .

وفي تفسير علي عن أبي جعفر (ع) في قوله تعالى : ﴿ **حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير** ﴾[2] وذلك أن أهل السموات لم يسمعوا وحياً فيما بين أن بعث عيسى بن مريم إلى أن بعث محمداً (ص) ، فلما بعث الله جبرائيل إلى محمد (ص) سمع أهل السموات صوت وحي القرآن كوقع الحديد على الصفا ، فصعق أهل السموات . وفي البحار عن كتاب حسين ابن سعيد الأهوازي عن أحدهما (ع) قال : لا يكتب الملك إلا ما يسمع . وفي الكافي عن الصادق (ع) في خبر : وإذا قعدا ـ أي المؤمنين ـ يتحدّثان ، قالت الحفظة بعضها لبعض : اعتزلوا بنا ، فلعل لهما سرّاً وقد ستر عليها ، فقالت : أليس الله (عزّ وجلّ) يقول : ﴿ **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾ فقال : يا إسحاق إن كانت الحفظة لا تسمع فإن عالم السرّ يسمع ويرى .

الأنف وقوة الشم : في خبر عبد الله بن سلام المتقدم عن النبي (ص) في صفة جبرائيل : أقنى الأنف .

القنى إحديداب في الأنف .

وفي البرهان في صفة اسرافيل في الخبر المتقدم : أن جبرائيل طار ثلاثمائة عام ما بين شفة إسرافيل وأنفه فلم يبلغ إلى آخره . وفي دعوات الراوندي قال النبي (ص) : من أكل هذه البقلة المنتنة الثوم والبصل فلا يغشانا

---

(١) خفق الطائر إذا طار وخفقانه اضطراب جناحيه .

(٢) سورة سبأ، الآية: (٢٣).

في مجالسنا ، وأن الملائكة تتأذى بما يتأذى منه المسلم . وفي مكارم الأخلاق عنه (ع) : يا علي كل الثوم فلولا إني أناجي الملائكة لأكلته ، وفيه عنه (ص) : نقهوا أفواهكم بالخلال فإنه مسكن الملكين الحافظين الكاتبين ، قال (ص) : وليس أشد عليهما من فضل الطعام في الفم وفي المحاسن عنه (ص) : رحم الله المتخللين . قيل : يا رسول الله وما المتخللون ؟ قال (ص) : يتخللون من الطعام فإنه إذا بقي في الفم تغير فأذى الملك بريحه ، وفيه عن الصادق (ع) : إني لأحب للرجل إذا قام بالليل أن يستاك وأن يشمّ الطيب ، فإنّ الملك يأتي الرجل إذا قام بالليل حتى يضع فاه على فيه ، فما خرج من القرآن من شيء دخل في جوف هذا الملك . وفي الكافي والخصال ، عن أمير المؤمنين (ع) : الطيب في الشارب من أخلاق النبيين وكرامة للكاتبين .

الفم واللسان والصوت والكلام : في البرهان عن ابن عباس في صفة ميكائيل : خلقه الله بعد إسرافيل بخمسمائة عام من رأسه إلى قدمه شعور من الزعفران ، وأجنحة من زبرجد أخضر على كلّ شعرة ألف ألف وجه ، في كل وجه ألف ألف فم ، في كلّ فم ألف ألف لسان (الخبر) ، وفيه في صفة إسرافيل : من لدن رأسه إلى قدميه شعور وأفواه وألسنة مغطاة بأجنحة يسبح الله بكل لسان بألف ألف لغة (الخبر) . وقد تقدم في خبر جهنم فإذا نظر ـ أي الكافر ـ إلى الملائكة قد استعدوا له بالسلاسل والأغلال قد عضوا على شفاههم من الغيظ والغضب (الخبر) وفي توحيد الصدوق عن جميل بن دراج قال : سألت أبا عبد الله (ع) : هل في السماء بحار ؟ قال : نعم ، أخبرني أبي عن أبيه عن جده ، قال : قال رسول الله (ص) : أن في السموات السبع لبحار عمق أحدها لمسيرة خمس مائة عام ، فيها ملائكة قيام منذ خلقهم الله (عزّ وجلّ) والماء إلى ركبهم ، ليس منهم ملك إلا وله ألف وأربع مائة جناح في كل جناح أربعة وجوه ، في كل وجه أربعة ألسن ، ليس فيها جناح ولا وجه ولا لسان ولا فم إلا وهو يسبح الله تعالى بتسبيح لا يشبه نوع منه صاحبه « وفي حديث تزويج فاطمة (ع) » وأمر الله الملائكة أن تجتمع في السماء الرابعة عند البيت المعمور فهبط من فوقها إليها وصعد من تحتها إليها ، وأمر الله (عزّ وجلّ) رضوان ،

فنصب منبر الكرامة على باب بيت المعمور ، وهو الذي خطب عليه آدم (ع) يوم عرض الأسماء على الملائكة وهو منبر من نور فأوحى الله إلى ملك من ملائكة حجبه يقال له راحيل أن يعلو ذلك المنبر ، وأن يحمده بمحامده ويمجده بتمجيده ، وأن يثني عليه بها هو أهله ، وليس في الملائكة أحسن منطقاً ولا أحلى لغة من راحيل الملك (الخبر) . وفي خطبة الأشباح : ثمّ خلق سبحانه لإسكان سمواته وعمارة الصفح الأعلى من ملكوته خلقاً بديعاً من ملائكته ملأ بهم فروج فجاجها[1] وحشا بهم فتوق أجوالها ، وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم في حظائر القدس وسترات الحجب وسرادقات المجد ووراء ذلك الرجيج الذي تستك منه الأسماع إلى أن قال (ع) : ولم تجف لطول المناجاة أسلات ألسنتهم .

الزجل : الأصوات الرجيج : الزلزلة والإضطراب والأسلة طرف اللسان وفي خبر المعراج : فرفعني الرفرف بإذن الله إلى ربي فصرت عنده وانقطع عني أصوات الملائكة ودويّهم .

وعن المناقب : وروي أنه كان إذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه (ص) دوي كدوي النحل ، وفي حديث سلمان وركوبه معه (ع) على البغلتين وعروجهما إلى الهواء ، قال سلمان : فارتفعنا في الجو لحظة فنظرت فلم أر شيئاً في الأرض وإذا أنا أسمع أصوات التسبيح والتهليل ، فقلت : يا أمير المؤمنين الله أكبر إن هيهنا بلاداً قد وصلنا إليها ، فقال : يا سلمان هذه أصوات الملائكة بالتسبيح والتهليل ، وهذه هي سماء الدنيا وما ورد في صياحهم وأذكارهم وندائهم في السماء وفي الأرض وتكلمهم مع الأنبياء والأوصياء (ع) ، بل المؤمنين في موارد كثيرة واستغفارهم لهم أكثر من أن يخفى أو يحصى .

الوجه والخد واللحية والشعور : في الأمالي والخصال ومعاني الأخبار

---

(١) الفجاج جمع الفج : الطريق الواسع بين جبلين وأجوائها جمع جو. وتستك الأسماع أي تنسد .

عن الكاظم (ع) : بينما رسول الله (ص) جالس إذ دخل عليه ملك له أربع وعشرون وجهاً ، فقال له رسول الله (ص) : حبيبي جبرائيل لم أرك في مثل هذه الصورة ؟ فقال الملك : لست جبرائيل أنا محمود (الخبر) . وفي حديث صفة جبرائيل سائل الخدين مدوّر اللحيين ، وقال (ص) : له ثمانون ذوابة ، وقصّة جعدة . القصة بالضم : شعر الناصية .

وفي البرهان في صفته عن ابن عباس : وأمّا جبرائيل فخلقه الله بعد ميكائيل بخمسمائة عام ، من رأسه إلى قدمه شعور من زعفران ، والشمس بين عينيه ، وكل شعرة قمر وكواكب . وفيه عن كتاب عمرو بن إبراهيم الأوسي أن النبي (ص) سأل جبرائيل أن يتصور وإذا هو أجلى الجبينين معتدل الشعر كأن شعره المرجان «وفي تفسير علي » في حديث المعراج ثم مررنا بملائكة من ملائكة الله (عزّ وجلّ) ، خلقهم الله كيف شاء ، ووضع وجوههم كيف شاء . وفيه في ملائكة سماء الدنيا ما لقيني ملك إلا ضاحكاً مستبشراً حتى لقيني ملك من الملائكة لم أرَ أعظم خلقاً منه ، كريه المنظر ظاهر الغضب ، إلى أن قال جبرائيل : إنّ هذا مالك خازن النار لم يضحك قطّ ، وعن ابن عباس في حديث المعراج : ورأى (ص) ملكاً باسر الوجه ، بيده لوح مكتوب بخط من النور وخط من الظلمة ، فقال ـ أي جبرائيل ـ : هذا ملك الموت ، ثمّ رأى ملكاً قاعداً على كرسي فلم يرَ منه من البشر ما رأى من الملائكة ، فقال جبرائيل : هذا مالك خازن النار ، كان طلقاً بشراً ، فلما اطلع عليّ النار لم يضحك بعد .

الباسر : العابس وتقدم بعض المقصود .

وفي درّ المنثور عن حذيفة في صفة جبرائيل : ورأسه محبك حبك مثل اللؤلؤ كأنّه الثلج ، وقدماه إلى الخضرة في النهاية رأسه أي شعر رأسه متكثر من الجعودة مثل الماء الساكن والرّمل إذا هبت عليهما الريح ، فيتجعدان ويصيران طرائق .

العنق : في النهج ومنهم الثابتة في الأرض السفلى أقدامهم والمارقة من السماء العليا أعناقهم وفي التوحيد عن أبي عبد الله (ع) : أن لله تبارك وتعالى

ملكاً بعد ما بين شحمة أذنه إلى عنقه مسيرة خمس مائة عام خفقان الطير . وفي الصحيفة الكاملة في الصلوة عليهم النواكس الأعناق .

العاتق والمنكب والكتف والكاهل : في البحار عن درّ المنثور عن جابر عن النبي (ص) : أذن لي أن أحدّث عن ملك من ملائكة الله (عزّ وجلّ) من حملة العرش ، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مائة عام « وفي النهج » والمناسبة لقوائم الأرض أركانهم « وفي معاني الأخبار والأمالي والخصال » عن الكاظم (ع) في حديث محمود الملك فلما ولي الملك إذا بين كتفيه : محمد رسول الله (ص) علي وصيه ، فقال رسول الله (ص) : منذ كم كتب هذا بين كتفيك ؟ (الخبر) ومرّ ذكر المنكب « وفي تفسير الإمام (ع) » قال رسول الله (ص) : إن الله لما خلق العرش خلق له ثلاث مائة وستين ألف ركن ، وخلق عند كل ركن ثلاث مائة وستين ألف ملك ، لو أذن الله لأصغرهم آن فالتقم السموات السبع ، والأرضين السبع ما كان ذلك بين لهواته إلا كالرملة في المفازة الفضفاضة[1] فقال لهم الله : يا عبادي احتملوا عرشي هذا ، فتعاطوه فلم يطيقوا حمله ولا تحريكه ، فخلق الله (عزّ وجلّ) مع كل واحد منهم واحداً فلم يقدروا أن يزعزعوه فخلق الله مع كل واحد منهم عشرة فلم يقدروا أن يحركوه ، فخلق الله بعدد كل واحد منهم مثل جماعتهم فلم يقدروا أن يحركوه ، فقال الله (عزّ وجلّ) لجميعهم : خلوه عليّ أمسكه بقدرتي فخلوه فأمسكه الله (عزّ وجلّ) بقدرته ثم قال لثمانية منهم : احملوه أنتم ؟ فقالوا : يا ربنا لم نطقه نحن وهذا الخلق الكثير والجم الغفير فكيف الآن دونهم ؟ فقال الله (عزّ وجلّ) : لأني أنا الله المقرّب للبعيد والمخفف للشديد والمسهّل للعسير ، أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد أعلمكم كلمات قولها يخفف بها عليكم ، قالوا : ما هي ؟ قال : تقولون بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله الطيبين ، فقالوا : فحملوه وخفّ على كواهلهم كشعرة نابتة على كاهل رجل جلد قوي ، فقال

(١) أي واسعة .

الله (عزّ وجلّ) لسائر تلك الأملاك : خلوا على هؤلاء الثمانية عرشي ليحملوه وطوفوا أنتم حوله ، وسبحـوني ومجدوني وقـدّسوني ، فـأنا الله القـادر على ما رأيتم ، وعلى كل شيء قدير ، ويأتي أن العـرش على كاهـل إسرافيـل « وفي العلل » عن النبي (ص) لما أسرى بي إلى السمـاء حملني جبرائيـل على كتفه الأيمن فنظرت إلى بقعة بأرض الجبل (الخبر) وفيه ذكر شرافة قم .

اليد والكف والاصبع : قال تعالى ﴿ **والملائكة باسطو أيديهم أخرجـوا أنفسكم** ﴾[1] « وفي التـوحيد والخصـال » عن أميـر المؤمنين (ع) : ومنهم من يسدّ الأفق بجناح من أجنحته دون عظم يديه ، ومنهم من لو ألقى في نقوة أبهامه جميع المياه لوسعتها « وفي تفسير علي » في خبر المعراج قال (ع) : رأيت ملكاً من الملائكة بيده لوح من نور ، لا يلتفت يميناً ولا شمالاً مقبلاً عليه ثبة كهيئة الحـزين ، « وعن المناقب» عن ابن عبـاس رأيت الحسين قبل أن يتـوجـه إلى العراق وكف جبرائيل في كفه ، « وفي مصباح الشيخ » في الدعاء : وبـإسمك المكتـوب على راحـة رضـوان خـازن الجنـة . « وفي صحيفـة الـرضـا (ع) » عنه (ص) : رأيت في السماء الثالثة رجلاً قاعداً رجل له في المشرق ورجل له في المغـرب ، وبيده لـوح ينظر فيـه ويحرّك رأسـه ، « وفي تفسيـر علي » عن أمير المؤمنين (ع) في سياق خلقة آدم واعتراض الملائكة قال (ع) : فباعـدهم الله من العرش مسيرة خمسمائة عام ، قال : فلاذوا بالعرش وأشاروا بالأصابع ، فنظر الرب (جل جلاله) إليهم (الخبر) وفي حديث بساط قـال سلمان : وإذا نحن بملك يده بالمغرب والأخرى بالمشرق ، فقلنا : يا أمير المؤمنين من هذا الـذي يده بـالمغـرب والأخـرى بـالمشـرق ؟ فقـال : هـذا الملك الـذي وكّله الله (عزّ وجلّ) بالظلمة للّيل والنهـار ، لا يزول إلى يـوم القيامـة « وفي تفسير العياشي » عن الصادق (ع) في خبر المعراج : فشمس البراق[2] حين أدناه منه ليركبه ، فلطمـه جبرائيـل لطمـة عرق البـراق منه إلى أن قـال : ثم صلى بهم

---

(١) سورة الأنعام، الآية: (٩٣).

(٢) شمس: أبى وامتنع.

رسول الله (ص) في السماء السابعة ، وأمّهم رسول الله (ص) ثم مضى به جبرائيل حتى انتهى به إلى موضع فوضع إصبعه على منكبه (الخبر) .

الجناح والزغب والريش : في الخصال والكافي عن النبي (ص) : الملائكة على ثلاثة أجزاء فجزء لهم جناحان وجزء لهم ثلاثة أجنحة ، وجزء لهم أربعة أجنحة وحمل على أن أكثرهم كذلك فلا ينافي في ما ورد في كثرة أجنحة بعضهم .

« وفي تفسير علي » عن الصادق (ع) رأى رسول الله (ص) جبرائيل وله ستمائة جناح « وفي الخبر المتقدم عن الاختصاص » في صفته له أربع وعشرون جناحاً خضراً مشبّكة بالدر والياقوت مختمة باللؤلؤ « وفي البرهان » عن كتاب عمرو بن إبراهيم الأوسي عن ابن مسعود قال : قال رسول الله (ص) : رأيت جبرائيل عند سدة المنتهى له ستمائة جناح ، يتناثر من ريشه أكابر الدر والياقوت « وفيه » في خبر آخر أنه بواحد من أجنحته سدّ من السماء إلى الأرض « وفي الخصال » عن أبي عبد الله (ع) و «عن ابن شهرآشوب في مناقبه » عن أربعين المؤذن وإبانة العكبري وخصائص النطنزي عن ابن عمر كان على الحسن والحسين (ع) تعويذان حشوهما من زغب جناح جبرائيل[1] قال ابن شهرآشوب : وفي رواية فيهما من جناح جبرائيل . « وفي الخرايج » عن أبي جعفر (ع) : أن : الملائكة لتزاحمنا على تكائنا ، وأنا لنأخذ من زغبهم ، فنجعله سخاباً لأولادنا .

التكئة : كهمزة ما يتكأ عليه ، والسخاب : ككتاب خيط ينظم فيه من خرز ويلبسه الصبيان والجواري ، وقلادة تتخذ من سك وغيره ليس فيها من الجوهر شيء .

وفيه في قوله تعالى : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا** ﴾[2] ، فقال : أما والله لربما وسدناهم المسائد

---

(١) الزغب: صغار الريش.

(٢) سورة السجدة، الآية: (٣٠).

في منازلنا ، قيل : الملائكة تظهر لكم ؟ فقال : هم ألطف بصبياننا منّا ، وضرب بيده إلى مساور في البيت[1] فقال : والله لطالما انكبت عليه الملائكة وربما التقطنا من زغبها « وعن در المنثور في خبر » أنّ جبرائيل قال لرسول الله (ص) : فكيف لو رأيت إسرافيل أن له لإثني عشر جناحاً منها جناح في المشرق وجناح في المغرب وأن العرش لعلى كاهله[2] . وعنه عن النبي (ص) : الروح الأمين جبرائيل رأيت له ستمائة جناح من لؤلؤ قد نشرهما فيهما مثل ريش الطواويس .

وفي قصص الأنبياء عن أبي جعفر (ع) أن الله خلق الملائكة روحانيين ، لهم أجنحة يطيرون بها حيث يشاء الله « وفي علل الشرائع » عنه (ع) أن رسول الله (ص) سأل جبرائيل كيف كان مهلك قوم لوط ؟ فقال : إن قوم لوط كانوا أهل قرية إلى أن قال : فضربت بجناحي الأيمن على ما حوى عليه شرقيها ، وضربت بجناحي الأيسر على ما حوى عليه غربيها ، فاقتلعتها يا محمد من تحت سبع أرضين إلا منزل آل لوط آية للسيارة ، ثم عرجت بها في جوافي جناحي حتى أوقفتها حيث يسمع أهل السماء زقاء ديوكها ونباح كلابها[3] .

وفي أمالي ابن الشيخ عن الصادق (ع) في حديث تزويج فاطمة (ع) قالت أم سلمة : فسألت فاطمة (ع) هل عندك طيباً ذخريته لنفسك ؟ قالت : نعم فأتت بقارورة فسكبت منها في راحتي ، فشممت منها رائحة ما شممت مثلها قط ، فقلت : ما هذا ؟ فقالت : كان دحية الكلبي يدخل على رسول الله (ص) فيقول لي : يا فاطمة آتي الوسادة فاطرحيها لعمك فأطرح له الوسادة فيجلس عليها ، فإذا نهض سقط من بين ثيابه شيء فيأمرني بجمعه ، فسأل على رسول الله (ص) عن ذلك ؟ فقال : هو عنبر يسقط من أجنحة جبرائيل « وعن

---

(١) المساور جمع المسور: متكأ من جلد.

(٢) الكاهل: أعلى الظهر مما يلي العنق.

(٣) زقى الطائر زقاءاً: صاح. والنباح: صوت الكلب.

مناقب ابن شهرآشوب » عن أم عثمان أم ولد لعلي (ع) قالت : كان لآل محمد (صلى الله عليهم) وسادة لا يجلس عليها إلا جبرائيل ، فإذا قام عنها طويت فكان إذا قام انتفض من زغبه ، فتلتقطه فاطمة (ع) فتجعله في تمائم الحسن والحسين (ع)[1] وفي الخرائج وغيره أنه لما ولد الحسين (ع) أمر الله جبرائيل أن يهبط في ملأ من الملائكة فيهنّى محمداً (ص) فهبط فمر بجزيرة فيها ملك يقال له فطرس ، بعثه الله في شيء فأبطأه فكسر جناحه فألقاه في تلك الجزيرة ، فعبد الله سبعمائة عام فقال فطرس لجبرائيل : إلى أين ؟ فقال : إلى محمد (ص) ، قال احملني معك لعله يدعو لي ، فلما دخل جبرائيل وأخبر محمداً (ص) بحال فطرس قال له النبي (ص) : قل له : يتمسح بهذا المولود ، فتمسح فطرس بمهد الحسين (ع) فأعاد الله عليه في الحال جناحه ، ثم ارتفع مع جبرائيل إلى السماء « وفي السرائر » عن جامع البزنطي بأسانيد متعددة عن الصادق (ع) : أن فطرس ملك كان يطوف بالعرش فتلكأ في شيء من أمر الله فقصّ جناحه ، ورمى به على جزائر البحر ، وذكر قريباً منه وأنه مسح جناحه بحسين (ع) .

تلكأ من الأمر تلكأ : تباطأ عنه وتوقف .

وفي الأمالي عنه (ص) أنه كان من الحملة وأنه لما ارتفع قال : يا رسول الله أما أن أمتك ستقتله ، وله عليّ مكافأة ألا يزوره زائر إلا أبلغته عنه ، ولا يسلم عليه مسلّم إلا أبلغته سلامه ، ولا يصلّي عليه مصل إلا أبلغته صلاته ، ثم ارتفع .

« وفي تفسير فرات » عن رسول الله (ص) أنه قال : معاشر الناس تدرون لما خلقت فاطمة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : خلقت فاطمة حوراء أنسية لا أنسية قال : خلقت من عرق جبرائيل ومن زغبه ، قالوا : يا رسول الله اشتكل ذلك علينا تقول حوراً أنسية لا أنسية ثم تقول : من عرق جبرائيل ومن زغبه ؟

---

(١) التمائم جمع التميمة : خرزة أو ما يشبهها كان الأعراب يضعونها على أولادهم للوقاية من العين ودفع الأرواح.

قال : إذاً أنبئكم أهدي إلي ربّي تفّاحة من الجنة أتاني بها جبرائيل (ع) ، فضمها إلى صدره فعرق جبرائيل ، وعرقت التفاحة فصار عرقهما شيئاً واحداً (الخبر) قال في البحار : وكونها من زغب جبرائيل أما لكون التفاحة فيها وعرقت من بينها أو لأنه التصق بها بعض ذلك الزغب فأكله النبي (ص) : « وفي بصائر الدرجات » عنه (ع) ما يقرب منه « وفيه » أن جبرائيل قال له : اركب جناحي فركب جناحه ، وأنه لما تمسح بمهده قال رسول الله (ص) : فنظرت إلى ريشه ، وأنه ليطلع ويجري منه الدم ، ويطول حتى لحق بجناحه الآخر .

« وفي إكمال الدين » عن النبي (ص) أن لله ملكاً يقال له دردائيل كان له ستة عشر ألف جناح ، ما بين الجناح إلى الجناح هواء ، والهواء كما بين السماء والأرض ، ثم ذكر خطور أمر بباله وأنه تعالى زاده أجنحة مثلها ، وإنه طار مقدار خمسمائة عام ، فلم ينل رأسه قائمة من قوائم العرش ، وأنه تعالى سلبه أجنحته ومقامه من صفوف الملائكة ، ثم ذكر مولد الحسين وهبوط جبرائيل مع ألف قبيل في القبيل ألف ألف ملك على خيول بلق مسرجة ملجمة ، عليها قباب الدر والياقوت ، معهم ملائكة يقال لهم الروحانيون ، بأيديهم حراب من نول لتهنئة النبي (ص) ومرورهم بدردائيل ومسألته عن جبرائيل أن يسأله بحق هذا المولود أن يشفع له عند الله تعالى ويردّ علبه أجنحته ومقامه ، وأنه أخبره بقضية فدعا فغفر للملك ولا يعرف في الجنة إلا بأن يقال هذا مولى الحسين بن علي بن رسول الله (ص) وفي خبر مفضل بن عمر الطويل في الغيبة عن الصادق (ع) كان ملك من المؤمنين يقال له صلصائيل ، بعثه الله تعالى في بعث فأبطأه فسلبه ريشه ودقّ جناحه ، وأسكنه في جزيرة من جزائر البحر وذكر (ع) له مثل ما مر عن أخويه .

وفي البحار عن المسألة الباهرة في تفضيل الزهراء الطاهرة : أن الله تعالى خيّر فطرس بين عذاب الدنيا والآخرة فاختار عذاب الدنيا ، فكان معلقاً بأشفار عينيه في جزيرة في البحر ، لا يمرّ به حيوان وتحته دخان منتن غير منقطع ، وينبغي حمل ما صدر من تلك الملائكة من الخطور والإبطاء على ما يحمل عليه ما صدر من شركائهم في عصمة الأنبياء (ع) مما يوهم الذنب ظاهراً وهو غيره

كما شرح في موضعه .

وفي بصائر الدرجات عنه (ص) أنه قال للحسين بن أبي العلا : بيوتنا مهبط الملائكة ومنزل الوحي ، وضرب بيده إلى مساور في البيت ، فقال : يا حسين مساور والله طال ما اتكت عليها الملائكة وربما التقطنا من زغبها ، « وفيه » عن الساباطي قال : أصبت شيئاً على وسائد كانت في منزل أبي عبد الله (ع) فقال له بعض أصحابنا : ما هذا جعلت فداك ؟ وكان يشبه شيئاً يكون في الحشيش كثيراً كأنه خزرة ، فقال أبو عبد الله (ع) : هذا مما يسقط من أجنحة الملائكة ، ثم قال : يا عمار إن الملائكة لتأتينا وأنها لتمرّ بأجنحتها على رؤوس صبياننا ، إن الملائكة لتزاحمنا على نمارقنا[1] « وفيه » عن الثمالي قال : دخلت على علي بن الحسين (ع) فاحتبست في الدار ساعة ثم دخلت عليه البيت وهو يلتقط شيئاً وأدخل يده وراء الستر ، فناوله من كان في البيت فقلت : جعلت فداك هذا الذي أراك تلتقط أيّ شيء ؟ فقال : فضلة من زغب الملائكة نجمعه إذا جاءونا ونجعله سخاباً لأولادنا . « وفيه » عن الثمالي وغيره بطرق عديدة عن أبي جعفر (ع) : منا من يسمع الصوت ولا يرى الصورة ، وأن الملائكة لتزاحمنا على تكائنا ، وإنّا لنأخذ من زغبهم فنجعله سخاباً لأولادنا ، « وفيه » عن الحرث النضري قال : رأيت على بعض صبيانهم تعويذاً ، فقلت : جعلني الله فداك أما يكره تعويذ القرآن تعلق على الصبي ؟ قال : إن ذا ليس بذا إنما ذا من ريش الملائكة ، « وفيه » بسندين عن المفضل بن عمر ، قال : دخلت على أبي عبد الله (ع) فبينما أنا جالس عنده إذ أقبل ابنه موسى (ع) وفي رقبته قلادة فيها ريش غليظ ، فدعوت به فقبلته وضممته إليّ ثم قلت لأبي عبد الله (ع) : جعلت فداك أي شيء هذا الذي في رقبة موسى (ع) ؟ فقال : هذا من أجنحة الملائكة ، قال : فقلت : فإنّها لتأتينكم ؟ قال : نعم إنّها لتأتينا وتتعفر في فرشنا ، وإن هذا الذي في رقبة موسى (ع) من أجنحتها ، « وفي مناقب الخوارزمي » عن النبي (ص) : أتاني جبرائيل قد نشر جناحيه فإذا فيها

(١) النمارق: الوسائد وواحدتها النمرقة.

مكتوب : لا إله إلا الله محمد النبي ، وعلى الآخر : لا إله إلا الله علي الوصي ، « وفي الاحتجاج » عن الصادق (ع) في خبر طويل : ولما خلق الله (عزّ وجلّ) جبرائيل كتب على جناحيه : لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين ، « وفي تفسير علي » بسند صحيح عنه (ع) : أن الله تبارك وتعالى غضب على ملك من الملائكة فقطع جناحه وألقاه في جزيرة من جزائر البحر ، فبقي ما شاء الله في ذلك البحر ، فلما بعث الله إدريس جاء ذلك الملك إليه فقال : يا نبي الله ادع الله أن يرضى عني ويردّ عليّ جناحي ، فدعا إدريس ربه فردّ الله عليه جناحه ورضي عنه ، قال الملك لإدريس : ألك إليّ حاجة ؟ قال : نعم أحب أن ترفعني إلى السماء حتى أنظر إلى ملك الموت فإنه لا تعيش لي مع ذكره ، فأخذه الملك إلى جناحه حتى انتهى به إلى السماء الرابعة (الخبر) « وفي قصص الأنبياء » عن رسول الله (ص) : ما يقرب منه . « وفيه » فبسط جناحيه ، ثم قال : اركب فصعد به .

وفي كامل الزيارة في الخبر المتقدم في صعود حفظة الزوار ولقائهم النبي والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) عند إسماعيل صاحب الهواء قال : ويقولون : بشّروهم بدعائكم ، فتقول الحفظة : كيف نبشّرهم وهم لا يسمعون كلامنا ؟ فيقولون لهم : باركوا عليهم وادعوا لهم عنّا فهي البشارة منّا ، فإذا انصرفوا فحفوهم بأجنحتكم حتى يحسوا مكانكم « وفي شرح النهج » في سياق غزوة بدر وروي أنه (ص) صلّى العصر فلما صلى ركعة تبسم فلما سلم سأل عن تبسمه ؟ فقال : مرّ بي ميكائيل وعلى جناحه النقع[1] (الخبر) « وفي مشارق البرسي » أن جبرائيل جاء إلى النبي (ص) بعد فتح خيبر متعجباً وقال : إني لما أمرت أدمّر قوم لوط حملت مدائنهم وهي سبع مدائن من الأرض السابعة السفلى إلى الأرض السابعة العليا علي ريشه من جناحي ، ورفعتها حتى سمع حملة العرش صياح ديكتهم وبكاء أطفالهم ، ووقفت بها إلى الصبح انتظر الأمر ولم أثقل بها ، واليوم لما ضرب عليّ ضربته الهاشمية وكبّر أمرت أن أقبض

---

(١) النقع : الغبار.

فاضل سيفه حتى لا يشق الأرض ، وتصل إلى الثور الحامل لها فيشطره شطرين ، فتنقلب الأرض بأهلها ، فكان فاضل سيفه عليّ أثقل من مدائن لوط هذا وإسرافيل وميكائيل قد قبضا عضده في الهواء .

القلب : قال تعالى : ﴿ حتى إذا فزع عن قلوبهم ﴾[1] وفي تفسير علي في ذيل الخبر المتقدم في الأذن فلما فرغ من الوحي انحدر جبرائيل كلما مرّ بأهل السماء فزع عن قلوبهم يقول : كشف عن قلوبهم ، فقال بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق وهو العلي الكبير . « وروى الطبرسي » عن ابن مسعود أن الله إذا أوحى إلى بعض ملائكة لحق الملائكة غشي عند سماع الوحي ، ويصعقون ويخرّون سجّداً للآية العظيمة ، فإذا فزع عن قلوبهم سألت الملائكة ذلك الملك الذي أوحى إليه ماذا قال ربك ؟ أو يسأل بعضهم بعضاً فيعلمون أن الأمر في غيرهم .

وفي النهج في خطبة الأشباح « قد ذاقوا حلاوة معرفته ، وشربوا بالكأس الروية من محبته وتمكنت من سويداء قلوبهم وشيجة خيفته[2] فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم ، ولم ينفذ طول الرغبة إليه مادة تضرعهم » إلى أن قال (ع) : « ولا يرجع بهم الاستهتار[3] بلزوم طاعته إلا إلى مواد من قلوبهم غير منقطعة من رجاءه ومخافته » إلى أن قال (ع) : « وليس في أطباق السموات موضع أهاب إلا وعليه ملك ساجداً وساع حافد[4] يزدادون على طول طاعة بربهم علماً ، وتزداد عزة ربهم في قلوبهم عظماً » « وفي الاحتجاج » قال رسول الله (ص) لجبرائيل : من أين تأخذ الوحي ؟ قال : آخذه من إسرافيل ، قال : من أين يأخذه إسرافيل ؟ قال : يأخذه من ملك فوقه من الروحانيين ، قال : فمن أين يأخذه ذلك الملك ؟ قال : يقذف في قلبه قذفاً .

---

(١) سورة سبأ، الآية: (٢٣).
(٢) الوشيجة في الأصل: عرق الشجر وهي هنا استعارة.
(٣) الاستهتار مصدر استهتر فلان بكذا أي لازمه وأولع به.
(٤) الأهاب: الجلد. والحافد: المسرع.

الحجزة والركبة والرجل والقدم : في النهج « ومنهم الثابتة في الأرض السفلى أقدامهم » « وفي تفسير القمي » عن الصادق (ع) إذا أمر الله ميكائيل بالهبوط إلى الدنيا صارت رجله اليمنى في السماء السابعة ، والأخرى في الأرض السابعة ، « وفيه » وفي غيره أنه (ع) رأى جبرائيل على ساقه الدر مثل القطر على البقل « وفي العلل والعيون » عن أمير المؤمنين (ع) أنه سئل عن المدّ والجزر ما هما ؟ فقال : ملك موكل بالبحار يقال له رومان ، فإذا وضع قدميه في البحر فاض وإذا أخرجها غاض « وفي أمالي ابن الشيخ » عن الصادق (ع) عن رسول الله (ص) : رقدت بالأبطح على ساعدي وعليّ عن يميني وجعفر عن يساري وحمزة عند رجلي ، قال : فنزل جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ففزعت لخفق أجنحتهم ، قال : فرفعت رأسي فإذا إسرافيل يقول : إلى أيّ الأربعة بعثت وبعثنا معك ؟ قال : فرفس أو ركض برجله فقال : إلى هذا (الخبر) .

وعن مناقب ابن شهرآشوب في حديث البعثة ثم كان جبرائيل يأتيه ولا يدنو منه إلا بعد أن يستأذن عليه ، فأتاه يوماً وهو بأعلى مكة فغمز بعقبه بناحية الوادي فانفجر عين فتوضأ جبرائيل وتطهّر الرسول (ص) (الخبر) « وفي التوحيد والخصال » عن أمير المؤمنين (ع) : ومنهم من في السموات إلى حجزته ، ومنهم من قدمه على غير قرار في جو الهواء الأسفل ، والأرضون إلى ركبتيه وفي الأول في الخبر المتقدم في بحار السماوات فيها ملائكة قيام منذ خلقهم الله والماء إلى ركبهم .

وفي خطبة الأشباح « ومنهم من قد خرقت أقدامهم تخوم الأرض السفلى » ، وفي تفسير البرهان عن كتاب عمرو بن إبراهيم ، عن كتاب العظمة لابن سيرين أن حمزة سأل النبي (ص) أرني جبرائيل فقال : إسكت فألحّ عليه وإذا بجبرائيل قد نزل إلى النبي (ص) في تلك الساعة ، فقال : اللهم اكشف عن بصر حمزة فقال : أنظر فنظر وإذا قدماه كالزبرجد ، فخرّ حمزة مغشياً عليه فعرج جبرائيل بعد أن بلغ ، « وفيه » عنه عن ابن عباس أن النبي (ص) لما سأل جبرائيل أن يريه في الصورة التي فيها بالسماء ، أتى به إلى عرفات وإذا هو بخشخشة وكلكلة قد ملأ ما بين المشرق والمغرب رأسه في السماء ورجلاه في

الأرض ، إلى أن قال : يا محمد لو رأيت إسرافيل الذي رأسه تحت العرش ورجلاه تحت تخوم الأرض السابعة . وعن مناقب ابن شاذان عنه (ص) : أن الله تعالى خلق في السماء الرابعة مائة ألف ملك ، وفي السماء الخامسة ثلاث مائة ألف ملك ، وفي السماء السابعة ملكاً رأسه تحت العرش ورجلاه تحت الثرى ، وملائكة أكثر من ربيعة ومضر ليس لهم طعام ولا شراب إلا الصلوة على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ومحبيه ، والاستغفار لشيعته المذنبين ومواليه « وفي البصائر وغيره » ما يزيد على المتواتر أن الملائكة تطأ فراشهم (ع) « وفي الكافي » أن أبا عبد الله (ع) قال لرجل لقاه بالثعلبية : أما والله يا أخا أهل الكوفة ، لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرائيل من دارنا ونزوله بالوحي على جدي (ص) .

القد واللون والرائحة : في البحار والبرهان عن الإختصاص في حديث عبد الله بن سلام أنه قال لرسول الله (ص) أخبرني ما طول جبرائيل ؟ قال : إنه على قدر بين الملائكة ليس بالطويل العالي ولا بالقصير المتداني ، إلى أن قال : حسن القامة وفيه في صفته أغرّ أدعج محجل[1] ضوئه بين الملائكة كضوء النهار عند ظلمة الليل ، وفي خطبة الأشباح : « أنشأهم على صور مختلفات وأشباح متفاوتات » وفي الفقيه ، وروي أنّ الرعد صوت ملك أكبر من الذّباب وأصغر من الزنبور ، « وفي الدروع الواقية » عن كتاب زهد النبي (ص) : إن جبرائيل جاءه عند الزوال في ساعة لم يأته فيها ، وهو متغير اللون وكان النبي (ص) يسمع حسّه وجرسه فلم يسمعه يومئذ فقال له النبي (ص) : يا جبرائيل ما لك جئتني في ساعة لم تجئني فيها وأرى لونك متغيراً وكنت أسمع حسك وجرسك فلم أسمعه ـ الخبر ـ « وفي مكارم الأخلاق » عن الرضا (ع) رائحة الأنبياء رائحة السفرجل ، ورائحة حور العين الآس ، ورائحة الملائكة الورد ، « وفي البحار » عن كتاب الإمامة والتبصرة عن النبي (ص) وزاد في

---

(١) الأغر: الأبيض. والأدعج: الذي عينه شديدة السواد مع سعتها والمحجل: ما كان في قوائمة بياض.

آخره : ورائحة ابنتي فاطمة الزهراء (ع) رائحة السفرجل والآس والورد . « وفي تفسير علي » عن أبي عبد الله (ع) كان بينا رسول الله (ص) جالساً وعنده جبرائيل إذ حانت من جبرائيل نظرة قبل السماء ، فانتقع لونه حتى صار كأنه كركم ثم لاذ برسول الله فنظر رسول الله (ص) إلى حيث جبرائيل ، فإذا شيء قد ملأ بين الخافقين مقبلاً حتى كان كقاب الأرض ، ثم قال : يا محمد إني رسول الله إليك أخبرك أن تكون ملكاً رسولاً أحبّ إليك أو أن تكون عبداً رسولاً ؟ فالتفت رسول الله (ص) إلى جبرائيل وقد رجع إليه لونه ، فقال جبرائيل : بل كن عبداً رسولاً ، فقال رسول الله (ص) : بل أكون عبداً رسولاً ، فرفع الملك رجله اليمنى فوضعها في كبد السماء الدنيا ثم رفع الأخرى فوضعها في الثانية ثم رفع اليمنى في الثالثة وهكذا حتى انتهى إلى السماء السابعة يعدّ كل سماء خطوة ، وكلما ارتفع صغر حتّى صار آخر ذلك مثل الفتر ، فالتفت رسول الله (ص) إلى جبرائيل فقال : لقد رأيتك ذعراً ، وما رأيت شيئاً كان أذعر لي من تغير لونك ، ثم ذكر أنّه إسرافيل وإن تغير لونه لظنه أنّه جاء بقيام الساعة (الخبر) .

انتقاع اللون : تغيره من حزن أو فزع ، والكركم : الزعفران ، والفتر : طائر كالعصفور .

وفي البرهان عن كتاب الأوسي سأل جبرائيل أن يتصور إلى أن قال : قدماه ولونه كالثلج الموشح ، « وفي شرح النهج » في سياق حديث النفخة وموت الخلائق أنه تعالى يقول لملك الموت : خذ نفس فيقع في صورته التي خلق عليها كأعظم ما يكون من الأطواد ، إلى أن قال : فيقول خذ نفس ميكائيل فيقع في صورته التي خلق عليها وهي أعظم ما يكون من خلق إسرافيل بأضعاف مضاعفة ، ثم ذكر موت ملك الموت وبقاء جبرائيل ، قال : فقبض الله روحه فيقع على ميكائيل وإسرافيل أنّ فضل خلقه على خلقهما كفضل الطود العظيم على الظرب من الظراب .

الظرب ككتف : الجبال المنبسطة على الأرض .

هكذا ورد الخبر وسوق الأخبار السابقة يعطي عكس هذا الترتيب مع أنه عاميّ .

اللباس : عن الإختصاص في الخبر المتقدم في صفة جبرائيل وعليه وشاح[1] بطانته الرحمة وإزاره الكرامة وظهارته الوقار ، فإن أراد المعنوي فالصفات ظاهرة وإن أراد الصوري فالمعنى كما قيل : إن بطانته علامة رحمة الله أو للعباد وهكذا « وفي تفسير العياشي » عن أبي جعفر (ع) قال : كانت على الملائكة العمائم البيض المرسلة يوم بدر « وفيه وفي الكافي » عن أبي الحسن (ع) في قوله تعالى : ﴿ مسومين ﴾ قال : العمائم اعتمّ رسول الله (ص) فسدلها من بين يديه ومن خلفه ، وزاد الثاني واعتمّ جبرائيل (ع) فسدلها من بين يديه ومن خلفه ، وفي الثاني عن الصادق (ع) قال : عمّم رسول الله (ص) علياً (ع) بيده فسدلها من بين يديه ، وقصّرها من خلفه قدر أربع أصابع ، ثم قال : أدبر فأدبر ثم قال : أقبل فأقبل ، ثم قال : هكذا تيجان الملائكة ، « وفيه » عنه (ع) أن الله بعث أربعة أملاك في أهلاك قوم لوط : جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وكروبيل ، فمرّوا بإبراهيم (ع) فسلّموا عليه وهم معتمون فلم يعرفهم ورأى هيئة حسنة ، فقال : لا تخدم هؤلاء إلا بنفسي ، وكان صاحب ضيافة ، فشوى لهم عجلاً سميناً حتى أنضجه إلى أن قال : فلما رأى ذلك جبرائيل (ع) حسر العمامة عن وجهه فعرفه إبراهيم (ع) فقال : أنت هو؟ قال : نعم (الخبر) . « وفي تفسير العياشي » عن أبي جعفر (ع) قال : لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً أتاه ببشارة الخلة ملك الموت في صورة شاب أبيض عليه ثوبان أبيضان يقطر رأسه ماء ودهناً (الخبر) « وفي أمان الأخطار » للسيد علي بن طاوس عن عبد الله بن بشر ، قال : بعث رسول الله (ص) يوم غدير خم إلى علي (ع) فعمّمه وأسدل العمامة بين كتفيه ، وقال : هكذا أيّدني ربي يوم حنين بالملائكة معممين ، وفي حديث آخر هكذا أيدني ربي بالملائكة « وفي الأمالي » عن الصادق (ع) في حديث أنّ رسول الله (ص) أمر بغسل سعد بن

---

(١) الوشاح بالضم: شبه قلادة من نسيج عريض يرصع بالجوهر.

معـاذ حين مات ، ثم تبعـه بلا حـذاء ولا رداء ، فسـأل عن ذلـك فقـال : إن الملائكة كانت بلا حذاء ولا رداء فتأسيت بها .

المكان والحركة : في الخصال عن النبي (ص) أنّ جبرائيل أتاني فقال : أنا معاشر الملائكة لا ندخل بيتاً فيـه كلب ولا تمثال جسـد ولا إناء يبـال فيه ، « وفي دعوات الراوندي » أنه (ص) خرج في جنازة مـاشياً قيـل : لا تركب يـا رسول الله ؟ فقال : إني أكره أن أركب والملائكة يمشون فأبى أن يركب « وفي آخر كتاب عقاب الأعمال » عن ابن عباس أنّ رسول الله (ص) خطبنا قبل وفاته وهي آخر خطبة خطبها بالمدينة قال : أمر بلالاً فنادى الصلوة جـامعة فـاجتمع النـاس وخرج رسـول الله (ص) حتى ارتقى للمنبر ، فقـال : أيها النـاس ادنوا ووسعوا لمن خلفكم ، فدنى الناس وانضم بعضهم إلى بعض فالتفتوا فلم يروا خلفهم أحداً ثم قال : أيها الناس ادنوا ووسّعوا لمن خلفكم ، فقال رجل : يا رسول الله لمن نوسّع ؟ قال : للملائكة فقال : إنهم إذا كانوا معكم لـم يكونـوا من بين أيـديكـم ولا من خـلفكـم ، ولكـن يكـونـوا عـن إيمـانـكم وعـن شمـائلكم (الخبـر) « وفي مكـارم الأخـلاق » عن جـابـر قـال : كـان رسول الله (ص) إذا خرج مشى أصحابه أمامه ، وتركوا ظهره للملائكـة . وفي أخبار كثيرة عنه (ص) وعن خلفائه عليهمالصلوة : ما من شيء خلقه الله أكثر من الملائكة ، وأنّه ليهبط في كل يوم وفي كل ليلة سبعون ألف ملك ، فيأتون البيت الحرام فيطوفون به ثم يأتون رسول الله (ص) ، ثم يأتون أمير المؤمنين فيسلمون عليه ، ثم يأتون الحسين (ع) فيقيمون عنده ، فإذا كان وقت السحر وضع لهم معراج إلى اسماء ثم لا يعودون أبداً ، « وعن المناقب » سأل الصـادق (ع) أبا حنيفة أين مقعد الكاتبين ؟ قال : لا أدري ، قال : مقعدهما على الناجـذين ، « وعن كتاب حسين ابن سعيد الأهوازي » عن جابر عن أبي جعفر (ع) قـال : سـألته عن مـوضع الملكين ؟ قـال : هيهنا واحـد ، وهيهنا واحـد ، يعني عند شدقيه[1] « وفي الكافي » عن الصادق (ع) أن المؤمنين إذا قعدا يتحدثان قالت

(١) الشدق: زاوية الفم من باطن الخدين.

الحفظة بعضها لبعض : اعتزلوا بنا فلعل لهما سرّاً وقد ستر الله عليهما « وفيه » عنه (ص) : فإذا أقبلا على المسائلة قالت الملائكة بعضها لبعض : تنحّوا عنهما فإنّ لهما سرّاً وقد ستر عليهما ، « وفي الفقيه » كان أمير المؤمنين (ع) إذا أراد الحاجة وقف باب المذهب ثم التفت عن يمينه وعن يساره إلى ملكيه ، فيقول : أميطا عني فلكما علي أن لا أحدث بلساني شيئاً حتى أخرج إليكما ، « وفي فقه الرضا (ع) » وأفضل المشي في اتباع الجنازة ما بين جنبتي الجنازة ، وهو مشي الكرام الكاتبين .

ومرّ أن لله تعالى ملائكة سياحين سوى الكرام الكاتبين ، فإذا مرّوا بقوم يذكرون آل محمد (ع) قالوا : قفوا فقد أصبتم حاجتكم ، فيجلسون ويتفقهون معهم (الخبر) « وفي مزار محمد بن المشهدي » روى أن الحور العين إذا أبصرن بواحد من الأملاك يهبط إلى الأرض لأمر ما يستهدين منه السبح والتربة من طين قبر الحسين (ع) والأخبار في صعودهما ونزولهما واعتزالهما عن الإنسان في بعض الحالات كثيرة جداً ، « وعن در المنثور » عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) : إن الله تعالى ينهاكم عن التعري ، فاستحيوا من ملائكة الله الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث الغائط والجنابة ، والغسل ، « وعنه » أن جبرائيل وقف على رسول الله (ص) وعليه عصابة خضراء ، قد علاها الغبار ، فقال رسول الله (ص) : ما هذا الغبار الذي على عصابتك ؟ قال : إني زرت البيت فازدحمت الملائكة ، فهذا الغبار الذي ترى مما تثير بأجنحتها وما ورد في استقبالهم وتشييعهم زوار أمير المؤمنين وأبي عبد الله (ع) ، ومن زار أخاه المؤمن وعودهم إلى مكانهم ، وأمثال ذلك مما يدل على انتقالهم من مكان إلى مكان أكثر من أن يحصى .

« وفي تفسير العياشي » عن أمير المؤمنين (ع) أول بقعة عبد الله عليها ظهر الكوفة لما أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم سجدوا على ظهر الكوفة « وفي تفسير علي » بسند صحيح عن الصادق (ع) قال : بقي نوح في قومه ثلاثمائة سنة يدعوهم إلى الله فلم يجيبوه ، فهمّ أن يدعو عليهم فوافاه عند طلوع

الشمس اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الدنيا ، وهم العظماء من الملائكة ، فقال لهم نوح : ما (من ظ) أنتم فقالوا : نحن اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الدنيا ، وأن غلظ مسيرة السماء الدنيا خمسمائة عام ، ومن السماء الدنيا إلى الدنيا مسيرة خمسمائة عام ، خرجنا عند طلوع الشمس ووافيناك في هذا الوقت ، فنسألك أن لا تدعو على قومك ، قال نوح : أجّلتهم ثلاثمائة سنة ، فلما أتى عليهم ستمائة سنة ولم يؤمنوا ، همّ أن يدعو عليهم فوافاه اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الثانية ، فقال نوح : من أنتم ؟ قالوا : نحن اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الثانية وغلظ السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام ، ومن سماء الثانية إلى سماء الدنيا خمسمائة عام ، وغلظ سماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام ومن سماء الدنيا إلى الدنيا مسيرة خمسمائة عام ، خرجنا عند طلوع الشمس ووافيناك ضحوة ، « وروى الصدوق » مسنداً عنه (ع) ما يقرب منه ، وفيه حتى إذا انقضت ثلاثمائة أخرى ويئس من إيمانهم جلس في وقت الضحى للدعاء فهبط إليه وفد من السماء السادسة ، وهم ثلاثة أملاك فسلموا عليه وقالوا : نحن وفد من السماء السادسة خرجنا بكرة وجئنا ضحوة (الخبر) .

قال سيد العلماء العارفين المعترف بصدقه وفضله وكرامته الفقهاء والمحدثون والحكماء والمتكلمون رضي الدين بن طاوس حشرني الله معه في اليوم العبوس في الفصل الثالث والعشرين من كتاب فلاح السائل في تلقي الملكين الحافظين عند ابتداء الليل : أيّها العبدان كنت مسلماً مصدقاً بالقرآن فأنت تجد في قلبك على اليقين التصديق لقوله جلّ جلاله : ﴿ **إن عليكم حافظين كراماً كاتبين** ﴾[1] وتكون مستعداً لقد ومهما ، كما تستعد لقدوم رسول قد عرفت أنه يصل إليك من بعض ملوك الدنيا ، الذين هم من بعض مماليك سلطان العالمين ، فيكون لورودهما وحضورهما في قلبك موضع يستدلّ به على تصديقك لسيد المرسلين ، فإن في عباد الله (جل جلاله) العارفين من يعرف

---

(١) سورة الانفطار، الآية: (١٠).

وقت حضورهما ووقت انفصالهما عند المساء والصباح ، بأسباب لا تعرفها بالعبادة ، بل إن شاء الله (جل جلاله) أعرفك ذلك حتى تعلمه على الإيضاح ، فإنه (جل جلاله) يقول لأهل الاعتراض عليه في الرحمات : ﴿ **أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات** ﴾[1] فإن لم تجد في الملكين الحافظين محلاً في قلبك في أوّل ليلك ، ولا في أول نهارك ، فتوسل بالله (جل جلاله) في مداواة دينك أو عقلك ، فإنك سقيم في دينك ويقينك ، وفي قلبك وأسرارك ، وإياك أن تقول فقد رأيت فلانا وفلاناً وصاحبته ليلاً ونهاراً فما رأيت عنده بهذين الملكين اهتماماً ولا اعتباراً ، لأنك إن كنت مصدقاً بالكتاب والرسول فإنك لا تلتفت إلى أهل الغفلة ولا تقتدي بهم وإنما تعمل بالمعقول والمنقول ، فإن أكثر الناس في هذه الأوقات في غفلة هائلة ، قال : فإذا ذهبت الحمرة من أفق المشرق مع ارتفاع موانع مشاهدتها أو غلب الظن بزوالها عند الموانع الحائلة بين العبد وبين معرفتها ، وكان وقت حضور ملكي الليل بمقتضى المنقول من الروايات ، إذا كنت لا تعرف ذلك من طريق المراحم الربائيات فسلّم عليهما مثل سلامك عند إقبال النهار (انتهى) ولو لم يكن في هذا الباب إلا كلامه الشريف الأنيق ، لكفي في المطلوب بأحسن طريق .

الرؤية والمصافحة وإمكان الاحتراق بالنار وغيرها : في قصص الأنبياء مسنداً عن الصدوق عن وهب قال : كانت الملائكة في زمان إدريس (صلوات الله عليه) يصافحون الناس ويسلمون عليهم ويكلمونهم ويجالسونهم ، وذلك لصلاح الزمان وأهله ، فلم يزل الناس كذلك حتى كان من نوح (ع) وقومه ، ثم انقطع ذلك ، وفي حديث المفضل بن عمر الطويل في الرجعة قال المفضل : يا سيدي وتظهر الملائكة والجن للناس ؟ قال : أي والله ويخاطبونهم كما يكون الرجل مع حاشيته وأهله .

---

(١) سورة الزخرف، الآية: (٣٢).

وفي الكافي عن أبي جعفر (ع) أن أصحاب رسول الله (ص) قالوا : يا رسول الله نخاف علينا النفاق ؟ قال : فقال : ولم تخافون ذلك ؟ قالوا : إذا كنا عندك فذكّرتنا ورغبتنا ، وجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا ، حتى كأنا نعاين الجنة والنار ونحن عندك فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل نكاد أن نحول عن الحالة التي كنا عليها عندك ، وحتى كأنا لم نكن على شيء أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقاً ؟ فقال لهم رسول الله (ص) : كلا إن هذه خطوات الشيطان فيرغبكم في الدنيا والله لو تدومون على الحالة التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتم الملائكة ومشيتم على الماء .

وفي الدروع الواقية في الخبر المتقدم في اللون فقال : ـ أي جبرائيل ـ : إني جئت حين أمر الله بمنافخ النار ، فوضعت على النار ، فقال النبي (ص) : فأخبرني عن النّار يا أخي جبرائيل حين خلقها الله تعالى ، فقال : إنه سبحانه أوقد عليها ألف عام فاحمرّت ، ثم أوقد عليها ألف عام فابيضّت ، ثمّ أوقد عليها ألف عام فاسودّت ، فهي سوداء مظلمة لا يضيء جمرها ولا ينطفىء لهبها ، والذي بعثك بالحق نبياً لو أنّ مثل خرقة إبرة خرج منها على أهل الأرض لاحترقوا عن آخرهم ولو أن رجلاً أدخل جهنّم ثم أخرج منها لهلك أهل الأرض جميعاً حين ينظرون إليه لما يرون به ، ولو أنّ ذراعاً من السلسلة التي ذكرها الله تعالى في كتابه وضع على جميع جبال الدنيا لذابت عن آخرها ، ولو أنّ بعض خزّان جهنم التسعة عشر نظر إليه أهل الأرض لماتوا حين نظروا ، ولو أنّ ثوباً من ثياب أهل جهنّم خرج إلى الأرض لمات أهل الأرض من نتن ريحه ، فانكب النبي (ص) وأطرق يبكي وكذلك جبرائيل فلم يزالا يبكيان حتى ناداهما ملك من السماء : يا جبرائيل ويا محمد إنّ الله قد آمنكما أن تعصيا فيعذبكما « ورواه القمي في تفسيره » بسند صحيح عن الصادق (ع) وأنّ جبرائيل أتاه وهو قاطب[1] وقد كان قبل ذلك يجيئني متبسماً وذكر قريباً منه وفي آخره فبعث الله إليهما ملكاً فقال لهما : إن ربّكما يقرؤكما السلام ويقول : قد أمنتكما أن تذنبا

(١) القاطب: الزاوي ما بين عينيه.

ذنباً أعذبكما فقال أبو عبد الله (ع) : فما رأى رسول الله (ص) جبرائيل متبسماً بعد ذلك « وفيه » عن أمير المؤمنين (ع) في جملة كلام له في خلقة الملائكة : أما أنّهم على مكانتهم منك وطواعيتهم إيّاك ومنزلتهم عندك وقلة غفلتهم عن أمرك ، لو عاينوا ما خفي عنهم منك لاحتقروا أعمالهم ، ولا زروا أنفسهم لعلموا أنّهم لم يعبدوك حق عبادتك .

ومرّ قول جبرائيل : فوالله ما جفت لي عين منذ خلق الله النار مخافة أن أعصيه فيقذفني فيها ، وقال : ما ضحك ميكائيل منذ خلق النار ، ومرّ ما يعتري إسرافيل في كل يوم إذا نظر إلى النار « قال المفيد (ره) » في المقالات : أن الملائكة (ع) مكلفون وموعودون ومتوعدون ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **ومن يقل منهم إني إله فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين** ﴾ .

وفي الصحيفة الكاملة في الصلوة على حملة العرش : وكل ملك مقرّب والذين يقولون إذا نظروا إلى جهنم تزفر على أهل معصيتك ، سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ، « وفي العيون » عن الرضا (ع) قال : قيل للصادق (ع) : أخبرنا عن الطاعون فقال : عذاب الله لقوم ورحمته لآخرين ، قالوا : وكيف تكون الرحمة عذاباً ؟ قال : أما تعرفون أن نيران جهنم عذاب على الكفار ، وخزنة جهنم معهم فيها فهي رحمة عليهم ، « وفي تفسير علي » عنه (ع) في وصف نار الدنيا : وإنّه ليؤتى بها يوم القيامة حتى توضع على النار ، فتصرخ صرخة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثى على ركبتيه[1] فزعاً من صرختها ، « وفي أمالي الشيخ الطوسي » عن أبي جعفر (ع) أن عبداً مكث في النار يناشد الله سبعين خريفاً وسبعين خريفاً ، والخريف سبعون سنة وسبعون سنة ، ثم قال : إني أسأل الله بحق محمد وأهل بيته ألا رحمتني ، قال : فأوحى الله إلى جبرائيل أن أهبط إلى عبدي فأخرجه إليّ ، قال : يا رب كيف لي بالهبوط في النار ؟ قال : إني أمرتها أن تكون عليك برداً وسلاماً (الخبر) « وفيه » في وصايا رسول الله (ص) : يا أبا ذر أن لله ملائكة قياماً في خيفته لا

---

(١) أي : جلس عليها.

يـرفعون رؤوسهم حتى ينفـخ في الصور النفخـة الأخيـرة فيقـولـون جميعهم : سبحانك وبحمدك ما عبدناك كمـا ينبغي لك أن نعبـد قال (ص) : ولـو زفرت جهنم زفرة لم يبق ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خرج جاثياً لركبتيه ، يقول : يا رب نفسي نفسي ، « وفي عرايس الثعالبي » في سياق قصة موسى : فلما رجع موسى شيّعته الملائكة ، فكان قلب موسى مشتغلاً بولده وأراد أن يختنه ، فأمر الله (عزّ وجلّ) ملكاً فمدّ يده ولم يزل قدمه عن موضعها حتى جاء به ملفقاً في خرقته ، فتنـاوله مـوسى وأخذ حجـرتين ، فحكّ أحـدهما بـالآخر حتى حـدّده كالسكين فختن بهما ابنه ، فتفل الملك عليه وبرء من ساعته ثم ردّه الملك إلى موضعه ، « وفي الروضة والفضائل » في حديث وفاة فاطمة بنت أسد وما صنع بها رسول الله (ص) وقولهم له (ص) : فعلت فعلاً ما رأينا مثله قط مشيك حافي القدم إلى أن قال (ص) : أما التأني في وضع أقدامي ورفعها في حال التشييع للجنازة فلكثرة ازدحام الملائكـة ، هذه نبـذة من الأخبار الصـريحة في تجسم الملائكة المطابقة للآيات السابقة ، ومعه لا إشكال في جواز النوم عليهم كمـا تقدم .

الموضع الثاني في وقوعه: روى الصدوق في إكمال الدين عن ابيـه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن عيسى عن العباس بن موسى الوراق عن داود بن فرقد قال : قال لي بعض أصحابنا : أخبرني عن الملائكة أينامون ؟ قلت : لا أدري ، فقـال : يقـول الله (عـزّ وجـلّ) : ﴿ **يسبحـون الليـل والنهـار لا يفترون** ﴾[1] ثم قال : لا أطرفك عن أبي عبد الله (ع) بشيء ، فقلت : بلى ، فقال : سأل عن ذلك ؟ فقال : ما من حيّ إلاّ وهو ينام خلا الله.(عزّ وجلّ) ، والملائكة ينامون فقلت : يقول الله (عزّ وجلّ) : ﴿ **يسبحون الليـل والنهار لا يفترون** ﴾ ؟ قال : أنفاسهم تسبيح « وفي البحار » عن العلل لمحمد بن علي بن إبراهيم سأل أبو عبد الله (ع) عن الملائكة يأكلون ويشربون وينكحون ؟ فقال : لا إنهم يعيشون بنسيم العرش ، فقيل له : ما العلة في نومهم ؟ فقـال : فرقـاً

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: (٢٠).

بينهم وبين الله (عزّ وجلّ) لأن الذي لا تأخذه سنة ولا نـوم هو الله ، وظـاهرة شيوع هذا المطلب ومسلميته عندهم ، وإنما أشكل عليه الفرق بين النوم وأخويه وجوازه عليهم دونهما مع أنه من توابعهما « وفي النّهج » في وصفهم ومسبّحون لا يسأمون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقـول ، بناء على أن المـراد والله العالم بعد ظهوره في جوازه أن النوم الذي يعتري عيونهم لا يغشاهم ولا يسلط عليهم ولا يغلبهم بحيث يغفلون عن التسبيح ، بل نومهم يختص بعيونهم كنوم الأنبيـاء حيث لا يستغرق جميـع مشاعـرهم كما تقـدم لوجـود روح القـدس ، وضعف سائر الأرواح وقلة التركيب والامتزاج والعلاقة ، وإنما يستغرق النوم من انعدام الروح القدسية وقويت روحه النباتية والحيوانية ، واستحكمت علاقتها فيه فيعتريه من الكلال والتعب في خدمتها ما يحتـاج إلى إجمام بخـلافهم ، ولعل إلى ذلك نظر القطب الراوندي في شرحـه حيث قال : كمـا في شرح ابن أبي الحديد قوله (ع) : لا يغشاهم نوم العيون يقتضي أنّ لهم نومـاً قليلاً لا يغفلهم عن ذكر الله سبحانه ، فأمّا الباري سبحانه فإنه لا تأخذه سنة ولا نوم أصلاً مع أنه حيّ ؟ وهذه هي المدحة العظمى ولقائل أن يقول : لو ناموا قليـلاً لكان زمـان ذلك النوم وإن قلّ غافلين عن ذكر الله سبحانه لأن الجمع بين النوم وبين الذكر مستحيل (انتهى) وجوابه ما صرّح به في الخبر السابق .

الموضع الثالث : في الجواب عما يستدل به على عدم وقوعه أو إمكانه فيهم وهو أمور :

(أ) : الخبر السابق ومثله ما في تفسير القمي عن أمير المؤمنين (ع) وما مرّ في دعاء السجاد أنّ ملك الموت لا ينام بالليل ولا بالنهار وما في در المنثور عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) : ما طرف صاحب الصور مذ وكّل به مستعداً ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر بالصيحة قبل أن يرتد إليه طرفه ، كأن عينيه كوكبان دريان .

(ب) : ما ذكره ابن أبي الحـديد بعـد نقل عبـارة القطب حيث قـال : والصحيح أن الملك لا يجوز عليه النوم كما لا يجوز عليه الأكل والشرب ، لأن

النوم من توابع المزاج والملك لا مزاج له ، وأما مدح الباري تعالى بأنه لا تأخذه سنة ولا نوم فخارج عن هذا الباب ، لأنه تعالى يستحيل عليه النوم استحالة ذاتية لا تجوز تبدلها ، والملك تجوز أن يخرج عن كونه ملكاً بأن يخلق في أجزاء جسمه رطوبة ويبوسة وحرارة وبرودة يحصل من اجتماعهما مزاج ، ويتبع ذلك المزاج النوم فاستحالة النوم عليه ما دام ملكاً .

(ج) : ما ذكره ابن ميثم في شرح الفقرة السابقة : من أن غشيان النوم لهم مستلزم لصحة النوم عليهم واللازم باطل في حقهم والملزوم مثله ، أما الملازمة فظاهرة ، وأما بطلان اللازم فلأنّ النوم عبارة عن تعطيل الحواس الظاهرة عن أفعالها لعدم انصباب الروح النفساني إليها ، ورجوعها بعد الكلال والضعف والملائكة السماوية منزهون عن هذه الأسباب والآلات فوجب أن يكون النوم غير صحيح في حقهم .

والجواب : أمّا عن الخبرين الأولين فبما مرّ ويقرب منه ما ذكره السيد في الأنوار عن بعض المحققين من أنّ حالة السنة وهو أول النعاس يأخذ الملائكة ، والتمدح في الآية إنما هو بجموع الأمرين لا بكل واحد منهما ، وباحتمال كون المنفي استدامة هذه الحالة فيهم كما في البشر ، والغرض من الإثبات مجرد ابتلائهم به ولو في بعض الأزمان لمجرد الفرق المصرح به في الخبر السابق ، وباحتمال اختصاص النفي بطائفة والغرض وجوده في نوعهم ولو في بعض أفراده وعدمه في آخرين لموانع صرح ببعضها في رواية درّ المنثور ، وبه ظهر الجواب عن الخبرين الآخرين وضعف استدلال المولى إسماعيل الخواجوئي في حاشية مفتاح الفلاح بعدم نوم ملك الموت على عدم نوم الجميع .

وعن الثاني : بالنقض بموتهم المسلم عنده أولاً إذ هو عبارة عن بطلان المزاج وفساد التركيب فيه ، وبأيّ معنى أخذ الموت فيهم كان النوم أخيه ويمنع تبعيته للمزاج ثانياً إذ يكفي في جوازه وجود مركب من روح وجسم له أعضاء وجوارح وإن تساوت في المادة والطبيعة فيلقى الله عليه النوم ، وإن لم تكن طبيعة مقتضية لذلك ، فإن الذي يلقيه على البشر بسبب الرياح الغليظة المنتشرة

من جوفه المتسلطة على دماغه الذي منه حواسه قـادر على إلقائـه على الملك بسبب آخر لا نعلمه مع وجود العين والجفن والاشفار وسائر آلاته ، ويمنع عدم المزاج لهم ثالثاً ، والسند مـا تقدم من البكـاء والدمـوع التي لا يكون إلا من صاحب المزاج ، وشدة لطافته لا تنافي ذلك ولم يعلم ألطفيتـه من الحور التي تأكل وتشرب في القصور .

وعن الثالث : بابتنائه على تجردهم عن المادة وأنهم هم العقول والنفوس المدبرة للسموات ، نسبتهم إليها كنسبة الأرواح إلى الأجساد ، وقد استغنينا عن هذا المذهب بما تواتر عن أهل بيت العصمة ، وبها يعـرف مذهبهم كمـذهب رؤساء سائر المذهب والملّة من تجسّمهم وإن نسبتهم إلى السموات كنسبتنا إلى الأرض ، قد يترددون من سماء إلى سماء فوق سمائه أو تحته وقد ينزلون عنها ثم لا يصعدون وقد يهبطون عنها لمـرامهم كالـزيارة وغيـرها أو إصـلاح غيرهـم أو إهلاكه ثم يعرجون ، عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، وقد أعرضنا عن ذكر بعض ما ذكر القوم من المحامل والتأويلات في تلك الأخبار ، ونزّهنا القلم عنه فإنه من الجزافات التي لا ينبغي الإصغاء والنظر إليها للمتمسك بحجزة الأئمة الأطهار .

إشارة إلى نوم الشياطين

الـراوندي في قصص الأنبيـاء بسنده عن أبي بصيـر عن أبي جعفـر (ع) قال : كان سليمان يأمر الشياطين فتحمل له الحجارة من موضع إلى موضـع ، فقال لهم إبليس : كيف أنتم ؟ قالوا : ما لنا طاقة بما نحن فيه ، فقال ابليس : أليس تذهبون بالحجارة وترجعون فراغاً ؟ قالوا : نعم ، قال : فأنتم في راحـة فـأبلغت الريـح سليمان مـا قال إبليس للشيـاطين ، فأمـرهـم يحملون الحجارة ذاهبين ويحملون الطين راجعين إلى موضعها ، فتراأى لهم إبليس فقال : كيف أنتم ، فشكوا إليه فقال : ألستم تنامون بالليل ؟ قالوا : بلى ، قال : فأنتم في راحة ، فأبلغت الريح ما قالت الشياطين وإبليس فأمرهم أن يعملوا بالليل والنهار فمـا لبثـوا إلا يسيـراً حتى مـات سليمـان (ع) « وفي الفقيـه » في وصـايـا

رسول الله (ص) لعلي (ع) نوم الشياطين على وجوههم ، « وفي الخصال والعلل » عن أمير المؤمنين (ع) : وإبليس مع إخوانه وكل مجنون وذو عاهة ينام على وجهه منبطحاً[1] وفي الكافي عن العسكري (ع) ما يقرب منه وفي المكارم عن الباقر (ع) : قصوا الأظفار لأنها مقيل الشيطان ، وقد تقدم في الفصل الثاني ومرّ عن الصادق (ع) : لا راحة لبدن يأكل إلا النوم والشياطين يأكلون « قال الرازي » : اتفقوا أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون ، وأما الجن والشياطين فإنهم يأكلون ويشربون « وفي البحار عن در المنثور » عن قتادة قال : لما أهبط إبليس قال آدم (ع) : أي رب قد لعنته فما علمه ؟ قال : السحر . قال : فما قراءته ؟ قال : الشعر ، قال : فما كتابه ؟ قال : الوشم[2] ، قال : فما طعامه ؟ قال : كل ميتة ، وما لم يذكر اسم الله عليه ، قال : فما شرابه ؟ قال : كل مسكر . وعن ابن عباس عن النبي (ص) ما يقرب منه « وفي المحاسن » عن الصادق (ع) : إذا أكلت الطعام فقل : بسم الله في أوله وآخره ، فإن العبد إذا سمى في طعامه قبل أن يأكل لم يأكل معه الشيطان وإذا سمى بعدما يأكل وأكل الشيطان منه تقيأ ما كان أكل ، « وفيه » عنه (ع) : إذا وضع الغداء والعشاء ، فقل : بسم الله فإنّ الشيطان يقول لأصحابه : اخرجوا فليس هنا عشاء ولا مبيت ، وإن هو نسي أن يسمّي قال لأصحابه : تعالوا فإن لكم هنا عشاء ومبيتاً « وفيه » عنه (ع) : لا تدعوا آنيتكم بغير غطاء ، فإنّ الشيطان إذا لم تغط الآنية بزق فيها وأخذ ممّا فيها ما شاء ، « وفيه » عن النبي (ص) إذا وضعت المائدة حفتها أربعة أملاك إلى أن قال : فإذا لم يسمّ قالت الملائكة للشيطان : ادن يا فاسق فكل معهم ، والأخبار في هذا المعنى كثيرة جداً .

إشارة إلى نوم الحيوانات

في سعد السعود عن صحف إدريس النبي (ع) في مبدء خلقة الدنيا :

(١) انبطح الرجل: انطرح على وجهه.

(٢) الوشم: غرز الابرة في البدن وذر النيلج عليه. وفي الفارسية (خالكوبيدن).

فلما غابت شمس يوم الجمعة خلق الله النعـاس ، فغشا دواب الأرض وجعـل النوم سباتاً ، وسمى الليلة لذلك ليلة السبت ، قيل : إنّ النفس المتوفاة في حال النوم هم الروح النفسـانية وهي التي تتـرك الأعضاء وتـذهب إلى جوف القلب الذي هو كـرسي استقراره وعـرش استواءه ، فيبقى الأعضـاء ساكنـة ويشايعهـا الروح الحيوانية أيضاً قليلاً ، لأنها مركبها فيميـل نحو القلب ولـذلك يسترخي الأعضاء ويلقي البدن لا يحث (لا يحس ظ) كالميت ، وأما الحيوانات فلغلبة الروح الحيواني فيها وضعف النفساني لا تستغرق في النوم ، ولها حالة كالسنة تتنبه بأدنى شيء ، فلربّ حيوان لا ينام لاضمحـلال نفسانيتـه وذلك محسـوس منها .

قلت : قـد يؤيده مـا في حيوة الحيـوان من عجيب أمر الـذئب أنه ينـام بإحدى مقلتيه[1] والأخرى يقـظى حتى تكتفي العين النائمـة من النوم فيفتحهـا وينام بالأخرى ليحترس باليقظى ويستريح بالنائمة .

قيل :

ونمت كنـوم الـذئب في ذي حفيـظة أكلت طعـامـاً دونـه وهـو جـائـع
يـنـام بـإحـدى مقـلتيــه ويـتّـقـي بأخـرى الأعادي فهـو يقظان هـاجع

« وفيه » أن الطائفة من القرد إذا أرادت النوم ينام الواحد في جنب الآخر حتى يكونوا سطراً واحداً ، وإذا تمكن النوم منها نهض أولها من الطرف الأيسر فإذا قعد صاح فينهض من كان يليه ويفعل كفعله حتى يكـون هذا إلى آخـرهـم يفعلون ذلك في الليل كله مراراً ، وسبب ذلك أنـه يبيت في أرض ويصبح في أخرى ، « وفيه » وتوصف الدجاجة بقلة النوم وسرعة الانتباه ، يقال : أن نومها واستيقاظها إنما هو بمقدار خروج النفس ورجوعه ، ويقال : إنها تفعل ذلك من شـدة الجبن ، « وفيه » أن البـومة قـويّة السلطان بـالليل لا يحتملهـا شيء من الطير ، ولا تنام بالليل فإذا رآه الطير بـالنهار قتلنهـا ونتفن ريشها للعـداوة التي

---

(١) المقلة: العين.

بينهن وبينها .

ومع ذلك فلا يساعد ما ذكره دليل ولا وجدان .

أما الأول : فلما قرر في محله أن لها نفوساً ناطقة بمعنى الشعور والعلم بمصالحها ومضارّها وربها ونحو ذلك ، « وفي مسكن الشجون » للسيد الجزائري أن على ذلك قدماء الحكماء والمحققين ، « وعن القيصري » لا تفاوت بين الإنسان والحيوان في النفوس الناطقة ، ولا دليل على نفيه بل هي درّاكة للكليات ، والجهل بالشيء ينافي وجوده ، وإمعان النظر بما يصدر عنها من العجائب وفي آيات الهدهد والنملة وما ورد في أذكارها الخاصة وتكاليفهم بالطاعة لخالقها والولاية لخلفائه وامتثالهم لأوامرهم وحشرهم وأمثال ذلك ، يوجب أن يكون لها إدراك الكليات وضعف النفس إدراكاً لا يوجب ضعفاً في النوم ، بل الأمر بالعكس كما في طبقات الإنسان ، بل لقلته وكثرته أسباب أخرى يشترك في بعضها الحيوان .

وأما الثاني : فيما يشاهد أو ينقل في عكس ذلك وفي النهج قال (ع) : « والله لا أكون كالضبع[١] تنام على طول اللدم حتى يصل إليها طالبها ويختلّها راصدها » قال شارحه صاحب البهجة قال أبو عبيدة : يأتي الصائد فيضرب بعقبه الأرض عند باب مغارها ضرباً خفيفاً وذلك هو اللدم ويقول : خامري أم عامر مراراً بصوت ليس بالشديد ، فتنام على ذلك الضبع فيجعل الحبل في عرقوبها[٢] ونحرها فيخرجها وأم عامر كنية الضبع ، « وفي حيوة الحيوان » في ترجمة الهرهير عن المبرء أنه مركب من السلحفاة ومن أسود سالخ[٣] قال : وهو

---

(١) الضبع : ضرب من السباع يقال له بالفارسية (كفتار) .

(٢) العرقوب : غصب غليظ فوق العقب .

(٣) السلحفاة : دابة برية وبحرية ونهرية لها أربع قوائم تختفي بين طبقتين عظيمتين يقال لها بالفارسية (لا گ پشت ـ سنگ پشت) والسالخ بالخاء المعجمة : صف للأسود من الحيات لأنه ينسلخ لجده كل عام وفي المصدر (ج ٢ ، ص ٣٨٧) سالح بالمهملة وهو مصحف .

من أخبث الحيات ، ينام ستة أشهر ثم لا يسلم سليمه « وفيه » في الأمثال قالوا : أنوم من الغزال لأنه إذا رضع أمّه فروى امتلأ نوماً ، « وفيه » أن النّمر أعدى عدوّ للحيوانات لا تروعه سطوة أحد وهو معجب بنفسه فإذا شبع نام ثلاثة أيام .

واعلم : أني لم أجد لأحد كلاماً في جواز الرؤيا للحيوان بأن يرى في المنام بعض الحوادث الجزئية التي فيها صلاحه أو فساده أو أكثر من ذلك ، إلاّ أنّه يمكن تعليقه على المسألة المتقدمة ، فمن نفى عنه النفس الكلية لا يجوز فيه ذلك لما ثبت عنده من أنّ الرؤيا الصادقة هي في الحقيقة اتّصال النّفس الناطقة بالمبادىء العالية ، واطّلاعها على ما انتقش فيها ، ومن أثبتها له لا ينكر فيه ذلك ، وعلى المختار في مسألة الرؤيا من أنّ لها أسباباً متعددة كما يأتي لا ريب في جوازها له على القولين خصوصاً في المسوخات منه التي قد تبلغ كثرة الشعور والإدراك فيها إلى ما في بعض الإنسان ، بل في أخبار كثيرة في أبواب معاجز الأنبياء والأئمة (ع) الهام الملائكة له بعض الأمور وإلقائها إليه في اليقظة ما لا يدركه بنفسه ، كحراسة مؤمن وإهلاك منافق وما يشبهها ، فجاز أن تلهمه في نومه مثل ذلك ، والله العالم .

ثم : أنه قد مر في خبر جهنم في صفة آنية وهي عين فيها قوله (ع) : وأوقد عليها منذ خلق الله جهنم كل أودية النار تنام وتلك العين لا تنام من حرها ، وظاهره أن المراد سكون حرارتها ولهبها قليلاً من دون أن يطفىء منها شيء ، ولا ينافيه قوله تعالى : ﴿ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً ﴾ لجواز كون النوم على التدريج وتعذيب الكافر بغيره ، وعلى هذا فيمكن معرفة حالة اليقظة والنوم والموت في الأشجار والنبات والأرض إذ تعتور كل واحدة منها حالة غضارة وابتهاج وإبراز ما فيها من المنافع والثمار والأزهار ، وحالة سكون واستراحة مع كمون موادها فيها وترقب ظهورها منها كما في الشتاء وحالة موت ينقطع بها رجائها منها كالشجرة المقطوعة والثمرة المجتنية والأرض المحترقة والأزهار المقتطفة .

الفصل السادس في أقسام الرؤيا

وبيان عدم الاغترار بمبشراتها وعدم القنوط عن فقدها أو مهولاتها وأقسام الرؤيا لسيئة وعلاجها وعدم الغفلة عن مشتبهاتها .

وفي الكافي عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن سعد بن أبي خلف عن أبي عبد الله (ع) قال : الرؤيا على ثلاثة وجوه ، بشارة من الله للمؤمن وتخدير من الشيطان ، وأضغاث أحلام « وفي البحار » عن كتاب التبصرة لعلي بن بابويه عن سهل بن أحمد عن محمد بن محمد بن الأشعث عن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر (ع) عن أبيه عن آبائه ، قال : قال رسول الله (ص) : الرؤيا على ثلاثة ، بشرى من الله وتحزين من الشيطان والذي يحدث به الإنسان نفسه فيراه في منامه ، وقال (ص) : الرؤيا من الله والحلم من الشيطان ، « وفيه » : عن الاختصاص للمفيد (ره) قال : قال الصادق (ع) : إذا كان العبد على معصية الله (عزّ وجلّ) وأراد الله به خيراً أراه في منامه رؤيا تروعه فينزجر بها عن تلك المعصية . « وفي كتاب زيد النرسي » قال : قلت لأبي الحسن موسى (ع) : الرجل من مواليكم يكون عارفاً يشرب الخمر ويرتكب الموبق من الذنب ، فقال (ع) : تبرّأ من فعله ولا تبرءوا منه أحبّوه وأبغضوا عمله ، إلى أن قال : والله ما يخرج ولينا من الدنيا إلا والله ورسوله ونحن منه راضون ، ويحشره الله على ما فيه من الذنوب مبيض وجهه ، مستورة عورته ، آمنة روعته لا خوف عليه ولا حزن ، وذلك أنه لا يخرج من الدنيا حتى يصفى من الذنوب أما بمصيبة في مال أو نفس أو ولد أو مرض ، وأدنى ما يصفى به وليّنا أن يريه الله رؤيا مهولة فيصبح حزيناً لما رأى فيكون ذلك كفّارة له ، « وفي العيون » عن محمد بن علي بن عمر والبصري عن صالح بن شعيب عن زيد بن محمد البغدادي عن علي بن أحمد العسكري عن عبد الله بن داود بن قبيصة عن علي بن موسى القرشي عن أبي الحسن الرضا (ع) في كلام له : ما من أحد من شيعتنا ارتكب ذنباً أو خطباً إلا ناله في ذلك غمّ محّص عنه ذنوبه ، ولو أنّه أتى بذنوب عدد القطر والمطر وبعدد الحصى والرمل وبعدد

الشوك والشحر ، فإن لم ينله في نفسه ففي أهله وماله . وإن لم ينله في أمر دنياه ما يغتم تخايل له في منامه ما يغتم به فيكون ذلك تمحيصاً لذنوبه ، « وفي تحف العقول » عن النبي (ص) : لا يحزن أحدكم أن ترفع عنه الرؤيا فإنه إذا رسخ في العلم رفعت عنه الرؤيا .

وتقدم : في الباب الأول عن البصائر أن رجلاً واقفياً كان يرى في حالة وقفة الرؤيا الحسنة ويرى له ، ثم تبصروا انقطع عنه الرؤيا فشكى في المنام إلى أبي عبد الله (ع) انقطاع الرؤيا ، فقال : لا تغتم فإن المؤمن إذا رسخ في الإيمان رفع عنه الرؤيا « وفي كتاب الأشعثيات » أخبرنا عبد الله بن محمد أخبرنا محمد بن محمد بن الأشعث ، حدثني موسى بن إسماعيل حدثنا أبي عن أبيه عن جدّه جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه علي بن الحسين عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب (ع) قال : قال رسول الله (ص) : لا تغترنّ أحدكم بالرؤيا يراها أو ترى له ، ولكن فيعرض نفسه على كتاب الله (عزّ وجلّ) ، فإن كان عاملاً به فليفرح وإن كان غير ذلك فليعلم إنها من الشيطان ، « وعن شرح السنة » عن النبي (ص) : الرؤيا ثلاثة : رؤيا بشرى من الله ، ورؤيا مما يحدث به الرجل نفسه ، ورؤيا من تحزين الشيطان ، « وعن در المنثور » عنه (ص) : الرؤيا ثلاث فالرؤيا صالحة بشرى من الله ، والرؤيا من تحزين الشيطان « وعن در المنثور » عنه (ص) : الرؤيا ثلاث فالرؤيا صالحة بشرى من الله ، والرؤيا من تحزين الشيطان ، والرؤيا مما يحدث الرجل نفسه . « وعنه » عن عوف بن مالك قال : قال رسول الله (ص) : الرؤيا على ثلاثة منها تخويف من الشيطان ليحزن به ابن آدم ، ومنها الأمر يحدث به نفسه في اليقظة ومنها جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة .

وتقدم : في صدر الكتاب عنه (ص) : الرؤيا المكروهة زاجرة زجرك الله بها وأخبار كثيرة في تفسير قوله تعالى : **﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ﴾**[1] وإن المراد من الأولى الرؤيا الحسنة يراها

(١) سورة يونس، الآية: (٦٤).

المؤمن فيبشر بها دنياه أو يرى له .

وتوضيح الكلام فيما تضمنته تلك الأخبار يستدعي رسم مقدمة نافعة جامعة تفتح منها أبواب كثيرة إلى مطالب شريفة .

اعلم : كشف الله عن بصيرتك غشاوة العماية ، وأراك حقائق الأشياء كما هي أن ما يرد على العبد الذليل المحتاج من الله العزيز المنعم المنزه فعله ، النافذ عن شواب الظلم والعبث والفساد ، أما أن يكون ممّا يقرّبه إلى الطاعة ويبعّده عن المعصية ابتداء من غير سبق فعل منه يقتضي وروده أولاً ، وعلى الأول فإمّا أن يكون موافقاً للطبع ، ومطابقاً لميل النفس سواء كان ممّا فيه صلاح عرضه أو ماله أو جسده أو عقله أو دينه من المقاصد الخمسة التي بعث الأنبياء (ع) لإصلاحها ورفع الفساد عنها ويختص بإسم النعمة ، أو مخالفاً للهوى ومتنفراً عنه طباع أهل الدنيا ويختصّ حينئذ بإسم البلاء ، وله إطلاق آخر يأتي ، « وعلى الثاني » فإمّا أن يكون في مقابل عمل سبق منه أولاً ، وعلى الأول فهو إمّا جزاء لعمل صالح قدمه أو عقوبة لذنب أسلفه ، ويكون كل منهما خير أو شرّ ، أو يختصّ العقوبة بالخير بأسم الاستدراج ، وعلى الثاني وهو ما لا يكون بنفسه لطفاً ولا عوضاً فهو مما امتحن الله به عباده ليميز الخبيث منهم من الطيب ، والراضي من المغضب ، والصابر من الجزوع والقانع من الهلوع ، ويكون بتواتر الآلاء وبترادف البأساء والضراء قال تعالى : ﴿ **ونبلوكم بالخير والشر** ﴾ فهذه أنواع ما يرد على العباد من الله تعالى ويختلف التكليف عند ورود كل واحد منها فيجب الشكر في بعض والصبر في آخر ، والإنابة والتوبة في الثالث ويبتغي للمؤمن التدبر فيه واستعلام حاله وتميز نوعه لامتثال ما يخصّه من العمل فإن اشتبه عليه أمره ولم يتمكن من معرفته بالوجدان والآثار اللاحقة والعلامات السابقة فليتضرع إلى الله تعالى في كشفه ، ويعمل بالمتيقن الذي لا محذور فيه ، ولنشر إجمالاً إلى تلك الأنواع وأحكامها فنقول .

الأول النعمة

وهي كلّ محبوب فيه صلاح واحدة من الخمسة ويقرّب الإنسان إلى

الطاعة ويبعده عن المعصيه ، فإذا ورد شيء منها وعلم أنه من أفرادها بالوجدان كالظاهر منه التقريب والتبعيد أو هـو مع النص والبـرهان كـالأنبياء والأئمـة (ع) والعلماء الراسخين في الإيمان ، أو بالتجـربة في طـول الزمـان كبعض الأزمنة والمكان ، أو لكونه من جنس ما منّ الله بـه على المصطفين من الإنسـان ، أو بغير ذلك وجب عليه الشكر بما أمتن الله به على عباده لتأدية حقه ، وله مراتب يختص بعضها بالقلب وبعضها بالجوارح واللسان .

(أ) : معرفة كونها من الله تعالى لا يشاركه فيها أحـد ، ﴿ **وما بكم من نعمـة فمن الله** ﴾ وهو من ثمـرات تكميل التـوحيد في أفعـالـه تعـالى ، « وفي الكـافي » عن الصادق (ع) : من أنعم الله عليـه بنعمة فعـرفها بقلبـه فقـد أدّى شكرها .

(ب) : معرفة قدرها وعظمها وعدم استقلالها بالقلب واستحقارها فيه ، فإن من فعل ذلك فقد استهان بمقدس جلاله وعظيم شأنـه وإحسانـه واستعظم نفسه المتمردة العاصية الذليلة الغير المستحقة لا دون منها بل المستحقة لأنواع النكال والنقمة .

(ج) : الإعتراف بالعجز عن معرفة قيمتها وإحصائها وإحصاء الوسـائط التي بها وصلت إليه ، والعجز عن إقامة شكر أدناها ، وكيف يمكن إحصـاء ما عمـل فيه من العـرش إلى الثرى ، « وفي الكـافي » عن النبي (ص) : أكرمـوا الخبز فإنه قد عمل فيه ما بين العرش إلى الأرض ، والأرض وما فيها من كثير من خلقها « وفي رسالة فتح الأبواب » للسيد علي بن طاوس بإسنـاده عن الزهـري قـال : دخلت مـع علي بن الحسين (ع) على عبـد الملك بن مـروان قـال : فـاستعظم عبـد الملك ما رأى من أثـر السجود بين عيني علي بن الحسين (ع) فقال : يا أبا محمد لقد بيّن عليك الاجتهاد ولقد سبق لك من الله الحسنى وأنت بضعـة من رسـول الله (ص) قـريب النسب وكيـد السبب وذكـر بعض فضـائله فأجابه (ع) وذكر في كـلامه : والله لـو تقطعت أعضـائي وسالت مقلتـاي على صدري أنْ أقوم لله (جل جلاله) بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع

نعمه التي لا يحصيها العادّون ولا يبلغ حدّ نعمة منها على جميع حمد الحامدين لا والله أو يراني الله لا يشغلني شيء عن شكره وذكره في ليل ونهار ولا سرّ ولا علانية ولولا أن لأهلي عليّ حقاً ولسائر الناس من خاصهم وعامهم عليّ حقوقاً لا يسعني إلّا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتى أؤديها إليهم لرميت بطرفي إلى السماء وبقلبي إلى الله ، ثم لم أرددهما حتى يقضي الله نفسي وهو خير الحاكمين ، وبكى وبكى عبد الملك .

وفي النهج وتالله لو إنماثت قلوبكم إنماثاً[1] وسالت عيونكم من رغبة إليه أو رهبة منه دماءاً ، ثم عمرتم في الدنيا ما الدنيا باقية ما جزت أعمالكم عنكم ولو لم تبقوا شيئاً من جهدكم أنعمه عليكم العظام وهداه إياكم للإيمان « وفي العيون » عن الجواد عن آبائه (ع) أنّ سلمان لمّا دعا أبا ذر وقدم إليه رغيفين وقلبهما خوفاً أن لا يكونا نضيجين قال (ع) : فغضب سلمان من ذلك غضباً شديداً ثم قال : ما أجرأك حيث تقلب هذين الرغيفين فوالله لقد عمل في هذا الخبز الماء الذي تحت العرش وعملت فيه الملائكة حتى ألقوه إلى الريح . وعملت فيه الريح حتى ألقته إلى السحاب ، وعمل فيه السحاب حتى أمطر إلى الأرض ، وعمل فيه الرعد والملائكة حتى وضعوه مواضعه ، وعملت فيه الأرض والخشب والحديد والبهائم والنار والحطب والملح وما لا أحصيه أكثر ، فكيف لك أن تقوم بهذا الشكر .

وفي الحقيقة اللقمة من الخبز لا تتم ولا تكمل إلّا إذا كان هذا العالم بكليته قائماً على الوجه الأصوب ، لأن الحنطة لا تنبت إلا بمعونة الفصول الأربعة وتركيب الطبائع وظهور الرياح والأمطار ، ولا يحصل شيء منها إلا بدوران الأفلاك واتصال بعض الكواكب ببعض على وجوه مخصوصة في الحركة والكيفية والجهة والسرعة والبطيء وسائر الأسباب السماوية التي لا علم لنا بها ، ولا يمكن طحنها إلّا عند تولد الحديد ولا يصلح إلّا بآلات حديدة سابقة عليها إلى أن تنتهي إلى آلة حديدة هي أوّلها ، ولا يمكن طبخ الدقيق إلا بعد اجتماع

---

(١) إنماث القلب: ذاب.

الأرض والماء والهواء والنار ، وجميع هذه النعم متعلقة بعمر وأيضاً لمدخليتها في وجوده وبقائه وهي أيضاً نعمة لزيد لتوقف وجود زيد وبقائه على وجود عمرو ، لكون الإنسان مدنياً بالطبع ، وكذا بالنسبة إلى غيرهما وكذا كل نعمة لله على كل حيوان من الحيوانات التي لها مدخل في النظام فهي إذاً نعمة على زيد مرة بذاته ومرة باعتبار كونها نعمة على كلّ واحد واحد من أفراد البشر لمدخلية وجودهم في وجوده ونظام أحواله ، فيضرب عدد الأشخاص والحيوانات مرات لا تتناهى .

ثم لما كان وجود زيد موقوفاً على وجود أبويه فكلّ نعمة على كلّ من أبويه وكلّ من كان في عصرها نعمة عليه وكذا كل نعمة على والدي كلّ من في عصره لتوقف وجوده على وجودهم المتوقف على وجود آبائهم وأمهاتهم المتوقف على جميع تلك النعم فيضرب جميع هذه الأعداد الغير المتناهية في جميع تلك الأعداد الغير المتناهية مرات غير متناهية ، وهكذا في كلّ عصر إلى أن ينتهي إلى آدم وحوّاء ، وكيف يقدر جميع الثقلين على إحصاء مرتبة من هذه المراتب ، مع أنّ كلّ قطرة من قطرات البحار وكلّ ذرة من ذرّات الجوّ والأرض نعمة على كلّ شخص من الأشخاص : ﴿ **وأن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ إنّ الإنسان لظلوم يظلم النعمة بإغفال شكرها ، ويظلم نفسه بتعريضها للحرمان فتشكو وتجزع في الشدة ، ويجمع ويمنع في الرخاء ، كفار شديد الكفران ، ولا يعرف صاحب النعمة ولو عرف لا يعظمها ولا يتدبر في مسبوغها ونفاستها ، ثم لا يظهرها بلسانه .

(د) : من مراتب الشكر إظهارها بالقول عند عبادة تعالى كما قال تعالى : ﴿ **وإنما بنعمة ربك فحدّث** ﴾ ولا ينكرها عندهم ولا يسترها عليهم فيكون كالشاكي منه تعالى بلسان الحال إلا أن يكونوا من الحساد الذين ينبغي التستر عنهم حفظاً من شرهم ، ولئلا يكون ممن أعانهم على تقوية خبيث رذيلتهم أو من النعم الباطنية التي يخاف من إظهارها تزكية النفس المنهية في قوله تعالى : ﴿ **ولا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى** ﴾ وحمد الله تعالى وشكره بلسانه بالمأثور وغيره .

وفي الكافي عن الصادق (ع) : ما أنعم الله على عبد من نعمة فعرفها بقلبه وحمد الله ظاهراً بلسانه فتمّ كلامه حتى يؤمر بالمزيد « وفيه » عنه (ص) : شكر كل نعمة وإن عظمت أن الحمد لله (عزّ وجلّ) « وفيه » أنه (ع) أخرج من المسجد وقد ضاعت دابته فقال : لئن رد الله علي لأشكرن الله حق شكره فما لبث أن أتى بها فقال : الحمد لله ، فقال قائل له : جعلت فداك ألست قلت : لأشكرن الله حق شكره ؟ فقال أبو عبد الله (ع) : ألم تسمعني قلت الحمد لله ؟ « وفي ثواب الأعمال » عنه (ص) : من قال كل يوم سبع مرات : الحمد لله على كل نعمه كانت أو هي كائنة فقد أدى شكر ما مضى وشكر ما بقي .

(هـ) : صرف كل نعمة ظاهرية أو باطنية داخلية أو خارجية في محلها الذي وضعه الله له وأراد منه صرفها فيه ، وهو أصعب مراتب الشكر وأشقّها وأحمزها ، وفيه زلّ قوم وكفر آخرون ولم يف بحق الشكر في هذا المقام إلا قليلاً من عباد الله الصالحين ، لتوقفه على معرفة أنواع النعم التي فيه وله بقدر الإمكان ، ومعرفة محلّ كلّ واحد منها والمواضع المنهية عن صرفها فيها ، ثم العمل الذي يختص بالأقل ، « وفي الغرر » عن أمير المؤمنين (ع) : شكر العالم على علمه عمله به وبذله لمستحقه ، فمن لم يعمل به أو كتمه على أهله أو بذله لغير مستحقه فقد كفر نعمة العلم ، ومن هنا ظهر أنّ جميع المعاصي كفران لنعم الجوارح التي بها عصى الله ، « وفي الكافي » عن الصادق (ع) شكر النعمة اجتناب المحارم .

ثم : إن النعمة تنقسم إلى أقسام لا بأس بالإشارة إلى بعضها .

فمنها : أنّ النعمة إمّا شاردة أي كانت موجودة ثم فقدت ، أو حاضرة موجودة ، أو مترقبة موعودة ، وسب الأولى أمّا من الله تعالى لمصلحة نفس العبد كموت الأولاد وضعف القوى ووقوع الأسنان وذهاب النور من البصر عند الكبر ، أو لمصلحة تقتضيه النظام كالمفقود بسبب بلاء عام ، وقد قال موسى (ع) لما بلغه غرق رجل من أصحابه لحق بعسكر فرعون ليعظ أباه : هو في رحمة الله ولكن النقمة إذا نزلت لم يكن لها عمن قارب المذنب دفاع ، أو من نفسه

كالمعاصي التي تغير النعم وتنزل النقم على ما مرّ مشروحاً في المقام الخامس من الفصل الثاني ، أو غيرها كتغيير في الأكل والمأكول والمشروب وأمثالهما ، والمفقودة في القسم الأول قد يجب استرجاعها كالعلوم الواجبة التي حصلها ثم نسيها ، والمصاحب الذي كان معيناً له على تحصيلها وإقامة دينه واجتناب المعاصي ثم فارقه فوقع في محاذير فقده ، وقد يحرم كطلب إحياء الأنبياء وعود الشباب ، وقد يمتنع عادة وتكليفه (ح) التسليم والرضا ، وفي القسم الثاني يمكن استرجاعها على النحو الذي ذكرنا في آداب الدعاء ، وفي الثالث تتوقف رجوعها على ترك ما كان عاكفاً عليه من الذنب الذي صار سبباً للحرمان ، وأما النعمة الموجودة فيجب شكرها وبه يستجلب النعم المترقبة كنعم الآخرة وكثرة الأولاد وأمثالها .

ومنها : أن النعمة الموجودة قد تكون واصلة وقد يحول بينهما حجاب ، والحاجب إما من نفسه كالمعاصي أو ترك الأعمال التي هي من أسباب جلبها كصلوة الليل والصدقة وقضاء حاجة أخيه وغيرها ، أو منه تعالى كما مرّ .

ومنها : أن النعمة قد تكون في الغير دونه ، وسبب حصولها للغير أما التقسيم الأول بين الموجودات لمصالح يقتضيها نظامها كنعمة الذكورة واعتدال القامة وبياض اللون ، أو لاقتضاء الحكمة تقسيمها بين الجميع ، وإنما تخلفت عنها لمانع فإن كان ممكناً رفعه وإلا فعليه التسليم أو التوبة .

ومنها : أن الشيء قد تكون نعمة في زمان دون زمان وفي حال دون أخرى وفي مكان دون آخر فينبغي لطالبها أن يلاحظ كل ذلك .

ومنها : أن الشيء قد يكون نقمة في لباس النعمة كأكثر ملاذ الدنيا التي تلهي الإنام عن الملك العلام ، وقد ينعكس كحر الصيف وبرد الشتاء والرياح العاصفة التي تذهب عفونة الهواء .

ومنها : أنها قد تكون معروفة معلومة كغالب النعم الظاهرية ، وقد تكون مجهولة كالشرور التي تدفعها الملائكة الذين معه لحفظه عنها أو غيرهم ممن يدفع الله به عند البلاء ، ومنهم المؤمن الصالح الخايل الذي يدعو لإخوانه في

آناء الليل وأطراف النهار ، وقد تكون منسية تعرض عليه ويقف عليه لكنه لكثرة انغماره في الدنيا لا يعتني إليها ولا يتدبر في حقيقتها ومأخذها وكيفية حفظها وشرائط استزدادها وموانع قطعها كالواردات القلبية التي ترد عليه من الملك الموكل عليه لإهدائه إلى الخيرات والمصالح أو غيره ، فكثيراً ما يتحير الإنسان في مسألة ويتيه في معضلة لا يهتدي إليها دليلاً ولا يجد لها مخرجاً وسبيلاً فيقذف في قلبه بغتة طريق الهداية وهو مع اعترافه بعجزه عن تحصيلها لا يكترث بها ولا يلتفت إليها فيقطع عنه ولو طلبها من بابه أوتي خيراً كثيراً وسلطاناً نصيراً .

ومنها : أنها قد تكون موهوبية كالنعم التي بها يتمكن الإنسان من الطاعة ولها مدخلية في الإستطاعة ، أو تفضل الله بها عليه وإن لم يتوقف وجوده عليها وقد تكون كسبية مجلوبة بالسعي والتعب والجدّ في الطلب كدرجات المعارف والعلوم ومنها أجر الرسالة مودة ذي القربى ومحبة الأئمة النجبا (آلاف) آلاف التحية والثناء) الموقوفة حصولها على المعرفة التامة المتوقفة على صرف شطر من العمر في طلبها .

ومنها : أنها قد يجب حفظها وحراستها ودفع الآفات عنها فهي نعمة وأمانة كجوارحه وأعضاءه فلا يجوز عليه إهمالها وتضييعها ، بل يعامل معها معاملة الأمانات ، وحفظها يتوقف على معرفة شطر من علوم الطب ولو تقليداً ، وقد يرفع عنه معونة حفظها ومشقة صيانتها كالنعم السماوية والأرض وأكثر ما فيها .

ومنها : أنها قد تدوم عليه ولا يقطعها الكفران ولا تحتاج في بقاءها إلى الشكر والامتنان كنعمة الشمس المكفورة في غالب الأزمان ومثلها مما تتنفر عنه جملة من النفوس أو تشبّهاً في بعض الأوان ، وهو من أعظم آيات الله وأجلّ نعمه السابغة التي عليها مدار عيش الإنسان وحيوة الحيوان ، وقد يتوقف زيادتها أو بقاؤها على الشكر المتقدم ويصدها الغفلة عن المنعم وكفران النعم ، كالفضل من الرزق الحلال وما به صلاح البال .

ومنها : إن طلبها قد يكون راجحاً على كل حال كالنعم التي كانت على الأنبياء والأوصياء (ع) سوى ما اختصوا به ممّا لا يجوز للرعية طلبه وقد يكون طلبها مشروطاً بمقارنتها لرضاه تعالى وصلاح نفسه فيها لكونها مما يحتمل فيها الإفساد والإبعاد عن رب العباد فلا يطلبها على الإطلاق فيدرّ عليه أخلاف الأرزاق فيستعين بها على نيل هواه ، ويكون سبباً لتنقاه وأكثر الناس لا يعرفون من النعم إلا ما هو الدائر بين الناس من المآكل والمشارب والمناكح واللباس ، وهم غافلون عما يلتذّ به عباد الرحمن مما لا يخطر ببال أنس ولا جان « وفي الفقيه » عن الصادق (ع) : أن العبد إذا صلى ثم سجد سجدة الشكر فتح الرب تبارك وتعالى الحجاب بين العبد وبين الملائكة فيقول : يا ملائكتي انظروا إلى عبدي أدّى قربتي وأتمّ عهدي ، ثم سجد لي شكراً على ما أنعمت به عليه ملائكتي ، ثم ما ذاله ؟ فتقول الملائكة : يا ربنا رحمتك ، ثم يقول الرب تبارك وتعالى : ثم ماذا له ؟ فتقول الملائكة : يا ربنا جنتك ، فيقول الرب تبارك وتعالى : ثم ماذا ؟ فتقول الملائكة : يا ربنا كفاية مهمة ، فيقول الرب تبارك وتعالى : ثم ماذا ؟ فلا يبقى شيء من الخير إلا قالته الملائكة ، فيقول الله تعالى : يا ملائكتي ثم ماذا ؟ فتقول الملائكة : يا ربنا لا علم لنا ، فيقول الله تعالى : لأشكرنه كما شكرني وأقبل إليه بفضلي وأريه وجهي .

قال الصدوق وجهه أنبياؤه ورسله ، بهم يتوجه العباد إلى الله والنظر إليهم يوم القيامة ثواب عظيم يفوق كل ثواب .

قلت : وحججه (ع) فانظر كيف جعل مشاهدة جمالهم آخر النعم التي يتفضل بها على خلص عبيده ونحن في غفلة معرضون .

ومنها : إنها قد تكون نعمة بحسب أصلها وغاية جعلها إلا أنها مشروطة بأمور لو لم تحرز تصير من أضرّ النقم ومتوقفة على آداب لو لم تعمل تورث السقم كالعلم فإنه من أجل النعم وأشرف ما منّ الله به على بني آدم إلا أنه إذا لم يعمل بما يقتضيه يصير من أشر السموم القتالة مورثاً للغرور والعجب وحبّ الرياسة وغيرها من الخصال الرذيلة ، وشدّة الأمر عليه وسوء الحساب معه ، فإنّه

يغفر للجاهل سبعين ذنباً من قبل أن يغفر للعالم ذنباً واحداً .

وكانوا رجـاء ثم صاروا رزيـة لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

ومنها : أن النعمتين قد تكونا متضادتين وقد حاز أحديهما إمّا تفضلاً من الله تعالي أو بعد سؤاله وطلبه أو بدعاء أحد أبويه أو إخوته ، فلا يطلب الأخرى خصوصاً إذا كانت الأولى في أعلى درجات النفاسة ، والأخرى في آخر درجات الخساسة وقد تكون الأعلى موعودة منجزة فلا يسأل ما يحرمه عن نيلها ، وقد مرّ في آداب الدعاء إشارة إلى ذلك فراجع .

ومنها : أن ما كانت منها كسبية قد تحصل من الإلحاح في الـدعاء وقـد تكون مما جعل الله تعالى لتحصيلها أبواباً مخصوصة تطلب منهـا كالفضـل من الأرزاق ، وليس أحد أعزّ على الله تعالى من أنبيائه (ع) الذين كانوا في حيوتهم مبتغين فضل الله بزرع الحبوب أو رعي المواشي أو عمل الخوص أو اللبوس ، فلا يتكل أحد على الله تعالى ويقطع النظر عن الأسباب التي وضعها بين الناس ويعرض كليّاً عنها ، ويطالبه بالأوراد والدعوات فإنها من عمل البطالين الذين لا علم لهم بمرادات مالك الأسباب والمسببات .

الثاني من الأقسام البلاء

والمـراد به هنـا كل مكـروه يرد على العبـد فيه إصـلاح أحد المقـاصـد الخمسة ، سواء رفع به مكروه موجود أعظم منه أو دفع به ذلك ، أو لينال بعض الدرجات التي لا يمكن الـوصول إليهـا إلاّ به ، وإلى هـذا القسم أشار تعـالى بقوله : ﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلـك على الله يسير لكيـلا تاسـوا على ما فـاتكم ولا تفرحـوا بما آتيكم** ﴾ ، وهو مختص بالأنبياء والأوصياء (ع) ومن يليهم من المؤمنين الذين لا يجدهم الله حيث نهى ولا يفقدهم حيث أمـر ، فإنـه مهما استحقّ الاعتـراض والعقوبة بشيء من أعماله ولم يخرج من وباله بتغيير ، قابل لهذه التحفة التي لا يرسلها الله إلا إلى من أحبّه وإليه ينظر أيضاً كلما ورد في تأكيد الصبر على البلاء

وعدم الشكوى عند نزول البأساء ، قال تعالى : ﴿ **ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم أذى كثير وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور** ﴾ ، أي من الأمور المحكمة ، أو مما بان رشده وثوابه أو مما يجب على العاقل العزم عليه ، « وفي الكافي » عن الصادق (ع) أشد الناس بلاءاً الأنبياء ثم الذين يلونهم ، ثم الأمثل فالأمثل ، « وفيه » أنه ذكر عنده البلاء وما يخصّ الله (عزّ وجلّ) به المؤمن ، فقال : سأل رسول الله (ص) : من أشد الناس بلاءاً في الدنيا ؟ فقال : النبيون ثم الأمثل فالأمثل ، ويبتلى المؤمن بعده على قدر إيمانه وحسن أعماله فمن صحّ إيمانه وحسن عمله اشتدّ بلاؤه ومن سخف إيمانه وضعف عمله قلّ بلاؤه ، « وفيه » عنه (ع) : إن عظيم الأجر لمع عظيم البلاء ، وما أحب الله قوماً إلا ابتلاهم ، « وفيه » عنه (ع) : إن لله (عزّ وجلّ) في الأرض من خالص عباده ، ما ينزل من السماء تحفة إلى الأرض إلا صرفها عنهم إلى غيرهم ولا بلية إلا صرفها إليهم ، « وفيه » عنه (ع) قال : وعنده سدير : أنّ الله إذا أحبّ عبداً غتّه بالبلاء غتّاً وأنا وإيّاكم يا سدير لنصبح به ونمسي .

غتّه : أي غمسه .

وفيه عنه (ع) عن النبي (ص) : أن عظيم البلاء يكافىء به عظيم الجزاء ، « وفيه » عنه (ع) : أن المؤمن بمنزلة كفة الميزان ، كلّما زيد في إيمانه زيد في بلائه ، « وفيه » عنه (ع) : أن في الجنة منزلة لا يبلغها عبداً إلا بالابتلاء ، « وفيه » عن عبد الله بن أبي يعفور قال : شكوت إلى أبي عبد الله (ع) ما ألقى من الأوجاع وكان سقاماً فقال لي : يا عبد الله لو يعلم المؤمن ما له من الجزاء في المصائب لتمنّى أنه قرض بالمقاريض ، « وفيه » عنه (ع) أن أهل الحق لم يزالوا منذ كانوا في شدة ، أما إن ذلك إلى مدّة قليلة أو عافية طويلة ، « وفيه » عنه (ع) أنّه ليكون للعبد منزلة عند الله فما ينالها إلاّ بإحدى خصلتين إما بذهاب ماله أو ببلية في جسده ، « وفيه » عنه (ع) عن النبي (ص) : مثل المؤمن كمثل خامة الزرع تكفئها الرياح كذا وكذا وكذلك

المؤمن تكفئه الأوجاع والأمراض ، « وفيه » عنه (ع) : أن الله ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الغائب بالطرق ، وإنّه ليحميه الدنيا كما يحمي الطبيب المريض يخصّ أولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب ، « وفيه » عنه (ع) : أن في كتاب علي (ع) : البلاء أسرع إلى المؤمن التقي من المطر إلى قرار الأرض .

وفي كتاب التمحيص عنه (ع) : ما من مؤمن إلا وهو يذكر لبلاء يصيبه في كل أربعين يوماً أو بشيء من ماله وولده ليأجره الله عليه ، أو بهمّ لا يدري من أين هو والمراد بالأخير هنا وفي أمثاله مما يدل على أن الرجل قد يعاقب في ولده عدم انتفاعه بهم ، وعدم نيله ما يرجوه فيهم ، وعدم انتفاعهم بما تركه لهم ، وجمعه لأجلهم ، « وفي كتاب المؤمن » عن أحدهما (ع) : ما من عبد مسلم ابتلاه الله (عزّ وجلّ) بمكروه وصبر إلا كتب الله له أجر ألف شهيد ، « وفيه » عن الصادق (ع) : أن لله (عزّ وجلّ) عباداً ما من بلية تنزل من السماء أو تقتير في الرزق إلا ساق إليهم ، « وفيه » عن أبي جعفر (ع) أنه تعالى يقول : يا دنيا مرّي على عبدي المؤمن بأنواع البلايا وما هو فيه من أمر دنياه ، وضيّقي عليه في معيشته ولا تحلى له فيسكن إليك ، « وفيه » عن أبي الصباح قال : قلت لأبي عبد الله (ع) : ما أصاب المؤمن من بلاء فبذنب ؟ قال : لا ولكن ليسمع أنينه وشكواه ودعائه الذي يكتب له الحسنات وتحطّ عنه السيئات وتدخر له يوم القيامة ، « وفيه » عنه (ع) : أن الله لو أحبّ عبداً بعث إليه ملكاً فيقول : اسقمه وشدّد البلاء عليه فإذا يرى من شيء فابتله لما هو أشدّ منه وقوى عليه حتّى يذكرني ، فإنّي أشتهي أن أسمع دعائه ، « وفي دعوات الراوندي » عن النبي (ص) : عجبت للمؤمن وجزعه من السقم ، ولو علم ما له في السقم لأحبّ أن لا يزال سقيماً حتى يلقى ربه (عزّ وجلّ) ، « وفيه » عنه (ع) : إذا أحبّ الله عبداً ابتلاه فإذا أحبه الله الحبّ البالغ اقتناه ، قالوا : وما اقتناؤه ؟ قال : لا يترك له مالاً ولا ولداً ، « وفي علل الشرائع » عنه (ع) : لو أن مؤمناً كان في قلّة جبل لبعث الله (عزّ وجلّ) إليه من يؤذيه ليأجره على ذلك ، « وعن أمالي المفيد » عنه (ع) : أن فيما ناجى الله به موسى (ع) : ما خلقت خلقاً هو

أحبّ إليّ من عبدي المؤمن ، وإنّي إنما ابتليته لما هو خير له ، وإنما أعلم بما يصلح عبدي فليصبر على بلائي وليشكر نعمائي وليرضى بقضائي ، اكتبه في الصدّيقين عندي إذا عمل بما يرضيني وأطاع أمري ، « وفي العلل » عن السجاد عن أبيه (ع) قال : قال رسول الله (ص) : ما زلت أنا ومن كان قبلي من النبيين والمؤمنين مبتلين بمن يؤذينا ، ولو كان المؤمن على رأس جبل لقيّض الله[1] (عزّ وجلّ) من يؤذيه ليأجره على ذلك ، وقال أمير المؤمنين (ع) : ما زلت مظلوماً منذ ولدتني أمّي حتى إن كان عقيل ليصيبه رمد فيقول : لا تذرني حتى تذروا عليّاً فيذروني وما بي من رمد .

وعن أمالي المفيد عن الصادق (ع) : إن كان النبي من الأنبياء ليبتلى بالجوع حتى يموت جوعاً ، وإن كان النبي من الأنبياء ليبتلى بالعطش حتى يموت عطشاً ، وإن كان النبي ليبتلى بالعراء حتى يموت عرياناً ، وإن كان النبي من الأنبياء ليبتلى بالسقم والأمراض حتى تتلفه ، وإن كان النبي ليأتي قومه فيقوم فيهم يأمرهم بطاعة الله ويدعوهم إلى توحيد الله وما معه مبيت ليلة مما يتركونه يفرغ من كلامه ولا يستمعون إليه حتى يقتلوه ، وإنما يبتلي الله تبارك وتعالى عباده على قدر منازلهم عنده ، « وفي جامع الأخبار » عن النبي (ص) : ليودّن أهل العافية يوم القيامة أنّ جلودهم قرضت بالمقاريض لما يرون من ثواب أهل البلاء ، « وفيه » عن أبي جعفر قال : خرج موسى (ع) فمرّ برجل من بني إسرائيل فذهب به حتى خرج إلى الظهر فقال له : اجلس حتى أجيئك وخط عليه خطة ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : إني أستودعتك صاحبي وأنت خير مستودع ثم مضى فناجاه الله بما أحبّ أن يناجيه ثم انصرف نحو صاحبه فإذا أسد قد وثب إليه فشق بطنه وفرث لحمه وشرب دمه ، قلت : وما فرث اللحم ؟ قال : قطع أوصاله ، فرفع موسى رأسه ، فقال : يا رب أستودعك وأنت خير مستودع فسلطت عليه شرّ كلابك فشقّ بطنه وفرث لحمه وشرب دمه ؟ فقيل : يا موسى إن صاحبك كانت له منزلة في الجنة لم يكن يبلغها إلا بما صنعت به ،

---

(١) فيض الله فلانا لفلان : جاءه به .

انظر وكشف له الغطاء فنظر موسى (ع) وإذا منزل شريف فقال : رب رضيت « وفي بشارة المصطفى » ، عنه (ع) : أن رجلاً قال له : والله إني لأحبكم أهل البيت ، قال : فاتخذ للبلاء جلباباً فوالله إنه لأسرع إلينا وإلى شيعتنا من السيل في الوادي ، وبنا يبدأ البلاء ثم بكم وبنا يبدأ الرخاء ثم بكم .

إلى غير ذلك من الأخبار المصرحة في أنه تعالى قد يبتلي عباده خصوصاً الأنبياء منهم بالمصائب والأمراض والأوجاع والآلام لمجرّد أن يثابهم عليها بأجور لا حساب لها ودرجات يرفعها وهذه الأجور إمّا على نفس تلك الآلام كالأجر على الزكوة والإخماس التي هي في الحقيقة من هذا الباب ، إذ لا فرق بين النقص في المال أو الجسد ، وما كان منه باختيار العبد من أمره تعالى أو منه تعالى من غير اختياره ، أو على صبره عند نزوله وحبس نفسه على مضاضته ومرارة ألمه ورضاه بتقسيم مولاه وسيده المتوقف على معرفة أن مبدأه منه تعالى ، وإن أجري على يد غيره وأنّه لا يفعل به إلا ما فيه صلاحه وإن له داراً يوفي الصابرون فيها أجرهم بغير حساب ، وهو (ح) من أجل الصفات النفسانية وأكمل الطاعات القلبية والأجر عليه عند البلاء كالموعود على الشكر عند النعماء بل ظاهر كثير من الأخبار أن الثواب في عمل الطاعات وترك السيئات إنما هو على الصبر على فعل الأولى وترك الأخرى ، وكذا ما أعدّ للزاهدين إنما هو لصبرهم على ترك المشتهيات وتحملهم مرارة الإعراض عن المستلذات ، ومن هنا ظهر وجه ما ورد أن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد بعد ملاحظة أقسامه وشرائط تحققه التي لا تتم إلا بعد كمال الإيمان .

وظهر ضعف ما ذكره بعض المتكلمين من قبح الألم غير المستحق لمجرد كونه لطفاً مع عدم اشتماله على النفع أو دفع الضرر ، لأنّ الطاعة المفعولة لأجل الألم ليست بنفع ، والثواب المستحق عليها يقابل الطاعة دون الألم ، فيبقى الألم مجرداً عن النفع وهو قبيح .

وجه الضعف « أولاً » : أنّا نلتزم اشتماله على النفع الآجل بالنظر إلى النقل المتواتر ، « وثانياً » : أنّ هذا القسم غير واقع إلّا فيمن طهر ذيله وجوباً أو

وجوداً عن لوث المعاصي من زمرة الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، فيكـون نزول البـلاء سبباً لبـروز خصلة الصبر أو تكميله فيهم ، فيكـون حسنـاً لاشتمال الصبر على فوائد لا تحصى وأجور لا تستقصى ، مع أن ما ذكره وارد على جميـع المقدمـات الشاقـة للطاعات ، إذ الثـواب إنّما هـو على نفس ذي المقدمة ، وقيل : أنه كما يحسن منّا تحمل مشاق السفر لربح مقابل السلعة ولا يقابل السلعة لكون مشاق السفر علة في حصول هذا الربح ، فكذا الألم الذي هو لطف لولاه لما حصل الثواب المقابل للطاعـة حسن وإن خلي عن العوض لأدائـه إلى النفع ، هـذا مضافـاً إلى أن في ابتلاء ظـواهر البشـرية من الأنبيـاء والأوصياء (ع) بأنواع البلايا غير ما يوجب التنفـر عنهم المنافي لغـرض بعثتهم كالجنون والجذام والبرص فوائد يحسن مع كل واحدة منها ابتلاؤهم بها .

منها : تثبيت أمرهم وأنهم بشر إذ لو لم يصبهم ما أصاب سائر البشر مع ما يظهر في أيديهم من خرق العادات لقيل فيهم ما قالت النصـارى في نبيهم (ع) وقد ورد في بعض الأخبار الإشارة إلى ذلك « وفي الإكمال والعلل » عن الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح أنه قال في كلام طويل له في جواب من استبعـد تسلط قاتل أبي عبد الله (ع) عليه : ولو جعلهم ـ أي الأنبياء ـ في جميع أحوالهم غالبين وقاهرين ولـم يبتلهم ولم يمتحنهم لاتخذهم الناس آلهة .

ومنها : ما ذكره الشيخ أيضاً وقد ذكر في آخر كلامه أنّ ما ذكره مسمـوع من الحجـة (ع) ولما عـرف فضـل صبـرهم على البـلاء والمحن والاختبـار ، ولكنه (عزّ وجـلّ) جعل أحـوالهم في ذلك كـأحوال غيـرهم ليكونـوا في حال المحنة والبلوى صابرين وفي حال العافية والظهور على الأعداء شاكرين ويكونوا في جميع أحوالهم متواضعين غير شامخين ولا متجبرين (انتهى) .

ومنها : أنهم كما يدعون الناس إلى الله تعالى بتصحيح العقائد وتهذيب الأخلاق وتزكية الأعمال بالأقوال كذلك يـدعونهم إليـه تعالى بـأفعالهم بـل هو أجلب في الدعوة وأنفع للرعية ، ولا يمكن لهم ذلك في الصبر على النوائب إلا بعد ابتلائهم بها .

ومنها : أن يكون ذلك سبباً لزيادة علمهم وتكميل معرفتهم بخواص الأشياء ومنافعها الغير اللازم لهم في أول نبوتهم فكثيراً ما كانوا يبتلون بأنواع الأمراض والأوجاع ، فيوحى إليهم كيفية علاجها بأقسام الدواء والأوراد ، ويترتب على ذلك جملة من الفوائد .

ومنها : أن يكونوا سلوة للمبتلين وأسوة لهم في حيوتهم وبعد وفاتهم فيشتركوا بذلك معهم في كل ما يصل إليهم من الفيوضات بسبب صبرهم عليها ، وإلى ذلك أشار أمير المؤمنين (ع) بقوله كما في النهج : « أن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره »[1] وفيه : « وأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر » « وفي رجال الكشي » عن الصادق (ع) أنّه قال لمحمد بن مسلم : لما شكى إليه الإغتراب وبعد الشقة : وأما ما ذكرت من الغربة فلك بأبي عبد الله (ع) أسوة بأرض ناء عنا بالفرات (ص) ويمكن أن يلتزم في بعض هذه الوجوه عدم كون ما يعتريهم من الأسقام مؤلماً ، خصوصاً إذا انحصر لطفيته في غيرهم[2] أو عدم المهم بها إذا ضمّ إليه استغراقهم في محبة بارئهم اللازم منه عدم التفات أنفسهم إلى عوارض أجسادهم ، ومعه لا يمكن إحساسه ، وكيف كان فهذا القسم من البلاء يشترك مع النعم في خواصها وبعد التأمل ينبغي السرور به كالسرور بها بورودها ، ويشترك في مراتب شكرها بالإقرار بأنه منه تعالى والحمد له بلسانه ، وبملاحظة ما ذكرنا أطلق عليه النعمة في بعض الأخبار ، « ففي جامع الأخبار وغيره » عن النبي (ص) : لا تكونوا مؤمنين حتى تعدوا البلاء نعمة والرخاء محنة ، لأن بلاء الدنيا نعمة في الآخرة ، ورخاء الدنيا محنة في الآخرة ، وفيه إشارة إلى وجه آخر في إطلاق النعمة عليه ، « وفي مصباح الشريعة » قال الصادق (ع) : البلاء زين المؤمن وكرامة لمن عقل ، لأن في

(١) أي يتهيج به من تبوغ الدم بصاحبه هاج وفي الحديث عليكم بالحجامة لا يتبيغ بأحدكم الدم فيقتله، وقيل أصل يتبيغ يبتغي فقلت مثل جذب وجبذ أي يجب على الإمام العادل أن يشبه نفسه في لباسه وطعامه يضعفه الناس لكيلا يهلك الفقراء من الناس.

(٢) لا يخفى ما في هذا القول من اللوازم التي لا يمكن الإلتزام بها.

مباشرته والصبر عليه والثبات عنده تصحيح نسبة الإيمان ، قال النبي (ص) : نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاءاً فالمؤمن الأمثل الأمثل ومن ذاق طعم البلاء تحت ستر حفظ الله له تلذذ به أكثر من تلذذه بالنعمة ، ويشتاق إليه إذا فقده لأن تحت يد البلاء والمحنة أنوار النعمة وتحت أنوار النعمة نيران البلاء والمحنة ، وقد ينجو من البلاء كثير ويهلك في النعمة كثير .

الثالث جزاء أعماله الحسنة

من الواجبة والمستحبة سواء كان داعي إتيانها التقرب إليه تعالى لأن يفتح عليه أبواب بركاته الدنيوية والأخروية ، و كان ممحضاً في طلب رضوانه لكنه تعالى تفضل عليه بعده بإحسانه ، وكذا ما يجتنب من الجراير خوفاً من العالم بالضمائر ، قال تعالى : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا** ﴾ ، وقال : ﴿ **ولئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم أنهاراً** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **ولو أنهم أقاموا التوري والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **ومن يؤمن بالله يهد قلبه** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وإن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءاً غدقاً** ﴾ .

وفي الخصال عن النبي (ص) : الصلوة من شرائع الدين وفيها مرضاة الرب ، إلى أن قال : وبركة في الرزق ، « وفي الكافي » عن الكاظم (ع) : إنما وضعت الزكوة قوتاً للفقراء وتوفيراً لأموالكم ، « وفيه » عنه (ع) : حصّنوا

أموالكم بالزكوة ، « وفيه » عن الرضا (ع) : أن الخمس عوننا على ديننا وعلى عيالاتنا ، إلى أن قال (ع) فإن إخراجه مفتاح رزقكم وفي التهذيب عن أمير المؤمنين (ع) : ثلاث يذهبن بالبلغم ويزدن في الحفظ : السواك ، والصوم ، وقراءة القرآن ، « وفي ثواب الأعمال » عن السجاد (ع) : حجّوا واعتمروا تصح أجسادكم وتتسع أرزاقكم ويصلح إيمانكم ، وتكفوا مؤنة الناس ومؤنة عيالكم ، « وفي الكافي » عن النبي (ص) : تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد ، « وفيه » عن الصادق (ع) : من أراد أن يكثر ماله فليطل الوقوف على الصفا والمروة ، « وفي أخبار متواترة » أن زيارة أبي عبد الله (ع) توجب طول العمر وحفظ النفس والمال وزيادة الرزق وتنفس الكرب وقضاء الحوائج ، وما ورد من الآيات والأخبار في الإنفاق والصدقة وزيادة المال والبركة بسببها فأكثر من أن تحصى ، حتى أن في الكافي عن الرضا (ع) أنه قال لمولى له : هل أنفقت اليوم شيئاً ؟ قال : لا ، قال : فمن أين يخلف الله علينا ؟ أنفق ولو درهماً ، وكذا ما ورد في جزاء الأعمال المخصوصة كصلوة الليل وغيرها من الصلوات والأذكار وقراءة بعض السور وتحصيل العلوم وصلة الأرحام وأمثالها .

وإذا عرف الإنسان أن الوارد عليه جزاء عمله بالتجربة أو لمطابقته بما ورد في الأثر من أنه جزاء العمل الفلاني وإنما جازى به حججه (ع) لهذا العمل أو بغير ذلك من الطرق فتكليفه أولاً الشكر عليه كالشكر على نعمه المبتدعة لئلا يكون من الذين أشار تعالى إليهم بقوله : ﴿ **دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجيهم إلى البر إذا هم يبغون في الأرض** ﴾ ، وبقوله تعالى : ﴿ **وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسّكم الضر فإليه تجئرون ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون** ﴾ ، ثم المواظبة على عمله الذي جوزى به لئلا يكون من الذين غاية هممهم بلغة الدنيا ويعبدون الله تعالى لنيل المنى ، مع أنّه يحتاج إليه في كلّ آن ، فإنّ وجوده عنده لا يخرجه من إمكانه وعجزه وضعفه وفقره إليه وقدرته تعالى على إذهابه كقدرته على إنزاله ، قال تعالى : ﴿ **ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا نجد**

لك به علينا وكيلاً إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كثيراً ﴾ .

ثم : إنّ الجزاء أعم من جلب نفع إليه أو دفع ضرر عنه ، ومنه منع الشياطين عن أن يحوموا حوم قلبه وطردهم عن الحضور عنده ، ومنه التفريق بينه وبين المعاصي ، « وفي الكافي » عن أمير المؤمنين (ع) إذا كسى الله المؤمن ثوباً جديداً فليتوضأ وليصلّ ركعتين يقرأ فيهما أم الكتاب ، وآية الكرسي ، وقل هو الله أحد ، وإنّا أنزلناه في ليلة القدر ، ثم ليحمد الله الذي ستر عورته وزيّنه في الناس ، وليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنه لا يعصي الله فيه وهو أحد الوجوه الظاهرة في قوله تعالى : **﴿ إن الصلوة تنهي عن الفحشاء والمنكر ﴾** ، وفي المجمع أنّ فتى من الأنصار كان يصلي الصلوة مع رسول الله (ص) ويرتكب الفواحش ، فوصف ذلك لرسول الله (ص) فقال : إن صلوته لتردعه ، « وفي كنز الكراجكي » جاء في الحديث إنّ أبا جعفر المنصور خرج في يوم جمعة متوكئاً على يد الصادق جعفر بن محمد (ع) فقال رجل يقال له رزام مولى خالد بن عبد الله : من هذا الذي بلغ من خطره ما يعتمد أمير المؤمنين على يده ؟ فقيل له : هذا أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) ، فقال : إني والله ما علمت لوددت أن خدّ أبي جعفر نعل لجعفر ، ثم قام فوقف بين يدي المنصور فقال : اسأل يا أمير المؤمنين ؟ فقال له المنصور : سل هذا ، فقال : إني أريدك بالسؤال ؟ فقال له المنصور : سل هذا ، فالتفت رزام إلى الإمام جعفر بن محمد (ع) فقال له : أخبرني عن الصلوة وحدودها ؟ فقال له الصادق (ع) : الصلوة أربعة آلاف حدود لست تؤاخذ بها ، فقال : أخبرني بما لا يحلّ تركه ولا تتم الصلوة إلا به ؟ فقال أبو عبد الله (ع) : لا تتم الصلوة إلا لذي طهر سابغ ، وتمام بالع غير نازغ ولا زائغ عرف فوقف وأخبت فثبت فهو واقف بين اليأس والطمع والصبر والجزع ، كان الوعد له صنع ، والوعيد به وقع ، بذل عرضه وتمثل غرضه وبذل في الله المهجة وتنكب إليه المحجة ، غير مرتغم بارتغام يقطع علائق الاهتمام ، بعين من له قصد وإليه وفد ومنه استرفد ، فإذا أتى بذلك كانت هي الصلوة التي بها أمر وعنها أخبر ، وإنها هي الصلوة التي تنهي عن الفحشاء والمنكر ، فالتفت المنصور إلى أبي عبد الله (ع) فقال

له : يا أبا عبد الله لا تزال من نهرك نغترف ، وإليك نزدلف ، تبصر من العمى وتجلو بنورك الطخيا ، فنحن نعوم في سبحات قدسك وطامي بحرك .

واعلم : أيضاً أن الظاهر من بعض الأخبار الذي مرّ في القسم الثاني كقوله (ع) : وما أحب الله قوماً إلا ابتلاهم ، وقوله (ع) : إن الله إذا أحب عبداً غتّه بالبلاء غتّاً إنه تعالى قد يجزي على الأعمال الحسنة بالبلاء ، لأنه تعالى لا يحب إلا من آمن وعمل صالحاً ، لكن البلاء حينئذ ليس جزاء بنفسه وإنما هو مقدّمة لتكميل الصبر ومزيد الأجر ، وأما أصل الجزاء فهو مذخور ليوم الحشر وتمام الفقر .

الرابع العقوبة

وهي ما يرد على الفاسق والكافر في الدنيا جزاءاً لسيئات أعمالهم وموبقات آثامهم ، وهي كفارة للأول وتطهير له عن أقذار الجرائم وتعجيل عذاب للثاني قبل خلوده في العذاب الدائم ، وقد ذكرنا في المقام الخامس من الفصل الثاني من الآيات والأخبار ما فيه كفاية لأولي الأبصار ، ونشير هنا إلى بعض ما لم نذكره قال تعالى : ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم** ﴾ ، « وفي تفسير العياشي » عن أبي عبد الله (ع) قال : كان أبي يقول : إن الله قضى قضاءاً احتمالاً ينعم على عبده بنعمة فيسلبها إياه قبل أن يحدث العبد ما يستوجب بذلك الذنب سلب تلك النعمة ، وذلك قول الله : ﴿ **إن الله لا يغير** ﴾ الآية ، وفيه عن بعضهم (ع) في جواب من سأله عن الآية : وأما التغير أنه لا يسيء إليهم حتى يتولوا ذلك بأنفسهم بخطاياهم وارتكابهم ما نهى عنه ، « وفي تفسير علي بن إبراهيم » عن أبي جعفر (ع) في قوله تعالى : ﴿ **ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة** ﴾ ، وهي النقمة ، ﴿ **أو تحل قريباً من دارهم** ﴾ فتحل بقوم غيرهم فيرون ذلك ويسمعون به ، والذين حلت بهم عصاة كفار مثلهم ولا يتعظ بعضهم ببعض ولا يزالوا كذلك حتى يأتي وعد الله ، « وفي العلل » عن الصادق (ع) : الصاعقة لا تصيب المؤمن فقال له رجل : فإنّا قد رأينا فلاناً يصلي في المسجد الحرام فأصابته ؟ فقال أبو عبد الله (ع) : إنه كان

يرمي حمام الحرم ، وفيه عنه (ع) : إذا أراد الله (عزّ وجلّ) بعبد خيراً فأذنب ذنباً تبعه بنقمة ويذكره الاستغفار ، « وفي تفسير الإمام (ع) » عن أمير المؤمنين (ع) : أنه قال لعبد الله بن يحيى : الحمد لله الذي جعل تمحيص ذنوب شيعتنا في الدنيا بمحنتهم إلى أن قال : إن الله تعالى يطهّر شيعتنا من ذنوبهم في الدنيا بما يبتليهم به من المحن ، « وفي أمالي المفيد » عن أبي عبد الله (ع) : إن العبد إذا كثرت ذنوبه ولم يكن عنده ما يكفر بها ابتلاه الله بالحزن ليكفر عنه ذنوبه ، وزاد في روضة الواعظين فإن فعل ذلك به وإلّا فعذّبه في قبره ليلقاه الله (عزّ وجلّ) ، وليس شيء يشهد عليه بشيء من ذنوبه ، « وفي كتاب التمحيص » عنه (ع) : ما من مؤمن إلا وبه وجع في شيء من[1] لا يفارقه حتى يموت يكون ذلك فكارة لذنوبه ، « وفيه » عنه (ع) أن العبد المؤمن ليهمّ في الدنيا حتى يخرج منها ولا ذنب له ، « وفي البحار » عن كتاب الإمامة والتبصرة عن النبي (ص) : السقم يمحو الذنوب ، وقال (ص) : ساعات الوجع يذهبن ساعات الخطايا ، وقال (ص) : ساعات الهموم ساعات الكفارات ، ولا يزال الهمّ بالمؤمن حتى يدعه وما له من ذنب .

وفي كتاب المؤمن عن أبي جعفر (ع) قال : قال الله تبارك وتعالى : **﴿ وعزّتي لا أخرج عبداً من الدنيا أريد رحمته إلا استوفيت كلّ سيّئة هي له ، إما بالضيق في رزقه ، أو ببلاء في جسده ، وإما خوف أدخله عليه ، فإن بقي عليه شيء شددت عليه الموت ﴾** ، « وفي الكافي » عن الصادق (ع) إما أنه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلا بذنب ، وذلك قول الله (عزّ وجلّ) في كتابه : **﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾** ، وينبغي تخصيص الخبر بالمذنب أي من عليه ذنب ، فكلّ ما يصيبه فبذنبه لئلا ينافي الأخبار المتقدمة في البلاء ، ومثله ما رواه الراوندي وغيره عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال لبعض أصحابه في علّة اعتلّها : جعل الله ما كان من شكواك حطّاً لسيئاتك ، فإن المرض لا أجر فيه ، ولكن يحطّ السيئات ويحتّها

---

(١) هنا بياض في الأصل. والمصدر مخطوط لم نظفر عليه .

حتّ الأوراق[1] وإنما الأجر في القول بـالـلسان والعمل بـالأيـدي والأقدام « الخبر » أي أجر المذنب منحصر فيما ذكره ، لأن ما يبتلى به كفارة به لذنبه فلا أجر فيه ، ومع وجود الذنب لا موقع لورود البلاء لمزيد الأجر وتأخير العقاب في الحشر ، وذلك للأخبار السابقة وعدم كون مرضهم (ع) لأجل الذنب ووجود الأجر في الأعمال القلبية ، ويمكن أن يقال أن الأجر فيما تقدم على صبرهم وحمدهم ، والله يعلم .

وفي كتاب المؤمن عن أبي عبد الله (ع) كان لموسى بن عمران (ع) أخ في الله ، وكان موسى (ع) يكرمه ويحبه ويعظمه ، فأتاه رجل فقال : إني أحب أن تكلم لي هذا الجبار ملكاً من ملوك بني إسرائيل ، فقال : والله ما أعرفه ولا سألته حاجة قطّ ، قال : وما عليك من هذا لعل الله (عزّ وجلّ) يقضي حاجتي على يدك ؟ فرقّ له وذهب معه من غير علم موسى ، فأتاه ودخل معه فلما رآه الجبار أدناه وعظّمه فسأله حاجة الرجل فقضاها له فلم يلبث الجبار أن طعن فمات فحشد في جنازته أهل مملكته وغلقت لموته أبواب الأسواق لحضور جنازته ، وقضى من القضاء أن الشاب المؤمن أخا موسى (ع) مات يوم مات ذلك الجبار ، وكان أخو موسى (ع) إذا دخل منزلاً غلق عليه بابه فلا يصل إليه أحد ، وكان موسى (ع) إذا أراده فتح الباب عنه ودخل عليه ، وأن موسى نسيه ثلاثاً ، فلما كان اليوم الرابع ذكره موسى فقال : قد تركت أخي منذ ثلاث فلم آته ففتح عنه الباب ودخل عليه وإذا الرجل ميت وإذا الدواب قد دبّت إليه فتناولت من محاسن وجهه ، فلما رآه موسى عند ذلك قال : يا رب عدوك حشدت له الناس ووليك أمته فسلطت عليه دواب الأرض تناولت من محاسن وجهه ؟ فقال (عزّ وجلّ) : يا موسى إن وليّي سأل هذا الجبار حاجته فقضاها له فحشدت أهل مملكته للصلوة عليه لا كافئه عن المؤمن بقضاء حاجته ليخرج من الدنيا وليس له عندي حسنة أكافئه عليها ، وإن هذا المؤمن سلطت عليه دواب الأرض لتناول من محاسن وجهه لسؤاله ذلك الجبار ، وكان لي غير رضا ليخرج

(١) حت الورق عن الشجرة: سقط.

من الدنيا وما له عندي ذنب « وفيه » عن أبي جعفر (ع) مرّ نبي من أنبياء بني إسرائيل برجل بعضه تحت حائط وبعضه خارج منه ، فما كان خارجاً منه قد نقبته الطير ومزقته الكلاب ، ثم أمضي ورفعت له مدينة فدخلها فإذا هو بعظيم من عظمائها ميت على سرير مسجى بالديباج حوله المجامر[1] فقال : يا رب إنك حكم عدل لا تجور عبدك لم يشرك طرفة عين أمته بتلك الميتة وهذا عبدك لم يؤمن بك طرفة عين أمته بهذه الميتة ؟ فقال (عزّ وجلّ) : عبدي أنا كما قلت حكم عدل لا أجور ، ذاك عبدي كانت له عندي سيئة وذنب فأمته بتلك الميتة لكي يلقاني ولم يبق عليه شيء ، وهذا عبدي كانت له عندي حسنة فأمّته بهذه الميتة لكي يلقاني وليس له عندي شيء .

وفي دعوات الراوندي عن النبي (ص) : ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا أذى ولا حزن حتى الهمّ يهمه إلاّ كفر الله من خطاياه ، وما ينتظر أحدكم من الدنيا إلاّ غنى مطغياً أو فقراً منسياً أو مرضاً[2] أو هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً ، « وفيه » عنه (ص) : أربعة استأنفوا العمل المريض إذا برء ، « وفيه » عنه (ص) : حمى يوم كفارة سنة ، « وفيه » عنه (ص) : للمريض أربع خصال يرفع عنه القلم ويأمر الله الملك فيكتب له كل فعل كان يعمل في صحته وينفع كل عضو في جسده فيستخرج ذنوبه منه ، فإن مات مات مغفوراً له ، وإن عاش عاش مغفوراً له ، « وفيه » عنه (ص) : ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم ، والله (عزّ وجلّ) أكرم من أن يثني عليهم العقوبة في الآخرة ، وما عفى عنه في الدنيا فالله تبارك وتعالى أحلم من أن يعود في عفوه ، « وفيه » عنه (ص) : يقول الله (عزّ وجلّ) : أيّما عبد من عبادي مؤمن ابتليته ببلاء على فراشه فلم يشك إلى عواده أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه ، فإن قبضته فإلى رحمتي وإن عافيته عافيته وليس له ذنب ،

---

(١) المجامر جمع المجمر بكسر الميم الأولى وفتح الثانية : الذي يوضع فيه النار والبخور ، وفي الحديث : إذا أجمرتم الميت فجمره ثلاثاً : أي إذا أبخرتموع بالطيب والعود .

(٢) هنا بياض في الأصل .

فقيل : يا رسول الله ما لحم خير من لحمه ؟ قال : لحم لم يذنب ودم خير من دمه دم لم يذنب ، « وفيه » أنه (ص) قال لأبي ذر وقد عاده في وعكه[1] : أصبحت في روضة من رياض الجنة قد انغمست في ماء الحيوان وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك ، « وفيه » قال ابن المبارك قلت لمجوسى : ألا تؤمن ؟ قال : لا ، قلت : لم ؟ قال : لأن في المؤمنين أربع خصال لا أحبها يقولون بالقول ولا يأتون بالعمل ، قلت : وما هو ؟ قال : يقولون جميعاً أن فقراء أمة محمد (ص) يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام وما أرى أحداً منهم يطلب الفقر ولكن يفرّ منهم (منه ظ) ، ويقولون : أنّ المريض يكفّر عنه الخطايا وما أرى أحداً يطلب المرض ولكن يشكو ويفرّ منه ، ويزعمون أن الله رازق العباد ولا يستريحون بالليل والنهار من طلب الرزق ويزعمون أن الموت حق وعدل وإن مات أحد منهم يبلغ صياحهم إلى السماء ، « وفيه » عن ابن عباس لما علم الله أنّ أعمال العباد لا يفنى بذنوبهم خلق لهم الأمراض ليكفر عنهم السيئات .

ثم : إنّ العقوبة الواردة إما أن تختص بشخص لإنفراده بذنبه وتكليفه (ح) تتبع حالاته السابقة ومعرفة ذنبه ليخرج من تبعته بالاستغفار ، وأداء ما يتبعه من حقوق الله تعالى وحقوق الناس ، وسؤال رفع البلاء بالصدقات والدعوات ، فإنّ كل ما ورد في تدبير رفعه وصرفه عنه فمورده هذا القسم ، وسروره ورضاه به لكونه سبباً لتخليصه من النار ، وعدم دخوله في دار البوار ومجمع الأشرار ، لا ينافي مسألة رفعه لأن مكفّر الذنب بالعقوبة والبلاء مكفّره بالعفو والرضا كما قال تعالى : ﴿ **ويغفر ما دون ذلك من يشاء** ﴾ ، وقال : ﴿ **ويعفو عن كثير** ﴾ وقد تعمه وغيره لذنب أجمعوا عليه كترك بعض الواجبات الكفائية عليهم أجمعين ، وعلاج رفعها رجوعهم عنه ولا يكفي ندم بعضهم نعم لو أنكره بقلبه ونهيهم عنه بما أمكنه يمكن رفعها عنه بالدعاء عنه وغيره فيكون في القحط العام مثلاً في سعة وإن كان أقلهم مالاً ، فإنه تعالى يزكو ما عنده

(١) الوعك : الحمى وقيل ألمها.

ويربو ما في يده كيف يشاء وإن شمله العذاب (ح) فهو رحمة عليه .

وفي دعوات الراوندي سئل زين العابدين (صلوات الله عليه) عن الطاعون أنبرء ممن يلحقه فإنه معذب ؟ قال : إن كان لله عاصياً فابرء منه طعن أو لم يطعن ، وإن كان لله (عزّ وجلّ) مطيعاً فإن الطاعون مما يمحص ذنوبه إن الله (عزّ وجلّ) عذب به قوماً ويرحم به آخرين واسعة قدرته لما يشاء ، ألا يرون أنه جعل الشمس ضياءاً لعباده ومنضجاً لثمارهم ومبلغاً لأقواتهم ، وقد يعذب بها قوماً يبتليهم بحرّها يوم القيامة بذنوبهم وفي الدنيا بسوء أعمالهم ، وقد تعمّه وغيره من غير أن يكون شريكاً معهم في عملهم الذي به عوقبوا ، لكنه لرضاه بفعلهم أو عدم نهيهم عنه مع قدرته عليه وعدم هجرتهم عنه مع عجزه عن النهي وقدرته عليها كان بحكم من ارتكبه قال تعالى : ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم** ﴾ ، قال الطبرسي : قيل : « الفتنة هي العذاب أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب وفي العلل » عن أبي الصلت الهروي عن الرضا (ع) قال : قلت له : لأي علة أغرق الله (عزّ وجلّ) الدنيا كلها في زمن نوح (ع) وفيهم الأطفال وفيهم من لا ذنب له ؟ فقال (ع) : ما كان فيهم الأطفال لأنّ الله (عزّ وجلّ) أعقم أصلاب قوم نوح وأرحام نسائهم أربعين عاماً فانقطع نسلهم فغرقوا ولا طفل فيهم ، وما كان الله (عزّ وجلّ) ليهلك بعذابه من لا ذنب له ، وأما الباقون من قوم نوح فاغرقوا لتكذيبهم نبي الله نوح وسائرهم أغرقوا برضاهم بتكذيب المكذبين ، ومن غاب من أمر فرضي به كان كمن شهده وأتاه .

وفي العياشي وغيره عن الصادق (ع) في حديث : وإذا رأى المنكر فلم ينكره وهو يقوى عليه فقد أحب أن يعصي الله ، ومن أحب أن يعصي الله فقد بارز الله بالعداوة ، ومن أحب بقاء الظالم فقد أحب أن يعصي الله ولو اشتبه عليه الذنب الذي عوقب به فليتضرع إلى الله تعالى في كشفه له وتوفيقه الخروج عن تبعته ، لأنه قد يكون مقيماً فيه ولا علم له به فيدوم عقابه بدوامه ، كمن أضل هادياً ، وأدخل في ثابت شبهة بقوله أو بكتابه ، ومع العجز فليتب منه إجمالاً وليتحرز عن جميعه خصوصاً عن الذنوب التي تورث تلك العقوبة ، وقد أشير

إليها في الأخبار التي أوردناها في الفصل الثاني ، ثم يتوسل بالصدقة والدعاء فإنه محلها وموردها .

الخامس الاستدراج

وهو إنزال المحبوب على العبد عقوبة لـه على معصيته وهـو لكثرة جهله يحسب أنه تعالى يريد به خيراً فيقوم على ذنبه فيجدّد عليه النعمة فيحدّد الذنب إلى أن يرد على الله تعالى وقد أحاطت به خطاياه وماله في الآخرة من خلاق قال تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين كفروا إنما نملي خيراً لهم لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ولا يغرّنـك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مـأواهم جهنّم وبئس المهاد ﴾ ، وقـال تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخـذناهم بغتـة فإذا هم مبلسـون ﴾ ، وقال تعـالى : ﴿ والذين كـذبوا بـآياتنـا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم أن كيدي متين ﴾ ، وقال تعـالى : ﴿ وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلّهم يضرّعون ثم بدّلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قـد مسّ آبائنـا الضرّاء والسـرّاء فـأخذنـاهم بغتة وهم لا يشعـرون ﴾ ، وقال تعـالى : ﴿ ولا تعجبك أمـوالهم وأولادهم إنمـا يريـد الله ليعذبهم بهـا في الحياة الـدنيـا وتـزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾ ، وقـال تعالى : ﴿ وأمم سنمتّعهم ثم يمسّهم منّـا عذاب أليم ﴾ ، وقـال تعالى : ﴿ بـل متّعنا هؤلاء وآبـائهم حتى طال عليهم العمـر ﴾ ، وقـال تعالى : ﴿ فذرهم في غمرتهم حتى حين أيحسبون إنما نمدّهم من مال وبنين نسـارع لهم في الخيرات بـل لا يشعـرون ﴾ ، وقـال تعـالى : ﴿ بـل متعتهم وآبائهم حتى نسوا الـذكر ﴾ ، وقـال تعالى : ﴿ أفـرأيت أن متّعناهم سنين ثم جائهم ما كانوا يـوعدون مـا أغنى عنهم ما كـانوا يمتعـون ﴾ ، وقال تعـالى : ﴿ نمتعهم قليلاً ثم نضطرّهم إلى عذاب غليظ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فذرني ومن يكذّب هذا الحـديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمـون ﴾ . وفي الكافي عن الصادق (ع) : إذا أراد تعالى بعبد شرّاً فأذنب ذنباً اتبعه بنعمة لينسيه الإستغفار ويتمـادى بهـا ، وهـو قـول الله (عـزّ وجـلّ) : ﴿ سنستـدرجهم من حيث لا

يعلمون ﴾ بالنعم عند المعاصي ، « وفيه » عنه (ع) : أنه سئل عن الإستدراج ؟ قال : هو العبد يذنب الذنب فيملي له ويجدد له عنده النعم فيلهيه عن الإستغفار من الذنوب ، فهو مستدرج من حيث لا يعلم ، « وفيه » عن سماعة أنه سأله (ع) عن الآية قال : هو العبد يذنب الذنب فيجدد له النعمة معه تلهيه تلك النعمة عن الإستغفار عن ذلك الذنب ، « وفي النهج » قال (ع) : كم من مستدرج بالإحسان إليه ومغرور بالستر عليه ومفتون بحسن القول فيه ، وما ابتلى الله سبحانه أحداً بمثل الاملاء ، وقال (ع) : أيها الناس ليراكم من النعمة وجلين كما يراكم من النقمة يا ابن آدم غرقين إنه من وسع عليه في ذات يده فلم يرَ ذلك استدراجاً فقد آمن مخوفاً ، وقال (ع) : إذا رأيت ربك سبحانه يتابع عليك نعمة وأنت تعصيه فاحذره ، « وفي الغرر » عنه (ع) : إذا رأيت الله سبحانه يتابع عليك النعم مع المعاصي فهو استدراج لك ، « وفي الكافي » عن الصادق (ع) : كان في مناجاة الله لموسي (ع) : يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين ، وإذا رأيت الغني مقبلاً فقل ذنب عجلت عقوبته ، فما فتح الله على أحد هذه الدنيا إلا بذنب ينسيه ذلك الذنب فلا يتوب ، فيكون إقبال الدنيا عليه عقوبة لفعلهم الرّدي ، « وفي الخصال » عنه (ع) : أن الله تعالى أهبط ملكاً إلى الأرض فلبث فيها دهراً طويلاً ، ثم عرج إلى السماء فقيل له : ما رأيت ؟ قال : رأيت عجائب كثيرة وأعجب ما رأيت إني رأيت عبداً متقلباً في نعمتك يأكل رزقك ويدّعي الربوبية فعجبت من جرأته عليك ومن حلمك عنه فقال الله (عزّ وجلّ) : فمن حلمي عجبت ؟ قال : نعم ، قال : قد أمهلته أربعمائة سنة لا يضرب عليه عرق ولا يريد من الدنيا شيئاً إلا ناله ولا يتغير عليه فيها مطعم ولا مشرب ، « وفي كتاب التمحيص » عن أبي جعفر (ع) قال : قال الله تعالى : ما من عبد أريد أن أدخله النار إلا صححت له جسمه ، فإن كان ذلك تمام طلبه عندي وإلا وسعت عليه رزقه ، فإن كان ذلك تمام طلبه عندي وإلا يسرت عليه عند الموت حتى يأتيني ولا حسنة له ثم أدخله النار .

وفي الكافي عنه (ع) : دعى النبي (ص) إلى طعام فلما دخل منزل الرجل نظر إلى دجاجة فوق حائط قد باضت فتقع البيضة على وسط وتد في

حـائط فثبت عليه ولـم تسقط ولم تنكس ، فتعجب النبي (ص) منهـا فقـال لـه الرجل : عجبت من هذه البيضة فوالذي بعثك بالحق ما رزئت شيئاً قط فنهض رسول الله (ص) ولم يأكل من طعامـه شيئاً وقـال : من لم يرزء فمـا لله فيه من حاجة .

الرزء : النقص ، والرزية : المصيبة ، وعدم احتياج الله إليـه كنايـة عن عدم كونه من خلص المؤمنين المعدين لهداية الخلق وعبادته ومعرفته ، فإن نظام العالم لما كان بوجودهم فكأنه تعالى محتاج إليهم ، أو أن المراد حاجة الأنبياء والأوصياء (ع) في ترويج الدين والنسبة إليه تعالى تعظيمـاً لهم كقولـه : ﴿ **إن تنصروا الله** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **وما ظلمونا** ﴾ ، أو غير ذلك مما ليس هنا مقام ذكره وامتناعه من أكل طعامه لأن ما ذكره كان من صفات المستدرجين ، ومن لا خير فيه لا خير في ماله ، والمال الـذي لـم ينقص منه شيء ملعـون كالبـدن ، قال (ع) : ملعون كل مال لا يزكى ، ملعون كل بدن لا يزكى .

هذا وقد ظهر من تلك الأخبار علامة كون ما يرد على الإنسان من أنـواع الإحسان من قسم الإستدراج ، وإنها بقاؤه على ما كان عاكفاً عليه من الذنوب بعد وروده وتزايده عليه بتزايده فيها من غير أن أيصير الوارد سبباً لنزوعه عنها ، واحتياجه إليه في إصلاح أمور دينه أو ضروري معاشه ، وعلى هذا فأكثر الناس مستدرجون وهم في غمـرة ساهـون وفي غفلة معرضـون وسيعلمون أي منقلب ينقلبون ، وأما الإمهال فهو أعم من الإستـدراج فإنّـه مجرد حلمـه تعالى عنهم وعدم أخذهم بذنوبهم وإبقائهم على الحالة التي كانوا عليها قبلها ، سواء جدد عليهم نعمـة أخرى أم لا ، « في الصحيفـة الكاملة » : عـادتك الاحسـان إلى المسيئين وسنتك الإبقاء على المعتدين حتى لقد غـررتهم أناتـك عن الرجـوع وصدّهم إمهالك عن النزوع ، وإنما تأنيت بهم ليفيئوا إلى أمرك وأمهلتهم ثقـة بدوام ملكك .

السادس الإمتحان والإختبار

وهو ما يرد على العبد من الخير والشر والنعمة والنقمة ليظهر منه ما خفي

في سريرته من السعادة والشقاوة والإطاعة والعصيان والحسن والقبح ، كأنه تعالى يعاملهم معاملة المختبرين الذين لا علم لهم بحقيقة ما يختبرون ، قال الله تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين من قبلكم مسّتهم البأساء والضرّاء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطّيّب ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحّص ما في قلوبكم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتيكم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ أم حسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وإذا مسّ الإنسان الضر دعا ربه ثم إذا خولناه نعمة منّا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة .

وفي تفسير العياشي عن الصادق (ع) والله لتمحصنّ والله لتميزنّ والله لتغربلنّ حتى لا يبقى منكم إلا الأندر ، قلت : وما الأندر ؟ قال : البيدر وهو أن يدخل الرجل قبة الطعام بطين عليه ثم يخرجه وقد تأكل بعضه ، فلا يزال ينقيه ثم يكرّ عليه ثم يخرجه حتى يفعل ذلك ثلاث مرات حتى يبقى ما لا يضره شيء ، « وفي كتاب التمحيص » عنه (ع) : إن أصابكم تمحيص فاصبروا ، فإنما يبتلي الله المؤمنين ولم يزل إخوانكم قليلاً إلا وأن أقل أهل المحشر المؤمنون ، « وفي النهج » قال (ع) : ومن ضيق عليه في ذات يده فلم ير ذلك اختباراً فقد ضيّع مأمولاً ، « وفي الكافي » عن الصادق (ع) : لا بد للناس من أن يمحصوا ويميزوا ويغربلوا ويستخرج في الغربال خلق كثير ، « وفيه » عن

أبي الحسن (ع) في قوله تعالى : ﴿ ألم أحسب الناس ﴾ ، قال : يفتنون كما يفتن الذهب ، ثم قال : يخلصون كما يخلص الذهب ، « وفي النهج » : أيها الناس إنّ الله تعالى قد أعاذكم من أن يجور عليكم ولم يعذركم من أن يبتليكم ، وقد قال جل من قائل : ﴿ إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين ﴾ ، « وفي الكافي » عنه (ع) في خطبة له (ع) : ولكن الله (عزّ وجلّ) يختبر عبيده بأنواع الشدائد ويتعبدهم بأنواع المجاهد ويبتليهم بضروب المكاره إخراجاً للتكبر من قلوبهم ، وإسكاناً للتذلل في أنفسهم ، وليجعل ذلك أبواباً إلى فضله وأسباباً ودليلاً لعفوه وفتنته ، كما قال تعالى : ﴿ ألم أحسب الناس ﴾ الآية ، « وفي تفسير القمي » قال : قال : نزلت ـ أي قوله تعالى ـ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد ﴾ في غزوة الحديبية جمع الله عليهم الصيد فدخل بين رحالهم ليبلوهم الله ـ أي يختبرهم ـ قوله تعالى : ليعلم الله من يخافه بالغيب ﴾ ، قبل ذلك ولكنه (عزّ وجلّ) لا يعذب أحداً إلا بحجة بعد إظهار العقل ، « وفي الكافي » عن أبي جعفر (ع) فيما ناجى الله به موسى (ع) : يا موسى أكرم السائل ببذل يسير أو برّ جميل إنّه يأتيك من ليس بأنس ولا جان ، ملائكة من ملائكة الرحمن يبلونك فيما خولتك ويسألونك مما نولتك ، فانظر كيف أنت صانع يا ابن عمران ، « وفي أمالي ابن الشيخ » عن النبي (ص) قال الله (عزّ وجلّ) : لولا إنّي استحيي من عبدي المؤمن ما تركت عليه خرقة يتوارى بها ، وإذا أكملت له الايمان ابتليته بضعف في قوته وقلة في رزقه ، فإن هو حرج أعدت عليه ، فإن صبر باهيت به ملائكتي .

حرج كفرح : أي ضاق صدره .

وفي العلل عن الباقر (ع) : أنّ ملكين هبطا من السماء فالتقيا في الهواء فقال أحدهما لصاحبه : فيما هبطت ؟ قال : بعثني الله (عزّ وجلّ) إلى بحرايل أحشر سمكة إلى جبار من الجبابرة اشتهى عليه سمكة في ذلك البحر ، فأمرني أن أحشر إلى الصياد سمك البحر حتى يأخذها له ليبلغ الله (عزّ وجلّ) الكافر غاية مناه في كفره ، ففيما بعثت أنت ؟ قال : بعثني الله (عزّ وجلّ) في أعجب من الذي بعثك فيه ، بعثني إلى عبده المؤمن الصائم القائم المعروف دعاؤه

وصوته في السماء لا كفى قدره التي طبخها لإفطاره ليبلغ الله في المؤمن الغاية في اختبار إيمانه .

إعلم : إن الله تعالى بمنّه وجوده سلك بعبيده لتجزى كل نفس بما تسعى مسلكاً لا يبقى لأحد بعده حجة عليه ولا عذر يعتذر منه إليه ، فأمال أوّلاً طباعهم بحسب فطرتهم الأصلية والخلقة الأولية إلى ما ينفعهم ، ونفرهم عما يضرهم ويشترك معهم في هذا اللطف غيرهم من الحيوانات ، وربما يكون ذلك كسبياً حصل من العادات ، وهو أيضاً داخل في أنواع اللطف والهدايات ، ثمّ أمرهم ثانياً بامتثال محبوباته ونهاهم عن اقتراف مبغوضاته وفصلهما على ألسن حججه وخلفائه ، ثمّ بيّن لهم ثالثاً ما ادّخره للمطيعين من النعم والمثوبة ، وما أعدّه للعاصين من النّكال والنقمة ، ثمّ أراهم رابعاً ما فعله بالمطيعين قبله ومعه ونفسه عاجلاً من إنـزال البركات عليهم ، أو إيصال الخيرات إليهم وبالعاصين من الإنتقام بالبليات الطامة والأخذ الشديد في كرور الأيام منها قائم وحصيد ، وقد قرن المحق بالربا ، والفقر بالزنا ، والظلم بالفناء ، والزيادة بالبقاء ، والإجابة بالدعاء ، والعلم بالحياء ، والصدقة بالخلف ، والبخل بالتلف ، والفاقة بالسرف ، وغير ذلك مما قد سلف ، بل أرى الخلص الذين هذبوا الطريق وركبوا سفينة النجاة في هذا البحر العميق خير كل حسنة عند فعلها وشرّ كل مكروهة عند صدورها ، حتى جزاء ما قد يخطرونه بالبال ويطوف حوم الخيال ، ولما برز في قالب القول أو الفعال وبذلك كله يتمّ الحجة البالغة لله تعالى على العباد ويتضح الحجة لأهل الشكر والعناد ، ويتميز الغي والضلال من الرشد والسداد ، فمن هلك هلك عن بينة واضحة ، ومن نجى نجى عن هداية عامة ، ويتبين تثبيت من أجاب داعي الله وبصيرته في ذلك ، ولا يقدر منكره أن يقول : لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتّبع آياتك ولو شاء الله لهدى الناس أجمعين بقدرته الكاملة التي لا يعجز عنها شيء ، ولم يفعل لكونه خلاف الحكمة التي تصدر عنها أفعاله إذ به يتّحد العاصي والمطيع والداني والرفيع ، أو بأن يتعذّر لهم أسباب الخلاف والمعاصي أو لا ، كما قال أمير المؤمنين (ع) : « من العصمة تعذر المعاصي » وبعدم إحواجهم إليها لو وجدت ثانياً ، وبإيجاد مثلها من

المباحات معها ثالثا ، وبصرف ميله عنها رابعا لو اضطر إلى موجودهـا بحسب العادات فيكشف ضرّه ويدفع ضرورته بغير أدوات وهذه من الهدايات الخـاصة المختصة بعضها بالحجج الـطاهرين الـذين عصمهم الله من كل دون وشين ، وبعضها بمن اهتدى بالهدايات العامة ولم يعرض عنها بقلبه ولسانه وتمسك بها بقوله وفعاله ، وهي المسؤولة في الدّعـوات والمناجـات وخلال الصلوات ، إذ العامة واجبة في الحكمة إتماماً للحجة ، وقد فعلها بكل أحد والإلجاء خلافها فلا يسأل عما يوجبه : ومما ذكرنا ظهر أنّ جميع أوامـره ونواهيـه تعالى اختبـار لطاعة العباد وعصيانهم .

وفي الصحيفـة الكاملة : ثم أمـرنا ليختبـر طاعتنـا ونهانـا ليبتلي شكنا ، « وفي تحف العقـول » في رسالـة أبي الحسن (ع) إلى أهل الأهـواز في الجبر والتفويض بعد ذكر آياتِ البلوى والإختبـار بالاستـطاعة التي تجمـع القول بين القولين ، فإن قـال قائـل : فلم يعلم الله ما يكـون من العباد حتى اختبـرهم ؟ قلنا : بلى قد علم ما يكون منهم قبل كونه ، وذلك قوله تعـالى : ﴿ **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه** ﴾ ، وإنما اختبرهم ليعلمهم عدله ولا يعذبهم إلا بحجة بعد الفعـل ، وقد أخبر بقولـه : ﴿ **ولو أنـا أهلكناهم بعـذاب من قبله لقالـوا لولا أرسلت إلينـا رسولاً** ﴾ ، وقـوله : ﴿ **ومـا كنا معـذبين حتى نبعث رسولاً** ﴾ ، وقوله : ﴿ **رسلاً مبشرين ومنذرين** ﴾ (الخبر) ، ويمكن أيضاً أن يكون الغرض علم أوليائه بحالهم فإن علمهم بهم قبل الإختبار مشروط لجواز المحو والإثبات الممكن قبل أن يكون ، ولهذا الإشكال أجوبة أخرى مذكورة في محله ، وكما يختبـر إطاعتهم وعصيـانهم بالتكـاليف كذا يختبـر صبرهم وشكـرهم وتـوكلهم وضعف يقينهم ، وقوته بها وبالمصائب والنعم والصحة والألم وكثرة الولد والمال والضيق في الرزق وسوء الحـال ، « وفي النهج » ومـا ابتلى الله سبحانـه أحداً بمثل الإملاء ، « وفيه » : ومن ضيّق عليه في ذات يده فلم يرَ ذلك اختباراً فقد ضيع مأمولاً ، وقال تعالى : ﴿ **وأما الإنسـان إذا ما ابتليـه ربه فـأكرمـه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن** ﴾ .

وفي أخبار كثيرة ما من قبض ولا بسط إلا ولله فيه المن والإبتلاء أو مشيته

وقضاء وابتلاء ، قال المجلسي (ره) : لعل المراد بالقبض والبسط في الأرزاق بالتوسيع والتقتير ، وفي النفوس بالسرور والحزن ، وفي الأبدان بالصحة والألم ، وفي الأعمال بتوفيق الإقبال إليها وعدمه ، وفي الأخلاق بالتحلية بها وعدمها وفي الدعاء بالإجابة له وعدمها ، وفي الأحكام بالرخصة في بعضها والنهي عن بعضها .

قلت : والظاهر شموله لكل ما يحدث في الآفاق من الحر والبرد ، والليل والنهار ، والصيف والشتاء ، والموت والحيوة ، والإنارة والكسوف وأمثالها ، « وفي النهج » وقدّر الأرزاق فكثّرها وقلّلها وقسّمها على الضيق والسعة ، فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها ومعسورها ، وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيّها وفقيرها ، « وفي كتاب التحميص » عن البرقي عن الصادق (ع) : قد عجز من لم يعد لكل بلاء صبراً ولكل نعمة شكراً ولكل عسر يسراً ، أصبر نفسك عند كل بلية ورزية في ولد أو في مال فإن الله إنما يقبض جائزته وهبته ليبلو شكرك وصبرك .

هذا ومن جميع ما مرّ ظهر أنه قد يكون الشيء الواحد الوارد على جماعة نعمة لبعضهم واستدراجاً لآخر ونقمة لبعضهم وامتحاناً لآخر ، محبوباً كان أو مكروهاً كما تقدم عن السجاد (ع) في مثال الشمس وقال تعالى : ﴿ **عليها تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدّتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً كذلك يضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء** ﴾ وقد يكون موت عالم بلاء لوالده الصالح واستدراجاً لولده الطالح الذي كان ينتظر حيازة ميراثه ، ونقمة على من لم يؤدّ شكر نعمته وجوده ونعمة على من اتعظ به وصار سبب زيادة خوفه وقلة رغبته ، وامتحاناً لمن كان يقتدي بأفعاله ويهتدي بأقواله ، وكان بينهما اتصال عادي أو نسبي يحثّه على ذلك وقام مقام هذا العالم مثله ممن كان يكرهه ويبغضه .

إذا عرفت : ما تلوناه عليك فاعلم أن ما يرد على العبد في عالم النوم من الله تعالى مثل ما يرد عليه في اليقظة منه تعالى ، فيحتمل في كل مكروه أو محبوب يراه فيه ما ذكرناه من الأقسام ، ولا يجوز تعيين قسم منها إلا بعد اقترانه بما يخصّه من العلامات التي أشرنا إليها في خلال تلك الكلمات ، و (ح) يتّضح مضمون الأخبار الماضية إلاّ أنّا نشير إجمالاً إلى بعض ما تضمنتها من الفوائد الشريفة .

الأولى

أنّ ما يراه في النوم من المبشرات التي هي أحد أقسام الرؤيا في روايتي الكافي والتبصرة لا يجوز الإغترار به كما في خبر الأشعثيات ، لأن نفس حصول الإغترار بها علامة عدم كونها نعمة من الله تعالى عليه ، لأنها تصير نعمة لو زادت في خوفه أو شوقه أو عمله فتصلح بها بعض أجزاء إيمانه ومفاسد دينه ، وإلا فيحتمل كونها امتحاناً وإتماماً للحجة عليه ، أو استدراجاً ليتم سروره في دار الدنيا في حالتي اليقظة والمنام ، أو جزاء لبعض أعماله التي لا تستحق بها إلا مقداراً من السرور الذي دخل منها إليه ، ويحتمل كونها من الشيطان كما في الخبر وعلامته صيرورتها سبباً للإغترار والإعراض عن الأعمال ، فإنه لا يفعل بأحد إلا ما يورثه بظنه بعد أمنه تعالى فعلامة كون الرّؤيا بشارة منه تعالى إذا لم تتضمن في اليقظة ما تشهد بصدقها أن يكون عاملاً قبلها بما يحتمل اقتضاءه لها ، أو صارت سبباً لقوة يقينه وكمال إيمانه ، فكانت من الهدايات الخاصة التي مرّت الإشارة إليها ، وإلا فحالها حال النعم المصبوبة على أهل الدنيا ، مع أن في قوله تعالى : **﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقوا لهم البشرى في الحيوة الدنيا ﴾** ، المفسر بالرؤيا الحسنة يراها المؤمن أو يرى له في جملة من الروايات دلالة باختصاصها بالمتقين من أهل الإيمان ، بل لو كان من المتقين وكانت رؤياه صادقة وظهر صدقها في اليقظة لكان الاغترار بها من السفاهة إذ غاية ما دلت عليه حسن حاله في هذا الوقت وما ينفعه ذلك لو لم تحسن عاقبته ولم تختم بخير ، وكم من تقيّ قرب إلى الجنة وكان بينهما شبر فهوت به ريح الشرك أو المعاصي إلى مكان سحيق ، « وفي الدعاء » : أنه لا خير فيما لا عاقبة له .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الثانية

فيما تضمنه خبر تحف العقول والبصائر : من أن المؤمن إذا رسخ في العلم أو الإيمان رفعت عنه الرؤيا ، فإنه بظاهره يخالف الآية من أن المتقين يبشرون بها ، والأخبار المتقدمة والإعتبار من حيث أن قوة الإيمان توجب كثرة الإستئناس بسكان الملأ الأعلى ، وإذا ارتفع بالنوم ما كان يشغله عنهم لم يحجبه فيه عنهم شيء ، فكل ما يراه أو يلقى إليه صحيح لا عيب فيه .

ويمكن أن يدفع هذا الإشكال بوجوه :

الأول : إن المحتاج إلى الرؤيا الصحيحة والبشارة الحسنة هو الضعيف الذي لا يكون قابلاً لإلقاء الخيرات والبشارت إليه من هذا العالم في حال اليقظة ، لكثرة تورطه واشتغاله بأمور الدنيا وشدة تقلب قلبه فيها ، فلا سكون فيه ولا توجه له إلى فوقه يتلقى به ما يلقى إليه في سرعة البرق الخاطف وأما المرتسخ في الإيمان فهو الذي انقطع جميع علائقه عن الدنيا وجسده مع الناس وروحه معلقة بالمحل الأعلى ، مترددة في مصاف الكروبيين ومجالس الروحانيين ، مترقبة لما يلقونه إليه ومنتظرة لنزول الحقائق واللطائف منهم عليه ، فلا يحتاج إلى ما هو بمنزلة البدل الضعيف عن هذا الأصل الشريف ، أيحتمل أن يكون من هو بحضرة أحد من أئمة الأنام (ع) محتاجاً في بعض أموره إليه إلى لقائه في المنام ؟ أو من يشاهد عظمة سلطنة ملك عظيم الشأن أن يسمعها ممن حضر عنده في بعض الأزمان ؟ فإذا انفتح له باب معرفة مراداته ووصول هداياته إليه في اليقظة فلا حاجة له إلى الرؤيا لذلك وهذا معنى رفعها عنه .

الثاني : أن النفس متى استلذت برؤية بعض ما في عالم الغيب والسرور ، وكشفت عنها الحجب والستور ، تطمئن بجملتها إلى نحوه وتنزع كلية عمّن يصدّها عن طريقه ، فيهرب عن كل ما في هذا العالم وتوحّش عن مجالسة بني آدم ، ولا يأنس إلا بالله تعالى وذكره ومشاهدة عجائب عوالم غيبه إلا الحجج الكاملين الذين عندهم الغيب والشهادة سواء ، ولا يشغلهم السرور

والأحزان والنظر إلى الحور والولدان والقصور والجنان عن التبليغ والأداء مع أن في الخصال عن رسول الله (ص) أن الله (عزّ وجلّ) ناجى موسى بن عمران بمائة ألف كلمة وأربعة وعشرين ألف كلمة في ثلاثة أيام ولياليهن ما طعم فيها موسى ولا شرب فيها ، فلما انصرف إلى بني إسرائيل وسمع كلامهم مقتهم لما وقع في مسامعه من حلاوة كلام الله (عزّ وجلّ) ، وأما غيرهم ممّن أوتي حظاً من العلوم والأحكام وأراد الله تعالى منه إهداء العوام ، ونشر شرائع الإسلام وإصلاح مفاسد الأنام ، فلا بدّ له من التردد بين أظهرهم والحشر مع عالمهم وجاهلهم ، ومصاحبة غنيّهم وفقيرهم والإنس بصغيرهم وكبيرهم ، والإلفة بمحسنهم ومسيئهم ، فمقتضى الحكمة الإلهية سدّ تلك الأبواب عنه ، وصرف نفسه عن التوجه إلى عجائب الملكوت مع قابليته لمشاهدته والأنس بسكنتها ، لئلا يورث الخلل في أنسه بالناس المستلزم لوهنه في تكميلهم ، ونفرته عن تعليمهم ، وبهذا ظهر سرّ عدم بروز الكرامات عن النواميس الحماة الذين صرفوا أعمالهم في مرضاة رب العالمين ، ونشر معالم الدين وإصلاح مفاسد المسلمين ، وترويج الشرع المبين بالإخلاص واليقين ، وبروزها عن جماعة من الصلحاء والزهاد والمشتغلين بتهذيب أنفسهم وعمارة أرماسهم ولا يستضيء بنورهم إلا نزر يسير ولا ينبئك مثل خبير .

الثالث : أن المراد بالمرفوعة هي التي يحتاج إليها الإنسان في أول سيره لإتمام الحجة وإراءة المحجة ثم هو موكول إلى نفسه وعمله وجهده وتعبه إلى أن ينوّر قلبه بنور العلم والعمل ، ويتجافى عن دار الغرور والختل ، وتستضيء عين بصيرته ويظهر مكنون سريرته ، فيفتح له (ح) أبواب البشارات ويرشد إلى مصالحه بتلك الإشارات ، نظير تلك المعجزات التي كان يأتي بها الأنبياء (ع) في أوّل دعوتهم لإثبات رسالتهم ، ثم الناس مأمورون باتباع أقوالهم وأفعالهم ولا يجيبون مسؤولهم لو أرادوا منهم الخوارق في خلال تلك الأحوال ، بل لو ثبت نبوّتهم بطريق آخر كأخبار نبيّ أو وصيّ صادق عندهم لما وجب عليهم إظهار المعاجز ، ثم إذا بلغ بعض أتباعهم مرتبة الكمال واقتفى آثارهم في جميع الأحوال ، « يلقون إليه من الأسرار والأعاجيب ما يبهر منه عقل كل

لبيب » ، فالقسم الأول من الرّؤيا والمعاجز من باب الإمتحان والإختبار ، والثاني منهما من باب النعمة والجزاء ، والأول ينقطع بحصول الغرض وثبوت البيان ، والثاني يزيد بزيادة الأعمال وتهذيب الجنان .

الرابع : ما أشار إليه الشهيد الثاني (ره) في بعض كلماته في جواب من سأله عن وجه بروز الكرامات عن بعض الناس وعدمه عن العلماء من أن الطائفة الأولى بمنزلة العبيد الواقفين في محضر السلطان المطلعين على ما يوجد بحضرته من العجائب التي لا توجد عند الرعية والثانية بمنزلة الحكام والأمراء المأمورين بالخدمات المتفرقين في أطراف البلاد ، فهم أجلّ شأناً من هؤلاء وإن لم يكن لهم خبر بتلك الجزئيات ويمكن ارجاع هذا الوجه إلى الوجه الثاني .

الخامس : ما يأتي في الفصل الآتي من أن بعض المنامات من حديث النفس بالشيء والفكر فيه حتى يحصل كالمنطبع في النفس فيخيل ذلك إلى النائم بعينه ، فمن كثر فكره في اليقظة في المطالب النظرية والمسائل العلمية واشتغلت نفسه بحلّها وتعمّقت في أطرافها لا يفارقها أيضاً في حال النوم فهو يتردد دائماً فيها ولا فترة لنفسه تتوجه إلى ما وراها قال الكراجكي : وقد كان شيخي (رضي الله عنه) يريد به المفيد (ره) قال لي : إن كل من كثر علمه واتّسع فهمه قلّت مناماته ، فإن رأى مع ذلك مناماً وكان جسمه من العوارض سليماً فلا يكون منامه إلا حقاً (انتهى) .

الثالثة

في الرؤيا المكروهة وهي على أقسام :

الأول : ما يريه الله تعالى في المنام : من العذاب والنكال الذي أعده للمجرمين مثل أن يرى القبر وظلمته ، والسؤال وحيرته ويوم القيامة وعطشه ، والحساب ودقته ، والميزان وخفته ، ولهب النار وزفرته ، وهذا نظير البلاء الذي يصيبه في يقظته فمنه نعمة عليه يصلح بها أمر دينه كما هو صريح رواية الاختصاص ، وقوله (ع) : الرؤيا المكروهة زاجر زجرك الله تعالى بها ، ومنه

عقوبة لما صدر عنه من السيئات وهي على قسمين ، « الأول » : أن يكون معصية تقتضي من الجزاء بمقدار الهمّ والخوف اللذين وردا عليه ، فصار بما رأى خارجاً عن تبعتها وهو صريح خبر العيون ، « الثاني » : أن يكون ما رأى مثل ما قدمه لنفسه بأعماله ممّا يرد عليه بعد الموت ومنه امتحان واختبار وتثبيت لوجود الجنة والنار وفي جميع الأقسام خصوصاً الثالث لا بدّ له من تتبع أعماله واستخراج ما ابتلي بوباله والإستغفار منه والتضرع إليه تعالى في العفو عنه .

الثاني : ما يريد الله تعالى في نومه من البليات أو علاماتها بعينها أو بما يؤول إليها مما ترد عليه ، أو على عامة الناس في اليقظة من مرض نفسه أو أهل حضانته أو موتهم أو القحط والوباء والطاعون والقتال وأمثالها ، إما لأن يأخذ إهبته ويستعد لآخرته إن كان من المحتوم ، أو ليتضرع إليه تعالى في صرفه عنه وعدم ابتلائه وإن نزل وعمّ البلاد ، على ما تقدم ذكره في الفصل الثاني وعلى كل حال فتكليفه بعد اليقظة التضرع والمسألة والصدقة وعدم ذكر ما رآه لغيره ، « قال ابن فهدره في عدته » لدفع عاقبة الرؤيا المكروهة أن تسجد عقيب ما تستيقظ منها بلا فصل ، وتثني على الله تعالى بما تيسّر لك من الثناء ثم تصلي على محمد وآله محمد وتتضرع إلى الله تعالى وتسأله كفايتها وسلامة عاقبتها ، فإنك لا ترى لها أثراً بفضل الله ورحمته ، ويفعل ما نذكره في القسم الثالث ، ولاحتمال كونه منه فإن التميز بين القسمين ليس من شأن كل أحد من الناس .

الثالث : ما يريه الشيطان فيه من المكروه وهو أحد أقسام الرؤيا في الأخبار المتقدمة واعلم أولاً أن الموجود في نسخ الكافي وتحذير من الشيطان . وفي غيره وتحزين والثاني أنسب بقوله تعالى : ﴿ **إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا** ﴾ المفسر في الرواية بذلك ويؤيدها ما في الأدعية الآتية وقال في البحار : لعل المراد بتحذير الشيطان أنه يحذر ويخوف عن ارتكاب الأعمال الصالحة ، أو المراد به الأحلام الهائلة المخوفة ، والظاهر أنه تصحيف تحزين فإذا رأى ما يكرهه فلينهض لدفع ضرره ورفع حزن نفسه بما ورد عن أهل العصمة (ع) وهو أمور :

(أ) : التحـول من الشق الذي كـان عليه نـائمـا ذكـره شيـخ الـطوسي، والطبرسي ورواه ابن طاووس في فلاح السائل عن الصادق (ع) .

(ب) : أن يقرأ ما رواه الكليني بإسناده عن أبي جعفـر (ع) قال : قـال رسول الله (ص) لفاطمة (ع) في رؤياها التي رآها : قولي « أعوذ بما عاذت بـه ملائكة الله المقربون وأنبياؤه المرسلون وعباده الصالحـون من شر مـا رأيت في ليلتي هذه أن يصيبني منه سوء أو شرّ أكرهه » .

ولهذا الدعاء : طريق آخر رواه السيد الرضي في فلاح السائل بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال : فإن رأيت في منامك ما تكرهه فقل حين تستيقظ أعوذ بما عاذت به مـلائكة الله المقـربون وأنبيـاؤه المرسلون وعبـاد الله الصالحون والأئمـة الراشـدون المهديـون من شر مـا رأيت ومن شر رؤيـاي أن تضرني والشيطان الرجيم .

وله طريق ثالث رواه السيد (ره) فيه عنه (ع) قال : شكت فاطمة (ع) إلى رسول الله (ص) ما تلقاه في المنام ، فقال لها : إذا رأيت شيئاً من ذلك فقولي : أعـوذ بما عـاذت بـه مـلائكـة الله المقـربـون وأنبيـاء الله المـرسلون وعبـاد الله الصالحون من شر رؤياي التي رأيت أن تضرّني في ديني ودنياي .

وله طريق رابع رواه الكليني والسيد بإسنادهما عن أبي عبد الله (ع) قال : إذا رأى الرجل في منامه ما يكره فيتحول عن شقه الذي كان عليه نائماً وليقل : « إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارّهم شيئاً إلا بإذن الله » ثم يقل : أعوذ بما عاذت به ملائكة الله المقربون وأنبياء الله المرسلون وعباد الله الصالحون من شرّ ما رأيت ومن شرّ الشيطان الرجيم .

وله طريق خامس ذكره الشيخ في المصباح بعد الأمر بالتحول وذكر الآية وزاد وعلى الله فليتوكل المتوكلون أعوذ بالله وبما عاذت به ملائكة الله المقربون وأنبياؤه المرسلون والأئمة الراشدون المهديون وعباده الصالحون من شر ما رأيت ومن شر رؤياي أن تضرّني في ديني أو دنياي ومن الشيطان الرجيم .

وله طريق سادس رواه عليّ بن إبراهيم عن الصادق (ع) في تفسير قوله تعالى : ﴿ إنما النجوى ﴾ في حكاية طويلة وفيها أنّ جبرائيل قال للنبي (ص) : يا محمد إذا رأيت في منامك شيئاً تكرهه أو رأى أحد من المؤمنين فليقل : « أعوذ بما عاذت به ملائكة الله المقربون وأنبياءه المرسلون وعباده الصالحون من شر ما رأيت من رؤياي » . ولا يخفى موارد الإختلاف والتغيير وقد مرّ في الباب الأول في منامات الصديقة الطاهرة (ع) ذكر أسانيد تلك الدعوات وبعض ما يتعلق بها بمناسبة قليلة .

(ج) : أن يقرأ الحمد والمعوذتين وقل هو الله أحد ، كما في الصادقي السادس فيما علّمه جبرائيل رسول الله (ص) .

(د) : أن يتفل على يساره وفي الصادقي الثاني ثم اتفل على يسارك ثلاثاً ومثله الثالث ، وفي السادس ويتفل على يسارك ثلاث تفلات وفي نسخة ويتفل عن يساره وفي نسخة ويتفل عن يسارك والأصل فيه ما فيه بعد ذكر منام الصديقة (ع) كما مرّ وحزنها ومناجاة النبي (ص) فنزل عليه جبرائيل ، فقال : يا محمد هذا شيطان يقال له الدها وهو الذي أرى فاطمة (ع) هذه الرؤيا ، ويؤذي المؤمنين في نومهم ما يغتمون به ، فأمر جبرائيل فجاء به إلى رسول الله (ص) فقال له : أنت أريت فاطمة هذه الرؤيا ؟ فقال : نعم يا محمد ، فبزق عليه ثلاث بزقات فشجّه في ثلاث مواضع (الخبر) فجرت به السنة أو أنّه يتأذى بتفلات المؤمنين أيضاً كما هو الأظهر .

ثم إنّ في الباقري الأول بعد ذكر الدعاء ثم انقلبي عن يسارك ثلاث مرات ، وذكرنا سابقاً احتمال كون الأصل ثم اتفلي كما في غيره فصحف ، واحتمال أن المراد الانقلاب عن اليمين إلى اليسار ثلاث مرات بأن ينقلب أولاً إلى اليسار ثم إلى اليمين ثم إلى اليسار وهكذا ، واحتمال أن يكون قوله ثلاث مرات متعلقاً بالقول فقط أي بقوله ثلاث مرات ، واحتمال أن يكون المراد عن اليمين إلى اليسار شيئاً فشيئاً في ثلاث دفعات والله العالم .

(هـ) : ما رواه ابن فهد في عدة الداعي عن أبي قتادة الحارث بن

ربيع[1] قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : الرؤيا الصالحة من الله ، فإذا رأى أحدكم ما يجب فلا يحدث بها إلا من يحب وإذا رأى رؤيا مكروهة فليتفل عن يساره ثلاثاً وليتعوذ من شر الشيطان وشرّها ولا يحدث بها أحداً فإنها لن تضرّه .

وقد تقدم في الفصل الثاني في ضمن الأدعية الواردة في حال المنام سؤال كفاية شرّ الشيطان والإستعاذة بالله من أن يتلاعب بالإنسان في اليقظة والمنام وفي بعضها أنّ من خواص تسبيح الزهراء (ع) عنده دفع الرؤيا المكروهة ومرّ أيضاً أنها تدفع بقراءة آية الكرسي والمعوذتين وآية السخرة[2] وسورة يس والحاقة والمعارج والقدر إحدى عشر مرة ، والتوحيد وأدعية أخرى تضمن متنها أو ذكر في شرحها كفاية شرّها والأمن من الفزع في المنام وسوء الأحلام وكفاية شرّ الخبيث بحراسة السفرة الكرام ، فلا يتركها من يخاف من نفثاته وأراد أن يستعيذ بالملك العلام .

تتميم نفعه عميم

اعلم جعلك الله تعالى من عباده المخلصين الذين ليس لهم سلطان من إبليس اللعين إنّ أهمّ الطاعات وأحمزها وأنفع العبادات وأحقها بالإعتناء بشأنه وصرف شطر من العمر في معرفته وتهذيبه والمداومة عليه إلى أن يجد حقيقته في نفسه ويذوق حلاوته بقلبه ، الإلتجاء الصادق إلى الله تعالى من شرّ عدوه والاستعاذة به تعالى من صولات خيله ورجله ، إذ لا عبادة لأحد من الجوارح ، ولا ينبغي الإقدام على فعل راجح إلا بعد ذكر إسم الله تعالى عليه والإستعانة بعظيم جلاله ، وقراءة التسمية قبله ، وإلا فهو أبتر لا خير فيه وعمل لا منفعة

---

(١) هذا هو الصحيح وفي الأصل (ربي) بدل (ربعي) وهو أبو قتادة الأنصاري السلمي فارس رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذكره العسقلاني في تهذيب التهذيب.

(٢) وهي قوله تعالى : ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين. سورة الأعراف، الآية: (٥٣).

له ، وكلما يذكر إسم الله تعالى عليه لنيل البركات والمنافع التي أودعها خالقه فيه ويستعين به إليه ينبغي الاستعاذة من الخبيث قبله ، كما قال تعالى : ﴿ **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** ﴾ ، فمن لم يستعذ منه حقيقة لم يمكنه الإستعاذة بـه تعـالى ، ومن لم يستعن بـه تعـالى لم يـر فيمـا يفعله من الطاعات بل المناجـات من العادات خيـراً ، ولا يجد من دونـه تعالى وليـاً ولا نصيـراً ، و(ح) يهجم عليـه اللعين من كـل وادي ويـوقعـه في المهـالـك والمهاوي ، ويفتح إلى طاعاته أبواب الآفات والفساد ، ولا يترك له عبادة خالصة لرب العباد ، بل كل شـر يوجـد في العالم وخـلاف يصدر من بني آدم وعبـادة مختلّة الأركان وطاعة مجتثة البنيان ، فهو إمـا أصل لـه أو شريـك فيه ، « وفي وصايا أمير المؤمنين (ع) » لكميل في ذكر خدعه وخدع جنوده سخط الله تعالى محيط بمن لم يحترس منهم باسمه تعالى ونبيه وجميع عزائمه وعوذه ، فظهر أن الاستعـاذة منه من أهم الأمـور وبها تخلص الأعمـال من الآفـات والأفعـال من الشرور والأقوال من الزور ، وتصلح القلوب في الصدور ولذا ترى أنه تعالى أمر نبيه الأقرب إليه من كل أحد بالإستعاذة منه بقوله : ﴿ **وقـل رب أعوذ بـك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون** ﴾ ، فإذا كان هو (ص) مـأموراً بـالتعوذ من حضـوره فضلاً عن مسـه وهمزه وغـروره فغيره أولى بـالتحرس من شروره ، وبقوله تعالى : ﴿ **فإذا قرأت القرآن** ﴾ الآية ، وبقوله تعـالى : ﴿ **قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق** ﴾ إلى آخره ، إذ هو الأصل في الشرور التي كائنة فيما خلق وفي أنواع ما يظلم القلب من الفسق والضرر الذي يأتي من قبل كل حاسد والشريـك فيها مـع كل قـائم وقاعـد ، وذي روح وجامـد ، وبقولـه تعالى : ﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾ (الخ) ، وانظر إلى أمّ مريم كيف أعـاذت بنتها وهي صغيرة وذريتها وهم بعد في مـطمورة العـدم من شرّ اللئيم بقـولها : ﴿ **وإني أعيـذها بـك وذريتهـا من الشيـطان الـرجيم** ﴾ « وفي المجمـع » عن النبي (ص) : ما من مولود إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً إياه إلاّ مريم وابنها ، وقال علي (ع) لكميل : إنّ الأرض مملوءة من فخـاخهم[1] فلم

---

(١) الفخاخ جمع الفخ : آلة يصاد بها ويقال له بالفارسية (دام. تله).

ينجو منها إلا من تشبّث بنا ، وقد أعلمك الله (عزّ وجلّ) أنه لن ينجو منها إلا عباده أولياؤنا ، « وفي العلل وغيره » : في حديث المعراج ورؤيته (ص) قم وابليس فيه ، قال (ص) : فقلت : قم يا ملعون ، فشارك أعدائهم في أموالهم وأولادهم ونسائهم ، فإن شيعتي وشيعة علي ليس لك عليهم سلطان ، ومن الخبرين يظهر حال من يبتلي بالذنب ويغويه الشيطان ثم يغتر بمحبة أولياء الرحمن .

هذا وتأمل في كثرة الإهتمام بها في الشريعة عند كل فعل عادي ومندوب إلهي زيادة على الوجه المتقدم فقد ورد بالخصوص الإستعاذة منه عند الصلوة في أخبار كثيرة .

وعند قراءة القرآن : كما في الآية ، « وفي العياشي » عن الحلبي عن الصادق (ع) قال : سألته عن التعوذ من الشيطان عند كلّ سورة يفتحها ؟ قال : نعم فتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، « وفي تفسير الإمام » عن أمير المؤمنين (ع) والإستعاذة هي ما قد أمر الله به عباده عند قراءتهم القرآن بقوله : ﴿ **وإذا قرأت القرآن** ﴾ الآية ، ومن تأدّب بآداب الله أدّاه إلى الفلاح الدائم .

وعند الخلا : ففي الصادقي إذا دخلت المخرج فقل : «بسم الله اللهم إني أعوذ بك من الخبيث المخبث الرجس النجس الشيطان الرجيم » وفي لفظ « بسم الله وبالله أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم » .

وعند الجماع : ففي مكارم الأخلاق عن الصادق (ع) : إذا دخلت عليك أهلك فخذ بناصيتها واستقبل بها القبلة وقل اللهم ـ إلى أن قال ـ : ولا تجعل لي فيه للشيطان شركاً ولا نصيباً ، « وفي الفقيه » وغيره عنه (ص) : إذا أتى أحدكم أهله فليذكر الله فإنّ من لم يذكر الله عند الجماع فكان منه ولد كان شريك شيطان ، « وفي التهذيب » عنه (ع) أن الرجل إذا أتى المرأة وجلس مجلسه حضره الشيطان فإن هو ذكر الله تنحى الشيطان عنه وإن فعل ولم يسم

أدخل الشيطان ذكره فكان العمل منهما جميعاً .

وعند خروج المنزل : ففي مكارم الأخلاق عنه (ع) : من قال حين خرج من منزله : أعوذ بالله مما عاذت به ملائكة الله من شرّ هذا اليوم ومن شرّ الشياطين (الدعاء) ، وفيه وفي غيره عن الرضا (ع) : إذا خرجت من منزلك في سفر أو حضر فقل : بسم الله آمنت بالله توكلت على الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله فيتلقاه الشيطان فتضرب وجوهها وتقول : ما سبيلكم عليه ، وقد سمى الله وآمن به وتوكل عليه وقال ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله .

وعند الركوب : خصوصاً على البعير ففي الكافي عنه عن النبي (ص) : إذا ركب الرجل الدابة فسمى ردفه ملك يحفظه حتى ينزل ، وإذا ركب ولم يسمّ ردفه شيطان فيقول له : تغن ، فإن قال له : لا أحسن قال : تمنّ ينزل فلا يزال يتمنى حتى ينزل ، « وفي المحاسن » عنه (ص) : أن على ذروة[1] كل بعير شيطاناً فامتهنوها لأنفسكم وذللوها واذكروا اسم الله عليها كما أمركم .

وعند الجسر : وفيه عن الصادق (ع) : إن على ذروة كل جسر شيطاناً فإذا انتهيت إليه فقل : بسم الله يرحل عنك ، « وفي المكارم » وغيره بسم الله اللهم ادحر[2] عني الشيطان .

وعند دخول المنزل : ففي علل الشرائع عن أمير المؤمنين (ع) : إذا بلغ أحدكم باب حجرته فليسم فإنه يفرّ الشيطان الرجيم .

وعند النوم : كما مرّ في المقام الرابع من الفصل الأول .

وعند الفراغ من بناء كب :ش٦ ففي ثواب الأعمال عن رسول الله (ص) : من بنى مسكناً فذبح كبشاً سميناً وأطعم لحمه المساكين ثم قال : « اللهم أدحر عني مردة الجن والإنس والشياطين وبارك لي في بنائي » أعطي ما نال .

---

(١) دزوة كل شيء: أعلاه.
(٢) دحره: طرده. أبعده.

وعند الوضوء والأكل والشرب واللبس : ففي المحاسن عن الصادق (ع) : إذا توضأ أحدكم ولم يسمّ كان للشيطان في وضوئه شرك ، وإن أكل أو شرب أو لبس لباساً ينبغي أن يسمي عليه فإن لم يفعل كان للشيطان فيه شرك ، ومرّ بعض ما ورد في الثاني وفي المكارم : الدعاء عند لبس السراويل : اللهم استر عورتي وآمن روعتي واعف فرجي ولا تجعل للشيطان في ذلك نصيباً ولا له إلى ذلك وصولاً فيضع لي المكائد ويهيجني لارتكاب محارمك » .

وعند سماع نباح الكلب ونهيق الحمار : ففي الكافي عن رسول الله (ص) : إذا سمعتم نباح الكلب ونهيق الحمار فتعوّذوا بالله من الشيطان الرجيم فإنهم يرون ولا ترون فافعلوا ما تؤمرون .

وعند دخول الصباح : وفي تفسير الإمام عنه (ع) عنه (ص) : إن أردت أن لا يصيبك شرهم أي الشياطين ولا يبداك مكروههم فقل إذا أصبحت : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » فإن الله يعيذك من شرّهم .

وعند المساء : في الكافي عن الصادق (ع) الدعاء قبل طلوع الشمس وقبل غروبها سنة واجبة ، ثم ذكر بعد التهليل المعروف وتقول : « أعوذ بالله السميع العليم من همزات الشياطين وأعوذ بالله أن يحضرون إن الله هو السميع العليم » عشر مرات ، « وفيه » عن أبي جعفر (ع) : أن إبليس عليه لعائن الله يبثّ جنود الليل من حين تغيب الشمس وتطلع ، فأكثروا ذكر الله (عزّ وجلّ) في هاتين الساعتين وتعوّذوا بالله من شر إبليس وجنوده وعوّذوا صغاركم في هاتين الساعتين فإنهما ساعتا غفلة .

وعند دخول السوق : وفيه عنه (ع) : إذا دخلت سوقك فقل اللهم إني أسألك من خيرها وخير أهلها ـ إلى قوله (ع) ـ : اللهم إني أعوذ بك من شر إبليس وجنوده (الدعاء) .

وعند مواضع أخرى : ذكرها الخبيث في نصائحه لنوح وموسى (ع) وهي عند الحكومة بين اثنين ، وعند الخلوة مع امرأة أجنبية ، وعند الغضب ، وعند نذر أو عهد أو صدقة إلى غير ذلك من الأماكن والأوقات والأفعال التي ورد التعوّذ

منه عندها ، ويظهر منها ومما تقدم الاعتناء بها ، وتقديمها عند كل أمر ولكن الناس في غفلة من أمرها ومعرفة صادقها وكاذبها وكيفية تأثيرها وموانعه .

وشرح ذلك أن الناس في استعاذاتهم على أقسام :

الأول : جماعة يستعيذون من الشيطان على الرسم والعادة بالكلمات الواردة من غير معرفة لهم إلى معناها ومفادها[1] والتجاء منهم حقيقة إليه تعالى من شرّ الشياطين ومكائدها ، فهم في مقالهم لاغون ، وفي سالك تبعة اللعين منخرطون .

الثاني : من يقصد معنى ما يقوله ويسأل منه تعالى إنجاح مسؤوله ويتضرع إليه في دفع شره وضرره ، لكنه بفعله يتبع خطوات الشيطان ويقفو أثره بالجوارح والجنان ، منهمك في أوقات تعوذه وغيرها في اللذائذ والمشتهيات التي توقعه غالباً في مساوىء المكروهات ، التي تسهل عليه ارتكاب المشتبهات المستلزمة لاقتراف الموبقات ، التي فيها غاية مني عدوّه منه ، كما قال تعالى : ﴿ **ثم كان عاقبة الذين أساءوا لسوآي إن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن** ﴾ ومن اقتحم فيها فقد حمل الشيطان على ظهره ، ومكّنه في مكنون صدره وأحله محل رأيه وفكره ، وجعله ولي أمره وسيد جوارحه ورئيس أعضائه ، فلا يتخطى خطوة إلا وحذى حذوه ولا تدهمه داهية إلا واليه ملاذه ، ولا يأمره بقبيح إلا فعله ولا ينهاه عن محبوب إلا تركه ، فإذا استعاذ منه حينئذ باللسان فقد استخف بحرمة الملك المنان ، وتجرأ على السلطان العظيم الشأن القائل له : ﴿ **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** ﴾ ، المذكر له في كثير من مواضع كتابه عداوته للإنسان ، الآمر له بالمعاملة معه معاملة العدو الخائن المكار الذي لا يجوز الإصغاء إلى مقاله فضلاً عن اتباع مقاله وفعاله ، واستضحك من صديقه الذي آنس به في آناء الليل والنهار ، واعتنقه إلى صدره ثم يتبرأ منه بالقول ويستعيذ منه إلى العزيز الجبار ، فهو مع عدم انتفاعه باستعاذته وما يستعيذ له قد أدخل نفسه في ديوان

---

(١) يعني من دون توجه إلى المعنى والعمل ولو كان ممن يعرف اللسان .

الكاذبين المستخفين بحرمة رب العالمين المنكرين لشريف مقاله ﴿ **إن الشيطان لكم عدو مبين** ﴾ .

الثالث : من يتعوّذ صادقاً ويتكلم حقاً ويحذر عن بطشه وكيده ، ويتحرس عن فخاخه ومصيده ، وهذا يختلف كيفية تعوّذه باختلاف حالاته ، لأنّه إما من الذين لم يطمع فيهم الخبيث في عمره ، ولم يبتلوا بتسويله وغروره ، أو كان من أتباعه وجنوده ويريد التخلص من شروره ومفاسده ، وخلع ربقته عن عنقه ونكث بيعته وعهد ذمته ، وهم على قسمين فإنه قد يكون عاكفاً حين التعوذ على ما يتعوذ منه وقد يكون ما يتعوذ من شرّه من نتائج أعماله السابقة التي ارتكبها بأمر الخبيث وتركها لكنه يحصد ما زرعه بفعله ، وهو غافل عن مبدأه وأصله ، ولنشر إلى تكليف كل واحد عند الاستعاذة عن الرجس المارد :

الأول : المؤمن الصافي الخالص الطاهر من قذارة المعاصي ، وتخلصه من مكائد الشيطان وتفلته من حبائله وغروره في غاية السهولة كالحائط المشرف على الإنحراف فإنه يستقيم بأضعف دعامة ، وأما لو أشرف على الإنهدام وقلع أساسه بالتمام ، فإن إقامته فوق طاغة الانام .

فاعلم : أنه في أول أمره لا يأمر المؤمن بارتكاب الجريرة ، وإنما يتدرج به في سيره إلى أن يوقعه في كبيرة ، فيأتي إليه أولاً من قبل المباح الذي ليس في فعله جناح ، فيذكره ابتداءاً فعل ما ينجر إلى العصيان ويلقى في قلبه مثاله ، وينصرف إليه خياله في قبال الملك الذي يذكره الخير ويلهمه الطاعة ، فاللازم عليه عند ورود هذا الخاطر أن يستكشف أنه من الملك الموكل عليه أو من هذا الغادر ، ولا يغترّ بكونه من الطاعة صدوره من الأول ، إذ مرّ في وصايا أمير المؤمنين (ع) لكميل قوله (ع) : أنه يأتي لك بلطف كيده ويأمرك بما يعلم أنه قد ألفت من طاعة لا تدعها فتحسب أن ذلك ملك كريم وإنما هو شيطان فإذا أسكنت إليه واطمأننت حملك على العزائم المهلكة التي لا نجاة معها ، وقول الصادق (ع) : ولا يغرنك تزيينه للطاعة عليك فإنه يفتح عليك تسعة وتسعين باباً من الخير ليظفر بك عند تمام المائة ، بل قد يأمره بالطاعة ليفوت عنه أخرى

واجبة أو أهم منها أو لسهولة دخول الآفات فيها ، فينخرط بذلك في سلك السيئات أو ليريه مشقّتها فيتنفر عنها .

ثم اعلم : أن الخاطر بعد التأمل قد يكون بيّناً رشده ، وقد يكون بيّناً غيّه ، والتكاليف فيهما ظاهر ، وكذا كون الأول من الملك والثاني من الشيطان ، وقد يشتبه كأن يقع في قلبه أكل شيء أو لبسه أو بناء دار أو شراء عقار ، أو اشتغال بعلم أو حرفة أو مجالسة صديق وأمثال ذلك ممّا لا يرى احتياجاً لنفسه أو دينه في فعله ، فإن كان ممّن استكمل شطري العلم والعمل واستقلّ باستخراج المطالب المجهولة عن مطاوي الكتاب والسنّة ، وعرف سيرة الأنبياء والأئمة (ع) ، فليزن ما ألقى في روعه مع ما يقابله من ترك أو فعل آخر ، إذ كلّما يتذكر يقابله لا محالة شيء آخر ، وينظر أيهما أقرب إلى التقوى والسداد وطريقة الحجج وأدلة الرشاد ، وأبعد من الهوى والنفس وطريقة الكفار والمترفين فليأخذه ويترك الآخر المشتبه المشابه لسيرة أعداء الله ، الذي لا يدري إلى أيّ واد تصير عاقبته ، وإلا فليتمسك بعروة أمثاله ممن كررنا إلى بعض أوصافهم الإشارة ويعرضه عليه ويحكمه فيه ليميّز له الرشد من الغي ، وإياه أن يستبد بفهمه القاصر ، وإدراكه الخاسر ، ويرجع إلى مشتبهات الكتاب والسنة ، ويتوسل لكشف مبهمه بمبهم مثله ، فيزيد في غيّه وجهالته ، ويسلط عليه (ح) إبليس وقبيلته ، فيذكر له آيات الامتنان بالنعم وتكريم بني آدم بالطيبات من الرزق التي أخرجت في العالم ، وإنه لو كان فيه مفسدة لما أحلّه الشارع ولما ارتكبه أئمة الدين في كثير من المواضع ، ولو كان فيه فساد فهو غير قابل للإعراض عن منافعه ، ولا يزال يحسنه في نظره ويزين له فعله .

وفي وصايا أمير المؤمنين (ع) : يا كميل إنهم يخدعوك بأنفسهم فإذا لم تجبهم مكروا بك وبنفسك بتحبيبهم إليك شهواتك وإعطائك أمانيك وإراداتك ، ويسولون لك وينسونك وينهونك ويأمرونك ويحسنون ظنك بالله (عزّ وجلّ) ، حتى ترجوه فتغترّ بذلك فتعصيه ، وجزاء العاصي لظي ، ثم إن أدركه (ح) لطف خفي وذكره المهم الغيبي بخسران العمر في الاشتغال به وكونه مقدمة لمفاسد أخرى من بعده ، وخروجه بذلك عن زمرة المتأسين

بســاداته ، ووقف ولم يهجم عليـه فقد أتى بتكليفـه ، وصـدق في تعـوذه وإن أعـرض عن ذكر ربّـه وارتكب ما زين لـه قرينـه ، يقرّب إليـه المكـروهـات ، ويدرجها تارة في عداد المباحات ، وأخرى في نظم الطاعات ، ولا يزال يسيره في مشتهياته إلى أن يحوجه في نيلهـا إلى اقتراب صغيـرة ، ويعظّم عنـده قدر منافعها ، ويبين له كثرة فوائدها ويسهل عليـه خطرهـا ، ويصغّر لـه ضررهـا ، ويؤمّنه من عقاب الله تعالى بالمبادرة إلى التوبة ، وسعة العفو والرحمة ، وشفاعة ولاة الأمة واجتناب الكبائر وفعل الفرائض ، وبمحبة أمير المؤمنين (ع) والأدعية المأثورة وأمثالها ، ويخوّفه من تركها المورث للمرض بحسب العادة أو الإبتلاء بالفقر والفاقة ، أو حطّ درجته عند أصحابه أو ضعفه عن القيام بسننه وآدابه .

وفي تحف العقـول في وصايـا المسيح (ع) : بحق أقـول لكم إنّ صغار الخطايا ومحقّراتها لمن مكائد إبليس يحقرها لكم ويصغّرها في أعينكم فتجتمع فتكثـرو تحيط بكم . « وفي الكافي » عن البـاقـر (ع) : اتقّـوا المحقـرات من الذنوب فإنّ لها طالباً يقول أحدكم أذنب واستغفر ، إن الله (عزّ وجلّ) يقول : ﴿ **سنكتب ما قدموا** ﴾ الآية ، فإن ذكره ملكه أمثال ذلك ، وأنه بارتكابها يفتضح بين الملائك ويبتلي بمفاسدها التي لا تنفك ، وإن الأجل أو النسيان لعله يحول بينه وبين التوبة ، أو أن ما اقترفه مما أحلف الرب بعزّته أن لا يغفر مرتكبه ، وأنه بـذلك يـدخل فيمن يؤذي النبي فيلعنـه الله ويلعنه الـلاعنون ، ويصيـر خصمه والشهود عليه جوارحه وزمانه والسموات والأرضون ، فألجم نفسه عن الإقتحام وتعوّذ (ح) من غرور اللعين ووساوسه إلى الملك العلاّم ، يستعيذه ربّه عنه ، ويكفيه شرّه ويريه خير ما فعله في مقـابل مـا خصّه عليـه ، وخلص عن فساده وشركته فيه ، إذ كلّ فعل صفي عن قذارته ظهر مـاغيب في سويـداء طبيعته ، فتكون له (ح) هداية خاصة تزيد في رغبته وشوقه . ويريه أيضاً مفاسد ما رغب عنه بصدق حقيقة تعوذه فيكرهه ويبغضه ، إذ بروز الفساد والقبح في شيء يلازم التنفر منه بغضه وحيث أن جميع المعـاصي مشتركـة في الخبث والقبح ، وأن أدناها فيه أقذر من أقذر الأجسام الظاهريـة التي تهرب عنـه بالـطبع كـل سليم الحواس من أفراد الناس ، فسبب ارتكابهم إيـاها جهلهم بمفـاسدهـا وآثارهـا

وقذارتها ، وغاية ما يعتقده فيها من سلم اعتقاده وجـوب تركهـا تعبداً ، أو مـع وجود قبح فيها وهذا لا يثمر بغضاً وكراهة ولذا يميل إليها طبعاً جل من يتركهـا تعبداً وخوفاً ، وكذا في طرف الطاعات فأين قـوله تعـالى : ﴿ **ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزيّنه في قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئـك هم الراشدون فضلاً من الله ونعمة** ﴾ ، فإن كان التحبيب والتكريه بنفس الأوامر والنواهي أو هما المراد منهما فهما واجبان في الحكمة ومحققان لإتمام الحجة لأفضل ونعمة مع أن الحب والكراهة صفتان نفسيتـان بهما يميـل الإنسان إلى المحبوب ويهرب طبعاً عن المبغوض ولا يوجب الأمر والنهي في أحد من ذلك شيئاً فلا محالة يكون حصولهما بفعل آخر يتفضل الله به على ما يشاء ويصير به من الراشدين وقد أشرنا سابقاً أنّ قوة المعرفة بصفات الله تعالى الكاملة التامـة والإطلاع على جزيل نعمه السابغة الخاصة والعامة ، تورث محبة تمنع صاحبها عن إيثار غير رضاه تعالى وتجعل ما أحبّه محبوباً وما أبغضه مبغوضـاً ، وإن لم يكن له علم بمصالح الأول ومفاسد الثاني كمـا أنّ العلم بهما بنفسـه كاف في ذلك وإن لم يكن له معـرفة ومحبـة ، خصوصـاً إذا علمها بـالوجـدان وصارت المفاسد المترتبة على المعاصي في غيره ونفسه مشاهدة بالعيان ، فكل منهمـا تورث التنفر والبغضة ، فإن اجتمع كاملهما في أحد يصير من أهل العصمـة ، فالشأن في استكمال الخصلتين اللتين بهما يتم كل خير في الدارين ، وقد مـرّ قوله (ع) : أن الإستعاذة من آداب الله ، ومن تأدّب بآداب الله أدّاه إلى الفلاح الدائم .

الثاني : المؤمن الذي أحاطت به خطيئته واحتوشه إبليس وقبيلته ، فأيقظه ربه من رقدة غفلته وأراد الالتجاء إليه من شرّ قرينه وعداوته ، والواجب عليه سدّ طرق هجومهم عليه ، وصد سبيلهم إليه ، ليكون صادقاً في استعاذته فيحـرسه ربه في كنف رحمته ويتحقق ذلك بتغيير كل باب يعلم أو يظن أو يحتمل دخولهم منـه من المكـان والقـرين والمعـان والمعين والمسلك والمنـاكـح والمـأكـل والمشرب .

أما المكان : فما كان منه مذكراً للدنيا ومشتمـلاً على ما كـان يغض عنه

الطرف معاشر الأنبياء والأوصياء ، أو متصلاً بأهل الملاهي أو مجاوراً لمن يرغب النفس إلى الشهوات والمعاصي ، فليتحول منه إلى محل خال عن الملاهي ومدد الهوى ، مجاور للقبور أو دور الزهاد من العلماء والصلحاء ، وبيوت من يرتفع فيه أصوات القراء ورنين الخائفين وضجيج أهل الخشية والبكاء ، وهذا أول شيء ينبغي أن يفعله من أراد التحول عن ذل المعصية وأسهله على النفس في تركها العادة ، واجتنابها عما يثبطه عن نيل السعادة « وفي الكافي » عن الصادق (ع) فيمن لا يجد في السفر إلا الثلج : إنه بمنزلة الضرورة فيتيمم ولا أرى أن يعود إلى هذه الأرض التي توبق دينه . وهذا داخل في وجوه الهجرة في قول النبي (ص) كما فيه : والمهاجر من هجر السيئات ، « وفي النهج في كتابه إلى حارث الهمداني » وإياك ومقاعد الأسواق ، فإنها محاضر الشيطان ومعاريض الفتن ، وإليه يشير كما قيل قوله تعالى : ﴿ **يا عبادي الذين آمنوا إنّ أرضي واسعة فإيّاي فاعبدون** ﴾ .

وأما المصاحب والقرين : فقد مر في المقام الخامس من الفصل الثاني آيات وأخبار كثيرة في لزوم الاجتناب عن جماعة يجمعهم لزوم الغفلة من الله تعالى ، والبعد منه وقلة اليقين وضعفه ، وعدم الرضا والرغبة إلى الدنيا والتكالب عليها في مصاحبتهم ومجالستهم ، بل أغلب الصفات الرذيلة والأفعال القبيحة إنما تأتي من قبلهم ، ويزينها الشيطان بلسانهم ومقارنتهم ، قال تعالى : ﴿ **وما ضلّنا إلا المجرمون** ﴾ وقال الصادق (ع) : واقطع عمن ينسيك وصله ذكر الله ، ويشغلك ألفه عن طاعة الله ، فإن ذلك من أولياء الشيطان وأعوانه ولا يحملّنك رؤيتهم عن المداهنة عند الحق فإن ذلك خسران عظيم ، « وفي النهج » يا ابن أهل الشر ومن يصدّك عن ذكر ربك (عزّ وجلّ) وذكر الموت بالأباطيل المزخرفة واوراجيف الملفقة (الخبر) ويستبدل بهم من ذكرنا هناك صفاتهم وحالاتهم ، ويجالس من يذهر الله رؤيته ويزيد في علمه منطقه ويرغبه إلى الآخرة عمله ، ويحبس نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ولا يعد عيناه عنهم لإرادة زينة الحيوة الدنيا ، وقد مرّ ما يترتب على مجالسة كل فريق من الربح والخسران والطاعة والعصيان ، فلا بدّ لمن أراد التعوذ من خدع إبليس

أن يهرب من جنوده من الإنس وإخوانه من البشر ممن يمدّونهم في الغي ثم لا يقصرون .

وأما المعان : فهو الذي جعل طاعته في عنقه ومتابعته في عهدته لنيل الحطام وتحصيل المعاش من الحلال أو الحرام فصار يسير بسيره ويقف لسكونه ويأتمر بأمره ، فيورده ذلك في كثير من المهالك والنهي من المسالك ، ويلازمه اعتقاد باطل وإنكار حق أو ترك فريضة أو اقتراف جريرة أو مجانبة الأخيار أو مجالسة الشرار أو التوغل فيما يلهيه عن خالقه وباريه وسوّله شيطانه بانحصار طريق رزقه فيه أو التعصب لسيده عند التنازع والتفاخر وتكذيب الصادق وتصديق الكاذب الفاجر « وفي تفسير العياشي » في قوله تعالى : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله** ﴾ ، عن الصادق (ع) : أما والله ما صاموا لهم ولا صلوا ، ولكنهم أطاعوهم في معصية الله ، « وفي أخبار كثيرة » أنهم أحلّوا لهم حلالاً وحرّموا عليهم حراماً ، فكانوا يعبدونهم من حيث لا يشعرون ، « وفي النهج » في خطبة القاصعة : ولا تطيعوا الأدعياء الذين شربتم بصفوكم كدرهم وخلطتم بصحتكم مرضهم ، وأدخلتم في حقكم باطلهم ، وهم أساس الفسوق وأحلاس العقوق[1] واتخذهم إبليس مطايا ضلال ، وجنداً بهم يصول على الناس ، وتراجمة ينطق على ألسنتهم استراقاً لعقولكم ودخولاً في عيونكم ونفثاً في أسماعكم ، فجعلكم مرمى نبله وموطىء قدمه ومأخذ يده .

« وفي مجموعة ورام » قال : قال (ع) : إذا كان يوم القيامة نادى مناد : أين الظلمة وأعوان الظلمة وأشباه الظلمة حتى أن بري لهم قلماً[2] أو لاق دواتاً فيجتمعون في تابوت من حديد ثم يرمي بهم في جهنم ، « وفي الكافي » قيل للصادق (ع) أنه ربما أصاب الرجل منّا الضيق أو الشدة فيدعي إلى البناء يبنيه أو النهر يكريه[3] أو المسناة يصلحها فما تقول في ذلك ؟ فقال أبو عبد الله (ع) :

---

(١) الأحلاس جمع حلس بالكسر: كساء رقيق يكون على ظهر البعير ملازماً له فقيل لكل ملازم أمراً هو حلس ذلك الأمر.

(٢) بري القلم: نحته.

(٣) كري النهر: حفر فيه حفرة جديدة.

ما أحب إني عقدت لهم عقدة أو وكيت لهم وكاء وإن لي ما بين لابتيها[1] لا ولا مدة بقلم أن أعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من نار حتى يحكم الله بين العباد ، « وفيه » عنه (ع) : أن أحدهم لا يصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينه مثله ، « وفيه » عنه (ع) : العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم ، وإذا كان متبوعه كذلك أو يلزم اتباعه ذلك بتركه ويهجره ويبدله بمن لا حرج في خدمته ولا محذور في إعانته وإن حدث ضرر في معيشته فإن الله يباركها له ويغنيه بها عن غيره ، فكم من منقوص رابح ومزيد خاسر ، وكلما نقص في الدنيا وزاد في الآخرة خير مما نقص من الآخرة وزاد في الدنيا « وفي الصحيفة المباركة » اللهم ومتى وقفنا بين تقصير في دين أو دنيا ، فأوقع النقص بأسرعهما فناءاً ، واجعل الزيادة أو التوبة في أطولهما بقاءاً .

وأما المعين : فهو كل من يستعين به في إصلاح أموره ، ويستخدمه في آناء ليله وأطراف نهاره من الأجير والعبيد والإماء والأولاد والخدم وأشباههم ، فينظر إلى حال كل واحد واحد منهم ، فمن كان منهم ظالماً لنفسه ومتابعاً لخطوات الشيطان أو يحوجه في أمره إلى إضاعة طاعة أو إصابة معصية أو يشغله بفعله أو قوله أو خلقته ، كان يكون جميلاً غايته[2] عن ربه ويغفله عن إصلاح نفسه فليعرض عنه بعد نهيه وزجره بمراتبه ويأسه عنه ، لئلا يكون ممن ركن إلى الظالم وأعانه بماله وقوته على المأثم ، ووقع في استعانته به في حريم الجرائم ، ويصير نيل غرض جزئي كسقي ماء أو طبخ طعام أو شراء ضروري وأمثالها بعد التأمل سبباً للابتلاء بمهالك عظيمة ، وانفتاح أبواب واسعة لأعدائه الأبالسة .

وأما المسلك : فالمراد منه الطريق التي لا بد من سلوكها في الليل

---

(١) وكى القربة: شدها بالوكاء والوكاء بالكسر والمد: خيط يشد به القربة والكيس والسرة ونحوها. واللابة: الحره ذات الحجارة السود التي قد ألبستها لكثرتها والضمير للمدينة وهي ما بين حرتين عظيمتين وفي الحديث أن رسول الله (ص) حرم ما بين لابتي المدينة.

(٢) كذا في الأصل ولعله مصحف (عائقه). وهو كل ما شغلك عن أمر.

والنهار لقضاء حوائجه الدنيوية والأخروية فليجتنب منها بعد تعددها ووحدة المقصد ما تتضمن ملهياً ومذكراً للدنيا كالقصور المشيدة والأبنية المزبرجة والدور المزخرفة وبيوت السلاطين وملاعب المترفين ، والأسواق العامرة بالأمتعة الفاخرة ، والأطعمة البهية والألبسة الشهية والآلات المعجبة والجواري المطربة وغيرها ، مما تسخر القلب رؤية ، وينسى النظر إليه آخرته ، وتزيد بفراقه كربته ، ويلجمه به إبليس وذريته ، وقد مر في الفصل الثاني ما يشير إلى ذلك « وفي النهج في وصفه (ص) » ويكون الستر على باب بيته فيكون فيه التصاوير فيقول : يا فلانة ـ لإحدى أزواجه ـ غيّبيه عنّي فإني إذا أنظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها إلى أن قال : وكذلك من أبغض شيئاً أبغض أن ينظر إليه وأن يذكر عنده « وفي تحف العقول » في حديث الحقوق عن السجاد (ع) : وأما حقّ بصرك فغضه عما لا يحل لك وترك ابتداله إلا لموضع عبرة تستقبل بها بصراً ، أو تعتقد بها علماً فإن البصر باب الإعتبار ، وأما حق رجليك فإن لا تمشي بهما إلى ما لا يحل لك ولا تجعلهما مطيتك في الطريق المستخفة بأهلها فيها ، فإنها حاملتك وسالكة لك مسلك الدين والسبق لك ، « وفي تفسير علي بن إبراهيم » عند قوله تعالى : ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ﴾ عن النبي (ص) في كلام له ومن رمى ببصره إلى ما في يدي غيره كثر همّه ولم يشف غيظه ، « وفي الفقيه » عنه (ع) : جاء إعرابي من بني عامر إلى النبي (ص) فسأله عن شر بقاع الأرض وخير بقاع الأرض فقال له رسول الله (ص) : شر بقاع الأرض الأسواق ، وهي ميدان إبليس يغدو برايته ويضع كرسيه ويبث ذريته فبين مطفف في قفيز أو سارق في ذراع أو كاذب في سلعته فيقول عليكم برجل مات أبوه وأبوكم حي ؟ فلا يزال مع ذلك أول داخل وآخر خارج ، ثم قال (ص) : وخير البقاع المساجد وأحبهم إلى الله تعالى أولهم دخولاً وآخرهم خروجاً منها ، « وفي أمالي ابن الشيخ » عن الباقر (ع) أنه (ص) قال لجبرائيل : أي البقاع أحب إلى الله تعالى ؟ قال المساجد وأحب أهلها أوّلهم دخولاً إليها وآخرهم خروجاً منها قال : فأي البقاع أبغض إلى الله تعالى ؟ قال : الأسواق وأبغض أهلها أولهم دخولاً إليها وآخرهم خروجاً منها ، ويختار من المسالك ما

تمر به على القبور والخربة والمساجد وبيوت الزهاد وغيرها مما يذكره الآخرة ويصرفه عن النعم الدائرة ، ويزيد في عبرته واعتباره وينقص من عتوه واستكباره ، « وفي الكافي » عن النبي (ص) في صفات المؤمنين مشيهم على الأرض هون وخطاهم إلى بيوت الأرامل وعلى أثر الجنائز ، « وفي التهذيب » أنه (ص) : سأل عن رجل يدعى إلى وليمة وإلى جنازة أيهما أفضل وأيهما يجيب ؟ قال : يجيب الجنازة فإنها تذكر الآخرة وليدع الوليمة فإنها تذكر الدنيا ولنعم ما قيل : أن من يقصد مسجداً على طريق الأسواق ودور الأغنياء يكون صلوته فيه صلوة شكوة ومعارضته في التقسيم ، ومن مرّ في ذهابه إليه إلى القبور ومنازل الفقراء يكون صلوته صلوة الشاكرين بقلب راض سليم .

وأما المناكح : فالمراد منها النساء اللاتي لا بد منها لبقاء التناسل وحفظ الفرج عن الزنا ، فيقتصر منها على ما تترتب عليها الغايتان ولا تورث مصاحبتها هلاك العقل والمال والإيمان ، وإلا بأن تكون بجمالها مستغرقة لأوقاته شاغلة له من التأهب لآخرته في جميع ساعاته ، ولا يمكنه الكف عنها والتنقيص في محبتها أو بكثرة سؤالها وطلب مشتهياتها داعية له إلى الإقتحام في المحارم ، والإنغمار في إنجاز طلبتها من الملابس والمطاعم ، وما يلازمه من الابتلاء بالمآثم والجرائم أو بسوء خلقها ومعاشرتها مضيعة لزمانه ، محركة لغضبه مغيرة لخلقه وطبيعته ، وخرج عن عهدة تكليفه في أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ، فليسرحها أو يفارقها ، وإلا فلا يمكنه التعوذ من شرور عدوّه اللئيم ، وإن قرأ كل يوم ألف مرة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، « وفي الخصال » عن أمير المؤمنين (ع) الفتن ثلاثة حب النساء وهو سيف الشيطان ، فمن أحبّ النساء لم ينتفع بعيشه ، « وفي النهج » قال (ع) : النساء همتهن زينة الحيوة الدنيا ، « وفي الغرر » عنه (ع) : إياك والوله بالنساء فإن الوله بالنساء ممتحن ، « وفي الفقيه ومكارم الأخلاق » عنه (ع) : معاشر الناس لا تطيعوا النساء على كل حال ، ولا تأمنوهن على مال ، ولا تذروهنّ يدبّرن أمر العيال ، فإنهنّ إن تركنّ وما أردن أوردن المهالك وعدون أمر الممالك ، فإنا وجدناهنّ لا ورع لهنّ

عند حاجتهنّ ، ولا صبر لهنّ عند شهوتهنّ ، البذخ[1] لهنّ لازم وإن كبرنّ والعجب بهنّ لاحق وإن عجزنّ ، رضاهنّ في فروجهنّ ، لا يشكرن الكثير إذ منعنّ القليل ، وينسين الخير ويحفظن الشر ، يتهافتنّ بالبهتان وتمادين بالطغياذ ويتصدينّ للشيطان ، فداروهنّ على كلّ حال واحسنوا لهنّ المقال لعلهنّ تحسن الفعال ، « وفي الأمالي » وغيره عنه (ع) في صفات أهل الدين : وقلة المواتاة للنساء ، هي حسن المطاوعة والموافقة ، « وفي الخصال » عن النبي (ص) : أول ما عصي الله تعالى بستّ وعدّ منها حب النساء ، « وفي المكارم » عنه (ص) : لولا النساء لعبد الله حقاً حقاً ، « وفي الفقيه » عنه (ص) ثلاث مجالستهم تميت القلب وعدّ (ص) منها الحديث مع النساء ، « وفي الكافي » عن الصادق (ع) أغلب الأعداء للمؤمن الزوجة السوء ؟ وقال إبليس ليحيى (ع) : إنّ أرجى الأشياء عندي وأدعمه لظهري وأقرّه لعيني النساء ، فإنها حبالتي ومصائدي وسهمي الذي به لا أخطىء ، بأبي هنّ لو لم يكن هنّ ما أطقت ضلال أدنى آدمي إلى آخر ما مرّ في المقام الأول من الفصل الثاني ، وينبغي النظر إليه جداً ، « وفي تفسير علي بن إبراهيم » في قوله تعالى : **﴿ إن من أزواجكم وأولادهم عدواً لكم فاحذروهم ﴾** ، عن أبي جعفر (ع) وذلك أن الرجل إذا أراد الهجرة إلى رسول الله (ص) تعلّق به ابنه وامرأته قالوا : أنشدك الله أن تذهب عنّا فنضيع بعدك فمنهم من يطيع أهله فيقيم ، فحذّرهم الله أبنائهم ونسائهم ونهاهم عن طاعتهم ، والظاهر أنّ ما ذكره (ع) من باب المثال ، « وفيه » عن النبي (ص) : النساء حبائل إبليس .

وأما المآكل والمشارب : فلا يخفى على المؤمن الكيّس أنه إن روعي فيها ما قرر لها من الآداب وأدخل جوفه ما جمع فيه ما أشير إليه في الكتاب وفصّله السادة الأطياب وجرّبه أولوا الألباب كان أصدق صديق له يعينه في العروج إلى المدارج العالية ويميل به إلى كسب الأخلاق الفاضلة ، ويسهّل عليه الاغتراف من بحار المعارف والعزوف عن الملاهي والمعازف ، ويصير

---

(١) البذخ: الكبر.

الدم اللطيف المتولد منه الذي منه يتكون الروح البخاري نوراً سارياً في جميع العروق والأجزاء والجوارح والقوى ، ويكون لنفسه القدسية مركباً ذلولاً يسير بها في أكناف السماء ، وأنيساً موافقاً يرغّبه في الطاعة بالنشاط والخفة ، ويكون ميله إليها أبلغ من ميل الأثقال إلى مراكزها الطبيعية وأن أهمل الشروط والسنن وأكل كلما رغب فيه أو هجم عليه وجعل بطنه وعاءاً لكل ما يمكن استقراره فيه كان له أعدى عدوّ يعذبه في كل آن من حيث لا يعلم ، ويجعل قلبه أظلم من الليل المدلهم ، ويثقله عن تحصيل العلم والعمل ويغلب على جميع جسده التواني والكسل والضجر والملل ، ويخلص فضاء داخله للشيطان وعساكره ، ويملأ قلبه وفكره وخياله من وساوسه وغروره ومما تمثل به أمير المؤمنين (ع) كما رواه الراوندي :

وإنك مهما تعط بطنك سؤاله   وفرجك نالا منتهى الذم أجمعاً

وقد أشار إلى أصول الشروط المجتبى (ع) فيما رواه عنه (ع) في الخصال والمكارم عن أبي عبد الله عن أبي عبد الله عن أبيه عن آبائه قال : قال الحسن بن علي (ع) : في المائدة اثنتي عشر خصلة يجب على كل مسلم أن يعرفها أربع منها فرض ، وأربع منها سنة ، وأربع منها تأديب ، فأما الفرض فالمعرفة والرّضا والتسمية والشكر ، وأما السنّة فالوضوء قبل الطعام والجلوس على الجانب الأيسر والأكل بثلاث أصابع ولعق الأصابع ، وأما التأديب فالأكل مما يليك وتصغير اللقمة والمضغ الشديد وقلة النظر في وجوه الناس ، « وفي رواية أخرى » في الأول عن النبي (ص) مثله إلا أن يه : والمعرفة بما يؤكل ، وعدّ الأول من الثاني في الثالث ، والأول من الثالث في الثاني[1] والمراد بالمعرفة إما معرفة المنعم أو المأكول بقرينة الثانية[2] .

وعليه فالجهات التي لا بد من معرفتها وتدخل في إطلاقها عديدة :

---

(١) أي عد الوضوء قبل الطعام في التأديب والأكل مما يليك في السنة.
(٢) أي الرواية الثانية حيث قال (ص): والمعرفة بما يؤكل.

الأول : معرفة حلية المأكول وحرمته في ذاته « في كتاب الغايات » لجعفر بن أحمد القمي عن أبي عبد الله (ع) قيل لسلمان : أي الأعمال أفضل ؟ قال : الإيمان بالله وخبز حلال ، « وفي روضة الواعظين والمكارم » عن رسول الله (ص) : من أكل الحلال قام على رأسه ملك يستغفر له حتى يفرغ من أكله ، وقال : إذا وقعت اللقمة من حرام في جوف العبد لعنه كل ملك في السموات والأرض وما دامت اللقمة في جوفه لا ينظر الله إليه ومن أكل اللقمة من الحرام فقد باء بغضب من الله ، فإن تاب تاب الله عليه وإن مات فالنار أولى به .

« وفي عدة الداعي » عنه (ص) : من يأكل الحلال أربعين يوماً نوّر الله قلبه ، « وقال » : إن لله ملكاً ينادي على بيت المقدس كل ليلة من أكل حراماً لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً والصرف النافلة والعدل الفريضة « وقال (ص) » : العبادة مع أكل الحرام كالبناء على الرمل ، وقال (ص) : من أُحب أن يستجاب دعاؤه فليطب مطعمه ومكسبه ، « وقال (ص) » : لمن قال له أحب أن يستجاب دعائي طهّر مأكلك ولا تدخل بطنك الحرام ، « وقال (ص) » : ترك لقمة حرام أحب إلى الله من صلوة ألفي ركعة تطوعاً ، « وفي المجمع » عنه (ص) : من أكل من الحلال صفا قلبه ورقّ ودمعت عيناه ، ولم يكن لدعوته حجاب ، « وفي البحار » عن الفردوس عنه (ص) : من أكل لقمة حرام لم تقبل له صلوة أربعين ليلة ، ولم تستجب له دعوة أربعين صباحاً ، وكل لحم ينبته الحرام فالنار أولى به ، وإن اللقمة الواحدة تنبت اللحم ، « ومرّ في وصية أمير المؤمنين (ع) » يا كميل إن اللسان يبوح بالقلب والقلب يقوم بالغذاء ، فانظر بما تغذى قلبك وجسمك فإن لم يكن ذلك حلالاً لم يقبل الله تعالى تسبيحك ولا شكرك ، « وفي تحف العقول » عن السجاد (ع) في حديث الحقوق : وأما حق بطنك فأن لا تجعله وعاءاً لقليل من الحرام ولا لكثير ، وأن تقتصر له في الحلال ، « وفيه » فيما أوحى الله تعالى إلى المسيح (ع) : يا عيسى قل لظلمة بني إسرائيل لا تدعوني والسحت تحت

أحضـانكم[١] والأصنام في بيـوتكم ، فـإني آليت أن أجيب من دعـاني ، وأن أجعل إجابتي إياهم لعناً عليهم حتى يتفرقوا ، ومرّ أن من بات كالاً[٢] في طلب الحلال بات مغفوراً له ، « وفي الكافي » عن النبي (ص) : أن أخوف ما أخاف على أمتي هذه المكاسب الحرام ، « وفيه » عن الصـادق (ع) : ليس بوليّ لي من أكل مال مؤمن حراماً ، « وفيه » عنه (ع) : كسب الحرام يبين في الذرية ، « وفي أمالي ابن الشيخ » عن الصادق (ع) : لا تدع طلب الرزق من حله فإنـه عون لك على دينك ، « وفي جامع الأخبار » عن النبي (ص) : طلب الحـلال فريضة على كل مسلم ومسلمة وفيه عنه (ص) : العبادة سبعون جـزءاً وأفضلها طلب الحـلال ، « وفي تحف العقول » في وصيـة النبي (ص) لابن مسعـود : فـانـظر أن لا تـأكـل الحـرام ولا تعصِ الله لأن الله تعـالى يقـول لإبليس : **﴿ واستفـزز من استـطعت منهم بصـوتـك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشـاركهم في الأموال والأولاد وعـدهم وما يعـدهم الشيطان إلا غـروراً ﴾** ، « وفي العلل » فيما كتبه الرضا (ع) إلى محمد بن سنان أنّا وجدنا كل ما أحل الله تبارك وتعالى ففيه صلاح العباد وبقائهم ، ولهم إليـه الحاجـة التي لا يستغنون عنها ، ووجدنا المحرم من الأشياء لا حاجة للعباد إليه ووجدناه مفسداً داعياً إلى افناء والهلاك ، « وعن المناقب » أن الحسين (ع) لـمّا استنصت القوم فأبـوا أن ينصتوا ، قال (ع) لهم : ويلكم ما عليكم أن تنصتوا إليّ فتسمعوا قولي وإنّمـا أدعوكم إلى سبيل الرشاد ، فمن أطاعني كان من المرشدين ، ومن عصاني كان من المهلكين ، وكلكم عاص لأمري غير مستمع لقولي ، فقد ملئت بطونكم من الحرام وطبع على قلوبكم ؟ ، « وفي جملة من الأخبار » في تفسير قوله تعالى : **﴿ وقدمنا إلى مـا عملوا من عمل فجعلنـاه هباءاً منثـوراً ﴾** عنهم (ع) أما إنهم فكانوا يصلّون ويصومون ويأخذون إهبة من الليل ، ولكنهم كانوا إذا عرض لهم

---

(١) الحضن: ما دون الإبط إلى الكشح أو الصدر والعضدان وما بينهما وهو كناية عن ضبط مال الحرام وحفظه وعدم رده إلى أهله.

(٢) كلَّ في الأمر: تعب وأعيا فهو (كال) ـ بتشديد اللام ـ.

شيء من الحرام وثبوا إليه ، والأخبار الخاصة بكل محرّم كثيرة يطول بـذكرهـا الكتاب وهذه المعرفة تحتاج إلى الإطلاع على كتاب الأطعمة من الفقه اجتهاداً أو تقليداً .

الثاني : معرفة حلالـه من مشتبهه كمـا قال أميـر المؤمنين (ع) في كتابـه لعثمان بن حنيف : فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم[1] فمـا اشتبه عليـك علمه فالفظه ، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل من ، « وفي النهج » قال : لا ورع كالوقوف عند الشبهة ، « وفي الفقيه » عنه (ع) : فمن ترك مـا اشتبه عليـه من الإثم فهو لما استبان له أترك ، والمعاصي حمي الله فمن يرتع حولها يوشك أن يدخلها ، « وفي الأمـالي » عن الصادق (ع) لمـا سأل عن الـورع من الناس ؟ قال : الذي يتورع عن محارم الله ويجتنب هؤلاء فإذا لم يتق الشبهات وقع في الحرام وهو لا يعرفه ، « وفي أمالي ابن الشيخ » عن النبي (ص) : إن لكل ملك حمى وإن حمى الله حلاله وحرامه والمشتبهات بين ذلك ، كما لو أن راعياً رعى إلى جانب الحمى لم تثبت غنمه أن تقع في وسطه فدعوا المشتبهات ، « وفي الذكرى » عنه (ع) : من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه ، « وفي تفسير علي » عن أبي جعفر (ع) في قوله تعالى :

﴿ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مـا لهم من الله من عـاصم ﴾ ، قال : هؤلاء أهـل البـدع والشبهـات والشهـوات ، يسـوّد الله وجوههم يوم يلقونه ، ثم إن الاشتباه أعم مما كان في الحكم أو في المصداق ، وتميز البين من المشتبه في الأول سهل وأما الأخير فهو يحتاج إلى تدبر وكياسة وتعمق وفراسة ، في مبادىء الأموال التي جمعهـا ، والوسـائط التي تقلب فيها قبله ، ممن لا يبالي عن الحرام أو انحصر طريق معيشتـه فيه ، أولا يـزكّي ولا يخمّس حلاله أو لا يجتنب في كسبه عن أمثال هؤلاء إلى غير ذلك من أسباب الإشتباه والإختلاط التي لا تنجو منها إلا قليلاً من الأموال ، « وفي الكافي » عن الصادق (ع) : تشوقت الـدنيا لقـوم حلالاً محضـاً فلم يريـدوها فـدرجوا ، ثم

---

(١) قضم الشيء: كسره بأطراف أسنانه وأكله. والمقضم: ما يقضم عليه.

تشوقت لقوم حلالاً وشبهة فقالوا : لا حاجة لنا في الشبهة وتوسعوا في الحلال ، ثم تشوقت لقوم حراماً وشبهة فقالوا : لا حاجة لنا في الحرام وتوسعوا في الشبهة ، ثم تشوقت لقوم حراماً محضاً فيطلبونها فلم يجدوها ، والمؤمن يأكل في الدنيا بمنزلة المضطر .

الثالث : معرفة طاهره من نجسه خصوصاً المائعات والمركبات منه ، وما يجلب من بلاد الكفر بل المخالفين الذين لا يجتنبون منهم خصوصاً في هذه الأعصار التي شاع الإختلاط بين المسلمين والكفار ، وتردد كل فرقة في بلاد الآخر ، واستجلاب أنواع الأمتعة والمأكولات اليابسة والمائعة المعمولة من أغلب بلادهم حتى المشركين منهم إلى جميع بلاد المسلمين ، وبذلك لم يبق للطهارة في غالب الأغذية عين ولا أثر ، بل صار من أراد اجتناب النجس منه وعدم التعويل على الأصل الضعيف في مقام تحصيل فوائد الحلال الظاهر منكراً بين الأنام ، لكثرة أنسهم ونسيانهم ، وبذلك رفعت عنهم إجابة الدعاء ومنعوا من بركات السماء والانتفاع بعلم العلماء وابتلوا بموادة أعداء الله وإعانتهم بالمال واللسان ، واختاروا محبتهم على البغض والشنآن واستحوذ عليهم الشيطان ، وآنسهم آيات القرآن قال الله تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ﴾** ، هذا ومن راجع ما ورد في علل المحرمات ومفاسدها التي تورثها في الجسد والنفس مما لا يرفعها الجهل والنسيان ، علم أن المهاون في ذلك يعاون على إهلاك نفسه ، ويسلّط الشيطان على قلبه وحسه ، فكيف يمكنه التعوذ من بطشه ونفثه .

الرابع : معرفة مهلكه ومضرّه ببدنه من غيره بحسب طبيعته وأصله من البقول والحبوب والأحجار واللحوم والألبان وغيرها من الأشياء المفصلة في باب المفردات من الكتب الطبية ، « وفي العلل والأمالي » عن الباقر (ع) لما سئل عن علة تحريم الميتة وأخواتها إن الله تبارك وتعالى لم يحرّم ذلك على عباده وأحل لهم ما سوى ذلك عن رغبة فيما أحل لهم ولا زهد فيما حرم عليهم ولكنه (عزّ وجلّ) خلق الخلق وعلم ما تقوم به أبدانهم وما يصلحها فأحلّه لهم

وأباحه وعلم ما يضرّهم فنهاهم عنه ، « وفي الرضوي » وكل مضر بالقوة أو قاتل فحرام مثل السموم والميتة والدم ولحم الخنزير وذي ناب من السباع ومخلب من الطير وما لا قانصة له منها[1] (الخبر) .

الخامس : معرفة خصوص ما يضرّه بحسب الطبيعة والمزاج أو الكمية من الأشياء النافعة للعامة بالتجربة والوجدان ، أو تصديق حاذق من ثقات الأطباء ، ومعرفة هذا القسم أصعب من الأول ، لعدم إمكان ضبطه لكل أحد في جميع حالاتهم لاختلافه باختلافها ، وكذا اجتنابه لمصادفته غالباً لميل النفس وشوقها إليه ، كما قيل الإنسان حريص على ما منع ، ويحتاج الإنسان فيهما إلى معرفة ما ورد من طب الأئمة (ع) والعمل بها على النحو الذي تقدم في آخر المقام الرابع من الفصل الثاني ما لم يعارضه قول الثقة من المتطببين ، وقراءة نبذة من الطب بقدر ما يحفظ صحته أقلا أو يعالج أمراضه السهلة التي ترد عليه غالباً .

السادس : معرفة ما يسيء أخلاقه وصفاته أو يحسنها منه شرعاً أو طبعاً أو تجربة بكيفية أو كمية أو خاصية فإن منه ما يقسي القلب كما أشرنا سابقاً .

أو يغلظه « وفي طب الأئمة » عن أبي جعفر (ع) قال : أقلوا من أكل السمك فإن لحمه يذبل البدن[2] ويكثر البلغم ويغلظ النفس ، وهو كناية عن البلادة وسوء الفهم أو الهم أو الحزن ، أو القسوة أو يورث تركه سوء الخلق « وفي قرب الإسناد » عنه (ع) : من ترك اللحم أربعين صباحاً ساء خلقه ، « وفي رواية » فأذّنوا في أذنه اليمنى ، « وفي رواية » أيما أهل بيت لم يأكلوا للحم أربعين ليلة ساءت أخلاقهم « وفي رواية » من ترك اللحم أربعين صباحاً ساء خلقه وفسد عقله ، ومن ساء خلقه فأذّنوا أذنه بالتثويب[3] .

ويطرد عنه الهمّ والغيظ « وفي المكارم » عن النبي (ص) : من اشتكى فؤاده وكثر غمّه فليأكل لحم الدراج ، « وعن الصادق (ع) » : إذا وجد أحكم

---

(١) القانصة للطير: كالمعدة للإنسان.

(٢) من ذبل النبات: قل ماؤه وذهبت نضارته.

(٣) أي بتكرير فصوله.

غماً أو كرباً لا يدري ما سببه فليأكل لحم الدراج ، فإنه يسكن عنه « وعن النبي (ص) » من سره أن يقل غيظه فليأكل لحم الدراج .

أو ينشطه للعبادة « ففي المحاسن » عن أمير المؤمنين (ع) : عليكم بالهريسة فإنها تنشط للعبادة أربعين يوماً .

أو يقرّبه إلى الله ويبعّد عنه الشيطان « ففي الخصال » عن النبي (ص)أن جبرائيل عدّ له من خصال التمر : أنه يحيل الشيطان ويقرب من الله (عزّ وجلّ) ويباعد من الشيطان « وفي المحاسن عنه (ص) » مع كل تمر حسنة ويرضى الرب ويسخط الشيطان « وفي أخبار كثيرة » أطعموا نسائكم التمر أو الرطب في نفاسهن تخرج أولادكم حلماء ، « وفي رواية » من أكل في يوم سبع عجوات تمر على الريق من تمر العالية[1] لم يضرّه سمّ ولا شيطان .

أو يذهب بالغم ويحسن الخلق ففي جملة من الأخبار أن نوحاً (ع) أو غيره من الأنبياء شكى إلى الله الغم فأوحى الله أن كل العنب فإنه يذهب بالغم « وفي الخصال » عن النبي (ص) : عليكم بالزبيب فإنه يكشف المرة[2] إلى أن قال : ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب بالغم ، وزاد في رواية : ويشدّ القلب ، وفي رواية : ويطفىء الغضب ويرضي الرب أو تشجعه وتجعله حكيماً ، « وفي المكارم » شكى نبي من أنبياء الله جبن أمته ، فأوحى الله (عزّ وجلّ) إليه مر أمتك تأكل الحرمل[3] وفي رواية : فليسفوا الحرمل[4] فإنه يزيد الرجل شجاعته ، « وفي البحار » عن الفردوس عن النبي (ص) : من شرب الحرمل أربعين صباحاً كل يوم مثقالاً ، لاستنار الحكمة في قلبه .

أو يحسن خلقه في دعوات الراوندي ، عن الصادق (ع) : إذا صليت

---

(١) العجوة: ضرب من أجود التمر بالمدينة. والعالية: ما كان من الحوائط والقرى والغمارات من جهة المدينة العليا مما يلي نجداً.

(٢) يكشف أي يزيل والمرة بالكسرة خلط من أخلاط البدن وهو الصفراء أو السوداء.

(٣) الحرمل: نبات حبه كالسمسم، يقال له بالفارسية ـ على ما قيل (صندل دانه ـ اسپند).

(٤) سف السويق: أخذه غير ملتوت.

الفجـر فكل كمثـرة تطيّب بهـا نكهتك ، وتـطفىء بها حـرارتـك ، وتقـوم بهـا أضراسك ، وتشد لثتك ، وتجلب بها رزقك ، وتحسن بها خلقك .

أو تدفع عنه وسوسة الشيطان ، وفي العيون عن النبي (ص) : كلوا الرمان فليست منـه حبة تقـع في المعدة إلاّ أنـارت القلب وأخرست الشيـطان أربعين يوماً ، « وفي رواية » : في كل حبة منه إذا استقرت فيها حيـوة للقلب ، وإنارة النفس ، وتمرض وسواس الشيـطان أربعين يومـاً[1] ، وفي رواية : ونفث عنـه وسوسة الشيطان ، وفي رواية : من أكل رمانة أنارت قلبه أو نور الله قلبه ، ومن أنارت قلبه فالشيطان بعيد منه ، وفي المحـاسن عن الصادق (ع) : أيمـا مؤمن أكل رمانة حتى يستوفيها أذهب الله الشيطان عن إنـارة قلبه أربعين يـوماً ، ومن أكل اثنتين أذهب الشيطان عن إنارة قلبه مائة يوم ومن أكل ثلاثة حتى يستوفيها أذهب الله الشيطان عن إنارة قلبه سنة ، ومن أذهب الله الشيطان عن إنارة قلبه لم يذنب دخل الجنة .

أو يورثه الصفا والحلم والشجاعة والعلم والسخاء ، « وفي الخصال » عن رسول الله (ص) : إن في السفرجل ثلاث خصال يجمّ الفؤاد[2] ويسخي البخيل ويشجع الجبان ، « وفي العيون » عنه (ص) : أن من أكله على الريق صفا ذهنه وامتلأ جوفه حلماً وعلماً ووقي من كيد إبليس وجنـوده ، وفي رواية : ويـذكى الفؤاد ، وفي رواية : ويجلو القلب ، وفي رواية : أنطق الله الحكمة على لسانه أربعين صباحاً ، وفي رواية : يزيد في العقل والمروة ، وفي رواية : يذهب بهمّ الحزين كما تذهب اليد بعرق الجبين ، وفي رواية : اطعمـوا حبالاكم[3] فـإنه يحسن أخلاق أولادكم ، وفي رواية : إنّه ينبت المودة في القلب .

أو يورثه النسيان وهو التفاح الحامض والكزبرة[4]اوالجبن وسؤر الفأرة كما

---

(١) مرض وتمرض في الأمر: ضعف.
(٢) أي يريح القلب، وقيل: يجمعه ويكمل صلاحه ونشاطه.
(٣) حبالى جمع الحبلى.
(٤) الكزبرة: نبات من الابازير بري وبستاني ويقال له بالفارسية (گشنيز).

في الخصال وغيره عن النبي (ص) .

أو لا يقربه الشيطان أربعين يوماً كالزيت رواه في المحاسن عنه (ص) ، « وفي المكارم » وغيره عن الرضا (ع) : أنه يطفىء الغضب ، « وفيه » عنه (ع) : أنه يطيب النفس ويذهب بالغم .

أو يوفّقه لقيام الليل كشرب

ماء الهندباء رواه الراوندي في دعواته عن الحجة (ع) .

ولزيادة الحكمة وفي الكتاب المذكور عن النبي (ص) : في الباذنجان أقلوه وانضجوه وزيتوه وليّنوه ، فإنه يزيد في الحكمة .

ولزيادة العقل ورفع الحزن ، وفي العيون عنه (ص) : إذا طبختم فأكثروا القرع فإنه يسرّ قلب الحزين ، « وفي المحاسن » عنه (ص) : أنه يزيد في العقل والدماغ .

ولرقة القلب كالعدس وقد مرّ ، وفي المكارم عنه (ص) : من أكل الدبا[1] بالعدس رق قلبه عند ذكر الله .

ولزيادة العقل في المحاسن عن أبي الحسن (ع) السداب[2] يزيد في العقل .

ولزيادة الحفظ في المكارم عن النبي (ص) : خمس يذهبن بالنسيان ويزدن في الحفظ ويذهبن بالبلغم السواك والصيام وقراءة القرآن والعسل واللبان[3] .

ولتنوير العقل وشدّه في المحاسن عن الصادق (ع) : الخلّ يشدّ العقل

---

(١) الدبا: القرع ويقال له بالفارسية (كدو).

(٢) السداب: نبات ورقة كالصعتر ورائحته كريهة وقال صاحب البرهان: «سداب بروزن گلاب: گياهي باشد دوائي مانند بودنه وآنرا بعربي فيجن خوانند».

(٣) اللبان بضم اللام: الكندر.

وفيه عنه (ع) : أنه ينير العقل ، وفيه عن أبي الحسن (ع) : أنه يشدّ الذهن ويزيد في العقل ، وفي دعوات الراوندي عن الصادق (ع) : أنه يحيي القلب .

ولخصال كثيرة في الدعوات عن عليّ (ع) : كل ما وقع تحت مائدتك فإنه ينفي عنك الفقر ، وهو مهور حور العين ، ومن أكله حشى قلبه علماً وحلماً وإيماناً ونوراً .

وللحماقة أكل ما يشتهيه ، وفي مشكوة الطبرسي .وكشكول البهائي في حديث عنوان البصري أن الصادق (ع) قال له : إياك أن تأكل ما تشتهيه فإنّه يورث الحماقة .

ولموت القلب في المكارم وغيره عنه (ع) : ماء نيل مصر يميت القلب .

ولاستجلاب محبة الأئمة (ع) تحنيك الأولاد بماء الفرات ، ويلحق بهذه الأطعمة ما ورد الأجر والثواب في أكله أو كونه مما قدس فيه أو كان طعام الأنبياء (ع) أو صنع بالوحي أو مما يحبّه النبي والأئمة (صلوات الله عليهم وعليه السلام) ، أو يدخل فيه أو يقطر عليه من الكوثر أو يمزج بمسك الجنة وهي مذكورة كثيرة في محلها وما يقابلها مما هو من قيح جهنم أو مختار أعدائهم (ع) أو مبغوضهم ومبغوض الملائكة أو لم يقبل ولايتهم (ع) .

السابع : معرف أن ما سيق إليه من الطعام نعمة عليه أو نقمة بأن يكون مستدرجاً ممتعاً بلذائذ الدنيا على نسق ما تقدم ، فرب حلال طاهر نافع يكون معذباً به مستدرجاً فيه ، معيناً له على معاصيه أو امتحن به ليعلم شكره بمراتبه التي منها انفاقه منه ، وطريق معرفة هذا القسم أشكل وأخفى وأدقّ من جميع ما سبق ، واللازم عليه بعد معرفة كونه مستدرجاً فيه بما أشرنا إليه سابقاً التوبة من الذنب الذي هو عاكف عليه قبل هجومه على الطعام ، ثم الإنفاق منه أو مواكلته مع غيره ، وتقديمه في الأكل ليخرج بذلك عن حريم الاستدراج ويصير نعمة عليه (ح) إذ صار سبباً لنزوعه عن ذنبه وإدراكه منافع الإنفاق وفوائد المواكلة التي منها كثرة البركة في الطعام ، وكثرة أكله من غير الابتلاء بشرورها ، ورفع كثير من المضرة التي فيه والخروج عن تبعة لعن رسول الله (ص) فقد لعن آكل

زاده وحده ، وعن مشاركة الشيطان ، وكذا مصالح التقديم من نزول الملائكة وطرد الشياطين ، وبذلك يتم له أيضاً جميع الغايات التي يقصدها في أكله بأحسن وجه وأكمل طريق ومنعه عن غيره ، فإن الناس بين من لا يقصد به إلا مجرد إبقاء الحيوة الواجب وإمكان التأهب للآخرة أو بانضمام التنمية والتغذية وهم الأواسط ، أو مع التلذذ به ، وأما غيرهم فخارجون عن حدود الإنسانية غير مقصودين في العناوين السابقة ، وهذه الغايات كلها حاصلة بالإنفاق والمواكلة في خصوص ما ينفق منه مما لا يتضمن جميعها أو بعضها فضلاً عن غيره ، إذ ما ينفق من شيء فالله يخلفه وما يخلفه الله لا بد وأن يكون جامعاً لكل فائدة وغرض يراد من الغذاء وإن كان في أصله ضرر ومفسدة ، ومعه يذهب خوف بذله ونفود طعامه أيضاً ، ومع عدم الإنفاق منه يتنفر عنه الملائكة ويوكّل إلى نفسه ويخلي بينه وبين غذائه ، فيكون مضرته بحاله بل اطلاع غيره من الجار والسائل والمعتري عليه نظر غيره إليه مورث لمفاسد أخرى عظيمة ، بل ذكر بعض الأعاظم أن أغلب الأمراض الحادثة من المأكل إنما هو من قبل الانفراد فيها وعدم الإنفاق منها ، ومن هنا يظهر سرّ كثرة اهتمام الحجج (ع) في بذل طعامهم والمواكلة مع غيرهم .

وفي الخصال وغيره عن النبي (ص) : الطعام إذا جمع أربع خصال فقد تمّ ، إذا كان من حلال وكثرت الأيدي عليه ، وسمى الله تعالى في أوله وحمد في آخره ، « وعن الفردوس » عنه (ص) : كلوا جميعاً ولا تفرّقوا فإن البركة مع الجماعة ، « وفي المكارم » إنه قيل له : إنّا نأكل ولا نشبع ؟ قال : لعلكم تفترقون عن طعامكم فاجتمعوا عليه واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم ، « وفيه » أن أحب الطعام إليه ما كان على ضفف .

الضفف : كثرة الأيدي على الطعام .

وفي المحاسن عن الصادق (ع) : إنما ابتلى يعقوب بيوسف (ع) أنه ذبح كبشاً سميناً ورجل من أصحابه يدعى فيوماً محتاج لم يجد ما يفطر عليه فأغفله فلم يطعمه فابتلى بيوسف قال : فكان بعد ذلك ينادي مناديه كل صباح من لم

يكن صائماً فليشهد غداء يعقوب وإذا أمسى نادى : من كان صائماً فليشهد عشاء يعقوب ، « وفي المحاسن » ، عنه (ع) أن يعقوب لما قال بعدما ذهب منه ابن يامين يا رب أما ترحمني أذهبت عيني وأذهبت ابني أوحى الله تبارك وتعالى إليه لو أمتهما لأحييتهما حتى أجمع بينك وبينهما ولكن أما تذكر الشاة ذبحتها وشويتها وأكلت وفلان إلى جنبك صائم لم تنله منها شيئاً ؟ ومرّ في أول الفصل الثالث حديثاً طويلاً في قصة يعقوب ، « وفي الخصال » في خصال السجاد (ع) وكان يعجب أن يحضر طعامه اليتامى والأضراء والزمنى والمساكين الذين لا حيلة لهم وكان يناولهم بيده ومن كان منهم له عيال حمل له إلى عياله من طعامه ، وكان لا يأكل طعامه حتى يبدأ فيتصدق بمثله ، « وفي المحاسن » كان أبو الحسن الرضا (ع) إذا أكان أتى بصحفة فتوضع قرب مائدته فيعمد إلى أطيب الطعام مما يؤتى به فيأخذ من كل شيء شيئاً فيوضع في تلك الصحفة ثم يأمر بها للمساكين ، « وفي دعوات الراوندي وغيره » عن أمير المؤمنين (ع) قوت الأجسام الطعام ، وقوت الأرواح الأطعام .

وجميع ما ذكرنا إنما هو في المنافع التي تحصل في الطعام بالإنفاق وأما الخارجية من غفران الذنوب ورفع الدرجات وقضاء الحاجات وأمثالها فهي كثيرة قد أشرنا إلى بعضها في ذكر الحقوق ، وإلى جميع ما ذكرنا أو أكثرها يشير قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً** ﴾ بناء على ما ذكره المفسرون من أن الطيب يطلق على ما حلله الشارع وعلى الطاهر ، وعلي الطاهر من كل شبهة وعلى ما خلا عن الأذى في النفس والجسد ، وعلى ما يستلذه الطبع المستقيم ولا يتنفر عنه ، وعلى ما لم يكن فيه جهة قبح توجب المنع ، واحتملوا أن يراد بالحلال ما خلا من جهة الخطر بحسب ذاته وأحواله الغالبة ، والطيب ما خلا من جهة الخطر من كل وجه ، وأن يكون الأول للاحتراز عن الحرام ، والثاني للاحتراز عن الشبهات ، وكذا قوله تعالى حكاية عن أصحاب الكهف : ﴿ **فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه** ﴾ ، على ما قالوا : من أن المراد أحل وأطيب أو أكثر وأرخص ويحتمل أن يكون المراد أزكى أي أنمى للبدن إشارة إلى الرابع والخامس وللنفس إشارة إلى سواهما .

ثم إنه يلحق بتلك الجهات جهات أخرى لا بد من معرفتها وتميزها .

الأول : معرفة زمان أكله فلا يتعدى عن التغدي والتعشي ، « ففي المحاسن » قال الصادق : تغدّ وتعشّى ولا تأكل بينهما شيئاً فإن فيه فساد البدن ، أما سمعت الله (عزّ وجلّ) يقول : لهم رزقهم فيها بكرة وعشياً ﴾ ، وليكن الأول في البكور ، « ففي العيو » وغيره عن الرضا (ع) قال : قال أمير المؤمنين (ع) من أراد البقاء ولا بقاء فليباكر بالغداء (الخبر) ، والثاني بعد العتمة ، « وفي المحاسن » عنه (ع) : عشاء الأنبياء بعد العتمة ، وعن الصادق (ع) : العشاء بعد العشاء الآخرة عشاء النبيين ، وإن دار الأمر بينهما يقدّم الأخير ففي الكافي عنه (ع) : طعام الليل أنفع من طعام النهار ، « وفي أخبار كثيرة » النهي عن ترك العشاء خصوصاً في ليلة السبت والأحد متواليين .

والترك للعشاء مفسد البدن لا سيما لو كان شيخاً قد أسنّ
وليلة السبت وليلة الأحد إذا تتابعا فمع ضرّ الجسد

ويستثنى من الأول الكسرة بعد صلوة الفجر كما مرّ ، ومن الثاني ما تقدم في آداب النوم .

الثاني : معرفة محل المأكول من الإناء والمكان ، فيجتنب من الأول أواني الذهب والفضة والمفضّض بأقسامه وفخار مصر ، « وفي قصص الأنبياء » عن أبي الحسن (ع) : لا تأكلوا في فخار مصر ولا تغسلوا رؤوسكم بطينها ، فإنها تورث الذلة وتذهب بالغيرة ، « وفي الكافي » عنه (ع) : إنه تورث الدياثة ، وما يشبهه في خبث الأرض التي صنعت منها أو خبث الأيدي التي سوّاها ، أو تقلب فيها وشاركه شيطانه ، « وفي الكافي » عن الصادق (ع) في آنية المجوس إذا اضطررتم إليها فاغسلوها بالماء ويختار ما ينحت من جبل سناباد الذي دعا له الرضا (ع) بالبركة والإنتفاع ، وكان لا يأكل ما طبخ له إلا من قدوره ، أو ما يجلب من أرض الشام المباركة ، فكان رسول الله (ص) يشرب من الأقداح التي يجاء بها منه ، « وفي مكارم الأخلاق » كان (ص) يشرب في أقداح القوارير التي يؤتى بها من الشام ، ويشرب في الأقداح التي يتخذ من

الخشب وفي الجلود ويشرب في الخزف ويشرب بكفيه يصب الماء فيهما ويشرب ويقول : ليس إناء أطيب من اليد ، ومثل الشام سائر البلاد الممدوحة والأراضي المباركة ومن المحل مائدة يشرب عليها الخمر ففي خبر لا تجلسوا على مائدة تشرب عليها الخمر فإن العبد لا يدري متى يؤخذ ، وفي آخر فإن اللعنة إذا نزلت عمت من في المجلس ، وربما الحق به سائر المعاصي ، وقال ابن إدريس لا يجوز الأكل من طعام يعصى الله به أو عليه ، وفي المسالك ، ويشترط في استحباب الإجابة أو وجوبها كون الداعي مسلماً وأن لا يكون في الدعوة مناكر وملاهي إلا أن يعلم زوالها بحضوره من غير ضرر ، فيجب لذلك وأن يعم صاحب الدعوة بها الأغنياء والفقراء ولو من بعض الأصناف كعشيرته وجيرانه وأهل حرفته ، فلو خصّ بها الأغنياء لم يترجح الإجابة ولم يجب عند القائل به لقوله (ص) : شر الولائم من يدعي الأغنياء ويترك الفقراء (انتهى) ، وفي كتاب أمير المؤمنين (ع) إلى عثمان بن حنيف : ومعا ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو وغنيهم مدعو .

الثالث : معرفة أكيله وصاحب طعامه فلا يطعم الفاسق ولا يأكل من طعامهم « وفي الفقيه » في حديث المناهي عن النبي (ص) : ونهى عن إجابة الفاسقين إلى طعامهم ، « وفي وصايا (ع) إلى أبي ذر » : يا أبا ذر لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقيّ ، ولا تأكل طعام الفاسقين ، يا أبا ذر أطعم طعامك من تحبه في الله ، وكل طعام من يحبك في الله ، « وفي المحاسن » عنه (ص) : أضف بطعامك من تحب في الله ، وفي خبر عموم نزول اللعن إشارة إلى ذلك أيضاً .

وإذا استكمل الإنسان معرفة هذه الأمور وغيرها مما يتعلق بالمأكول وعمل بها وعرف صدق ما أشرنا إليه ، ووقف على ما ينفعه وجرّبه فلا يتعداه إلى غير المشتبه نفعه وضره أو المستبان أمره .

واعلم أن ما فيه شرّ ينبغي التعوذ منه إما ذو روح أو لا ، متمرد أو لا ، منفرد أو له أعوان وجنود مرئي أو لا ، وأشدّ هذه الأقسام وأصعبها دفعاً وأعضلها

علاجاً وأقواها ضرراً الحي المتمرد المحجوب عن الناظر المتقوي بالعساكر وهو الشيطان وأضعفها ضرراً وأسهلها اجتناباً وأهونها علاجاً المأكول فمن لم يملك نفسه عن تناول ما احتمل فيه ضرر بدنه أو دينه ، ولا يتمكن من ضبطها عن أكل ما لا يأمن من شرّه وبوائقه وهو جامد مقهور منفرد مرئي ، فسلّط عليه بما فيه من اللذة وغلب عليه بقليل ما فيه من المنفعة وأذاقه مرارة شرّه فلا يروم حول مدافعة الشيطان ودفع ضرّه فإنّه ضعف من أن يقاوم سلطانه ويحارب جنوده وأعوانه ، وكيف يتوقع مقابلة السلطان وغلبة من هو مقهور تحت حكم أدنى رعيّة ، وأضعف منه من ابتلى بشرّه وبشر السبعة الأخرى ، أو أكثرها ، خصوصاً من كان معاناً ومعيناً بزعمه في الدين وهو في الحقيقة من لصوص الشريعة والصادين عن سبيل الحق بالقول والعمل فإنه معين لكل من تبعه وألقى ربقة تقليده واتباعه في عنقه في الضلالة والغواية ومعان بهم ومتقوي باتباعهم وخروجه شرّ الجهتين يحتاج إلى الإعراض عنهم والتبري من المنكرات التي أوقعهم فيها وأخرجهم عنها وإذ قد ظهر لك كيفية سد الأبواب التي تدخل منها الشيطان ووفقت بسدها ومنعها عن هجومه عليك منها ، فقد استكملت الركن الأول من الأركان الأربعة لحقيقة الاستعاذة وهي : التقوى ، والتذكر ، والتوكل ، والتضرع ، وقد أشير إلى الأولين في قوله تعالى : ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** ﴾ فمن لم يكن متقياً لا يكون متذكراً عنه مسه فلا يكون مبصراً ، ومن يعش عن ذكر الرحمن ويتعامى ويعرض عنه نقيّض له شيطاناً فهو له قرين ، ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً والتقوى تحصل في المقام بالاجتناب عما ذكرنا .

وأما التذكر : فهو الإلتفات إلى البلايا والشرور التي ابتلى بها العباد من وساوسه وغروره قبله ، وأنه ما أصاب أحد بمصيبة في دين وزرية في الدنيا إلا وهو أصلها أو الشريك فيها ، قال تعالى : ﴿ **لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة** ﴾ ، وقال : ﴿ **ولقد أضلّ منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون** ﴾ ، وإلى الرزايا والمحن التي ابتلى هو بها من إغوائه وتسويله وإنّه ما تبعه أحد في شيء إلا ندم ولا اقتفى أثره خطوة إلا ألقاه في المعزم ، وهكذا

يفعل العدو المكار بأعداءه قال تعالى : ﴿ **إن الشيطان لكم عدوّ فاتّخذوه عدوّاً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير** ﴾ ، وقال : ﴿ **ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين** ﴾ ، وإلى المواعيد التي أوعد الله تعالى بها من اتبع خطواته والنكال التي أعدّها لمن داوم متابعته ، قال تعالى : ﴿ **لأملئن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إلا من اتّبعك من الغاوين وإنّ جهنم لموعدهم أجمعين** ﴾ ، وإذا تأمل المتقي في عواقب دعواته وفظائع دلالاته السابقة والحاضرة واللاحقة وتذكرها يتنفر عنه وعن أوامره وخطواته تنفر العدو الضعيف من عدوه القاهر المتجاهر ، ويهرب بطبعه عن كل ما احتمل انتسابه إلى هذا الغادر .

وأما **المتوكل** : فأشار إليه تعالى بقوله : ﴿ **إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ وبقوله : ﴿ **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا** ﴾ ، ولما كان الشيطان يخوّف المؤمن عند اجتناب الأمور السابقة واختيار أضدادها بالابتلاء بأنواع من المحن والمصائب كما قال تعالى : ﴿ **إنّما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين** ﴾ ، وقال الشيطان : ﴿ **ثمّ لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم** ﴾ ، وفي التفسير القمي وأما خلفهم يقول من قبل دنياهم أمرهم بجمع الأموال وأمرهم أن لا يصلوا في أموالهم رحماً ، ولا يعطوا منها حقاً ، وأمرهم أن لا ينفقوا على ذراريهم وأخوفهم عليه الضيعة احتاج[1] المؤمن المستعيذ إلى تحصيل ملكة التوكل والاعتصام في جميع أموره إليه تعالى ليذهب عنه خوف الإقتحام في أمر فوضه إليه تعالى ثم باشره بأمره وإذنه .

ومختصر القول فيه : أن المؤمن وهو المقرّ بصانع واحد غني غالب عالم سميع ، إما أن يحتاج في دفع المضرات عن نفسه وجلب المنافع إليه إلى أسباب وأدوات أولاً ، لا سبيل إلى الثاني للممكن أصلاً ، وعلى الأول فإما أن

---

(١) جواب لنا في قوله ولما كان الشيطان اه.

يكون له علم بطرق الدفع والجلب وآلاتهما أو لا ، وعلى الأول فإما أن يتمكن من الأسباب ويجد السبيل إليها أولاً ، وكذا الجاهل قد يتمكن منها وإن لم يعلم بسببيتها وإمكان الوصول منها إليهما ، أما غير العالم المتمكن فلا مناص له إلا تفويض تدبير أموره إلى الله العالم بمصالحها ومفاسدها القادر على تقريب بعيدها وتبعيد قريبها ، وكذا العالم الغير المتمكن والجاهل العاجز ، وأما العالم المتمكن بقليل منها في قليل من الأوقات وهم أقلّ قليل بين الناس فهو بعد تحمل مشاق أعمال الأسباب وترتيب المقدمات وصرف شطر من العمر فيها وفي رفع موانعها ودفع مفاسدها والسلامة من أخطارها وتبعاتها ومشاهدة التخلّف في كثير من مواردها وعدم إمكان الإطلاع على جميع آفاتها ، لا ينتفع منها إلا بمقدار ما توهم من الثمرة فيها ، ولو جعله تعالى وليّ أمره ، ووكّله في كل ما يرجع إليه وقطع النظر عن جميع الأسباب ورآها فيما يستند إليها أكذب من سراب لسلم من أخطارها ، واقتطف من أحسن وأكمل وأبدع نتائجها وأثمارها ، لا كما زعمه البطالون في معناه من الأعراض عن الأسباب بل جعل نفسه بعد صدق التوكيل والتفويض بمنزلة الوكيل والمأذون عنه تعالى يتمسك منها تعبداً من غير وثوق واعتماد على تأثيرها بمقدار ما أمر به ويعرض عنها ما نهى عنه وينتظر بقلبه ما يختاره تعالى له من الخيرات والبركات من أبوابها التي تنزلها عليه منها ، فقد تصادف ما تمسك به منها ، وقد يفتح عليه غيرها ، فكل مورد أمر بالإقتحام فيه لا بدّ وأن يعلم أنه خال عن الشر الذي توهمه فيه ، إذ الوكيل الثقة الخبير من البشر لا يخون موكله ، ولا يفعل به إلا ما فيه صلاحه ، فكيف بمقدس جنابه تعالى إذا صار وكيلاً عن عبد ضعيف لا يملك نفعاً ولا ضراً ، فإذاً لا يكون للشيطان في فعل المتوكل حظّ ونصيب قال تعالى : ﴿ **وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم** ﴾ وقال يعقوب : ﴿ **إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **أليس الله بكاف عبده ويخوّفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد** ﴾ .

وفي الخصال عن الصادق (ع) قال : قال إبليس : خمسة ليس لي فيهن

حيلة وسائر الناس في قبضتي ، من اعتصم بالله عن نية صادقة واتكل عليه في جميع أموره ومن كثر تسبيحه في ليله ونهاره ، ومن رضي لأخيه المؤمن ما يرضاه لنفسه ، ومن لم يجزع على المصيبة حتى تصيبه ، ومن رضي بما قسم الله له ولم يهتمّ لرزقه ، « وفي معاني الأخبار » أن النبي (ص) : سأل جبرائيل عن معنى التوكل ؟ فقال : العلم بأن المخلوق لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع واستعمال اليأس من الخلق ، فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحد سوى الله ولم يبرح ولم يخف سوى الله ولم يطمع في أحد سوى الله ، « وفي قرب الإسناد » عن الرضا (ع) : الإيمان أربعة أركان : التوكل على الله (عزّ وجلّ) ، والرضا بقضائه ، والتسليم لأمر الله ، والتفويض إلى الله ، قال عبد صالح : « وأفوّض أمري إلى الله فوقاه الله سيئات ما مكروا » .

وأما التضرع : فهو الإستعاذة من شروره إلى الله تعالى باللسان بالآداب والشروط المقررة في الأدعية والأوراد سوى ما يتعلق بالكفين ، « ففي الكافي » عن الصادق (ع) : سألته عن الدعاء ورفع اليدين ؟ فقال : على أربعة أوجه ، أما التعوذ فتستقبل القبلة بباطن كفك (الخبر) ، « وفيه » عنه (ع) : قلنا كيف الاستعاذة ؟ قال : تفضي بكفيك أي بباطنهما إلى القبلة ، ولعل الوجه فيه ما قيل : كأنك تشير به إلى أنك استقبلت إلى القبلة الحقيقية التي يتوجه إليها وجوه الممكنات كلها ، وجعلت يدك ترساً لدفع المكاره ، وإنما يفعل ذلك في مقام إظهار العجز كما ترى أن العاجز المضطر قد يجعل يده ترساً لدفع السيف والسنان ، والأولى أن تكون بالمأثور ، « وفي وصية أمير المؤمنين (ع) » : يا كميل إذا وسوس الشيطان في صدرك فقل : « أعوذ بالله القوي ، ومن الشيطان الغويّ ، وأعوذ بمحمد الرضي ، من شرّ ما قدّر وقضى ، وأعوذ بإله الطيبين ـ وفي نسخة بإله الناس ـ من شرّ الجنة والناس أجمعين » وعظّم الله وصلّ على محمد وآله وسلم تكفى مؤنة إبليس والشياطين معه ولو أنهم كلهم أبالسة مثله ، « وفي مكارم الأخلاق » عنه (ع) : إذا وسوس الشيطان لأحدكم فليتعوذ بالله وليقل بلسانه وقلبه : « آمنت بالله ورسله مخلصاً له الدين » وفي تفسير الإمام (ع) ، قال : قال رسول الله (ص) : ألا فاذكروا يا أمّة محمد محمداً وآله

عنـد نوائبكم وشـدائـدكم ، لينصـر الله بهم مـلائكتكم على الشيـاطين الـذين يقصدونكم ، فإن لكل واحد منكم ملك عن يمينه يكتب حسناتـه ، وملك عن يساره يكتب سيئاته ، ومعه شيطانان من عند إبليس يغويانه ، فإذا وسوسا في قلبه ذكر الله وقال : « لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله » حبس الشيطانان ثم صار إلى إبليس لشكـواه وقالا لـه : قد أعيـانا أمـره فامددنا بالمردة ، فلا يزال يمدّهما حتى يمدّهما بألف مارد ، فيأتونه فكلما راموه ذكر الله وصلى على محمد وآله الطيبين لم يجدوا عليه طريقاً ولا منفذاً ، قالوا لإبليس : ليس له غيرك تباشره بجنودك فتغلبه وتغويه ؟ فيقصـده إبليس بجنوده فيقول الله تعالى للملائكة : هذا إبليس قد قصد عبدي فلاناً وأمتي فلانة بجنوده ألا فقاتلوه فيقاتلهم بـإزاء كل شيـطان رجيم ، منهم مائـة ألف ملك وهم على أفراس من نار بأيديهم سيوف من نار ورماح من نار وقسّي ونشاشيب[1] وسكاكين وأسلحتهم من نـار ، فلا يـزالون يخـرجونهم ويقتلونهم بهـا ويـأسـرون إبليس فيضعون عليه تلك الأسلحة فيقول يا ربّ وعدك وعدك قد أجلتني إلى يوم الوقت المعلوم فيقول الله تعالى للملائكة وعدته أن لا أميته ولم أعده أن لا أسلط عليه السلاح والعذاب والآلام شقـوا منه ضـرباً بـأسلحتكم فإني لا أميتـه فيسخنونـه بـالجراحـات ثم يدعـونه فـلا يزال سخين العين على نفسـه وأولاده المقتـولين المقتلين ولا يندمل شيء من جراحاته إلا بسماعـه أصوات المشـركين بكفرهم فإن بقي هذا المؤمن على طاعة الله وذكره والصلوة على محمد وآله بقي إبليس على تلك الجـراحـات ، فـإن زال العبـد عن ذلـك وانهمـك في مخـالفـة الله (عزّ وجلّ) ومعاصيه اندملت جراحـات إبليس ، ثم قوى على ذلـك العبد حتى يلجمه ويسرج على ظهره ويركبه ، ثم ينزل عنه ويركب ظهره شيطان من شياطينه ويقول لأصحاه : أما تذكرون ما أصابنا من شأن هذا ذل وانقاد لنا الآن حتى صار يركبه هذا ثم قال رسول الله (ص) : فإن أردتم أن تديموا على إبليس سخنة عينه وألم جراحاتـه فداومـوا على طاعـة الله وذكره والصلوة على محمـد

---

(١) قسى ـ بتشديد الياء ـ: جمع القوس ونشاشيب جمع النشابة: السهام.

وآله ، وإن زلتم عن ذلك كنتم أسراء إبليس فيركب أقفيتكم بعض مردته .

وأصحّ ما ورد فيها وأنفعها وأجمعها دعاء السجاد (ع) في الصحيفة الكاملة : إذا ذكر الشيطان فاستعاذ منه ومن عداوته وكيده ، وفي فصل الثلاثين من جنة الكفعمي دعاء للخضر (ع) من دعا به أو سمعه سماعاً أمن من الوسوسة أربعين سنة ، وفي أدعية الأسابيع من ذلك شيء كثير ، ومن جميع ما ذكرنا يمكن استخراج تكليف القسم الثالث من أقسام المستعيذين الصادقين هو المبتلي بنتائج أعماله السابقة التارك لها عند الاستعاذة ككثير من الخصال القلبية التي اكتسبها شيئاً فشيئاً من الأفعال التي هي مبادئها فلا ينفعها الإستعاذة ما لم يغيرها باستكشاف مبادئها بجهده والتوبة منها ، وتبديلها بأضدادها التي تذهب بنتائجها ، وإلا فهو عامل دائماً بأقانين الشيطان وإن لم يقرب إليه في طول الزمان ، فإن تتبع في حالاته الماضية ولم يجد ما يمكن انتسابها إليه فليتضرع في كشفه وليتب إجمالاً فإنه أرحم من أن يستصعد به أحد فأشقاه أو يتقرب إليه فنجّاه ، وليتبدل من الثمانية السابقة كل ما يحتمل فيه ذلك فإنه غاية تكليف السالك .

قال العلامة المجلسي (ره) في قوله تعالى : ﴿ **وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان** ﴾ الآية ، لما كانت الإستعاذة الكاملة ملزمة للإيمان الكامل بالله وقدرته وعلمه وكماله والإقرار بعجز نفسه وافتقاره في جميع أموره إلى معونته تعالى وتوكله في كل أحواله عليه فلذا ذكر بعد الإستعاذة أنه ليس له سلطنة واستيلاء على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، فالمستعيذ به تعالى في أمانه وحفظه إذا راعى شرائط الاستعاذة ، قال : وإذا كان على حقيقة الإيمان وارتكب بإغوائه بعض المعاصي فإنه تعالى يوفّقه للتوبة والإنابة ، ويصير ذلك سبباً لمزيد رفعته في الإيمان وبعده عن وساوس الشيطان (انتهى) .

وينبغي بعد ذلك كله مداومة الأعمال التي تبعد الشيطان وتمرضه وتدفع شره ، « وفي كتاب الأشعثيات » عن علي (ع) قال : قيل : يا رسول الله ما

الذي يباعد الشيطان منا ؟ قال (ص) : الصوم لله يسوّد وجهه ، والصدقة تكسر ظهره ، والحب في الله (عزّ وجلّ) والمواظبة على العمل الصالح يقطع دابره ، والإستغفار يقطع وتينه ، « وفي الكافي » أنه (ص) قال : ألا أخبركم بشيء إن أنتم فعلتموه تباعد الشيطان عنكم كما تباعد المشرق من المغرب ؟ قالوا : بلى قال : الصوم (الخبر) ، « وفي حديث الأربعمائة » لا تستصغروا قليل الآثام فإن القليل يحصى ويرجع إلى الكثير وأطيلوا السجود ، فما من عمل أشدّ على إبليس من أن يرى ابن آدم ساجداً لأنه أمر بالسجود فعصى ، وهذا أمر بالسجود فأطاع ونجى ، « وفي الكافي » عن أبي الحسن (ع) : ليس شيء أنكى لإبليس وجنوده من زيارة الإخوان في الله بعضهم لبعض ، وقال أن المؤمنين يلتقيان فيذكران الله ثم يذكران فضلنا أهل البيت ، فلا يبقى على وجه إبليس مضغة لحم إلا تخدّد حتى أن روحه لتستغيث من شدة ما يجد من الألم ، فتحس ملائكة السماء وخزّان الجنان فيلعنونه حتّى لا يبقى ملك مقرب إلا لعنه ، فيقع خاسراً حسيراً مدحوراً ، « وفيه » عن أمير المؤمنين (ع) : تختموا بالجزع[1] فإنّه يردّ كيد مردة الشياطين ، « وفي مكارم الأخلاق » عن الصادق (ع) : من سرّح لحيته سبعين مرة ، وعدّها مرة مرة لم يقرّبه الشياطين أربعين يوماً ، « وفيه » في وصايا النبي (ص) : من أكل الزيت وأدهن بالزيت لم يقرّبه الشيطان أربعين صباحاً .

وفي الفقيه عن الصادق (ع) : اغسلوا رؤوسكم بورق السدر فإنه قدسه كل ملك مقرب وكل نبي مرسل ، ومن غسل رأسه بورق السدر صرف الله عنه وسوسة الشيطان سبعين يوماً ، ومن صرف الله عنه وسوسة الشيطان سبعين يوماً لم يعص الله ، ومن لم يعص الله سبعين يوماً دخل الجنة ، « وفي طب الأئمة والمكارم » عن النبي (ص) : في وصف الحرمل وأن الشيطان ليتنكب سبعين داراً دون الدار التي هو فيها ، « وفي حيوة الحيوان » عن كتاب الحيل عن النبي (ص) : أن الشيطان لا يخيل أحداً في دار فيها فرس عتيق ، « وفي طب

---

(١) الجزع : خرز فيه سواد وبياض.

النبي (ص) » : زينوا موائدكم بالبقل فإنها مطردة للشياطين مع التسمية .

وغير ذلك من الأعمال المتشتتة في زوايا السنن الأحمدية ، هذا مختصر من البيان في الإستعاذة من الشيطان ، وعلى المستعيذ المستعد لمحاربة هذا العدو التدبر التام في أنواع أفعاله وأقسام حركاته معه من الهمز واللمز والنفث والنفخ والوسوسة والمس والحضور والغرور والتمني والتثبيط والتخويف والتسويل والتزيين وغيرها خصوصاً في شركته في الأموال ، وأن الإنسان الجاهل كيف رضي بالمشاركة وقد كان يكفيه رأس ماله الذي منحه الله تعالى ، ومنَّ عليه به مما ذرئه في أرضه للاسترباح الكافي لسدّ فاقته ، ورفع خلته ، وجسده صالحاً لأعماله والتجارة به ، والضعف والنقصان في أحدهما هو الداعي غالباً للرضا بالتشريك مع ما فيه من المحاذير ، ثم كيف شاركه المكار بمجرد أمره بالمحرمات واستعمال المباح في المحظورات ، وما أدخل في مال الإنسان مالاً ، ولا تحمل عنه في تعب إتجار ما يخصه أثقالاً ، وبأحدهما يصير الشريك شريكاً ، ثم كيف أحرز عند تقسيم الربح جميعه من غير أن يرجع إلى صاحب المال المفني عمره فيه شيء منه كما يشير إليه قوله تعالى : **﴿ أنا خير شريك فمن عمل لي ولغيري فهو لمن عمله غيري ﴾** والكلام في أقسام شركته ووقتها ومراتبها في شيء واحد باختلاف حالاته من غرس الكرم مثلاً بنية الخمر في ملك الغير ثم سقيه بماء مغصوب إلى أن يجعله خمراً ، وزمان وجوب الإفراز معه وكيفية إسقاط حقه وما مغصوب إلى أن يجعله خمراً وزمان وجوب الإفراز معه كيفية إسقاط حقه وما يتعلق بذلك يحتاج إلى فكر طويل وتضرع تام والله المستعان ومنه التوفيق .

الفصل السابع

في مختصر من الكلام في حقيقة الرؤيا ومبادىء الأقسام السابقة ، وكيفية صدق صادقها وبطلان كاذبها وسرعة تأثير بعضها وبطؤ أخرى ، وقد تكلم في هذا المقام أرباب المصنفات بما أنسوا به من الطريقة واعتمدوا عليه من القواعد الكلية التي مهّدوها على أصولهم المتشتتة الغير المبنية غالبها على أساس متين

وطريق مستقيم ونحن نسوق أولاً ما وصل إلينا من أهل بيت العصمة (ع) ثم ننقل بعض كلماتهم ليتميز الرشد من الغيّ والحق من الضلال ، ولئلا يحتاج الناظر إلى كتاب آخر .

فنقول : روى الصدوق في أماليه عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن ابن أبي الخطاب عن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده عن علي (ع) قال : سألت رسول الله (ص) عن الرجل ينام فيرى الرؤيا فربما كانت حقاً وربما كانت باطلاً ؟ فقال رسول الله (ص) : يا علي ما من عبد ينام إلا عرج بروحه إلى رب العالمين ، فما رأى عند رب العالمين فهو حق ، ثم إذا أمر الله العزيز الجبار بردّ روحه إلى جسده فصارت الروح بين السماء والأرض فما رأته فهو أضغاث أحلام والظاهر أن المراد بالعبد هو العبد المؤمن بقرينة الأخبار الآتية ، « وفي المحاسن » عن أبيه عن حمزة بن عبد الله عن جميل بن دراج قال : قال أبو عبد الله (ع) : إن المؤمنين إذا أخذوا مضاجعهم صعد الله بأرواحهم إليه ، فمن قضى عليه بالموت جعله في رياض الجنة بنور رحمته ونور عزته ، وإن لم يقدّر عليه الموت بعث بها مع أمنائه من الملائكة إلى الأبدان التي هي فيها ، « وفي الأمالي » عن أبيه عن سعد عن البرقي عن القاسم بن يحيى عن جدّه الحسن بن راشد عن أبي عبد الله عن آبائه عن أمير المؤمنين (ع) عن النبي (ص) في كلام له (ص) : يا علي إن أرواح شيعتك لتصعد إلى السماء في رقادهم ووفاتهم ، فتنظر الملائكة إليها كما ينظر الناس إلى الهلال شوقاً إليهم ، ولما يرون منزلتهم عند الله (عزّ وجلّ) ، « وفيه » عن محمد بن الحسن عن الصفّار عن الحسين بن الحسن بن أبان عن الحسين بن سعيد عن ابن أبي عمير عن ابن أبي حمزة عن أبي عبد الله (ع) عن أبيه ، قال : والله ما من عبد من شيعتنا ينام إلا أصعد الله روحه إلى السماء فيبارك عليها ، فإن كان قد أتى عليها أجلها جعلها في كنوز رحمته وفي رياض جنته وفي ظل عرشه ، وإن كان أجلها متأخراً بعث بها مع أمنته من الملائكة ليردّها إلى الجسد الذي خرجت منه لتسكن فيه ، ورواه في الكافي عن علي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن عمرو بن أبي المقدام عنه (ع) . وعن العدة عن البرقي عن أبيه عن النضر بن سويد عن درست بن أبي

منصور عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله (ع) : جعلت فداك الرؤيا الصادقة والكاذبة مخرجهما من موضع واحد ؟ قال : صدقت أما الكاذبة المختلفة فإن الرجل يراها في أول ليله في سلطان المردة الفسقة ، وإنما هي شيء يخيل إلى الرجل وهي كاذبة مخالفة لا خير فيها ، وأما الصادقة إذا رآها بعد الثلثين من الليل مع حلول الملائكة ، وذلك قبل السحر فهي صادقة لا تختلف إنشاء الله . (ع) وفي البحار عن مناقب ابن شهرآشوب قال : سأل أبا بكر نصرانيان : ما الفرق بين الحبّ والبغض ومعدنهما واحد وما الفرق بين الرؤيا الصادقة والرؤيا الكاذبة ومعدنهما واحد ؟ فأشار إلى عمر فأشار إلى علي (ع) فلما سألاه عن الحب والبغض إلى أن قال : ثم سألاه عن الرؤيا الصادقة والرؤيا الكاذبة ، فقال (ع) : إن الله تعالى خلق الروح وجعل لها سلطاناً ، فسلطانها النفس ، فإذا نام العبد خرج الروح وبقي سلطانه فيمرّ به جيل من الملائكة وجيل من الجن فمهما كان من الرؤية الصادقة فمن الملائكة ومهما كان من الرؤيا الكاذبة فمن الجن ، فأسلما على يديه ، وقتلا معه يوم صفّين .

وروى الصدوق في العلل والعيون ، عن أبيه عن سعد والحميري والعطار وأحمد بن إدريس عن البرقي عن داود بن القاسم عن أبي جعفر الثاني (ع) قال : أقبل أمير المؤمنين (ع) ذات يوم ومعه الحسن بن علي (ع) وسلمان الفارسي وأمير المؤمنين (ع) متكيء على يد سلمان فدخل المسجد الحرام إذا أقبل رجل حسن الهيئة واللباس فسلّم علي أمير المؤمنين (ع) فردّ (ع) فجلس ثم قال : يا أمير المؤمنين أسألك عن ثلاث مسائل إن أخبرتني بهن علمت أن القوم ركبوا من أمرك ما أقضى عليهم أنهم ليسوا مأمونين في دنياهم ولا في آخرتهم وإن تكن الأخرى علمت أنك وهم شرع سواء فقال له أمير المؤمنين سلني عما بدا لك فقال : أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه وعن الرجل كيف يذكر وينسى ؟ وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال ؟ فالتفت أمير المؤمنين (ع) إلى أبي محمد الحسن بن علي (ع) فقال : يا أبا محمد أجبه ، فقال (ع) : أما ما سألت عنه من أمر الإنسان إذا نام أين تذهب روحه ؟

فإن روحه متعلقة بالريح والريح متعلقة بالهواء إلى وقت ما يتحرك صاحبها لليقظة ، فإن أذن الله (عزّ وجلّ) بردّ تلك الروح على صاحبها جذبت تلك الروح الريح ، وجذبت تلك الريح الهواء فرجعت الروح واستكنت في بدن صاحبها ، فجذبت الريح الروح ، فلم تردّ على صاحبها إلى وقت ما يبعث (الخبر) .

وفي كتاب الأشعثيات أخبرنا عبد الله بن محمد أخبرنا محمد بن الأشعث حدثني موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبي عن أبيه عن جده جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب (ع) قال علي بن الحسين (ع) : أخبرني أبي أنّ عمر بن الخطاب قال يوماً : ثلاث لم أسأل عنهن رسول الله (ص) ، قال علي بن أبي طالب (ع) : ما هنّ ؟ قال عمر بن الخطاب : حبّ الرجل الرجل لم يجر بينهما خلطة ، ولا معرفة فأيّ ذلك ؟ والرؤيا منها ما يصدق كأخذ اليد ومنها ما يكون أحلاماً وأضغاثاً فأيّ ذلك ؟ والرجل يتحدث بالحديث أحياناً ويختلف عليه أحياناً فأيّ ذلك ؟ فقال علي بن أبي طالب (ع) : أنا أخبرك بهنّ ، أما ما ذكرت من حب الرجل الرجل لم يجر بينهما خلطة ولا معرفة ، فإن الله (عزّ وجلّ) خلق الأرواح قبل الأجساد فتلقى الأرواح على سبب بين السماء والأرض فتشم كما يتشام الخيل ، فما تعارف ثم ائتلف ههنا ، وما تناكر ثم اختلف ههنا ، وأما الرؤيا فإن العقل إذا عرج بنفسه وهو في النوم فما تأتي النفس في المصعد فهي كأخذ اليد ، فإذا هبطت إلى جسدها تلقته الشياطين ثمّ والأضغاث لكي تحرمه ، وما أخبرت به فهو الذي لا يصدق ، وأما الرجل يحدث بالحديث فينسى فإن القلب تغشاه ظلمة كظلمة القبر ، فإذا غشي القلب الشيء فلا يذكره فإذا انجلا عنه ذكره .

وفي الأمالي عن أبيه عن سعد عن أحمد وعبد الله ابني محمد بن عيسى ومحمد بن الحسين عن ابن محبوب عن محمد بن القاسم النوفلي قال : قلت لأبي عبد الله (صلى الله عليه وآله : المؤمن يرى الرؤيا فتكون كما رآها ، وربما رأى الرؤيا فلا تكون شيئاً ؟ فقال : إن المؤمن إذا نام خرجت من روحه حركة ممدودة صاعدة إلى السماء ، فكلما رآه روح المؤمن في ملكوت السماء

في موضع التقدير والتدبير فهو الحق ، وكلما رآه في الأرض فهو أضغاث أحلام ، فقلت له : وتصعد روح المؤمن إلى السماء ؟ قال : نعم ، قلت : حتى لا يبقى شيء في بدنه ؟ فقال : لا لو خرجت كلها حتى لا يبقى منها شيء إذاً لمات ، قلت : فكيف تخرج ؟ فقال : أما ترى الشمس في السماء في موضعها وضوئها وشعاعها في الأرض ، فكذلك الروح أصلها في البدن وحركتها ممدودة .

وعن أبيه عن سعد عن يعقوب بن يزيد عن بعض أصحابه عن زكريا بن يحيى عن معاوية بن عمار عن أبي جعفر (ع) قال : إن العباد إذا ناموا خرجت أرواحهم إلى السماء ، فما رأت الروح في السماء فهو الحق فما رأت في الهواء فهو الأضغاث إلا وإن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فإذا كانت الروح في السماء تعارفت وتباغضت فإذا تعارفت في السماء تعارفت في الأرض ، وإذا تباغضت في السماء تباغضت في الأرض .

وفي جامع الأخبار سأل أبو بصير أبا عبد الله (ع) الرجل النائم هنا والمرأة النائمة يريان الرؤيا إنهما بمكة أو بمصر من الأمصار وأرواحهما خارج من أبدانهما قال : لا يا أبا بصير فإن الروح إذا فارقت البدن لم تعد إليه غير أنها بمنزلة عين الشمس هي مركوزة في السماء في كبدها وشعاعها في الدنيا . وعن أبي جعفر (ع) قال : إنّ العباد إذا ناموا خرجت أرواحهم إلى السماء الدنيا ، فما رأت الروح في سماء الدنيا فهو الحق ، وما رأت في الهواء فهو الأضغاث ، وروي عن أبي الحسن (ع) : أن المرء إذا خرج روحه فإن روح الحيوان باقية في البدن والذي يخرج منه روح العقل ، وكذلك هو في المنام أيضاً فقال عبد الغفار الأسلمي : يقول الله (عزّ وجلّ) : ﴿ **يتوفى الأنفس حين موتها** ﴾ ، إلى قوله : ﴿ **إلى أجل مسمى** ﴾ أفليس ترى الأرواح كلها تصير إليه عند منامها فيمسك ما يشاء ويرسل ما يشاء ؟ فقال له أبو الحسن (ع) : إنما يصير إليه أرواح العقول فأما أرواح الحيوة فإنها في البدن لا يخرج إلا بالموت ولكنه إذا قضى على نفس الموت قبض الروح الذي فيه العقل ولو كانت روح الحيوة خارجة لكان بدناً ملقى لا يتحرك ، ولقد ضرب الله لهذا مثلاً في كتابه في أصحاب

الكهف حيث قـال : ﴿ **ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال** ﴾ ، أفـلا تـرى أن أرواحهم فيهم بالحركات ، كذا في النسخ ولا تخلو من سقط أو تصحيف .

وفي كنز الفوائـد للكراجكي وروي عن رسـول الله (ص) : رؤيا المؤمن تجري مجرى كلام تكلم به الرب عبده .

وفي البحـار عن در المنثور عن عبـادة بن الصامت عنـه (ص) في قـولـه تعالى : ﴿ **لهم البشرى في الحيوة الدنيا** ﴾ ، قال : هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه أو ترى له وهو كلام يكلم به ربك عبده في المنام ، وعن سليم بن عامر أنّ عمر بن الخطاب قال : لعجب من رؤيا الرجل أنه ميت فيرى الشيء لم يخطر له على بال فيكون رؤياه كأخذ باليد ، ويرى الرجل الرؤيا فلا يكون رؤياه شيئاً ، فقال علي بن أبي طالب (ص) : أفلا أخبرك بذلك ؟ قال : بلى ، قال : يا أمير المؤمنين إن الله يقول : ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى** ﴾ فالله يتوفى الأنفس كلها ، فما رأت وهي عنده في السماء فهي الرؤيا الصادقة ، وما رأت إذا أرسلت إلى أجسادها تلقتها الشياطين في الهوى فكذبتهـا ، وأخبرتهـا بالأباطيل فكذبت فيها فعجب عمر من قوله « وفي الأمالي » عن علي بن الحكم عن أبـان بن عثمـان قـال : حـدثني محمـد بن الحسين بن أبي الخـطاب عن محسن بن أحمـد عن أبان بن عثمـان عن أبي بصير عن أبي جعفـر (ع) قال : سمعته يقول : أن لإبليس شيطاناً يقال له هزع ، يملأ المشرق والمغرب في كل ليلة ، يأتي الناس في المنام ، « وفي الكافي » عن أبي عبد الله (ع) أن لإبليس عوناً يقال له تمريج ، إذا جاء الليل ملأ ما بين الخافقين ، والظاهر وحدة المراد من الخبرين ، وتقدم في منامات الصديقة الـطاهرة (ع) أن جبـرائيل قـال : يا محمد هذا شيطان يقال له الدهار وهو الذي أرى فاطمة (ع) هذه الرؤيا ويؤذي المؤمنين في نـومهم ما يغتمـون به ، « وفي جملة من الأخبـار » أن المـراد من النجوى في قوله تعالى : ﴿ **إنمـا النجوى من الشيـطان ليحزن الـذين آمنوا** ﴾ وساوس الشيطان في المنام ، والأحلام التي يراها فيه الإنسان ، « وفي البحار » عن در المنثـور عن سعيد بن المسيب قـال : التقى سلمان وعبـد الله بن سلام

فقال أحدهما لصاحبه : إن مت قبلي فالقني فأخبرني ما صنع بك ربك ، وإن أنا متّ قبلك فأخبرتك فقال عبد الله بن سلام : كيف هذا أو يكون هذا ؟ قال : نعم إن أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض ، تذهب حيث شاءت ونفس الكافر في سجين وتقدم عن الإختصاص عن العالم (ع) إن الله خلق الإنسان بنفس وجسد وروح ، فروحه التي لا تفارقه إلا بفراق الدنيا ، ونفسه التي تريه الأحلام والمنامات ، « وفي تفسير العياشي » عن الحسن بن محبوب عن عمرو بن ثابت أبي المقدام عن أبيه عن أبي جعفر (ع) قال : ما من أحد ينام إلا عرجت نفسه إلى السماء وبقيت روحه في بدنه وصار بينهما سبب كشعاع الشمس ، فإذا أذن الله في قبض الأرواح أجابت الروح النفس وإذا أذن الله في ردّ الروح أجابت النفس الروح ، وهو قوله تعالى : ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها** ﴾ (الآية) .

اعلم : أراك الله تعالى حقيقة الأشياء ، إن معرفة أصل الرؤيا كما هي متوقفة على معرفة النفس ، وعالم المثال وما أودع فيه من العجائب والكتاب غير موضوع لذلك ، مع إني لست من أهله وفرسان ميدانه ، وإنما المناسب له شرح أمرها بما يوضح به ما ورد فيه من أهل بيت العصمة (ع) . **فنقول** : إن ما ترد على النفس وتلقى إليها وينتقش فيها إما من الخارج بتوسط الحواس الخمس الظاهرة ، أو بتوسط الملك المقيم على أذن اليمنى لها أو غيره أو الشيطان الجاثم على أذنه اليسرى أو غيره من إخوانه ، أو بمحاكاتها المسطور في الألواح الغيبية والكتب السماوية من العلوم ، وصور الموجودات بمقابلتها بها إن لم تكن متوجهة إليها ، أو بتقويتها وأعدادها إن كانت ضعيفة غير قابلة لذلك ، أو يرفع الحجاب من بينهما إذا انحصر المانع فيه ، أو مما يخلقه الله تعالى فيها من غير توسط أحد ، أو من الداخل بما جمع في خزانة الخيال وتراكم من الصور والمعاني في البال ، ولا تخلو ما كانت متيقظة شاعرة عن التلقي عن إحدى هذه الطرق كل بحسب ما فتح له منها ، واقتضت فطرته أو اكتسابه الأخذ من خصوصها ، وبعضها محسوسة وبعضها منصوصة في مطاوي الكتاب والسنة ، ومرّ ذكر جملة منها ، وحيث أن حواس اليقظان لا تزال مشغولة بالخدمة متقلبة

دائماً في جلب الصور وكسب العلوم الجزئية ، وعرضها على النفس واستغراق وقتها في تمييز حق ما يرد عليها منها من باطله ، ومحبوبه من مبغوضه ، ومطلوبه من مهروبه ، فلا تنهز فرصة للتوجه إلى غيره من الطرق إلا قليلاً من الناس الذين لا تشغلهم الحواس ، أو أعرضوا عنها بالمجاهدة أو الرياضات الحقة والباطلة ، فإنهم حينئذ يتمكنون من التلقي من سائر الأبواب المفتوحة عليهم فإن كانت حقة فمما يفيض عليه من الله تعالى وملائكته وكتبه المخزونة ، وإن كانت باطلة فمما يلقى إليه إبليس وجنوده كما قال تعالى : ﴿ **شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **هل أنبئكم على من تنزلت به الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون** ﴾ .

وفي الكافي عن الجواد (ع) أنه ليس من يوم وليلة إلا وجميع الجن والشياطين تزور أئمة الضلال ، ويزور إمام الهدي عدوّهم من الملائكة ، حتى إذا أتت ليلة القدر فهبط فيها من الملائكة إلى أولي الأمر خلق الله أو قال قبض الله (عزّ وجلّ) من الشياطين بعددهم ، ثم زادوا إلى الضلالة فأتوه بالإفك والكذب حتى لعله يصبح ، فيقول : رأيت كذا وكذا فلو سأل أولى الأمر عن ذلك لقال : رأيت شيطاناً أخبرك بكذا وكذا ، حتى يفسّر له تفسيرها ، ويعلمه الضلالة التي هو عليها وأما إذا بطلت الحواس بسبب النوم وانسدّت تلك الطريق على النفس لم يتولها عائقة تعوقها عن الأخذ عن غيرها من الطرق ، بل تتقوى في التوجه إليها والتلقي منها ، فإن كانت مطمئنة سليمة تمر به جنود الملائكة المطلعين على كثير من الأمور القادرين على إلقاء ما أذنوا في كشفها إليها بالتكلم والبيان ، أو بإرائة حقائقها الأصلية ، أو صورها الموجودة إياه ، أو برفع الحجاب بينه وبين المأذون في كشفه ، أو بتسييره إليها ، وهذا من خصائص النوم فإن له طرقاً أخرى في استكشاف العلوم تختص به عوضاً عن طرق الحواس الظاهرة المختصة باليقظان ظاهرة من الأخبار المؤيدة بالوجدان .

الأول : الإنسان قد يتحرك في النوم إلى بعض المواضع البعيدة أما ببدنه

المثالي أو بروحه ، بناءا على تجسمها على نحو تجسم الملائكة ، فيرى ويشاهد أصل الشيء الموجود في الخارج ، وانحصار ذلك في العين الباصرة توهم لا شبحه وصورته المجردة ، وقد قدم كثير من المنامات المتضمنة لبقاء أثر من النائم في الموضع الذي ذهب إليه في النوم بعد الانتباه ، ومطابقة ما فعل فيه في النوم لما يشاهد فيه في الخارج ، وهذا النوم من التصرف والاستكشاف في اليقظة مختص بالحجج الطاهرين (ع) أو من أرادوا به ذلك في بعض الأوقات ، كما أن السير بنفسه وإرادته في النوم من موضع إلى موضع مختص بهم أيضاً ، وأما غيرهم فبمقدار ما أذن له أو لمن يسيره وإن كان مؤمناً راسخاً جامعاً لشرائط صدق الرؤيا المتقدمة .

الثاني : ملاقاة أرواح الأموات في النوم والإطلاع على جملة من حالاته وما جرى عليه بسبب أعماله وصفاته ، وحالات الرائي وغيرهما وأوضاع الآخرة بسبب أخبارهم ابتداء أو بعد أخذ إصبعه المجرب المشهور ، واحتمال كون المرئي ملكاً أو شيطاناً تصوّر بصورة الميت مدفوع بصريح خبر سلمان وعبد الله بن سلام ، وما تقدم في الفصل الأول في الدعاء لرؤية ميت من أمواته بعد الثناء والقسم أن تصلي على محمد وأهل بيته وأن تريني ميتي في الحال التي هي فيها قال (ع) : فإنك تراه إنشاء الله ، وتقدم عن الخرايج وغيره أن رجلاً جاء إلى الجواد (ع) وقال : يا ابن رسول الله إن أبي قد مات وكان له مال ولست أقف على ماله ، ولي عيال كثيرون ، وأنا من مواليكم فأغنني ، فقال (ع) : إذا صليت العشاء الآخرة فصلّ على محمد وآل محمد ، فإن أباك يأتيك في النوم ويخبرك بأمر المال ، ففعل الرجل ذلك فرأى أباه في النوم ، فقال : يا بني ما لي في موضع كذا وكذا ، ومرّ له نظائر كثيرة ، وكثيراً ما اتفق أنه رأى الميت على حال ردية ثم رأى بعد ذلك وعليه نضرة النعيم ، وأخبر بسبب الحالين المطابق للواقع وحمل ذلك كله على غيره غير جايز .

نعم لا ننكر أن الملك أو الشيطان قد يتصور له بصورة أحبته وأهل بيته ، ولكن لا ينحصر في ذلك ويدل عليه أيضاً صريح ما يأتي من رؤية النبي والأئمة (صلوات الله عليهم) وهم بمكان في ذلك العالم من الرفعة والعلو ،

وعدم إمكان لقائهم كل أدنى وجاهل ، وتقدم في الأدعية أوراد كثيرة لرؤيتهم في النوم ، وبذلك ظهر اختصاص هذا الطريق بالنائم ، إذ لم يرد دعاء وعمل لرؤية أحد منهم (ع) في اليقظة ، ولم يدعها أحد ممن يصدّق قوله ولا رؤية أحد من الأموات والتكلم معهم والاستخبار عنهم ، فيها إلا في قليل من المواضع الذي اقتضت الحكمة الإلهية بروز آية وظهور خارق كتكلم سلمان مع الميت لقول رسول الله (ص) له : يا سلمان إذا أدنت وفاتك سيكلمك ميت ، وفيه أيضاً إشارة إلى ما ذكرنا ، ورؤية بعض الصحابة سام ويوشع وشمعون مع أمير المؤمنين (ع) ، ورؤيتهم الثاني والرابع معذبين ، ويشير إليه أيضاً قوله (ع) لحبة العرني[1] في وادي السلام : إن هو إلا محادثة مؤمن أو موانسته ، فقال : وإنهم لكذلك ؟ قال : نعم ولو كشف لك لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين[2] يتحادثون ، وقوله (ع) لأصبغ : يا ابن نباتة لو كشف لكم لرايتم أرواح المؤمنين في هذا الظهر حلقاً يتنزاورون ويتحدثون ، إن في هذا الظهر روح كل مؤمن .

ويظهر من كل من عقد باباً في فضائل الأئمة (ع) من أنهم يرون الأموات ويتكلمون مع أرواح المؤمنين والكفار ، إنّ ذلك من خصائصهم (ع) فلا يصغي بعد ذلك إلى خرافات الصوفية كقول ابن عربي[3] في الفتوحات أنه أكمل بيزيد وشبلي وجنيد بعد موتهم ، وقوله فيه : إنّه رأى جماعة يطوفون بالبيت ويقول أحدهم :

---

(١) هو حبة بن جوين العرني بضم العين وفتح الراء المهملة نسبة إلى عرينة كجهينة بطن من قضاعة أبو قدامة الكوفي من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام).

(٢) احتبى : جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها.

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي المكي الشامي صاحب كتاب الفتوحات المكية والفصوص من أكابر الصوفية وقال المحدث القمي (ره): الناس فيه على ثلاثة أقسام الأول: من يكفره بناءاً على كلامه المخالف للشريعة المطهرة، الثاني: من يجعله من أكابر الأولياء، والثالث: من اعتقد ولايته وحرم النظر في كتبه وذكر من القسم الأول التفتاراني ومن الثاني الفيروزآبادي صاحب القاموس ومن الثالث الجلال السيوطي، ثم نقل بعض ما ينسب إليه من الأكاذيب والأراجيف فراجع الكنى والألقاب (ج ٣، ص ١٤٣).

لقــد طفنـاكمــا طفتم بنينــا   بهــذا البيت طــراً أجـمعينـا

قال : فظننت أنهم أبداناً مثالية فنظرت إلى أحدهم (ح) فقال : أنا من أجدادك ، فقلت : وكم مضى من فوتك ؟ قال : أزيـد من أربعين ألف سنة ، فقلت متعجباً : ولم يمض من آدم أبي البشر سبعة آلاف سنة ؟ فقال : ومن أيّ آدم تقول أمن آدم كان في أول هذه السبعة آلاف سنة ؟ وقوله فيه : أنه رأى في الطواف في سنة سبع وسبعين وخمسمائـة أحمد السبتي ابن هـارون الرشيـد ، وسئل عنه أشياء منها عن القطب في زمانه ، فذكر أنّه كان القطب فيـه إلى غير ذلك مما ينبيء عن شعبة عظيمة من الجنون والسوداء وإلى الآن لم يسمع ذلك من أحـد من علمائنـا الأبرار الـذين يرجى منهم كـل خيـر يمكن في حق غيـر الحجج (ع) مع كثرة رؤيتهم وغيرهم حتى الفساق أرواح الأموات في المنام .

الثالث : الصعود إلى السماء والإطلاع على ما في ملكوتها كما هو صريح جملة من الأخبار ولا بعد فيه بعد التزام كون حركتها على نحو لا يوجب انقطاع علقتها عن البدن بالمرة وصعود من هو في عالمه من الملائكة والجن والشياطين قبل البعثة إليها ونزولهم عنها في زمان يسير ، فلا حاجة إلى صرف السماء عن ظاهرها بل صريحها في تلك الأخبار ، والقول بأن الروح تتـوجه إلى سمـوات عالمها التي هي غيب هذه السموات أو هي جهـة المبدء وأن المـراد بالحـركة الممدودة في خبر الأمالي توجـه الروح إلى الملكـوت وأن المراد بكـون أصل الروح في البدن كون أصلها في غيب البـدن لأنه لم يحصـل أسباب انقـطاعها بالكلية ، وإنما حصل المانع من تدبيره للبدن ، وإن المراد بالتحرك التوجه إلى التقلب في الملكوت ، بل الـلازم (ح) عدم اختصـاص الصعود بـالنائم فـإن استخراج المؤمن العالم المـطالب العاليـة والحكم الإلهية عن خـزائنها الغيبيـة بالتوجه إلى بارئه ، والتمسـك بخالص فطرته ، والاستضاءة بنور عقله في اليقظة أضعاف ما يستخرجه في حـال نومـه ، وليس في أخبار آل محمـد (ع) إطلاق صعود المؤمن بروحه إلى السماء فيها ، وقوله (ص) : يا علي أن أرواح شيعتك لتصعـد إلى السمـاء في رقـادهم ووفـاتهم صـريـح في الإختصـاص من جهـة ذكره (ص) ذلك من فضائل الشيعة ، وقد يوجد عند غيرهم حكم حقّـة وعلوم

ربّانية وإن كانت مختلطة بالأباطيل ، فيميّزها المؤمن ويأخذ ضالته ومن جهة عدم ذكر اليقظة ، ومن اقتران الرقود بالوفاة التي لا شبهة في كون المراد من الصعود فيها ما ذكرنا ، فهذا الاحتمال حقٌ في محلّه غير مقصود من هذه الأخبار ، ويؤكد ما ذكرنا فقرات جملة من الأدعية المتقدمة كقوله (ص) : « اللهم إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها » ، وفي أخرى : « وإن رددتها فارددها مؤمنة عارفة بحق أوليائك » .

وما مرّ عن الفقيه وغيره من أن روح المؤمن تروح إلى الله (عزّ وجلّ) فيلقاها ويبارك عليها ، فإن كان أجلها قد حضر جعلها في مكنون رحمته ، وإن لم يكن أجلها قد حضر بعث بها مع أمنائه من ملائكته فيردّها في جسده ، قال الشيخ الحسن بن سليمان الحلي في كتاب المحتضر في جملة كلام له في فضائل الأئمة : فقد روى الصدوق ونقل الخبر ثم قال : فروح المؤمن التي هي قسيم جسد النبي والإمام (صلوات الله عليهما) ، يعرج بها في الدنيا مع مجاورتها للبدن المتلوث بالذنوب والخطايا إلى المحل الأعلى فكيف ببدن النبي والإمام المعصوم من كل خطأ وزلل (الخ) .

وممن صرّح بما ذكرنا شيخنا المحدث البحراني في الدرر النجفية قال : ومما يدلّ على ذلك أي على حقيقة الرؤيا قوله تعالى : ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى** ﴾ ، وهي كما ترى صريحة في خروج النفس من البدن حال النوم كخروجها حال الموت على التفصيل الآتي بيانه .

قال أمين الإسلام الطبرسي : « والتي لم تمت في منامها » أي ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها ، والتي تتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتميز فهي التي تفارق النائم فلا يعقل ، والتي تتوفى عند الموت هي نفس الحيوة التي إذا زالت زال معها النفس النائم يتنفس ، والفرق بين قبض النوم وقبض الموت إن قبض النوم يضاد اليقظة ، وقبض الموت يضاد الحيوة ، وقبض النوم يكون الروح معه وقبض الموت يخرج الروح مع البدن ، ونقل عن

ابن عباس أن في بني آدم نفس وروح وبينهما مثل شعاع الشمس ، والنفس التي بها العقل والتميز والروح التي بها النفس والتحريك فإذا نام قبض الله نفسه ولم يقبض روحه وإذا مات قبض الله نفسه وروحه ، ثم ساق الأخبار المتقدمة وقال : هذه جملة من الأخبار كما ترى ظاهرة الدلالة متعاضدة المقالة في أن الروح حال النوم تخرج من البدن وتفارقه على الوجه المذكور فيها ، وإن الرؤيا صادقها وكاذبها عبارة عما تراه بعد خروجها من البدن ، وفيها كما ترى أوضح ردّ على أقوال المتكلمين ، ومن قدّمنا كلامه في المقام إلى أن قال بعد كلام له : ظاهر الآية وأكثر الأخبار أن جميع الأرواح وقت النوم مؤمنها وكافرها ترفع إلى السماء ويحصل لها الإطلاع على الوجه المتقدم ، إلا أن أرواح الشيعة والمؤمنين هي المخصوصة بالقرب والبشرى من رب العالمين ، كما صرّح به في حديث أبي بصير ومحمد بن مسلم عن أمير المؤمنين (ع) وحديث عمرو بن أبي المقدام المروي في الكافي وحديث الحسن بن راشد (الخ) .

الرابع : ملاقاة الملائكة أو الشياطين بين السماء والأرض والاستفاضة من الطائفة الأولى وتعلم الأباطيل من الأخرى غير من ينزل عليه أو يوسوس إليه منهما في الحالتين ثم أن ما ينكشف له قد يكون ما غبر من الحوادث ومضى من الدنيا واستقر في عالم آخر هو في صقع عالم الطيف كما عرفت أن النائم قد يجتمع مع الأموات ويتكلمون ويتحادثون ، أو من الموجودات الحاضرة الغائبة عنه مما يتعلق بهذا العالم المحسوس من النعم والنقم أو مما سيكون من الأمور بما عند الملائكة ، أو في الألواح من علمه المشترط فيه البداء فإن المنجّز منه مما استأثر الله تعالى عليه ، وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو وقد ينكشف له حالة نفسه التي هي عليها بسبب أعماله وصورة باطنية التي ألبسها بصفاتها المكتسبة المستورة عليه حسنة كانت أم قبيحة ، وقد يرى أو يسمع في مجلس واحد أموراً بعضها ماضية وأخرى مستقبلة وبعضها موجودة ، وقد يتلفق من بعضها ، كل ذلك إذا اقتضت الحكمة الإلهية وصادفت المصالح الواقعية ، ولم يمنع مانع آخر من سوء المزاج وعدم صلاحية الوقت والمكان وغيرهما حسبما شرحناه ، وإلا فيخلي بينه وبين نفسه فيشتغل بالتقلب في المعاني والصور التي

أحرزها وجمعها من طرقها ، وردّ بعضها إلى بعض والإنتقال من معنى وصورة إلى أخرى منها وقد كانت حاضرة عنده وإن لم يكن ملتفتاً إليها لاشتغالها بما يتجدد منها في كل آن ، ولا يمكن إدراك شيئين مختلفين أو متفقين في زمان واحد في غير الحجج (ع) وقد مرّ في الفصل السابق قوله (ع) في أقسام الرؤيا : والذي يحدث به الإنسان نفسه فيراه في منامه (الخبر) .

وقد ينتج من هذا الاشتغال أمور محققة ومطالب صادقة كما لو اشتغلت بالتوجه إلى المعاني الحقة والصورة الصادقة التي اكتسبها من أبوابها المندوبة إليها فينتقل منها إلى غيرها المجهول عندها ، وهذا في قليل ممن لم يتمكن ولم يعشّش في صدره الشيطان[1] ولم يلوّث علمه بالتخيلات الباطلة التي تجعل النفس حيران .

هذا كله في المؤمن السليم ، وأما إذا كان النائم ممن اتبع خطوات الشيطان وآنس به آناء الليل وأطراف النهار ، فيمر عليه إبليس وجنوده ويلقون إليه ما عندهم من الأباطيل المموهة بضغث من الحق ، والعلوم الحقة والأمور الصادقة من الماضية أو الموجودة ، فإنّ حاله مع الإنسان في النوم كحاله معه في اليقظة وقدرته عليه فيهما على حدّ سواء ، والذي يظهر من الأخبار ويؤيّدها الاعتبار أنه لا يوسوس أحداً من الأخيار والأشرار إلا بالتمويه والإلتباس ، وإلقاء جملة من الأباطيل في ضمن حق صحيح وإيحاء كثير من الأكاذيب إليه تبعاً لصدق صريح زعماً منه كون ذلك أنفذ في القبول وأسرع في الإجابة ، « وفي الصحيفة » : فلولا أن الشيطان يختدعهم عن طاعتك ما عصاك عاص ، ولولا أنه صوّر لهم الباطل في مثال الحق ما ضلّ عن طريقك ضالّ فإذا جاز أن يرى الإنسان في نومه أموراً متحققة لغايات فاسدة وأغراض باطلة ، وتتميز من غيرها بالرجوع إلى حالة النائم بعد نومه وملاحظة ما يلقى في قلبه أولاً وشوقه في الطاعة كما تقدم عنهم أنه يعرض نفسه على كتاب الله فإن لم يكن عاملاً به فما رآه من الشيطان ، وبالرجوع إلى ورعه واستعماله الآداب والسنن ، وذكر الله

(١) من عشش الطائر: اتخذ عشاً.

تعالى وأوليائه (ع) في نفسه عند نومه ، فإنّه ليس للشيطان نصيب فيه ولا سلطان عليه ، إنما سلطانه على الذين أولج في نفسهم غير ذكرهم مما يتعلق بأحوال النفس والدنيا ، وغير ذلك مما ليس لله تعالى وشاركهم الشيطان فيه ، وغاية غرضه من ذلك تحزينه كما قال تعالى : ﴿ **إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا** ﴾ ، وتحذيره بما يورثه القنوط واشتغال النفس بهمه بعد اليقظة عن تعاهد الفروض والسنن وإصلاح أمور آخرته ودنياه حسداً وعداوة ، وقد يكون النائم من الصلحاء الصاعدين إلى السماء ويمرّ بالشياطين في الهواء فيلقون إليه ما يختلط به حقه الذي أتى به من السماء ، ويشتبه عليه بباطلهم .

فتحصل أن المراد بصدق الرؤيا تحقق ما يراه في النوم وتأصله مع قطع النظر عن الرؤيا ، سواء كان من الأمور الخارجة عن نفسه مما مضى أو يأتي أو الحاضرة ومنها العلوم الحقة والمعارف اليقينية والآداب والحكم الإلهية المتنزلة من محالها الملقاة إليها بالطرق السابقة ، وسواء كان معلمه ومن يريه تلك الأوضاع صادقاً كالله تعالى وملائكته وحججه (ع) وأرواح السعداء والكتاب المسطور ، أو كاذباً كالشيطان كما تقدم وسواء كان الرائي صادقاً في نفسه مؤمناً ذاكراً لله تعالى أو كاذباً فاسقاً بل كافراً فاجراً لما أشرنا إليه من الرؤيا الصادقة المحبوبة أو المكروهة تكون نعمة وبلاء ، وعقوبة وجزاء واستدراجاً وامتحاناً كغيرها مما يرد على الإنسان في اليقظة مما يشترك في أكثرها الجميع فجاز أن يرى مع عتوة في النوم بعض الحقائق لبعض تلك الوجوه والمراد بالكاذبة عدم تحقق ما رآه في الواقع سواء كان المرئي ممّا ركبه هو في نفسه ممّا اجتمع في باله من المعاني والصور ، أو صوره له إبليس وجنوده بأنواعهم ومنهم الهزع المتقدم في الخبر ذكره ، وما يدخل في جوف الإنسان مع الأبخرة والأدخنة والعفونات المتصاعدة في الهواء الذي هو مسكنهم ، فتخالطون روحه وتصعدون إلى دماغه ويخيلون إليه الأباطيل ، وما يدخل في جوفه بتوسط ما يصعد إلى دماغه من أبخرة ما أكله في ليله ونهاره ، وما يدخل فيه بتوسط الشهوات المستولية عليه بسبب كثرة مزاولة الأمور الدنيوية المبعدة عن ربّه وأمثالهم من شياطين العادات والطبائع والشهوات والعداوات ، وسكان الهواء

والمزابل والحمامات والخربات الغير المنفكة عنهم أغلب البشر أو مما تخيله إليه طبيعته بحسب مزاجه كما يأتي .

قال العلامة المجلسي (ره) :

إن الظاهر من الأخبار المنتمية إلى الأئمة الأخيار (ع) أن الرؤيا تستند إلى أمور شتى :

فمنها : أنّ للروح في حالة النوم حركة إلى السماء إما بنفسها بناءاً على تجسمها كما هو الظاهر من الأخبار ، أو بتعلّقها بجسد مثالي إن قلنا به في حال الحيوة أيضاً بأن يكون للرّوح جسدان أصلي ومثالي يشتد تعلّقها في حال اليقظة بهذا الجسد الأصلي ، ويضعف تعلقها بالآخر وينعكس الأمر في حال النوم أو بتوجهها وإقبالها إلى عالم الأرواح بعد ضعف تعلّقها بالجسد بنفسها من غير جسد مثالي ، وعلى تقدير التجسم أيضاً يحتمل ذلك كما يؤمي إليه بعض الأخبار بأن يكون حركتها كناية عن إعراضها عن هذا الجسد وإقبالها إلى عالم آخر وتوجهها إلى نشأة أخرى أو بعد حركتها بأي معنى كانت ترى أشياء في الملكوت الأعلى وتطالع بعض الألواح التي أثبت فيها التقديرات فإن كان لها صفاء ولعينها ضياء يرى الأشياء كما أثبتت ، فلا تحتاج رؤياه إلى تعبير وإن استدلت على عين قلبه أغطية أرماد التعلقات الجسمانية والشهوات النفسانية فيرى الأشياء بصورة شبيهة لها كما أن ضعيف البصر ومؤف العين يرى الأشياء على غير ما هي عليه والعارف بعقله يعرف أن هذه الصورة المشبهة التي اشتبهت عليه صورة لأيّ شيء فهذا شأن المعبر العارف بداء كل شخص وعلته ويمكن أيضاً أن يظهر الله عليه الأشياء في تلك الحالة بصورة يناسبها لمصالح كثيرة ، كما أن الإنسان قد يرى المال في النوم بصورة حية ، وقد يرى الدرهم بصورة عذرة ، ليعرف أنهما يضرّان وهما مستقذران واقعاً فينبغي أن يتحرز عنهما ويجتنبهما ، وقد ترى في الهواء أشياءاً فهي الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها ويحتمل أن يكون المراد بما رآه في الهواء ما أنس به من الأمور المألوفة والشهوات والخيالات الباطلة ، وقد مضى ما يدلّ على هذين النوعين في رواية

محمد بن القاسم ورواية معاوية بن عمار وغيرهما .

ومنها : ما هو سبب إفاضة الله تعالى عليه في منامه ، إما بتوسط الملائكة أو بدونه كما يؤمي إليه خبر أبي بصير وسعيد بن أبي خلف .

ومنها : ما هو بسبب وسواس الشيطان واستيلائه عليه بسبب المعاصي التي عملها في اليقظة ، أو الطاعات التي تركها فيها ، أو الكثافات والنجاسات الظاهرية والباطنية التي لوّث نفسه بها ، كما مر في رواية هزع ورواية تارك الزكوة وغيرهما ، وتدل عليه آية النجوى على بعض الوجوه .

ومنها : ما هو بسبب ما بقي في ذهنه من الخيالات الواهية والأمور الباطلة ، ويؤمي إليه خبر ابن أبي خلف وغيره .

وأما ما وراء ذلك ممّا سبق ذكره وإن كان بعضها محتملاً ويمكن تطبيق الآيات والأخبار عليه ، لكن لم يدل عليه دليل ، والتجويز والإمكان لا يقومان مقام البرهان ، مع أنه ليس من الأمور التي يجب تحقيقها والإذعان بكيفيتها (انتهى) .

وأراد برواية تارك الزكوة ما مرّ في الباب الأول من أن رجلاً زعم أنه يفزع في منامه من امرأة تأتيه ، وكان يصيح حتى يسمع الجيران صياحه ، فقيل للصادق (ع) فقال : إنه لا يؤدّي الزكوة ، وأراد بما سبق ما نقله عن الحكماء والمتكلمين في حقيقة الرؤيا فلنذكر بعضه مع الإشارة إلى بعض ما يرد عليه .

قال (ره) : قال بعض المحققين من الحكماء والصوفية الجامعين بزعمهم بين الشرع والحكمة : سبب الرؤيا انخناس الروح البخاري من الظاهر إلى الباطن بأسباب شتّى مثل طلب الإستراحة عن كثرة الحركة وميل الإنتقال بتأثيره في الباطن لينفتح السد ولهذا يغلب النوم عند امتلاء المعدة ، ومثل أن يكون الروح قليلاً ناقصاً فلا يفي بالظاهر والباطن جميعاً ولزيادته ونقصانه أسباب طبية مذكورة في كتب الأطباء ، فإذا أنخنس الروح إلى الباطن وركدت الحواس بسبب من الأسباب بقيت النفس فازعة عن شغل الحواس ، لأنّها لا تزال مشغولة

بالتفكر فيما تورده الحواس عليها ، فإذا وجدت فرصة الفراغ وارتفعت عنها الموانع .

فإن كانت عالية معتادة بالصدق أو مائلة إلى العالم الروحاني العقلي متوجهة إلى الحق ، مطهرة عن النقائص ، معرضة عن الشواغل البدنية ، متصفة بالمحامد أو غير ذلك مما يوجب تنويرها وتقويتها وقدرتها على خرق العالم الحسي من الإتيان بالطاعات والعبادات واستعمال القوي والآلات بموجب الأوامر الإلهية ، وحفظ الإعتدال بين طرفي الإفراط والتفريط فيهما ، ودوام الوضوء والذكر خصوصاً من أول الليل إلى وقت النوم وصحة البدن واعتدال مزاجه الشخصي والدماغي اتصلت بالجواهر الروحانية الشريفة التي فيها نقوش جميع الموجودات كلية وجزئية المسماة بالكتاب المبين وأمّ الكتاب فانتقشت بما فيها من صور الأشياء لا سيما ما ناسب أغراضها ويكون مهمّاً لها ، فإن النفس بمنزلة مرآة ينطبع فيها كل ما قابله من مرآة أخرى عند حصول الأسباب وارتفاع الحجاب بينهما والحجاب هيهنا اشتغال النفس بما تورده الحواس فإذا ارتفع ظهر فيها من تلك المرائي ما يناسبها ويحاذيها فإن كان تلك الصور جزئية وبقيت في النفس بحفظ الحافظة إياها على وجهها ، ولم تتصرف فيها القوة المتخيّلة الحاكية للأشياء بمثلها فتصدق هذه الرؤيا ولا تحتاج إلى التعبير .

وإن كانت المتخيلة غالبة وإدراك النفس للصور ضعيفاً صارت المتخيلة بطبعها إلى تبديل ما رأته النفس بمثال ، كتبديل العلم باللبن ، وتبديل العدو بالحية وتبديل الملك بالبحر والجبل إلى غير ذلك وذلك لما دريت أن لكل معنى صورة في نشأة غير صورته في النشأة الأخرى ، وإن النشأة متطابقة .

نقل أن رجلاً جاء إلى ابن سيرين وقال : رأيت كأن في يدي خاتم أختم به أفواه الرجال وفروج النساء فقال : إنك مؤذن تؤذن في شهر رمضان قبل الفجر ؟ فقال : صدقت ، وجاء آخر فقال : كأني صببت الزيت في الزيتون ، فقال : إن كانت تحتك جارية اشتريتها ففتش عن حالحا فإنها أمك لأن الزيتون

أصل الزيت فهو ردّ إلى الأصل فنظر فإذا جارية كانت أمه وقد سبيت في صغره وقال آخر له : كإني أعلق الدر في أعناق الخنازير ، فقال : كأنك تعلم الحكمة غير أهلها وكان كما قال .

وربما تبدل المتخيلة الأشياء المرئية في النوم بما يشابهها ويناسبها مناسبة ما أو ما يضادها كما من رأى أنه ولد له ابن فتولد له بنت وبالعكس وهذه الرؤيا تحتاج إلى مزيد تصرف في تعبيره فيحلّل بالعكس أي يرجع من الصور الخيالية الجزئية إلى المعاني النفسانية الكلية وربما لم يكن انتقالات الخيالات مضبوطة بنوع مخصوص فانشعبت وجوه التعبير فصار مختلفاً بالأشخاص والأحوال والصناعات وفصول السنة وصحة النائم ومرضه وصاحب التعبير لا ينال إلا بضرب من الحدس ويغلط فيه كثيراً للإلتباس .

وإن كانت النفس سفلية متعلقة بالدنيا ، منهمكة في الشهوات ، حريصة على المخالفات مستعملة للمتخيلة في التخيلات الفاسدة وغير ذلك مما يوجب الظلمة وازدياد الحجب أو سوء مزاج الدماغ ، فلا تتصل بالجواهر الروحانية بمجرد ذلك فتفعل باختراعها بقوتها المتخيلة في مملكتها وعالمها الباطني صوراً وأشخاصاً جسمانية ، بعضها مطابقة لما يوجد في الخارج وبعضها جزافات لا أصل لها في شيء من العوالم ، بل هو من وعايات المتخيلة واضطراباتها التي لا تفتر عنها في أكثر الأحوال ، ثم انتقلت منها وحاكتها بأمور أخرى في النوم ، وبقيت مشغولة بمحاكاتها كما تبقى مشغولة بالحواس في اليقظة ، وخصوصاً إذا كانت ضعيفة منفعلة عن آثار القوى وهي الأضغاث والأحلام ، ولمحاكاتها أسباب من أحوال البدن ومزاجه ، فإن غلبت على مزاجه الصفراء حاكاها بالأشياء الصفر ، وإن كان فيه الحرارة حاكاها بالنار والحمام وإن غلبت البرودة حاكاها بالثلج والشتاء ونظائرهما ، وإن غلبت السوداء حاكاها بالأشياء السود والأمور الهائلة .

قال بعض العلماء : وإنما حصلت صورة النار مثلاً في التخيل عند غلبة الحرارة لأن الحرارة التي في موضع يتعدى إلى المجاور لها كما يتعدى نور

الشمس إلى الأجسام بمعنى سيكون سبباً لحدوثه إذ خلقت الأشياء موجودة وجوداً فائضاً بأمثاله ، والقوة المتخيلة منطبعة في الجسم الحار فيتأثر به تأثيراً يليق بطبعها ، لأن كل شيء قابل بتأثر من شيء ، فإنما يتأثر منه بشيء يناسب جوهر هذا القابل وطبعه ، فالمتخيلة ليست بجسم حتى تقبل نفس الحرارة فتقبل من الحرارة ما في طبعها القبول وهو صورة الحار ، فهذا هو السبب فيه ، ثم قال : والإتصال بالجواهر الروحانية كما يكون في المنام فكذلك قد يكون بأسباب أخر مثل صفاء النفس بسبب أصل الفطرة ، ومثل انزعاج النفس وانزجارها عن هذا العالم بسبب ما يكدرها وينغص عيشها الدنياوي من المؤلمات والمنفرات ، فيتوجه إلى عالمها هرباً من هذه الأمور الموحشة ، فيرتفع الحجاب بينها وبين عالمها ومثل الرياضات العلمية والعملية التي توجب المكاشفات الصورية والمعنوية ، أي ظهور الحوادث والحقائق ، ومثل الموت الإرادي الذي يكون للأولياء ، ومثل الموت الطبيعي الذي يوجب كشف الغطاء للجميع ، سواء كانوا سعداء أو أشقياء ، ومثل ما لو غلب على المزاج اليبوسة والحرارة وقل الروح البخاري حتى صرفت النفس لغلبة السوداء وقلة الروح عن موارد الحواس ، فيكون مع فتح العين وسائر أبواب الحواس كالمبهوت الغافل الغائب عما يرى ويسمع ، وذلك لضعف خروج الروح إلى الظاهر، فهذا أيضاً لا يستحيل أن ينكشف لنفسه من الجواهر الروحانية شيء من الغيب فيحدث به ويجري على لسانه ، فكأنه أيضاً غافل عما يحدث به ، وهذا يوجد في بعض المجانين والمصروعين وبعض الكهنة ، فيحدثون بما يكون موافقاً لما سيكون .

ثم ما تتلقاه النفس في اليقظة على وجهين : فإن كانت النفس قوية وافية بضبط الجوانب لا تشغلها المشاعر السفلية عن المدارك العالية وتكون متخيلتها قوية على استخلاص الحس المشترك عن مشاهدة الظواهر إلى مشاهدة ما يريها في الباطن فلا يبعد أن يقع لها ما يقع للنائم من غير تفاوت فمنه ما هو وحي صريح لا يفتقر إلى التأويل ، ومنه ما ليس كذلك فيفتقر إليه ، أو يكون شبيهاً بالمنامات التي هي أضغاث أحلام إن أمعنت المتخيلة في الانتقال والمحاكاة ، وإن لم يكن كذلك فلا يخلو إما أن يستعين بما يقع للحس دهشة وللخيال حيرة

أولاً ، بـل كانت لضعف طبيعي في الحـواس أو مرض طـار ، فـالأول كفعـل المستنطقين المشغلين للصبيان والنساء ذوات المدارك الضعيفة بأمور متفرقة ، أو بأشياء ملطخة سود مدهشة محيرة للحس ، مرعشـة للبصر ، بـرجرجتهـا أو شفيقها ، وكإستعانة بعض المتصوفة والكهنـة برقص وتصفيق وتـطريب ، فكل هذه موهنة للحس ، مخلّة بها ، وربما يستعينون أيضاً بالإبهام بالعزائم وبأدعية غير مفهومة الألفاظ ، يوجب الترهيب بالحس إذا استنطقوا غيرهم ، والثاني كما للمصروعين والممرورين ومن في قواه ضعف وفي دماغه رطوبة قابلة وقد يجتمع الشيئان وضعف العابق (كذا) وقوة النفس بتطريب وغيره كالكثير من المرتاضين من أولي الكدّ وهذا حسن ومـا للكهنة والممـرورين نقص أو ضلال أو تعـطيل للقوى كما خلقت لأجله ، وأما الفضلاء فرياضاتهم وعلومهم مرموزة مكتومة عن المحجوبين (انتهى) .

وذكره الكاشاني في عين اليقين ، والظاهر أنه (ره) أخذه منه وذكر قريبـاً منه الملا صدر الشيرازي في شرح الكافي ، وذكـر بعد كـلام له : أن أصـول المعجزات والكرامات ثلاثة إلى أن قال : الثانية ما بحسب القوة الخيالية ، وهو أن تقوى النفس الخيالية للإنسان قوة تتصل في اليقظة عالم الغيب الصوري ، فإن كان ذا فضيلة عليه يرى معلوماته في كثرة ألفاظ مسموعة أو مكتوبة ، ويرى مبدأها الملقي إيّاها له أعني الملك في صورة شخص إنسـاني ، فربمـا كانت الصورة المحاكية للجوهر الشريف العقلي الإلهي في غاية الحسن والبهاء على أكمل هيئة وأجملها ، فيناجيه بالغيب أو يرتسم صورة الأمر الغيبي مشاهدة ، أو يسطر على سبيل كتابة أو على طريق نداء هاتف غيبي يسمع نـدائه ولا يعـاين شخصه ، أو على سبيل غلبـة ظنّ بالأمـر الغيبي فيطلع ، فمـا بقي من الكلام محفوظاً فإن كان في النوم فهو رؤيا صادقة غير محتاج إلى التعبير وإن كـان في اليقظة فهو وحي صريح غير محتاج إلى التأويل ، وما بطل هو وبقيت محاكـاته فهـو وحي محتاج إلى تـأويل أو حلم مفتقـر إلى تعبير ، وأمـا إذا قـويت القـوة المتخيلة ولم يكن الشخص ذا فضيلة علمية أو سيرة عادلة ، فربما يرى ما يلقى الشيـطان فتنـة لـه ولغيـره في اليقـظة أو في النـوم ، وهـذا حـال أكثـر الكهنـة

والموسوسين وضرب من المتصوفة وأهل الخلوة من البطالين (انتهى) .

وأراد بالرؤية في الموضعين الرؤية العقلية بعين الحسّ المشترك لا الرؤية الحسية بعين الباصرة ، فالمرئي هو الموجود في عالم الحس المشترك وهو عالم المثال لا الموجود في الخارج في ضمن مادة طبيعية فإنه قال بعيد ذلك ولنرجع إلى المتن فقوله (ع) : النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك أراد بالرؤية الرؤية العقلية العلمية ، وبالسماع أيضاً السمع العقلي وبالمنام النشأة الباطنية . وبالصوت الكلام العقلي وذلك لأجل التفهيم والتعليم ، فإن أكثر الناس يعجزون عن إدراك الأمور العقلية إلا بصفة الأمور الحسية ، ويحتمل أن يكون مراده ما هو الظاهر من كلامه فيكون النبي يرى في منامه صورة ما ألهمه الله تعالى من العلوم والمعاني في كسوة الألفاظ والأصوات والحروف ويسمعها ، و (ح) لا يكون هذه الخاصية من الخواص الشاملة للجميع وقوله (ع) : لا يعاين الملك أي في اليقظة ، وقوله (ع) : الرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك أي في اليقظة ، وإذا عاين الملك في اليقظة فكان سماع الصوت والكلام منه أيضاً في اليقظة ، ووقوع ذلك ليس من جهة أسباب خارجية طبيعية ، بل هو بروز من مكامن الغيب إلى عالم الشهادة ، فإن الذي يري بعين الخيال إذا قوي واشتد تمثله انفعل منه الحس الظاهر ، وتعدى إلى الخارج ، من غير أن يكون في مادة طبيعية وكذا ما يسمع بسمع الباطن إذا قوي ينفعل منه الإذن ، ويتعدى صورته إلى الكلام الظاهر كما مر ، وهيهنا مرتبة أخرى وهي أن يسمع الكلام في اليقظة ولا يعاين المتكلم ، وهذه كلها منشأها قوة التخيل والحس الباطن ، وهي من خواص الرسل بشرط أن يكون من قبل الله ويكون وحياً بالعلوم الحقة ، وبما فيه مصالح العباد في المعاش والمعاد ، وإلا فالكهنة والرهبانيين وبعض كفرة الهند قد تلقي إليهم بالمغيبات ، ويسمعون الكلام يوحى إليهم الشياطين زخرف القول غروراً ، وقوله (ع) في باب الإمام : يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك أراد بسماع الصوت قبول الإلهامات والتعليمات من الله تعالى بسمع عقلي من غير رؤية شيء في المنام ، ولا معاينة ملك في اليقظة ، وليس كلام الله وحديثه بالحقيقة

إلا إعلام الحقائق وإلهام الحق والصدق ، لتنزهه عن الألفاظ المسموعة ، والأصوات المحسوسة ، وقال في موضع آخر : قد علمت أن الرسول بما هو رسول هو الذي قويت قوته النفسانية الخيالية ، فتمثل له الصور العقلية ومبدؤها المفيض عليه بصور حسية ، فيسمع كلاماً ويرى متكلماً بسمعه وبصره الحسيين الباطنيين (انتهى) .

وفي هذه الكلمات من المخالفة للكتاب والسنة والضرورة والوجدان والدعاوى الخالية عن الدليل والبرهان ما لا يخفى على كل عاقل سليم الجنان ، ولا بأس بالإشارة إلى بعضها إذ الخوض في جميعها يؤدي إلى الإطناب .

فنقول : مستمداً من آل الرسول : إن ملخص ما ذكروه في سرّ حقيقة الرؤيا الصادقة أن جميع الأمور الكائنة في هذا العالم الأسفل مما كان ومما سيكون ومما هو كائن موجود في علم الملائكة العقلية والنفوس السماوية وإن النفس الناطقة من شأنها الاتصال بها والإنتقاش فيها ما انتقشت في تلك المبادىء من الصور ، وعدم حصول هذا المعنى ليس لأجل البخل من تلك المبادىء ، ولا لعدم قابلية النفس لتلك الصور بل لأجل استغراق النفس في تدبير البدن ، فإذا حصل لها أدنى فراغ منه بأيّ تدبير وسبب ولو لمرض ودهشة ورقص وأمثالها ، اتصلت بتلك المبادىء فينطبع فيها بعض تلك الصور الحاضرة فيها ، فإن كان هذا حقاً فما وجه تقييده بزمان خاص ومكان خاص وحالة الطهارة ؟ وأي فرق بين السحر وأول الليل وقبيل الظهر وآخر النهار ؟ ولم لا يكون جميع رؤيا من اتصف بما ذكر صادقاً مع اعتدال مزاجه ؟ وما وجه التخلف بل هو أكثر في جل العلماء ، وقد مرّ هنا وجوه فيه ولم يصدق منام الفاقدين لتلك الأوصاف وهو غير عزيز فيهم ، ثم ما وجه كون ما ينتقش في النفس من الصور من اللوح المحفوظ ما يناسب أغراضها ويكون مهمّاً لها ؟ إذ غاية ما ذكروا أنّها بتعطيل الحواس بالنوم بمنزلة مرآة ارتفع الحجاب بينهما وبين مرآة أخرى يقابلها ويحاذيها فينطبع فيها كل ما قابلها من تلك المرآة الأخرى ناسب أغراضها أم لا ، لا أنها يستجلب منها ما يريده وإن أرادوا منها الأغراض

الواقعية يعني ما فيه صلاحها وتزكيتها وتهـذيبها وإن جهلت بـه بل وإن زعمت مضرته وفساده وهو مع كونه منافياً لظاهر كلماتهم دعوى يكذبه الوجدان ، إذ لا غرض أنسب للنفس من اطلاعها على ما يزكّيها من المعارف الحقّة والأخـلاق الحسنة وكيفية تحصيلها ومفاسدها وطرق دفعها والواجبات من الأحكام الشرعية والآداب والسنن والمحرمات والقبائح والمكروهات .

ولا يخفى على أرباب النهي عدم كون الرؤيا طريقاً في غير الأنبيـاء في الأحكام بأسرها ، وأمّا المعارف والأخلاق فما يتلقاه الإنسان منها في المنام ولو كان في أعلى درجة الإيمان أقلّ قليل بالنسبة إلى ما يكسبـه في اليقظة بـالفكر والإلهـام ، ولـم أجد حكيمـاً ولا فقيهاً ولا مفسِّـراً ولا من يماثلهم ادعى كشف مسألة معضلة فيه إلا نادراً .

مـع أنّ مقتضى ما ذكـروه كون اتصـال النفس في النوم بمبـادئها العـالية المرتسمة فيها جميع ذلك أشدّ منه في اليقظة لأهله لتعطيل الحـواس ، فكيف أنسدت عليه تلك الأبواب وهي أجل أغراضها ، وما وجه عـدم بقاء أكثـر تلك الصور المنتقشة فيها في كثير ممن لا يغلب عليهم النسيان فيما يـرد عليهم في اليقظة من طرق الحواس وغيرها ؟ مع أن ما يفيض عليها من تلك الطريق أسلم الطرق من غوائل الاشتباه والخطأ ، وأقرب إلى عالمها ، فيكون ضبطها له أقوى وأدوم من غيره وقل قابل لما ذكر يستحضر تمام ما يراه في نومة واحدة وهو في اليقظة أحفظ عصره وما ذكروه لاحتياج بعض المنامات إلى التعبير من تصـرف القوة المتخيلة فيما في الحافظة مما ورد على النفس من تلك المبادىء وضعف النفس عن إدراكها ففاسد من وجوه تأتي إنشاء الله تعالى في الفصل التاسع .

وقولهم أن النفس إن كانت سفلية منهمكة في الشهوات لا تتصل بالجواهر الروحانيـة ، وأن كل مـا تراه فهـو ما اختـرعته المتخيلة في مملكتهـا وعالمهـا المطابق بعضه لمـا في الخارج ، والمفقـود بعضه في جميـع العوالم منقـوض بالمنامات الصادقات التي يراها هؤلاء ، بل ما فيه معجزات غريبات وكرامـات عجيبات لنبي أو ولي جرت على أيديهم من هذا الباب ، فمن أيّ طريق أوتـوا

علم ذلك ، ومن أين ألقى إليهم ما لا يوجد إلا في تلك الخزائن الغيبية ، وإني لمتخيلة هؤلاء معرفة هذه الأمور العالية .

وما ذكروه في محاكات أصحاب الأمزجة المختلفة الغالبة على كل نوع من الأخلاط ما اخترعته المتخيلة بأمور أخرى تناسبه لا شاهد له سوى المناسبة ، فإن التخلف في كل نوع بحدّ لا يمكن الوثوق بكونه سبباً لذلك ، نعم كل مرض سبب لضعف النفس عن إدراك ما يرد عليها من أيّ طريق كان في اليقظة أو المنام ، وهمها بالبدن الذي يحملها فتبقى المتخيلة فارغة لا رادع لها عن شغلها من الانتقال من صورة ، ومعنى إلى غيرها ، وما ذكره بعضهم من اكتساب المتخيلة عند غلبة الحرارة صورة النار لأن كل شيء يتأثر من مجاوره بقدر قابليته وحيث أنها ليست بجسم تقبل الحرارة فتقبل منها صورة الحار فاسد ، لكون ما تراه المتخيلة صورة النار الخارجية لا صورة الحرارة الغريزية المنبثة في البدن والاشتراك في الحرارة لا يوجب الاتحاد في الصورة بل صورة حرارة الكواكب والنار والمزاج مختلفة كحقيقتها ، وما ذكروه من أسباب الإتصال بالجواهر الروحانية في اليقظة سوى الرياضات العلمية والعملية الشرعية منها هذيان إن أرادوا بالجواهر الكتاب المبين وأم الكتاب كما صرحوا به ، وكيف يمس الكتاب المكنون بالرقص والجنون وغلبة السوداء والحرارة وضعف الدماغ وقلة الرطوبة ، وكيف يجوّز العاقل اتحاد النبي لم ينزل عليه الروح الأمين بالوحي إلا بعد الأربعين مع المصروع والكاهن المجنون والسوداوي في أصل الكشف وطريقه .

ثم إذا أمكن فيها الإطلاع على المنقوش في هذا الكتاب الكريم بهذه الأسباب وفيه كلما غبر وآب ويحتاج إليه في إصلاح المعاش ، والمآب وهي سهلة لا غلب الناس في الحاجة إلى الحجج ، وما جهة شرافتهم على هؤلاء وما جهة عدم اطلاع أكثر الأنبياء عليه إلا في المنام ، وما جهة سدّ باب الاطلاع على العلوم الشريفة والأحكام والتكاليف على هؤلاء حتى أنّ أغلبهم غير مقيدين بأحكام الدين أصلاً ، إلا أن يقال برفع التكاليف عنهم حينئذ كما عليه جماعة الصوفية قال الملا صدرا في المشهد الثاني من المفتاح الرابع من مفاتيح الغيب

بعد كلام له في باطن النبوة وهو الولاية وظاهره وهو الشريعة ما لفظه : فالواجب على الطالب المسترشد اتباع علماء الظاهر في العبادات والطاعات والإنقياد لعلم ظاهر الشريعة فإنه صورة علم الحقيقة لا غير ومتابعة الأولياء في السير والسلوك لينفتح له أبواب الغيب والملكوت بمفاتيح إشاراتهم وهداياتهم وعند هذا الفتح يجب العمل له بمقتضى علم الظاهر والباطن مهما أمكن وإن لم يمكن الجمع بينها فما دام لم يكن مغلوباً لحكم الواردة والحال أيضاً يجب اتباع العلم الظاهر وإن كان مغلوباً لحاله بحيث يخرج عن مقام التكليف فيعمل بمقتضى حاله لكونه في حكم المجذوبين وكذلك العلماء الراسخون فإنهم في الظاهر متابعون للفقهاء المجتهدين وأما في الباطن فلا يلزم لهم الإتباع لأن الفقهاء الظاهريين يحكمون بظاهر المفهوم الأول من القرآن والحديث ، وهؤلاء يعلمون ذلك مع المفهومات الأخر والعارف لا يتبع من دونه بل الأمر بالعكس بشهوده الأمر على ما نفسه ، قال : فإذا كان إجماع علماء الظاهر في أمر مخالف مقتضى الكشف الصحيح الموافق للكشف الصريح النبوي والفتح المصطفوي لا يكون حجة عليهم ، فلو خالف في عمل نفسه من له المشاهدة والكشف إجماع من ليس له ذلك لا يكون ملوماً في المخالفة ، ولا خارجاً عن الشريعة ، لأخذه ذلك عن باطن الرسول وباطن الكتاب والسنة (انتهى) .

وفيه مواقع للنظر وليت شعري ما الذي أراد من الواردة والحال ؟ فإن أراد بها ما يفيض على القلب المهذب بالرياضات الشرعية من الحقائق والمعارف من النفوس الكلية والعقول المجردة بزعمه من غير توسط نظر وبرهان فهو ما ينوّره ويزيد في انشراحه وبصيرته وشوقه وانبعاثه إلى العمل ، فكيف يتصور الخروج به عن مقام التكليف ولا يخرج عنه إلا بانعدام العقل أو ضعفه المستلزم لجنونه ، ومعه لا شعور ولا معرفة فكيف يعمل بمقتضى الواردة ، ثم كيف يكون مقتضاها مخالفاً للشرع وحاشاه أن يخالف ظاهره باطنه أو يوجب الإطلاع على باطنه رفع اليد عن ظاهره كما زعمه الإسماعيلية فقالوا للقرآن ظاهر وباطن والمراد منه باطنه لا ظاهره المعلوم من اللغة ، والمتمسك بظاهره معذّب بالمشقة والإكتساب ، وباطنه مؤدّ إلى ترك العمل بظاهره تمسكاً بقوله تعالى :

﴿ وضرب بينهم بسور له باب باطنه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾ فالوضوء عبارة عن موالاة الإمام ، **والتيمم** هو الأخذ من المأذون في غيبة الإمام الذي هو الحجة ، **والصلوة** عبارة عن الناطق الذي هو الرسول لقوله تعالى : ﴿ **إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ ، **والاحتلام** عبارة عن إفشاء سر من أسرارهم إلى من ليس من أهله بقصد منه ، **والغسل** تجديد العهد ، **والزكوة** تزكية النفس بمعرفة ما هم عليه من الدين ، **والكعبة** النبي ، **والباب** عليّ (صلوات الله عليهما) ، **والصفا** هو النبي ، **والمروة** علي (ع) .

إلى غير ذلك من مزخرفاتهم ، من حيث اقتصارهم ما جاء به الشرع فيما ذكروه ، وإلا فلم ينكر الظاهريون بزعمه من علمائنا الأعلام ثبوت باطن للتكاليف العملية ، بل رووا متواتراً أن للقرآن ظهراً وبطناً إلى سبعة وفي بعض الأخبار إلى سبعين ، وأن أحاديث أئمتهم (ع) يجري مجراه ، واتفقوا كالأخبار أن غاية جميعها المعرفة ، وانحصار طريق تكميلها في التقوى بشطريها العمل بالطاعات والإجتناب عن المعاصي الظاهرة والباطنة بل المكروهات ، وأنه كلما زاد في المعرفة والإطلاع على أسرار الشريعة وبواطنها الخفية يزيد في العمل وميزان صدقها ومعيار حقها من باطلها كما قال أبو عبد الله الشهيد (ع) أن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه وأنه لا يرفع التكليف بالظواهر لأحد إلا بالجنون وإخواته وأنه لا قدر له فضلاً عن علو شأنه ورفعة مقامه عن ذي شعور فضلاً عن نواميس الدين لسلبه تعالى عنه أشرف نعمه وهو العقل .

والحاصل أن العلم بباطن الصلوة مثلاً وأنها فيه الولاية أو غيرها لا يوجب الخروج عن عهدة ظاهرها وهي الأركان ، بل هي طريق تحصيلها وصبغ القلب بها كما فصلناه سابقاً ، وإن أراد بالواردة ما يعرض للإنسان من ملاعبة الجن وإيذائهم فالأمر أشنع ، وما ذكره من إمكان مخالفة الكشف لإجماع العلماء وتقديمه عليه غير منطبق على مذهب الشيعة القائلين ، بكشف إجماعهم سيما فيما يرسلونه إرسال المسلمات عن الحكم الواقعي ورضاء الإمام (ع) ورأيه فيه .

والحاصل أن ما ينكشف للطوائف المذكورة ويخبرون بـه عن الغيب هو بعض الأمور الجزئية والحوادث اليومية مع التخلف في أغلب مواردها ، بل ومع انقطاع جملة منها بعد ولادة خاتم الأنبياء (ع) ، وفي الإحتجاج عن الصادق (ع) أنّ الكهانة كانت في الجاهلية في كل حين فترة من الرسل كان الكاهن بمنزلـة الحاكم يحتكمون إليه فيما يشتبه عليهم من الأمور ، فيخبـرهم بأشيـاء تحدث وذلك في وجوه شتّى من فراسة العين وذكاء القلب ووسوسة النفس وفطنة الروح مع قذف في قلبه لأنما يحـدث في الأرض من الحوادث الـظاهرة فـذلك يعلم الشيطان ويؤديه إلى الكاهن ويخبره بمـا يحدث في المنـازل والأطراف ، وأمـا أخبار السماء فإن الشياطين كـانت تقعد مقـاعد استـراق السمع إذ ذاك وهي لا تحجب ولا ترجم بالنجوم ، وإنما منعت من استراق السمع لئلا يقع في الأرض سبب يشاكل الوحي من خبر السماء . ولبس[1] على أهل الأرض ما جائهم عن الله لإثبات الحجة ونفي الشبه ، وكان الشيطان يسترق الكلمة الواحدة من خبر السماء بما يحدث من الله في خلقه فيختطفها ثم يهبطها إلى الأرض فيقذفها إلى الكاهن فإذا قد زاد كلمات من عنده فيختلط الحق بالباطل فما أصاب الكـاهن من خبر مما كان يخبر به فهو مما أدّاه إليه شيطانه مما سمعه وما أخطأ فيه ، فهو من باطل ما زاد فيه فمنذ منعت الشياطين عن استراق السمع انقطعت الكهانـة واليوم إنما تؤدي الشياطين إلى كهانها أخباراً للناس مما يتحدثون به وما يحدثونه والشياطين تؤدي إلى الشياطين ما يحدث في البعد من الحوادث من سارق سرق ومن قاتل قتل ومن غائب غاب وهم بمنزلة الناس أيضاً صدوق وكذوب .

ومن جميـع ذلك ظهـر صحة مـا قالـه الرازي من أن الـذي حمل هؤلاء الفلاسفة على ذكـر هذه العلل والأسبـاب إطباقهم على إنكـار الملائكـة وعلى إنكار الجن ، قال : وقد بيّنا في كتاب الأرواح أنه ليس لهم شبهة ولا خيال يدلّ على نفي هذه الأشياء وإذا كان أصل هذه الأقوال نفي الملائكة والجن ، وقـد عرفت أنه ليس لهم دليل وفرعه مما يوجب القول بالسفسطة كان هذه القول في

(١) في المصدر: فيلبس.

غاية الفساد والبطلان ، وأراد بالسفسطة قولهم كما صرّح به المولى المتقدم وغيره أن الصورة التي تشاهدها الأنبياء والأولياء وغيرهم ليست موجودة في الخارج ، لأنها لو كانت موجودة في الخارج لوجب أن يدركها كل من كان له سليم الحس ، إذ لو جوزنا أن لا يحصل الإدراك مع حصول هذه الشرايط لجاز أن تكون بحضرتنا جبال ورعود ، ونحن لا نراها ولا نسمعها ، وذلك يوجب السفسطة وهو مردود عليهم بأنّا لو جوزنا أن يرى الإنسان صوراً ويشاهدها ويتكلم معها ويسمع أصواتها ويرى أشكالها ، ثم أنها لا تكون موجودة البتة في الخارج جاز أيضاً في كل هذه الأشياء التي نراها ونسمعها من صور الناس والجبال والبحار وأصوات الرعود ، أن لا يكون لشيء منها وجود في الخارج ، بل يكون محض الخيالات ومحض الصور المرتسمة في الحس المشترك ، مع أنا نقطع بأن كل ما رأيناه فهو موجود حقّ ونجوّز حضور أشياء عندنا لا نراها لموانع ووجود أصوات لا نسمعها لحكم ، وقد ورد فيه من الآثار ما لا يحصى ، وقد رأى السامري وفرعون وشداد وأمثالها من الكفار مثل جبرائيل وعزرائيل ، بل ورد في آداب الدواب : اضربوها على النفار ولا تضربوها على العثار لأنها ترى ما لا ترون[1] .

وفي تفسير علي بن إبراهيم عن الصادق (ع) في حديث القبر : وإذا كان كافراً قال : ما أدري فيضرب ضربة يسمعها كل من خلق الله إلا الإنسان ، « وفيه » عن أمير المؤمنين (ع) في ذلك أيضاً فيضربانه بمرزبة ضربة ما خلق الله دابة إلا وتذعر لها ما خلا الثقلان ، « وفي الكافي » عن رسول الله (ص) : إني كنت أنظر إلى الإبل والغنم وأنا أرعى وليس من نبي إلا وقد رعى الغنم ، وكنت أنظر إليها قبل النبوة وهي متمكنة في المكنة[2] ما حولها شيء يهيجها حتى تذعر

---

(١) قال الطريحي : وفي حديث الدواب : اضربوها على العثار ولا تضربوها على النفار وروى عكسه ، ولعل الأول أصح يقال عثر الرجل في ثوبه والدابة أيضاً من باب ضرب ونصر وعلم وكرم عثراً وعثاراً بالكسر إذا كبا .

(٢) نقل الجزري عن بعض أهل اللغة أن المكنة بفتح الميم وكسر الكاف وفتح النون المشددة بمعنى المكان يقال الناس على مكناتهم وسكناتهم أي على أمكنتهم ومساكنهم .

فتطير ، فأقول : ما هذا وأعجب حتى حدثني جبرائيل أن الكافر يضرب ضربة ما خلق الله شيئاً إلا سمعها ويذعر لها إلا الثقلين ، فقلنا ذلك لضربة الكافر .

وتقدم في حديث جهنم قوله (ع) : فيضربانه ، أي المنكر والنكير الكافر في القبر ضربة ، فلا يبقى في المشرق ولا المغرب شيء إلا سمع صيحته إلا الجن والإنس ، قال : فمن شدة صيحته تلوذ الحيتان بالطين وتنفر الوحوش في الخياس[1] ولكنكم لا تعلمون ، « وفي العيون » عن رسول الله (ص) : أن لله ديكاً عرفه[2] تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرضين السابعة السفلى ، إذا كان في الثلث الأخير من الليل سبّح الله تعالى ذكره بصوت يسمعه كل شيء ما خلا الثقلين الجنّ والإنس فتصيح عند ذلك ديكة الدنيا ويأتي عن العسكري عن حضور النبي (ص) والأئمة (ع) عند المحتضر قوله : فيخاطبهم بحيث يحجب الله صوته عن آذان حاضريه ، كما يحجب رؤيتنا أهل البيت ورؤية خواصنا عن أعينهم (الخبر) . وفي قوله تعالى : ﴿ **وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً** ﴾ تصريح بذلك ، « ففي الخرايج » من معجزاته (ص) أنه (ص) كان يصلي مقابل الحجر الأسود ويستقبل الكعبة ويستقبل بيت المقدس ، فلا يرى حتى يفرغ من صلوته ، وكان (ص) يستتر بقوله تعالى : ﴿ **وإذا قرأت** ﴾ (الآية) وبقوله : ﴿ **أولئك الذين طبع الله على قلوبهم** ﴾ وبقوله : ﴿ **وجعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً** ﴾ ، وبقوله : ﴿ **أرأيت من اتّخذ آلهة هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة** ﴾ ، و « عن مناقب ابن شهرآشوب » في قوله تعالى : ﴿ **وجعلنا من بين أيديهم سدّاً** ﴾ ، أن قريشاً اجتمعت فقالت : لئن دخل محمد لنقومن إليه قيام رجل واحد ، فدخل النبي (ص) فجعل من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فلم يبصروه ، فصلى ثم أتاهم فجعل ينثر على رؤوسهم التراب وهم لا يرونه ، « وعن أعلام الورى » عن أسماء بنت أبي بكر

---

(١) الخيس: الشجر الملتف.

(٢) العرف: لحمة مستطيلة في أعلى رأس الديك.

قالت : لما نزلت : ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ ، أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وهي تقول : مذمماً أبينا * ودينه قلينا[1] وأمره عصينا * والنبي (ص) جالس في المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال : يا رسول الله أنا أخاف أن تراك ، قال رسول الله (ص) أنها لا تراني ، وقرأ : ﴿ وإذا قرأت ﴾ (الآية) فوقعت على أبي بكر ولم تر رسول الله (ص) فقالت : يا أبا بكر أخبرت أن صاحبك هجاني ؟ فقال : لا ورب البيت ما هجاك ، فولّت وهي تقول : قريش تعلم إني بنت سيدها .

وفي الخرايج عن أبي جعفر (ع) ما يقرب منه ، وقال (ع) : ضرب الله بينهما حجاباً أصفر وأمثال ذلك في أبواب المعاجز أشياء كثيرة ، ومن أجال طرفه فيما ورد في مشاهدة الأنبياء والأوصياء وغيرهم في بعض المقامات أصناف الملائكة ومكالمتهم معهم وحملهم معهم الأثقال من مكان إلى مكان وإظهارهم العجز بل الجهل في بعض الموارد وأمثال ذلك مما مرّ بعضها لا يكاد يحتاج إلى النقض والإبرام والطول في الكلام ومثل ذلك مما ورد في الجن والشياطين بحيث يكون إنكاره إنكاراً للمحسوس فضلاً عن ضرورة الدين وإطباق المسلمين بل قاطبة المليين ، فحمل رؤية الملك وسماع صوته على الرؤية والسماع بالسمع والبصر الباطنيين من غير دليل يورث الوهم فضلاً عن الظن ، والعلم باطل ، بل ومعه لا يبقى فرق بين الرؤية في النوم واليقظة مع استفاضة الأخبار بكون الرؤية أي رؤية الملك في المنام والتلقي منه الأحكام من سمات النبوة وأن رآه في اليقظة في غير وقته .

مع أن سبب الرؤية والسماع إن كان قوة التخيل والحس الباطني كانت اليقظة أولى بذلك ، ثم أن ظاهره أن ما يراه أو يسمع هو بنفسه ما تنزل من العالم الإلهي من الجوهر العقلي وألبسته المتخيلة كسوة الألفاظ المسموعة أو صورة شخص إنساني ، فما معنى سماع الصوت مع معاينة المتكلم في الخارج عنده فإنه يقتضي المغايرة ، ثم تقسيمهم الوحي إلى صريح وغير صريح يحتاج

(١) كأنه مأخوذ من القلي بمعنى البغض.

إلى التعبير لتصرف المتخيلة فيما ورد على النفس ، مع اعترافه بأنها لا تتمكن من التصرف فيما يرد على النفوس القوية التي لا تضعف عن ضبط ما يرد عليها كما هو ، وإن نفوس الأنبياء (ع) بمكان من القوة والاستعداد لا يمكن فوقه مقام في البشر شطط من الكلام وقول المولى المذكور : وليس كلام الله وحديثه بالحقيقة إلا أعلام الحقائق وإلهام الحق والصدق لتنزهه عن الألفاظ المسموعة والأصوات المحسوسة عجيب ، فإن ما ذكره وإن أطلق عليه كلام الله في مواضع نادرة بمناسبة لا يخفى ، إلا أن كلام الله الذي يذكر في باب صفات الباري تعالى واختص بسماعه الكليم موسى (ع) في الطور من بين الأنبياء سوى نبينا (ص) كما قال تعالى : ﴿ **واصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي** ﴾ ، وقال : ﴿ **تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله** ﴾ ، وقال تعالى بعد عد كثير من الأنبياء : ﴿ **ورسلاً قد قصصناهم عليك ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً** ﴾ ، مضافاً إلى أخبار كثيرة صريحة في ذلك عبارة عن إيجاد حروف وأصوات منظومة مترتبة مسموعة دالة على معان مخصوصة في جسم كالهواء وشجرة موسى وغيرها ، ولا يعرف في طائفة الإمامية مذهب غير هذا ولا يختص ما ذكره بالأنبياء كما صرّح في غير موضع من كلماته فضلاً عن واحد منهم لم يعلم أفضليته من غيره ولا يوجب من إثباته كذلك له تعالى نقص يجب تنزيهه عنه ، بل يجب تنزيهه عن عجزه عنه وفي القسم الأخير لا بد وأن يقترن بما لا يمكن صدوره إلا منه تعالى ، وقد تقتضي الحكمة سماع كلامه تعالى المختص به أصفيائه غير من خوطب به ففي الاحتياج قال الباقر (ع) : أن موسى (ع) لما قال لبنى إسرائيل : أن الله يكلمني ويناجيني لم يصدّقوه ، فقال لهم : اختاروا منكم من يجيىء معي حتى يسمع كلامه ، فاختاروا سبعين رجلاً من خيارهم وذهبوا مع موسى (ع) إلى الميقات ، فدنا موسى وناجى ربه وكلمه الله تبارك وتعالى ، فقال موسى لأصحابه : اسمعوا واشهدوا عند بني إسرائيل بذلك الخبر ، « وفيه » وفي العيون والتوحيد في خبر طويل عن الرضا (ع) في جوابه عن أسألة مأمون قال (ع) : فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى (ع) إلى الطور وسأل الله (عزّ وجلّ) : أن يكلمه

ويسمعهم كلامه فكلمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام ، لأن الله (عزّ وجلّ) أحدثه في الشجرة وجعله منبعثاً منه حتى سمعوه من جميع الوجوه (الخبر) ، « وفي بصائر الصفار » أن رسول الله (ص) قال لأهل الطائف : لأبعثنّ إليكم رجلاً كنفسي ، يفتح الله به الخيبر ، سوطه سيف فتشرف الناس لها فلما أصبح دعا عليّاً (ع) فقال : اذهب إلى الطائف ، ثم أمر الله النبي (ص) أن يدخل عليها بعد أن دخله عليّ ، فلما صار إليها كان على رأس الجبل فقال له رسول الله (ص) : أثبت فثبت ، فسمعنا مثل صرير الرحا فقيل : ما هذا يا رسول الله ؟ قال : إن الله تعالى يناجي علياً (ع) .

ثم : إن الرازي بعد ما أنكر طريقة الفلاسفة في أصل الرؤيا ومنشأها قال : والحق أن هذا الباب يحتمل وجوهاً كثيرة ، « فأحدها » : أنّا بينما أن النفوس الناطقة أنواع كثيرة ذو طوائف مختلفة ، ولكل طائفة منها روح فلكيّ كليّ هو العلة لوجودها ، وهو المتكفل بإصلاح أحوالها ، وذلك الروح الفلكي كالأصل والمعدن والينبوع بالنسبة إليها وسمّيناه بالطباع التام ، فلا يمتنع أن يكون الذي يراها في المنامات وفي اليقظة أخرى وعلى سبيل الإلهامات ثالثاً هو ذلك الطباع التام ولا يمتنع كون ذلك الطباع التام قادر على أن يتشكل بأشكال مختلفة بحسب جسم مخصوص هوائي في جميع أعماله . « وثانيها » : أن نثبت طوائف الملائكة وطوائف الجن ونحكم بكونها قادرة على أن تأتي بأعمال مخصوصة عندها يظهر للبشر ، وعلى أعمال أخرى عندها يحتجبون عن البشر (انتهى) .

والوجه الأول مع كونه مجرد إبداء احتمال لا يجدي في المقام مما تأباه طباع أهل الإسلام ، فأنا لم نر لهم دليلاً يورث ظناً ضعيفاً بوجود تلك الأفلاك ، فضلاً عن حيوتها ، فضلاً عن كون أرواحها عللاً لما تحتها والشرع الناطق بوجودها لم يشر في شيء من كلامه إلى ذلك مع تصريحه بما ينافيه مما لا يقتضي المقام ذكره .

قال السيد الأجل المرتضى في الغرر والدرر في جواب سائل سألـه : ما القول في المنامات صحيحة هي أم باطلة ومن فعل من هي وما وجه صحتها في الأكثر وما وجه الإنزال عند رؤية المباشرة في المنام وإن كان فيها صحيح وباطل فما السبيل إلى تمييز أحدهما من الآخر ؟

الجواب : اعلم أن النائم غير كامـل العقل لأن النـوم ضرب من السهـو والسهو ينفي العلوم ، ولهذا يعتقد النائم الإعتقادات الباطلة لنقصان عقله وفقد علومه وجميع المنامات إنّما هي اعتقادات يبتدي بها النائم في نفسه ، ولا يجوز أن يكون من فعل غيره فيه ، لأن من عداه من المحدثين ، سواء كانوا بشراً ، أو ملائكة أو جنّاً أجسام ، والجسم لا يقدر أن يفعل في غيره اعتقاداً ابتداءاً بل ولا شيئـاً من الأجناس على هـذا الوجـه ، وإنما يفعـل ذلك في نفسـه على سبيل الإبتداء ، وإنما قلنا أنه لا يفعـل في غيره جنس الإعتقـادات متولـداً لأن الذي يعدي الفعل من محـل القدرة إلى غيـرها من الأسبـاب إنما هـو الإعتمادات ، وليس في جنس الإعتمادات ما يولد الإعتقادات ولهذا لو اعتمد أحدنا على قلب غيره الدهر الطويل ما تولد فيـه شيء من الإعتقادات وقـد بيّن ذلك وشـرح في مواضع كثيرة ، والقديم تعالى هو القادر أن يفعل في قلوبنا ابتداءاً من غير سبب أجنـاس الإعتقادات ، ولا يجـوز أن يفعل في قلب النـائم اعتقـاداً ، لأن أكثـر اعتقاد النائم جهل ، ويناول الشيء على خلاف ما هو به ، لأنّه يعتقد أنـه يرى ويمشي وأنه راكب وعلى صفات كثيرة وكل ذلك على خلاف ما هو بـه ، وهو تعالى لا يفعل الجهل ، فلم يبق إلا أن الإعتقادات كلها من جهة النائم ، وقد ذكر في المقالات أن المعروف بصالح قبة كان يذهب إلى أن ما يراه النائم في منامه على الحقيقة ، وهذا جهل منه يضـاهي جهل السـوفسطائيـة ، لأن النائم يرى أن رأسه مقطوع وأنه قد مات وأنه قد صعد إلى السماء ونحن نعلم ضرورة خلاف ذلك كله ، وإذا جاز عند صالح هذا أن يعتقد اليقظان في السراب أنـه ماء ، وفي المردي[1] إذا كان في الماء أنه مكسور ، وهو على الحقيقة صحيح

---

(١) المردى: خشبة تدفع بها السفينة.

لضرب من الشبهة واللبس ، وإلا جاز ذلك في النائم وهو من الكمال أبعد وإلى النقص أقرب ، وينبغي أن يقسم ما يتخيل النائم أنه يراه إلى أقسام ثلاثة :

منها : ما يكون من غير سبب يقتضيه ولا داع يدعو إليه اعتقاداً مبتدءاً .

ومنها : ما يكون من وسواس الشيطان يفعل في داخل سمعه كلاماً خفياً يتضمن أشياء مخصوصة ، فيعتقد النائم إذا سمع ذلك الكلام أنه يراه ، فقد نجد كثيراً من النيام يسمعون حديث من يتحدث بالقرب منهم ، فيعتقدون أنهم يرون ذلك الحديث في منامهم .

ومنها : ما يكون سببه والداعي إليه خاطراً يفعله الله تعالى أو يأمر بعض الملائكة بفعله ، ومعنى هذا الخاطر أيضاً أن يكون كلاماً يفعل في داخل السمع فيعتقد النائم أيضاً أنه ما يتضمن ذلك الكلام والمنامات الداعية إلى الخير والصلاح في الدين يجب أن تكون إلى هذا الوحه مصروفة ، كما أنّ ما يقتضي الشر منها الأولى أن تكون إلى وسواس الشيطان مصروفة ، وقد يجوز على هذا فيما يراه النائم في منامه ثم يصح ذلك حتى يراه في يقظته على حدّ ما يراه في منامه ، وفي كل منام يصح تأويله أن يكون سبب صحته أن الله تعالى يفعل كلاماً في سمعه لضرب من المصلحة ، بأنّ شيئاً يكون أو قد كان على بعض الصفات ، فيعتقد النائم أن الذي يسمعه هو يراه فإذا صحّ تأويله على ما يراه فما ذكرناه إن لم يكن ممّا يجوز أن تتفق فيه الصحة إتفاقاً فإنّ في المنامات ما يجوز أن يصح بالإتفاق ، وما يضيق فيه مجال نسبته إلى الإتفاق ، فهذا الذى ذكرناه يمكن أن يكون وجهاً فيه .

ثم ذكر كلاماً للجبائي وأبطله ثمّ أورد على نفسه منامات الأنبياء وما ورد أنها مضاهي لما يسمعونه من الوحي ، وأجاب بعد تضعيف الأخبار أنّه يمكن أن يكون الله تعالى أعلم النبي (ص) بوحي يسمعه من الملك على الوجه الموجب للعلم : إني سأريك في منامك في وقت كذا ما يجب أن تعمل عليه فيقطع على صحته على هذا الوجه لا بمجرد رؤيته له في المنام ، وعلى هذا الوجه يحمل منام إبراهيم (ع) في ذبح ابنه ، لولا أشرنا إليه كيف كان يقطع إبراهيم بأنه متعبد

بذبح ولده (ع) ثم أورد الخبر الذي يأتي في الفصل الآتي وقال : فأما ما يهدي إلى الفلاسفة في هذا الباب فهو مما يضحك الثكلى ، لأنهم ينسبون ما صحّ من المنامات لما أعيتهم الحيل في ذكر سببه إلى أن النفس طلعت إلى عالمها فأشرفت على ما يكون ، وهذا الذي يذهبون إليه في حقيقة النفس غير مفهوم ولا مضبوط ، فكيف إذا أضيف إليه الإطلاع على عالمها ، وما هذا الإطلاع وإلى أيّ شيء يشيرون بعالم النفس ، ولم يجب أن تعرف الكائنات عند هذا الإطلاع فكل هذا زخرفة ومخرقة وتهاويل لا يتحصل منها شيء ، وقول صالح قبة مع أنه تجاهل محض أقرب إلى أن يكون مفهوماً من قول الفلاسفة لأن صالحاً ادعى أن النائم يرى على الحقيقة ما ليس يراه ولم يشر إلى أمر غير معقول ولا مفهوم بل ادعى ما ليس بصحيح وإن كان مفهوماً وهؤلاء عولوا على ما لا يفهم مع الإجتهاد ولا يعقل مع قوة التأمل والفرق بينهما واضح (انتهى) .

وفيه أولاً : أن النائم إن كان كالساهي عن جميع الأشياء غير الملتفت إلى شيء كما هو ظاهر كلامه فكيف يلتفت إلى نجوى الملائكة ويحفظ كلامها وما يخلقها الله تعالى في قلبه من الإعتقادات الصحيحة بوجود شيء يأتي أو مضى بشارة أو إنذاراً ؟ بحيث إذا تيقظ يعرف أصله ومكانه ووقته ، وهذا دليل على بقاء شعوره والتفاته ، وإن كان المراد أنه كالساهي عن بعض الأشياء لتعطيل الحواس فهو حق ، والغفلة عن المحسوسات بطرق الحواس لا تستلزم الغفلة عن الجميع لبقاء سلطانها شاعراً ملتفتاً لكنه (ره) لما بنى أن الروح عبارة عن الهواء المتردد في مخارق الحي الحال في حالتي النوم والإنتباه . وإذا لم يكن في مخارق حي فهو هواء على ما صرح به في جملة من كتبه ، منها المسألة الحادية والعشرون من المسائل النيلية لم يتوجه إليه ما ذكرنا ، ويبقى الكلام معه في أصل الدعوى والمقام لا يقتضيه ، والسؤال عن تفسير قوله تعالى : ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها** ﴾ ، فإن الهواء باق في المخارق حال النوم فما المتوفاة عنده .

وثانياً : أن قوله : ولا يجوز أن يفعل في قلب النائم اعتقاداً لا يلائم جعله

من أقسام ما يتخيله ما كان سببه والداعي إليه خاطراً يفعله الله ، إلا أن يكون مراده بالجهل هنا اعتقاد أن المسموع مرئي وإن كان أصله صحيحاً .

وثالثاً : أن النائم إن كان يسمع ما يتكلم الشيطان في داخل سمعه من الكلام الخفي وما يفعله الله به كذلك وملائكته بهذا السمع المحسوس والقوة المودعة فيه فهو خلاف الحس والوجدان ، فإنه بغلبة النوم يبطل ويتعطل عن إدراك الأصوات العالية فكيف بالنجوى والكلام الخفي وهو من جنس الأصوات المحسوسة وأحد مراتبها ، وإن كان من غير البشر كما صرّح به في غير موضع من كلامه وإن كان بسمع آخر وقوة غير قوته كما هو كذلك فإنه لا يسمع ما يتكلم عنده ويسمع في النوم أصواتاً أشدّ من صوت الرعد بمراتب شتى ، فما المانع من احتمال وجود بصر وقوة باصرة له يرى بها الأشياء فيه ، وأيّ دليل دلّ على انحصار مشاهدة جميع الأشياء في جميع العوالم بالعين الظاهرة ، واتصال شعاعها وسائر ما ذكر في شرائط الأبصار مع وجود التخلف في أكثرها مع أن الله تعالى قد أخبر في قوله : ﴿ **إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أريكهم كثيراً لفشلتم** ﴾ إنهم علموا بقتلهم من جهة الرؤية ، ولذا قال المفسرون : إذ يقللهم في عينك في منامك ، ولو كان من جهة السماع لكان التعبير عنه بالرؤية لزعمه الفاسد وهو في المقام غير معقول ، لكونه النبي (ص) مع أن التعبير بالواقع أولي مطلقاً لتبيين فساد الجاهلين وإظهار حقيقته ، ثم كيف دعاه ما ذكر في شرائط الأبصار إلى إنكار الرؤية في النوم لتخلفها ولم ينكر السماع مع تخلف شروطه أيضاً .

ورابعاً : أن كون أكثر ما يراه أو يعتقده النائم جهلاً لا يوجب الحكم كلياً والكلام في الرؤيا الصالحة الصادقة ، وإلا فكون بعض ما يراه مما هو في حديث النفس وتركب المتخيلة الصور التي في حس المشترك مما لم ينكره أحد .

وخامساً : أن ما ذكره لا يلائم جميع ما مرّ من الدعوات والأعمال لرؤية النبي (ص) والأئمة (صلوات الله عليهم) وسائر الأموات والمنامات التي يبقى

مع النائم أثر مما يراه بعد اليقظة ، وقد مر من كل ما يزيد عن التواتر .

وسادساً : إنّ ما ذكره في منامات الأنبياء (ع) غير صحيح جداً ، فإن أكثر الأنبياء لم يكن لهم طريقاً إلى معرفة الأحكام الخاصة بهم إلا النوم ، ولم يكلّمهم الملائكة في اليقظة ، مع أنّ أخبارهم بأن ما نقوله لك في نومك في الوقت المعين أو يفعله الله بك حقّ يشبه أن يكون لغواً بل تصديقهم لما رآه بعد الرؤية أولى منه قبلها .

بقي التنبيه على فوائد

الأولى : إن النفس والروح يطلق كلّ واحد منهما في الأخبار على البخار اللطيف الذي هو حامل قوة الحس والحركة والحيوة المنبعث من القلب المنتشر في جملة البدن في تجاويف العروق الضوارب ، الفائض منها نور حسّ البصر على العين ونور السمع على الاذن ، وكذلك سائر القوى والحركات والحواس ، قيل : كما يفيض من السراج نور على حيطان البيت إذا أدبر في جوانبه ، ويشترك في هذا جميع البهائم ويبطل بالموت لأنه بخار اعتدل نضجه عند اعتدال مزاج الأخلاط ، فإذا انحلّ المزاج بطل كما يبطل النور عند انطفاء السراج بانقطاع الدهن عنه ، أو بالنفخ فيه وانقطاع الغذاء يفسده ، فإنه كالدهن للسراج والقتل كالنفخ ، وعلى اللطيفة الربانية والنفس الإلهية التي يحملها المتقدم ومن عرفها عرف الربّ ، ولذا تحيّر فيها العقول ولم يتمكن أحد من معرفة حقيقتها إلا بما ظهر منها من الأثر والأفعال ، وإن ملأوا في بيان حقيقتها الطوامير ، غير أنك لا تجد فيها ما يشفي الغليل ، وبما ذكرنا يرتفع الاختلاف والتناقض عن الأخبار السابقة فإن صريح خبر المناقب أن المتوفاة حال النوم الخارجة عن البدن عنده هي الروح والباقية فيه هي النفس وصريح خبر العياشي والمروي عن ابن عباس بالعكس فسمى (ع) الخارجة نفساً والباقية روحاً ، بل في خبر جامع الأخبار المروي عن أبي الحسن (ع) إطلاق الروح على كل من الخارجة والباقية .

بقي الكلام : في الجمع بين هذه الأخبار وبين باقي الأخبار الدالة على

أنها روح واحدة ، وأصلها في البدن كرواية محمد بن القاسم النوفلي ورواية أبي بصير المروية في جامع الأخبار ، حيث دلّتا على أنّها روح واحدة أصلها في البدن كالشمس المركوزة في الفلك ، وضيائها وشعاعها في أقطار الأرض وهو ظاهر إطلاق جملة من أخبار الباب ، قال شيخنا المحدث البحراني في الدرر النجفية ولعل اعتبار الإتحاد مبني على زيادة العلاقة وشدة الإتصال ، وإن كانت الروح الباقية في البدن مركباً للخارجة وقت النوم ، وهي سلطانها المشار إليه في رواية المناقب بمعنى ما به تسلطها واقتدارها على ما تريده فهي بمنزلة أصلها الباقي في البدن وقت النوم وتلك الخارجة كالشعاع الخارجة من جرم الشمس ، أو نقول أن الروح واحدة إلا أن لها قوتين أحديهما ما به الحركة والتنفس وهذه هي الباقية في البدن حال النوم ، والثانية ما به العقل والتميز وهي الخارجة في تلك الحال .

قلت : لا شبهة في تغايرهما نصّاً ووجداناً وآثاراً والغرض من التشبيه عدم انقطاع علق النفس عن مركبها حال النوم كلياً ، بل بينهما سبب كشعاع الشمس به يبقى الإتصال بينهما وقد صرّح في خبر العلل والعيون بكيفية الإتصال ففيهما قال المجتبى (ع) : وأما ما ذكرت من أمر الإنسان إذا نام أين تذهب روحه ؟ فإن روحه متعلقة بالريح ، والريح متعلقة بالهواء إلى وقت ما يتحرك صاحبها لليقظة فإن أذن الله (عزّ وجلّ) بردّ تلك الروح على صاحبها جذبت تلك الروح الريح ، وجذب تلك الريح الهواء ، فرجعت الروح فاستكنت في بدن صاحبها ، فإن لم يأذن الله (عزّ وجلّ) برد تلك الروح على صاحبها جذب الهواء الريح ، فجذبت الريح الروح ، فلم ترد على صاحبها إلى وقت ما يبعث ، « وفي تفسير علي بن إبراهيم » قال (ع) : أما الرجل إذا نام فإن روحه يخرج مثل شعاع الشمس فيتعلق بالريح ، والريح بالهواء ، فإذا أراد الله أن يرجع جذب الهواء الريح وجذب الريح الروح ، فرجعت إلى البدن ، فإذا أراد الله أن يقبضها جذب الهواء الريح ، وجذب الريح الروح فقبضها (الخبر) وليس المراد بالتشبيه كون الروح الحيوانية بمنزلة عين الشمس ، والنفس بمنزلة شعاعها ، بل هو لمجرد عدم انقطاع العلقة مع كثرة البعد بينهما .

الثانية : إن المشاهد بالوجدان قلة تحفظ الإنسان ما يراه أو يلقي إليه في النوم وإن كان في اليقظة حفيظاً ذكوراً ، ولعل سرّه قلة أنسه بذلك العالم ، وعدم ارتباط غير قلبه في بعض الأوقات به ، بخلاف ما في هذا العالم ، فإن تمام حواسه مشغولة به مسكونة إليه ، فما يرد عليه هنا مما أنس به فيتوجه إليه بتمام مشاعره ، فيستكن في مكنون خاطره ، بخلاف ما يلقى إليه من عالم غير مأنوس لا حظّ لحواسه الظاهرة التي لم يعهد منه اكتساب علم من غير طريقها ، وإنما يتلقيها قلبه الذي كان تمام همته في تلقي ما يرد عليه من مشاعره الظاهرة فلا يمكنه حفظه كما هو إلا بعد أنس تام .

ووجه آخر هو سرعة زمان ما يرد عليه في النوم وعدم تكرّره وورده ، بل يرد ويسمع أشياء في أقل ما يتصور من الزمان يحتاج الإطلاع إليها في اليقظة إلى زمان طويل ، بخلاف ما يقف عليه في اليقظة .

ووجه آخر : هو أن يكون الحكمة الإلهية اقتضت محو ما رآه هناك خصوصاً في الرؤيا المكروهة التي هي أسرع تأثيراً وتعبيراً من غيرها ، وذلك ليتمّ به نظام عيشه ولا يتطرق الخلل في أمور معاده ، كما مرّ من أنه تعالى يبعث ملكاً ليمسح قلب أوجع أهل المصيبة لينسيه لوعة الحزن ، ولولا ذلك لم تعمل للدنيا .

ووجه آخر : يمكن استظهاره مما في توحيد المفضل حيث قال (ع) : فكريا مفضل في الأحلام كيف دبّر الأمر فيها فخرج صادقها بكاذبها ، فإنه لو كانت كلها تصدق لكان الناس كلهم أنبياء ، ولو كانت كلها تكذب لم يكن فيها منفعة ، بل كانت فضلاً لا معنى له فصارت تصدق أحياناً فينتفع بها الناس في مصلحة يهتدي إليها أو مضرة يتحذر منها ، وتكذب كثيراً لئلا يعتمد عليها كل الإعتماد ، فإن ما ذكره (ع) يأتي في إنساء بعض الصادقة أيضاً خصوصاً فيمن لم يأنس بالشيطان كثيراً .

ووجه آخر : هو أن الغرض من تمكين الإنسان على الإطلاع على الأمور الغائبة فيه إمكانه وقابليته لذلك وتحريصه عليه وإذهابه عنه إشارة إلى تشويقه إليه

بالعلم والعمل الذين بهما يكمل نفسه ويصعد إلى هذه الدرجة بأحسن وجه وأن لا يكل منهما ويعتقد الخسارة فيهما ، وقد مرّ في وجه رفع الرؤيا عمن رسخ في الإيمان ما ينبغي أن يلاحظ .

الثالثة : أعلم أحسن الله تعالى لك العواقب وأنقذك من شر عذاب وأصب أن قول النبي (ص) والذي بعثني بالحق نبياً لتموتن كما تنامون وفي قول الباقر (ع) كما في تفسير الإمام في وصف الموت هو النوم الذي يأتيكم كل ليلة إلا أنه طويل مدته لا ينتبه منه إلا يوم القيامة ، فمن رأى في نومه من أصناف الفرح ما لا يقادر قدره ومن أصناف الأهوال ما لا يقادر قدره فكيف حال فرح في النوم ووجل فيه هذا هو الموت فاستعدوا له وفي قول الصادق (ع) إشارة إلى أن حال الإنسان عند موته وفي البرزخ كحاله في نومه وما يلقاه في النوم يلقاه بعد الموت ، وحيث أن حاله في النوم تابعة لحاله في اليقظة فمن أراد أن يعرف ما يؤول إليه أمره فلينظر ما عكف عليه من فكر وذكر وأنيس وشغل وعمل يحشر معه ويشتغل به ، فإنه لا يرى في النوم إلا ما آنس به ، فإن كان مشغولاً بالله وذاكراً لحججه ومؤانساً لأوليائه ومصاحباً لكتابه ، ومشتغلاً بإصلاح معاده ومما ينفعه في الآخرة فهو يرى في النوم نفسه غالباً مترددة في تلك الأمور ، مشغولة باكتساب ما ينفعها في النشور ، فهو في البرزخ أيضاً مشعولة بحقائقها التي تصير هناك حوراً وقصوراً ، ومحشورة بأولياء الله الذين أخذهم أئمة وقادة وإخوة وسلوة وينقلب إليهم مسروراً ، وأما من أدخل نفسه في زمرة المترفين وأصبح وأمسى مع الغافلين المهجورين عن ساحة حرم رب العالمين ، ولم يشتغل إلا بأمور فانية وزخارف لاهية ، ومطاعم بهية وملابس شهية ، قد غمض في مطالبها وجمعها من مصرحاتها ومشتبهاتها ، لا يرى في نومه إلا ما هو من هذا الجنس من الغرور والأباطيل ، ولا يمرّ به فيه إلا إخوانه من الشياطين جيلاً بعد جيل ، فهو كما نام يموت غير أن ما يتراآى له هنا من الشرور والشهوات ينقلب هناك إلى العقارب والحياة ، فالمشتغل بالعلم والعبادة لا يغرّ بهما حتى يصير لهما كالعادة ، ويجتمع خياله فيهما ولا يأنس إلا بهما ، وإلا فلا يمكن لكل من أراد أن يرى في النوم أحوال أهل الخير والصلاح وأحوال الطاعات والعبادات تحققه

له ، بل مرجعه فيه إلى ما ارتكز في نفسه وجمع فيه خياله من الأهوية الباطلة ، ومحبة الدنيا الزائلة وما اغترّ به من العلم والعمل يزول عنه بأدنى اضطراب وخلل وشبهة وزلل .

وينقل عن جماعة من الناس حتى من الذين يرجى فيهم الخير أقاويل منكرة عند الموت ، فعن بقّال : أنه كان يلقن عند الموت كلمتي الشهادة ، وهو يقول خمسة ، ستة أربعة ، وكان مشغول القلب بالحساب الذي طال ألّفه له قبل الموت ، وسئل عن آخر عند غشيته قبل موته عن وصاياه فقال ما لي وصية إلا إني تركت ثوباً عند الصباغ الفلاني خذوه منه ، بل عن طالب أنه كان يقول مكرراً لا أدري الحق مع علي أو مع عمر ؟ نسأل الله تعالى حسن العافية ، وأن يلقّننا حسناتنا عند الخاتمة فالاستعداد للموت في الخبر المتقدم يحتاج إلى مجاهدة طويلة ومواظبة تامة ومراقبة دائمة عن أفعاله وأعماله وحركاته وسكناته حتى يصير قلبه سليماً لا يمرّ به غير ما يزيد في إيمانه ، ففي المجمع عن الصادق (ع) في قوله تعالى : ﴿ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ ، هو القلب الذي سلم من حبّ الدنيا ، « وفي الكافي » عنه (ع) : القلب السليم الذي يلقى ربّه وليس فيه سواه ، وكل قلب فيه شرك أو شك فهو ساقط ، وإنما أرادوا بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة .

الفصل الثامن

فيما ورد في خصوص رؤية النبي والأئمة (ع) : وإنّ من رآهم فقد رآهم ، والمراد من ذلك وما يرد عليه والجواب عنه ، روى الصدوق في العيون والأمالي عن الطالقاني عن ابن عقدة عن ابن فضال عن أبيه عن أبي الحسن الرضا (ع) قال له رجل من أهل خراسان : يا ابن رسول الله رأيت رسول الله (ص) في المنام كأنه يقول لي كيف أنتم إذا دفن في أرضكم بعضي (بضعتي خ) واستحفظتم وديعتي وغيب في ثراكم نجمي ؟ فقال له الرضا (ع) : أنا المدفون في أرضكم ، وأنا بضعة من نبيّكم ، وأنا الوديعة والنجم ، ألا فمن زارني وهو يعرف ما أوجب الله تبارك وتعالى من حقي وطاعتي

فأنا وآبائي شفعائه يوم القيامة ، ومن كنّا شفعائه يوم القيامة نجى ، ولو كان عليه مثل وزر الثقلين الحن والإنس ، ولقد حدثني أبي عن جدي عن أبيه أن رسول الله (ص) قال : من رآني في منامه فقد رآني ، لأن الشيطان لا يتمثل في صورتي ولا في صورة أحد من أوصيائي ، ولا في صورة أحد من شيعتهم ، وأن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءاً من النبوة .

وفي كتاب سليم بن قيس الهلالي عن عبد الرحمن بن غنم الأزدي في قصة وفاة معاذ بن جبل والطاغوت الأول إلى أن قال : دعا بالويل والثبور وقال : هذا محمد وعلي يبشراني بالنار بيده الصحيفة التي تعاهدنا عليها في الكعبة ، وهو يقول لقد وفيت بها فظاهرت على ولي الله وأصحابك ، فابشر بالنار في أسفل السافلين ، قال سليم : فقلت لمحمد بن أبي بكر : فمن ترى حدث أمير المؤمنين (ع) عن هؤلاء الخمسة بما قالوا ، قال رسول الله (ص) : في منامه كل ليلة ، وحديثه إياه في المنام مثل حديثه إياه في اليقظة ، فإن رسول الله (ص) قال : من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي في النوم ولا يقظة ولا بأحد من أوصيائي إلى يوم القيامة ، قال سليم : فقلت لمحمد بن أبي بكر من حدّثك بهذا ؟ قال : علي (ع) ، فقلت : سمعت أنا أيضاً كما سمعت أنت ، قلت لمحمد فلعل ملكاً من الملائكة حدثه قال أو ذاك وساق إلى أن قال سليم : فلما قتل محمد بن أبي بكر بمصر وعزينا أمير المؤمنين (ع) حديثه بما حدثني به محمد وخبرته بما خبرني به عبد الرحمن بن غنم ، قال : صدق محمداً ما أنه شهيد يرزق ، « وفيه » قال : قال أمير المؤمنين (ع) لعبد الله بن الجبت الثاني : ما قال لك أبوك حين دعانا رجلاً رجلاً ؟ فقال : أما أدنى شهادتي فإنه قال : إن بايعوا أصلع بني هاشم حملهم على المحجة البيضاء وأقامهم على كتاب ربهم وسنة نبيهم ، ثم قال : يا ابن عمر فما قلت أنت عند ذلك ؟ قال : قلت له : فما يمنعك أن تستخلفه ؟ قال : فما رد عليك ، قال : وردّ عليّ شيئاً أكتمه ، قال علي (ع) : فإن رسول الله (ص) قد أخبرني به ليلة مات أبوك في منامي ، ومن رأى رسول الله (ص) فقد رآه في اليقظة (الخبر) .

وتقـدم في الباب الأول عن مجـالس ابن الشيخ مسنـداً عن أبي بكر بن عياش في حديث طويل في رؤياه زيارة أبي عبـد الله (ع) حين وجّه مـوسى بن عيسى إلى قبره من كربه وكرب جميع أرض الحائر ، وفيه أنه قال لـه : أن أبا حصين حدثني أن رسول الله (ص) قال : من رآني في المنام فـإياي رأى فـإن الشيطان لا يتشبه بي ، وفي جامع الأخبار عن كتاب التعبير عن بعض الأئمة (ع) قـال (ع) : ولقد حـدثني أبي عن أبيه أن رسـول الله (ص) قال : من رآني في منامه فقـد رآني ، فإن الشيـطان لا يتمثل في صـورتي ولا في صورة أحـد من أوصيائي ولا في صورة أحد من شيعتهم .

« وفي مجمـع الـزوائـد » للهيتمي المصـري عن أبي قتـادة قـال : قـال رسول الله (ص) : من رآني فقد رأى الحق ، وعن ابن مالك الأشجعي عن أبيه قال : قال رسول الله (ص) : من رآني في المنام فقد رآني ، قال : ورواه أحمد والبزاز والطبراني ، وعن أبي قتادة عن رسول الله (ص) قال : الرؤيا الصـالحة من الله والحلم من الشيطان ، فمن رأى شيئاً يكرهه فلينفث عن شمـاله ثـلاث مرات ، وليتعوّذ من الشيطان ، فإنها لا تضره وإن الشيطان لا يتراآى بي ، وعن أبي سعد الخدري قال : قال رسول الله (ص) : من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي ولا بالكعبة ، وعن عبد الله بن عمر وعنه (ص) : من رآني في المنام فكأنما رآني في اليقظة إن الشيطان لا يتمثّل بي ، وزاد الطبراني بعـد اليقظة ومن رآني فقـد رأى الحق فإن (الـخ) ، وعن مالـك بن عبـد الله الخثعمي عنـــه (ص) : ومن رآني في المنـــام فسيـــراني في اليـقـــظة ، وعن عبد الله بن مسعود قال : كان النبي (ص) : لا يخيل على من رآه إلى غير ذلك ممـا رووه في هذا المعنى والمضمـون المسلم قدر المشتـرك بينه وبين العـامة والخـاصـة كمـا يـظهـر من شـدة اعتنـائهم بتفسيـره وحله ، وإن قـــال السيـد المرتضى (ره) في الغرر : أنه خبر واحد ضعيف من أضعف أخبار الآحـاد ولا معول على مثل ذلك ، فإنه كسائر مقاله في أمثال المقام مما لا ينبغي الإصغاء إليه .

واعلم : أنّ الـظاهر من تلك الأخبـار أن كـل من رأى أحـداً في المنام

وعرف فيه أنه النبي (ص) بما يخلقه الله تعالى في قلبه (ح) أو يعرفه له غيره ، أو بما يظهر له منه من الخوارق فيه فقد رآه حقيقة ، والمرئي روحه المقدسة الشريفة ، ويكون كما لو رآه في اليقظة ، فكلما يظهر منه من الحركات والأقوال والأوامر والنواهي فيه مثل ما يبرز منه فيها ، لعصمته وطهارته وتنزهه عن الجهل حيّاً وميتاً ، والإلتزام بذلك مشكل من وجوه :

الأول : أنه قد يراه جماعة كثيرة في أماكن متباعدة في ساعة بل دقيقة واحدة ، قاعداً مع بعض ومتحركاً مع آخر ونائماً عند آخرين ومتكلماً مع جماعة .

الثاني : أنه كثيراً ما يراه جماعة مختلفي العقائد متبايني المذهب بحيث يلعن بعضهم بعضاً ويكفر قوم آخرين فيأمر كل فرقة بالتمسك بمذهبه قولاً أو فعلاً ، كأن يرى العامة أصنامهم في أبهة وجلالة ، وعليهم نضرة النعيم والفرقة الناجية بعكس ذلك أو إثنان متغايري الطريقة والفتوى ، فيفعل بكل واحد ما يوجب الإلتزام بما هو عليه ، كما نقل شيخ الفقهاء الشيخ جعفر النجفي في رسالة حق المبين عن بعض العلماء أنه رأى الإمام (ع) في المنام وقد نهاه عن شرب الغليان وعن آخر أنه رآه (ع) يشربه فيه .

الثالث : أنه يراه كل أحد غالباً في صورة غير الصورة التي رآها غيره أو هو في منامه الآخر .

الرابع : أنه يلزم القول بحجية ما يأمره أو ينهى عنه ، بل تقدمه على كثير من الأدلة ، ولا أقل من وجوب العمل به في مقام لا يعارضه دليل آخر .

وقد ذكر العلماء وجوهاً في حل الخبر يخرجه عن ظاهره بعضها ولا يفي بالجواب عن تمام الإشكال بعض الآخر ولنذكرها أوّلاً ثمّ نردفها بما عندي من الإحتمال .

قال العلامة الكراجكي : في كنزه : وجدت لشيخنا المفيد (رضي الله عنه) في بعض كتبه أن الكلام في باب رؤيا المنامات عزيزة وتهاون أهل النظر به شديد ، والبلية بذلك عظيمة وصدق القول فيه أصل

جليل ، ثم ذكر بعض ما تقدم في الفصول السابقة وقال : وأما رؤية الإنسان للنبي أو لأحد الأئمة (صلوات الله عليهم) في المنام فإن ذلك عندي على ثلاثة أقسام : « قسم » أقطع على صحته ، « وقسم » أقطع على بطلانه ، « وقسم » أجوّز فيه الصحة والبطلان فلا أقطع فيه على حال ، فالذي أقطع فيه على صحته فهو كل منام رأى فيه النبي (ص) أو أحد الأئمة وهو فاعل لطاعة أو آمر بها وناه عن معصية أو مبين لقبحها وقائل لحق أو داع إليه وزاجر عن باطل ، أو ذام لما هو عليه ، وأما الذي أقطع على بطلانه فهو كل ما كان ضد ذلك لعلمنا أن النبي والإمام (ع) صاحبا حق وصاحب الحق بعيد عن الباطل ، وأما الذي أجوّز فيه الصحة والبطلان فهو المنام الذي يرى فيه النبي أو الإمام (صلوات الله عليهما) وليس هو آمراً ولا ناهياً على حال يختص بالديانات ، مثل أن يراه راكباً أو ماشياً أو جالساً أو نحو ذلك .

وأما الخبر الذي يروى عن النبي (ص) من قوله (ص) : من رآني فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي فإنه إذا كان المراد به بالمنام يحمل على التخصيص دون أن يكون في كل حال ، ويكون المراد به القسم الأول من الثلاثة الأقسام لأن الشيطان لا يتشبّه بالنبي (ص) في شيء من الحق والطاعات .

وأما ما روي عنه (ص) من قوله (ص) : من رآني نائماً فكأنما رآني يقظاناً فإنه يحتمل وجهين أحدهما أن يكون المراد به رؤية المنام ، ويكون خاصاً كالخبر الأول على القسم الذي قدمناه والثاني أن يكون المراد به رؤية اليقظة دون المنام ويكون قوله (ص) : نائماً حالاً للنبي (ص) وليست حالاً لمن رآه فكأنه قال : من رآني وأنا نائم فكأنما رآني وأنا منتبه ، والفائدة في هذا المقال أن يعلمهم بأنه يدرك في الحالتين إدراكاً واحداً فيمنعهم ذلك إذا حضروا عنده وهو نائم أن يفيضوا فيما لا يحسن أن يذكروه بحضرته وهو منتبه .

وقد روي عنه (ص) : أنه (ص) غفى ثم قام يصلّي من غير تجديد وضوء فسئل عن ذلك ؟ فقال : أنا لست كأحدكم تنام عيناي ولا ينام قلبي ، وجميع هذه الروايات أخبار آحاد فإن سلمت فعلى هذا المنهاج ، وقد كان شيخي (ره)

يقول : إذا جاز من بشر أن يدّعي في اليقظة أنه إله كفرعون ومن جرى مجراه مع قلة حيلة البشر وزوال اللبس في اليقظة ، فما المانع من أن يدّعي إبليس عند النائم بوسوسة له إنه نبي مع تمكن إبليس بما لا يتمكن منه البشر وكثرة اللبس المعترض في المنام ؟ ومما يوضح لك من أن المنامات التي يتخيل الإنسان أنه قد رأى فيها رسول الله (ص) والأئمة (ع) منها ما هو حق ومنها ما هو باطل ، إنك ترى الشيعي يقول : رأيت في المنام رسول الله (ص) ومعه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وهو يأمرني بالاقتداء به دون غيره ، ويعلمني أنه خليفته من بعده ، وأن أبا بكر وعمر وعثمان ظالموه وأعدائه وينهاني عن موالاتهم ويأمرني بالبراءة منهم ونحو ذلك مما يختص بمذهب الشيعة ، ثم يرى الناصبي يقول : رأيت رسول الله (ص) في النوم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وهو (ص) يأمرني بمحبتهم وينهاني عن بغضهم ويعلمني أنهم أصحابه في الدنيا والآخرة ، وأنهم معه في الجنة ونحو ذلك مما يختص بمذهب الناصبة ، فيعلم لا محالة أنّ أحد المنامين حقّ والآخر باطل ، فأولى الأشياء أن يكون الحق منهما ما ثبت بالدليل في اليقظة على صحة ما تضمنه ، والباطل ما أوضحت الحجة عن فساده وبطلانه ، وليس يمكن الشيعي أن يقول للناصبي : أنك كذبت في قولك أنك رأيت رسول الله (ص) لأنه لا يقدر له مثل هذا بعينه ، وقد شاهدنا ناصبياً يتشيع وأخبرنا في حال تشيعه بأنه يرى منامات بالضد مما كان يراه في حال نصبه ، فبان ذلك أن أحد المنامين باطل ، وأنه من نتيجة حديث النفس أو من وسوسة إبليس ونحو ذلك وأن المنام الصحيح هو لطف من الله بعبده على المعنى المتقدم وصفه ، وقولنا في المنام الصحيح : أن الإنسان رأى في نومه النبي (ص) إنما معناه أنه كان قد رآه وليس المراد به التحقيق في اتصال شعاع بصره بجسد النبي (ص) وأيّ بصر يدرك به في حال نومه ؟ وإنما هي معان تصورت في نفسه تخيل له فيها أنه لطف الله تعالى به قام مقام العلم وليس هذا بمناف للخبر الذي يروي من قوله (ص) : من رآني لأن معناه فكأنما رآني وليس يغلط في هذا المكان إلا من ليس له من عقله اعتبار (انتهى) .

وبما ذكره يرفع تمام الإشكال غير أن فيه « أولاً » أنه يحتاج إلى التقدير

في موضعين من الخبر ، إذ صار الحاصل من رآني وأنا مشغول بالطاعة مثلاً فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي في شيء من الحق ، « وثانياً » إذا صار معرفة كون من رآه فيه هو هو (ص) : وما يشتغل به أو يأمره من الطاعة متوقفاً على مطابقته لما ثبت في الخارج لم يبق لرؤيته في المنام ثم أصلاً[1] وصار كمن رأى غيره من الناس وظاهر تلك الأخبار وجود مزية فيها ليس في غيرها خصوصاً قوله (ص) : بعد ذلك وأن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءاً من أجزاء النبوة ، وعدم تشبه الشيطان به (ص) في شيء من الحق إن كان لعدم كونه معيناً على الطاعة والخير بوجه من الوجوه وهذا نوع إعانة وتشويق فيشاركه غيره وإن كان الدليل خاص فالظاهر فقده « وثالثاً » أنه لا يوافق خبر العيون أصلاً فإنه (ع) استدل بنفس هذا الخبر على صحة ما رآه الراوي .

ثم أن ظاهر كلام المفيد (ره) : إن من رآه في القسم الأول هو النبي (ص) حقيقة فيبقى معه إشكال الأول والثالث لكن لا من إرجاعه إلى كلام تلميذه الذي هو أعرف بمذهبه مضافاً إلى مطابقة لمذهبه في رؤية المحتضرين النبي والأئمة (ع) كما يأتي وعليه ففيه « رابعاً » : أنه إن أراد بشعاع البصر والجسد هذا المشاهد المحسوس فلا يظن بذو دربة التفوّه به ، وإن كان غيره فما المانع منه بل قد ثبت في محله وجود بدن آخر للإنسان نسبته إلى هذا البدن كنسبة الروح إليه ، وله ما لهذا من الجوارح والأعضاء ، وعلمت أنه قد مرّ في الباب الأول أخبار متواترة في منامات جماعة رأوهم (ع) ، فظهر منهم (ع) فيها معاجز غريبة كقتل إنسان وفكّ أسير وإعطاء مال وأمثال ذلك مما ظهر أثره في الخارج ، ولم يقدر عليه غيرهم (ع) خصوصاً التخيل الذي زعمه ومثل ذلك منامات الأئمة (ع) واستشهادهم بقول جدهم (ص) فيها ومنامات نرجس (رضي الله عنها) وغيرها مما لا يقبل التأويل أصلاً .

وقال السيد المرتضى (ره) في الغرر : بعد تضعيف الخبر أولاً وحمله على رؤية اليقظة ثانياً ما لفظه : ولو حملناه على النوم لكان تقدير الكلام من

---

(١) كذا في الأصل وكأنه سقط من الكلام شيء.

اعتقد أنه يراني في منامه وإن كان غير راء له على الحقيقة فهو في الحكم كأنه قد رآني وهذا عدول عن ظاهر لفظ الخبر وتبديل الصيغة وفيه ما تقدم مع أنه لم يخصص بحال الطاعة فيعود تمام الإشكال .

وقال العلامة المجلسي (ره) : والظاهر أنها ليست رؤية بالحقيقة وإنما هو بحصول الصورة في الحس المشترك أو غيره بقدرة الله تعالى ، والغرض من هذه العبارة بيان حقيقة الرؤيا ، وأنها من الله لا من الشيطان وهذا المعنى هو الشائع في مثل هذه العبارة كان يقول رجل : من أراد أن يراني فلير فلاناً ، ومن رأى فلاناً فقد رآني ، أو من وصل فلاناً فقد وصلني فإن كل هذه محمولة على التجوز والمبالغة ولم يرد بها معناها حقيقة ، قال : بقي الكلام في أنه هل يكون حجة في الأحكام الشرعية فيه إشكال فإنه قد ورد بأسانيد صحيحة عن الصادق (ع) في حديث الأذان : إن دين الله تبارك وتعالى أعزّ من أن يرى في النوم ، ويمكن أن يقال : المراد أنه لا يثبت أصل شرعية الأحكام بالنوم ، بل إنما بالوحي الجلي ، ومع ذلك ينبغي أن يخص بنوم غير الأنبياء ، والأئمة (ع) لما مرّ أن نومهم بمنزلة الوحي لكن هذه الأخبار ليست بصريحة في وجوب العمل به أو لعله مع العلم بكونه منهم لم يجب العمل به ، إذ مناط الأحكام الشرعية العلوم الظاهرة كما أن النبي والأئمة (ع) كانوا يعرفون كفر المنافقين وفسق الفاسقين ونجاسة أكثر الأشياء ، لكن الظاهر أنّهم لم يكونوا مأمورين بالعمل بهذا العلم ، بل كانوا يستندون في تلك الأحكام إلى الأمور الظاهرة من المشاهدة وسماع البينة ، مع أن الظاهر أن هذا من مسائل الأصول ولا بدّ فيه من العلم ولا يثبت بأخبار الآحاد المفيدة للظن ، وأيضاً ما يرى في المنام قد يحتاج إلى تعبير وتأويل فلعل ما رآه مما له تعبير وهو لا يعرفه وإن لم يكن من قبيل الأضغاث ، ثم نقل كلام العلامة في جواب سؤال السيد مهنا المتقدم مع ما يتعلق بهذه المسألة في الفصل الثاني ، والعجب أنه (ره) مع تصريحه في الباب المتقدم من أنّ من أسباب الرؤيا حركة الروح بنفسها بناءاً على تجسمها الذي استظهره من الأخبار في كثير من المواضع ، أو بتوسط البدن المثالي إلى السماء ورؤيتها ما في بعض الألواح من التقديرات ، كيف لم يحتمل كون المرئي هو

روحه المقدسة ؟ وكيف تلقاها الملائكة وهي أيضاً إحدى أسبابها ولا يمكن أن يلقاها أرواحهم المقدسة ، ومع الإمكان كيف يجوز صرف الظواهر عنها ؟ مع أنه أجاب عن إشكال التناقض في الأحكام وصرّح في كثير من كتبه بتعدد البدن المثالي لهم (ع) ، فلم يبق إلاّ الإشكال الثاني وهو لا يوجب النفي رأساً مع أنه لا بدّ من القول بكونهم المرئي حقيقة في مواضع ظهر منه الخوارق كما صرّح هو به في تاسع بحاره .

ويظهر من بعض المحققين عدم ورود الإشكال الثالث وأن المخالف لمذهب الحق لا يرونهم (ع) في المنام أصلاً ، فإن المؤمن المحق الذي يعتقد فيهم النبوة والإمامة ويعترف بفضائلهم ومناقبلهم ويعرفهم بما هم عليه واقعاً من الصفات الإلهية والأوصاف الربانية والكمالات النفسانية الظاهرة والباطنية إذا توجه إليهم بقلبه في اليقظة وجعلهم في باله أمام أقواله وأفعاله فقد توجه إلى النبي (ص) والإمام الصادقين الأصليين والصورة التي تقع حينئذ في مرآة حس مشتركة السالمة الصافية المستقيمة بسبب توجهه إليهم في عالم المثال من صورهم التي يلبسون أيها شاؤوا في أي وقت شاءوا ، ولا مدخل للشيطان فيها إذ ذكرهم في الخواطر ذكر الله الذي به يستنير السرائر ويحترق دون الوصول إليه كل شيطان مارد ، ويرجع خائباً عن نفوذ المكائد وهكذا في النوم بناءاً على إتحاد محل التصور في اليقظة والرؤيا في النوم ، وإن مادة المرئي هو ما توجه إليه في هذا العالم باعتقاده وصورته صورة مرآة خياله المختلفة في الكم والكيف بحسب الأشخاص والأزمان والأحوال .

وأما من لم يعتقد فيهم ذلك بل اعتقد بزعمه نبياً غير معصوم من الجهل والخطأ مرتكب القبائح ينسبها إليه إخفاء الهام من العامة العمياء فقد جعل لنفسه نبياً لم يرسله الله تعالى ، واعتقد رسولاً لم ينزل إليه وحي من السماء ، فإن الجزئي إذا غاب عن الحس يصير كالكلي في احتياج تعينه وتشخصه إلى ذكر حدود ومشخصات محتملة في كثير من أفراد نوعه ، فإن لم يطابق المذكور منها المكتنفة فيه فالمتصور في الذهن غيره ، وإن زعم مطابقته له كزعم كون زيد عمرواً فإنه لا يغيّر الأحكام المعلقة على كل واحد منهما وحيث أن من يعتقد فيه

الأباطيل غير متوجه إليه أصلاً فالمتوجه إليه حينئذ في اليقظة والمنام حقيقة شيطان تراآى له في صورة تخيلها في نفسه بهذا الإعتقاد ، فلم يرَ نبياً في المنام حتى يكون هو النبي الأصلي ، إذ رؤية النبي في المنام نفس توجه خياله إلى نبيّ أعتقده نبيّاً وانصباغه بصورة تلقى إليه من عالم المثال ، وإذا لم يكن النبي الصادق في معتقده أصلاً كان المتوجه إليه شيطاناً والصورة منه ، ولا يلزم منه تصور الشيطان بصورة النبي (ص) إذ ذاك حيث يتوجه إليه حقيقة ، فلا يجوز أن يلبس إبليس صورته ويتراآى له بها ، بل لا يتمكن من ذلك إذ صورته (ص) في هذا العالم الصافي هو ما يقتضيه من كمالاته وصفاته ومكتسباته دون العالم الجسماني المختلط نوره بظلمته المقتضي للتصور بصور سائر الناس للتكميل والدعوة ، والشيطان لا يمكن أن يراه المؤمن إلا بما فيه من القبح والخباثة والشر والبشاعة ، وإن تصوّر بصورة حسنة كما أنه في اليقظة لا يرى الكافر إلا قبيحاً منفراً وإن كان جميلاً حسن المنظر ، فإن المؤمن ينظر بنور الله ويظهر ما في البواطن من الحسن والقبح . وأما من توجه إلى غيره فهو كمعتقد النبوة في مسيلمة وسجاح في اليقظة ، وهناك ملعب الشيطان ومحل إضلاله وتصوره دائماً بصورته في باله في اليقظة ومنامه .

وأمّا ما تقدم عن المفيد (ره) أنه كما يجوز لبشر أن يدعي في اليقظة أنه إله كفرعون جاز لإبليس دعوة النبوة في المنام فإنه أولى بذلك منه فغير سديد ، لأنه عند ذلك يقول المؤمن : رأيت في المنام رجلاً يدّعي النبوة ولا يجوز أن يعتقد فيه ذلك ، لما تقدّم كما أنّه في اليقظة يقول : رأيت رجلاً يدعي الألوهية أو النبوة ولا يجوز أن يعتقد فيه ذلك وإن اشتبه الأمر في بعض المواضع ، كان الواجب في الحكمة الإلهية إبطال دعواه وإظهار مفاسده وقبائح سريرته ، والكلام في مقام يرى في المنام رجلاً يزعم أنه النبي المبعوث ويقول : رأيت البارحة رسول الله (ص) ، وهذا لو جاز فيه الخلاف لجاز أن يكون المتوجه إليه في اليقظة في الدعوات والمناجات والتضرع والإستغاثات هو الشيطان المتراآى له في خياله بالصفات التي يعتقدها فيه (ص) ، وفتح هذا الباب تخريب لأساس الدين .

وهذا البيان حسن لكن جريانه في جميع أقسام المنامات مشكل فإن منها ما يراه المخالف المعاند الذي نام على بغضه وعداوته وأراد الله تعالى هدايته ، فيرى النبي ويأمره بطاعة الأئمة وحقّيتهم ويبين لـه بطلان إمـامة أعـدائهم بنحو يذهب عنه العناد والمخالفة أو مع ظهور معجزة لا يبقى معها شك وريبـة ، أو يرى أحداً منهم (ع) فيأمره بطاعة كفكّ مؤمن وكفّ ظلم وتفريـج كرب وأمثـال ذلك مع بقائه عند الرؤية وبعدها على اعتقادها الباطل ، وقد تقدم من ذلك في الباب الأول جملة وافرة ، ولا شك كون المرئي أرواحهم المقدسـة مع تخلف الشرط ، بل قد يراهم كذلك من لم يعرفهم ولم يسمع أسـاميهم ودعوتهم من فرق الكفار البعيدين عن بلاد الإسلام ، بل الـلازم منه جـواز ذلك في اليقـظة للمؤمنين ، والتزامه في خلص المؤمنين الكاملين غير نافع بعد وجوده في النوم لجميعهم ، وورود ما مرّ من الأعمال الكثيرة لذلك في حالة النـوم وعدم ورود خبر فيه لليقظة وظهور الخوارق منهم (ع) في نوم كل صنف وعدمـه في اليقظة كذلك .

وأما العامـة ففي البحار إنهم اختلفـوا في ذلك فمنهم من قـال : المراد رؤيته بصورته الأصلية وأيّده بما رووه عن ابن سيرين أنه إذا قصّ عليه رجل أنه رأى النبي (ص) قال : صف لي الذي رأيته فإن وصف له صفة لا يعرفها قال : لم تـره ، وبعضهم قال بـالتعميم وأيده بمـا رووه عن أبي هـريـرة قـال : قـال رسول الله (ص) : من رآني في المنام فقد رآني فإني أرى في كل صورة .

وقال القرطبي اختلف في معنى الحديث فقال قوم : هو على ظاهره فمن رآه في النوم رأى حقيقة كمن رأى في اليقـظة سواء ، قـال : وهذا قـول يدرك فساده بأوائل العقول ، ويلزم عليـه أن لا يراه أحـد إلا على صورتـه التي مات عليها وأن لا يراه رائيان في آن واحد في مكانين ، وأن يجيء الآن ويخرج من قبره ويمشي في الأسواق ويخاطب الناس ويخاطبونه ، ويلزم من ذلك أن يخلو قبره من جسده فلا يبقى فيه منه شيء ويزار مجرد القبر ويسلم على غائب ، لأنه جائز أن يرى في الليل والنهار مع اتصال الأوقات على حقيقتـه في غير قبـره ، وهذه جهالات لا يلتزمها من له أدنى مسكة من العقل .

وقالت طائفة : معناه أنه من رآه على صورته التي كان عليها ، ويلزم منه أنّ من رآه على غير صفته أن يكون رؤياه من الأضغاث ، ومن المعلوم أن يرى في النوم على حالة تخالف حاله في الدنيا من الأحوال اللائقة ، وتقع تلك الرؤيا حقاً كما لو رأى امتلاء دار بجسمه مثلاً ، فإنه يدل على امتلاء تلك الدار بالخير ، ولو تمكن الشيطان من التمثل بشيء مما كان عليه أو ينسب إليه لعارض عموم قوله فإنّ الشيطان لا يتمثل بي ، فالأولى تنزّه رؤياه وكذا رؤيا شيء منه أو مما ينسب إليه عن ذلك فهو أبلغ في الحرمة وأليق بالعصمة كما عصم من الشيطان في يقظته ، قال : والصحيح في تأويل هذا الحديث أن رؤيته في كل حالة ليست باطلة ولا أضغاث أحلام بل هي حق في نفسها ولو رأى على غير صورته ، فتصور تلك الصورة ليس من الشيطان بل هو من قبل الله ، قال : وهذا قول قاضي أبي بكر وغيره ، ويؤيده قوله : فقد رأى الحق أي رأى الحق الذي قصد أعلام الرائي فيه فإن كانت على ظاهرها وإلا سعى في تأويلها ولا يهمل في أمرها لأنها إما بشرى بخير أو إنذار من شرّ وإما تنبيه على حكم ينفع له في دينه أو دنياه .

وقال الغزالي : لا يريد أنّه رأى بل رأى مثالاً صار آلة ينادي بما معنى في نفسي إليه ، وصار واسطة بيني وبينه في تعريف الحق إياه ، بل البدن في اليقظة أيضاً ليس إلا آلة النفس ، والحق إن ما يراه حقيقة روحه المقدس ، ويعلم الرائي كونه النبي (ص) بخلق علم لا غير .

وقال الكرماني في شرح البخاري : فقد رآني أي رؤيته ليست أضغاث أحلام ولا تخييلات الشيطان كما روى فقد رأى الحق ، ثم الرؤية بخلق الله لا يشترط فيها مواجهة ولا مقابلة « فإن قيل » كثيراً ما يرى على خلاف صفته ويراه شخصان في حالة في مكانين ، « قلت » ذلك ظنّ الرائي أنّه كذلك وقد يظن الظانّ بعض الخيالات مرئياً لكونه مرتبطاً بما يراه عادة ، فذاته الشريفة هي مرئية قطعاً لا خيال فيه ولا ظن ، « فإن قلت » : الجزاء هو الشرط ، « قلت » : أراد لازمه أي فليستبشر فإنه رآني .

وقال الطيبي : إتحاد الشرط والجزاء يدل على المبالغة أي رأى حقيقة على كمالها ، قال : وقال القاضي : لعله مقيد بما رآه على صفته فإن خالف كان رؤيا تأويل لا رؤيا حقيقة ، انتهى كلماتهم الواهية .

أقول : الكلام تارة في صدر الخبر وهو قوله (ص) : من رآني (الخ) وتارة في ذيله وهو قوله (ص) : فإن الشيطان لا يتمثّل بي .

أما الأول : فظاهره ما ذكرناه أولاً من أن كل من رآه في النوم وعرف فيه أنه هو (ص) فقد رأى شخصه الشريف وروحه المقدسة ليس المرئي من الخيالات النفسانية ، ولا من الصور الشيطانية ، بل ولا الأرواح الطاهرة من المؤمنين ولا الملائكة المقربين ولا تمنع الإشكالات المتقدمة عن الخروج عن ظاهر هذا الخبر المتواتر ، لإمكان الجواب عن جميعها أما عما ذكره القرطبي فبان الملحود والمستور في القبر الجسد العنصري ، والذي يأتي في المنام هو روحه المقدسة أو مع بدنه المثالي ، مع أن جسده المطهر أيضاً لا يبقى في القبر عندنا أكثر من ثلاثة أيام بل هو ألطف من قلوب المؤمنين الذين خلقوا من فاضل طينة الأنبياء المخلوقين من فاضل طينته (ص) ، وبالجملة ففساد ما ذكره أجلى من البيان وأما عن الإشكال الأول فبأن له نظائر كثيرة ، وقد صرح المحققون في الجميع بإمكانه وعموم القدرة فلنذكر موضعاً منها صرح بعض المحققين باتحاده مع المقام ليكون أصلاً لغيره ، فنقول من عقائد الإمامية رؤية المحتضر رسول الله وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهما) وقد ثبت ذلك عندهم بالنقل المتواتر وإجماع الأكابر .

قال المفيد (ره) في المقالات : « القول في رؤية المتحضرين رسول الله وأمير المؤمنين (صلى الله عليهما وآلهما) عند الوفاة » هذا باب قد استقرّ وأجمع عليه أهل الإمامة وتواتر الخبر عن الصادقين من الأئمة (ع) وقد جاء عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال للحارث الهمداني (ره) في :

شعر

يـا حـار همـدان من يمت يـرني ... مـن مـؤمـن أو مـنـافـق قـبـلا
يـعـرفـني طـرفـه وأعـرفـه ... بـعـيـنـه واسـمـه ومـا فـعـلا

في أبيات مشهورة ، وفيه يقول اسماعيل بن محمد السيد (رحمة الله عليه) .

شعر

ويـراه المحضـور حين تكـون ... الروح بين اللهات والحلقوم[1]
ومتى مـا يشاء أخـرج للنـاس ... فتـدمى وجـوههم بـالكلوم[2]

ثم ذكر له تأويلاً يأتي ذكره .

وأما الأخبار فهي كثير نتبرك بذكر عشرين منها :

الأول : العسكري (ع) في تفسيره : أن المؤمن الموالي لمحمد وآله الطيبين (ع) المتخذ لعلي بعد محمد إمامه الذي يحتذي مثاله وسيده الذي يصدق أقواله ويصوب أفعاله ، ويطيعه بطاعة من ندبه من أطائب ذريته لأمور الدين وسياسته ، إذا حضره من أمر الله تعالى ما لا يردّ ونزل به من قضائه ما لا يصدّ ، وحضره ملك الموت وأعوانه ، وجد عند رأسه محمد رسول الله (ص) ، ومن جانب آخر علياً سيد الوصيين ، وعند رجليه من جانب الحسن (ع) سبط سيد النبيين ، ومن جانب الآخر الحسين سيد الشهداء أجمعين (ع) ، وحواليه بعدهم خيار خواصهم ومحبيهم الذين هم سادة هذه الأمة بعد ساداتهم من آل محمد (ع) ينظر العليل المؤمن إليهم فيخاطبهم بحيث يحجب الله صوته عن آذان حاضريه ، كما يحجب رؤيتنا أهل البيت ورؤيا خواصنا عن أعينهم ، ليكون إيمانهم بذلك أعظم ثواباً لشدة المحنة عليهم ، فيقول المؤمن : بأبي أنت وأمي يا رسول ربّ العزة ، بأبي أنت وأمي يا وصي

(١) اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم .
(٢) الكلوم جمع الكلم بفتح الكاف وإسكان اللام : الجرح .

رسول رب الرحمة ، بأبي أنتما وأمي يا شبليّ محمد وضرغاميه يا ولديه وسبطيه يا سيدي شباب أهل الجنة المقربين ، من الرحمة والرضوان ، مرحباً بكم معاشر خيار أصحاب محمد وعلي وولديه (ع) ، ما كان أعظم شوقي إليكم ، وما أشدّ سروري الآن بلقائكم ، يا رسول الله هذا ملك الموت قد حضرني ولا أشكّ في جلالتي في صدره لمكانك ومكان أخيك ، فيقول رسول الله (ص) كذلك هو ثم يقبل رسول الله (ص) على ملك الموت فيقول : يا ملك الموت استوصي بوصية الله في الإحسان إلى مولانا وخادمنا ومحبنا ومؤثرنا فيقول له ملك الموت : يا رسول الله مره أن ينظر إلى ما أعد الله له في الجنان فيقول له رسول الله (ص) : أنظر إلى العلو فينظر إلى ما لا يحيط به الألباب ولا يأتي عليه العدد والحساب ، فيقول ملك الموت : كيف لا أرفق بمن ذلك ثوابه وهذا محمد واعزته زواره ؟ يا رسول الله لولا أن الله جعل الموت عقبة لا يصل إلى تلك الجنان إلا من قطعهما لما تناولت روحه ، ولكن لخادمك ومحبك هذا إسوة بك وبسائر أنبياء الله ورسله وأوليائه الذين أذيقوا الموت بحكم الله تعالى ، ثم يقول محمد (ص) يا ملك الموت هاك أخانا قد سلمناه إليك فاستوصى به خيراً ، ثم يرتفع هو ومن معه إلى روض الجنان وقد كشف من الغطاء والحجاب عين ذلك المؤمن العليل فيراهم المؤمن هناك بعد ما كانوا حول فراشه (الخبر) .

الثاني : العياشي في تفسيره عن أبي حمزة الثمالي قال : قلت لأبي جعفر (ع) : ما يصنع بأحدنا عند الموت ؟ قال : أما والله يا أبا حمزة ما بين أحدكم وبين أن يرى مكانه من الله ومكانه منّا إلا أن يبلغ نفسه هيهنا ، ثم هو أهوى بيده إلى نحره ، ألا أبشرك يا أبا حمزة ؟ فقلت : بلى جعلت فداك ، فقال : إذا كان ذاك أتاه رسول الله (ص) وعلي (ع) معه يقعد عند رأسه فقال له : إذا كان ذلك رسول الله (ص) : أما تعرفني أنا رسول الله هلم إلينا فما أمامك خير لك مما خلفت ، أما ما كنت تخاف فقد أمنته ، وأمّا ما كنت ترجو فقد هجمت عليه ، أيتها الروح أخرجي إلى روح الله ورضوانه ، ويقول له على مثل قول رسول الله (صلوات الله عليهما) ، ثم قال : يا أبا حمزة ألا أخبرك

بذلك من كتاب الله قول الله : ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ الآية .

الثالث : علي بن إبراهيم في تفسيره عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن سنان عن أبي عبد الله (ع) قال : ما يموت موالي لنا ومبغض لأعدائنا إلا ويحضره رسول الله وأمير المؤمنين والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) ، فيروهم ويبشرونه وإن كان غير موالي يراهم بحيث يسوئه والدليل على ذلك قول أمير المؤمنين (ع) :

يا حار همدان من يمت يرني   من مؤمن أو منافق قبلاً

الرابع : في العلل عن أبيه ، عن سعد بن عبد الله عن إبراهيم بن مهزيار عن أخيه عن فضالة عن معاوية بن وهب عن يحيى بن سابور قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول في الميت تدمع عينه عند الموت ، فقال : ذلك عند معاينة رسول الله (ص) يرى ما يسرّه قال : ثم قال ، أما ترى الرجل إذا يرى ما يسرّه فتدمع عينه ويضحك ؟ ورواه في الكافي عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن معاوية ، وفي معاني الأخبار عن ابن الوليد عن الصفار عن ابن معروف عن علي .

الخامس : الصدوق في الخصال في حديث الأربعمائة قال أمير المؤمنين (ع) : تمسكوا بما أمركم الله به ، فما بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى ما يحب إلاّ أن يحضره رسول الله (ص) وما عند الله خير وأبقى ، وتأتيه البشارة من الله (عزّ وجلّ) فتقرّ عينه ويحب لقاء الله .

السادس : البرقي في المحاسن عن ابن فضال عن ابن أبي يعفور قال : قال لي أبو عبد الله (ع) : قد استحييت مما أردد هذا الكلام عليكم ما بين أحدكم وبين أن يغتبط ، إلا أن تبلغ نفسه هذه وأهوى بيده إلى حنجرته ، يأتيه رسول الله وعلي (صلوات الله عليهما) يقولان له : أما ما كنت تخاف فقد أمنك الله منه وما كنت ترجو فأمامك .

السابع : وفيه عن ابن فضال عن علي بن عقبة عن أبيه قال : دخلنا على

أبي عبد الله (ع) أنا والمعلى بن خنيس ، فقال : يا عقبة لا يقبل الله من العباد يوم القيامة إلا هذا الذي أنتم عليه ، وما بين أحدكم وبين أن يرى ما تقرّ به عينه إلا أن تبلغ نفسه هذه وأومأ بيده إلى الوريد ، قال : ثم اتكأ وغمز إلى المعلى أن سله ، فقلت : يا ابن رسول الله إذا بلغت نفسه هذه ، فأيّ شيء يرى ؟ فردّد عليه بضعة عشر مرة أيّ شيء يرى ؟ فقال : في كلها يرى لا يزيد عليها ، ثم جلس في آخرها ثم قال : يا عقبة ! قلت : لبيك وسعديك ، فقال : أبيت إلا أن تعلم ، فقلت : نعم يا ابن رسول الله إنما ديني مع دمي فإذا ذهب دمي كان ذلك وكيف بك يا ابن رسول الله كل ساعة وبكيت ، فرقّ لي فقال : يراهما والله ، قلت : بأبي أنت وأمي من هما ؟ فقال : ذاك رسول الله وعلي (صلوات الله عليهما) ، يا عقبة لن تموت نفس مؤمنة أبداً حتى تراهما ، قلت : فإذا نظر إليهما المؤمن أيرجع إلى الدنيا ؟ قال : لا بل يمضي أمامه ، فقلت له : يقولان شيئاً جعلت فداك ؟ فقال : نعم يدخلان جميعاً على المؤمن فيجلس رسول الله (ص) عند رأسه وعلي (ع) عند رجليه ، فيكبّ عليه رسول الله (ص) فيقول : يا ولي الله أبشر أنا رسول الله إني خير لك مما تترك من الدنيا ، ثم ينهض رسول الله (ص) فيقوم علي (ع) حتى يكبّ عليه فيقول : يا ولي الله ابشر أنا علي بن أبي طالب الذي كنت تحبني أما لأنفعنك ، ثم قال أبو عبد الله (ع) : أما أن هذا في كتاب الله (عزّ وجلّ) ؟ قلت : أين هذا جعلت فداك ؟ قال : في سورة يونس قول الله تبارك وتعالى هيهنا : ﴿ **الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ ورواه العياشي عن عقبة مثله[1] .

الثامن : العياشي في تفسيره عن جابر عن أبي جعفر (ع) في قوله : ﴿ **وإن من أهل الكتاب ألا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً** ﴾ قال : ليس من أحد من جميع الأديان يموت إلا رأى رسول الله وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهما) حقاً من الأولين والآخرين .

(١) ورواه الكليني أيضاً في الكافي في باب ما يعاين المؤمن والكافر عن علي بن عقبة مثله .

التاسع : ابن شهرآشوب في المناقب كما في البحار عن رزين عن الصادق (ع) في قوله تعالى : ﴿ **لهم البشرى في الحيوة الدنيا** ﴾ قال هو أن يبشراه بالجنة عند الموت يعني محمداً وعلياً .

العاشر : وعن الفضيل بن يسار عن الباقرين (ع) قالا : حرام على روح أن تفارق جسدها حتى ترى محمداً وعليّاً وحسناً وحسيناً بحيث تقرّ عينها .

الحادي عشر : الصدوق في الأمالي عن حمدويه وإبراهيم معاً عن أيوب بن نوح عن صفوان عن عاصم بن حميد عن فضيل الرسان عن أبي عمر والبزاز عن الشعبي عن الحارث الأعور قال : أتيت أمير المؤمنين (ع) ذات ليلة فقال : يا أعور ما جاء بك ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين جاء بي والله حبّك ، قال : أما إني سأحدثك بشكرها ، أنه أنه لا يموت عبد يحبني فيخرج نفسه حتى يراني حيث يحب ولا يموت عبد يبغضني فيخرج نفسه حتى يراني حيث يكره ، وهذا الخبر رواه أكثر المحدثين بأسانيد متكثرة ومتون مختلفة يزيد بعضها عن بعض .

الثاني عشر : الشيخ الكشي في رجاله عن العياشي عن جعفر بن أحمد بن أيوب عن العمركي عن ابن فضال عن يونس بن يعقوب عن سعيد بن بشار أنه حضر أحد إبني سابور وكان لهما ورع واخبات فمرض أحدهما ولا أحسبه إلا زكريا بن سابور قال : فحضرته عند موته قال : فبسط يده ثم قال : ابيضت يدي يا علي ، قال : فدخلت على أبي عبد الله (ع) وعنده محمد بن مسلم ، فلما قمت من عنده ظننت أن محمد بن مسلم أخبره بخبر الرجل فاتبعني برسول فرجعت إليه ، فقال : أخبرني خبر الرجل الذي حضرته عند الموت أي شيء سمعته يقول ؟ قلت : بسط يده فقال : ابيضت يدي يا علي ، فقال أبو عبد الله (ع) : رآه والله رآه والله ، رآه والله ورواه الكليني عن العطار عن أحمد بن محمد عن ابن فضال مثله .

الثالث عشر : الشيخ الطوسي في أماليه عن جماعة عن أبي المفضل عن يحيى بن علي بن عبد الجبار عن عمه محمد بن عبد الجبار عن علي عن أبيه

الحسين بن عون قال : دخلت على السيد بن محمد الحميري عائداً في علته التي مات فيها ، فوجدته يساق به ووجدت عنده جماعة من جيرانه وكانوا عثمانية ، وكان السيد جميل الوجه رحب الجبهة عريض ما بين السالفتين[1] فبدت في وجهه نكتة سوداء مثل النقطة من المداد ، ثم لم تزل تزيد وتنمى حتى طبقت وجهه بسوادها ، فاغتمّ لذلك من حضره من الشيعة وظهر الناصبة سرور وشماتة ، فلم يلبث بذلك إلا قليلاً حتى بدت في ذلك المكان من وجهه لمعة بيضاء فلم تزل تزيد أيضاً وتنمى حتى اسفرّ وجهه وأشرق ، وافتر السيد ضاحكاً مستبشراً فقال :

شعر

كذب الزاعمون أن عليّاً ... لم ينجي محبّة من هنات
قد وربّي دخلت جنة عدن ... وعفى لي الإله من سيئاتي
فابشروا اليوم أولياء عليّ ... وتولوا الوصي حتى الممات
ثم من بعده تولوا بنيه ... واحداً بعد واحد بالصفات

ثم أتبع قوله هذا : أشهد أن لا إله إلا الله ثم أغمض عينه لنفسه ، فكأنما روحه ذبالة طفيت أو حصاة سقطت ، قال علي بن الحسين قال لي أبي الحسين بن عون ، وكان أذنيه حاضراً فقال : الله أكبر ما من شهد كمن لا يشهد أخبرني وإلا صمتا ، الفضيل بن يسار عن أبي جعفر وعن جعفر (ع) أنهما قالا : حرام على روح تفارق جسدها حتى ترى الخمسة محمداً وعلياً وفاطمة وحسناً وحسيناً بحيث تقرّ عينها أو تسخن عينها فانتشر هذا الحديث في الناس فشهد جنازته والله الموافق والمفارق ، ورواه ابن شهرآشوب في المناقب ، وزاد بعد قوله بالصفات ثم قال :

شعر

أحب الذي من مات من أهل ودّه ... تلقاه بالبشرى لدى الموت يضحك

---

(١) السالفة : صفحة العنق عند معلق القرط.

ومن كـان يهـوى غيـره من عـدوّه   فـليس لـه إلا إلى الـنـار مـسـلك

القصيدة وتمامها برواية أمالي ابن الشيخ وغيره :

شعر

أبـا حسن تفـديـك نفسي وعترتي   ومالي وما أصبحت في الأرض أملك
أبـا حـسن إنـي بفـضـلك عـارف   وإنّي بحبـل من هـواك لممـسـك
وأنت وصيّ المصـطفى وابن عمـه   وإنّـا نـعـادي مبغضيـك ونتـرك
مـواليـك نـاج مؤمن بيّن الهـدى   وغـاليـك معـروف الضـلالـة مشـرك
ولاح لـحـاني فـي علـي وحـزبـه   فـقـلت لـحـاك الله إنّـك أعـفـك

ومعنى أعفك أحمق ، وخبر السيد أيضاً مما رواه جلّ المشايخ واستفاض نقله في مؤلفاتهم .

الرابع عشر : عماد الـدين الطبـري في بشارة المصـطفى عن محمد بن أحمد بن شهريار عن محمد بن محمد النرسي عن محمد بن علي القرشي عن جعفـر بن محمد بن عمـر الأحمسي عن عبيـد بن كثيـر الهـلالي عن يحيى بن مسـاور عن أبي الجارود عن أبي جعفـر (ع) عن آبائـه عن النبي (ص) ، قـال يحيى بن مساور : أخبرنا أبو خالد الواسطي عن زيد بن علي عن أبيه قالوا : قال رسول الله (ص) : والذي نفسي بيده لا تفارق روح جسد صاحبها حتى تأكل من ثمـار الجنة أو من شجـرة الزقـوم ، وحين ترى ملك الموت تراني وتـرى علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً (ع) ، فإن كان يحبنا قلت : يا ملك الموت ارفق به إنه كان يحبني ويحبّ أهل بيتي ، وإن كان يبغضنا قلت : يا ملك الموت شدّد عليه أنه كان يبغضني ويبغض أهل بيتي .

الخامس عشر : فرات بن إبراهيم الكـوفي في تفسيره عن عبيـد بن كثير معنعناً عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال رسول الله (ص) : يا علي إن فيك مثلاً من عيسى بن مريم (ع) ، قـال الله تعالى : ﴿ **وإن من أهـل الكتـاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً** ﴾ يا علي إنه لا يموت رجل

يفتري على عيسى بن مريم (ع) حتى يؤمن به قبل موته ويقول فيه الحق ، حيث لا ينفعه ذلك شيئاً ، وإنك على مثله لا يموت عدوّك حتى يراك عند الموت فتكون عليه غيظاً وحزناً حتى يقرّ بالحق من أمرك ، ويقول فيك الحق ويقرّ بولايتك حيث لا ينفعه ذلك شيئاً وأما وليك فإنه يراك عند الموت فتكون له شفيعاً ومبشراً وقرة عين .

السادس عشر : ثقة الإسلام في الكافي عن علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن خالد بن عمارة عن أبي بصير قال : قال أبو عبد الله (ع) : إذا حيل بينه وبين الكلام أتاه[1] رسول الله (ص) ومن شاء الله[2] فجلس رسول الله (ص) عن يمينه والآخر عن يساره فيقول له رسول الله (ص) أما ما كنت ترجو فهوذا إمامك وإماماً كنت تخاف منه فقد آمنت منه ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقول : هذا منزلك في الجنة ، فإن شئت رددناك إلى الدنيا ولك فيها ذهب وفضة فيقول : لا حاجة لي في الدنيا ، فعند ذلك يبيضّ لونه ويرشح جبينه وتنقلص شفتاه[3] وينتشر منخراه وتدمع عينه اليسرى فأيّ هذه العلامات رأيت فاكتف بها (الخبر) .

السابع عشر : وعن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن محمد بن سنان عن عمار بن مروان قال : حدثني من سمع أبا عبد الله (ع) يقول : منكم والله يقبل ولكم والله يغفر إنه ليس بين أحدكم وبين أن يغتبط[4] ويرى السرور وقرة العين إلا أن تبلغ نفسه هيهنا وأومىء بيده إلى حلقه ، ثم قال إنه إذا كان ذلك واحتضر يحضره رسول الله (ص) وعلي (ع) وجبرائيل وملك الموت (ع) فيدنو منه علي (ع) فيقو : يا رسول الله إن هذا كان يحبنا أهل البيت فأحبه ،

---

(١) يعني المحتضر.

(٢) قال صاحب الوافي كنى بمن شاء الله أمير المؤمنين (عليه السلام) وإنما لم يصرح به كتماناً على المخالفين (انتهى).

(٣) رشح الجسد: عرق. وقلص الشفتين: انزواؤهما.

(٤) ضمائر الخطاب كلها للشيعة والاغتباط: التبجج بالحال الحسنة والغبطة حسن الحال والمسرة.

ويقول رسول الله (ص) : يا جبرائيل إن هذا كان يحبّ الله ورسوله فأحبه ، ويقول جبرائيل لملك الموت : إن هذا كان يحب الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبه فأرفق به إلى أن قال (ع) : وإذا احتضر الكافر حضره رسول الله وعلي وجبرائيل وملك الموت (صلوات الله عليهم) الخبر .

الثامن عشر : الحسين بن سعيد في كتاب الزهد كما في البحار عن حماد بن عيسى عن الحسين بن المختار عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) أنه قال : إن المؤمن إذا مات رأى رسول الله وعلياً (ع) بحضرته .

التاسع عشر : ابن الشيخ في أماليه عن أبيه عن المفيد عن ابن قولويه عن محمد بن همام عن الحميري عن ابن عيسى عن الحسين بن سعيد عن القاسم بن محمد عن الحسين بن أحمد عن يونس بن ظبيان قال : كنت عند أبي عبد الله (ع) فقال : ما يقول الناس في أرواح المؤمن بعد موتهم ؟ قلت : يقولون في حواصل طيور خضر ، فقال : سبحان الله المؤمن أكرم على الله من ذلك ، إذا كان ذلك أتاه رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) ومعهم ملائكة الله (عزّ وجلّ) المقربون ، فإن أنطق الله لسانه بالشهادة له بالتوحيد وللنبي (ص) بالنبوة والولاية لأهل البيت شهد على ذلك رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين (ع) والملائكة المقربون معهم وإن اعتقل لسانه خصّ الله نبيه بعلم ما في قلبه من ذلك فشهد به وشهد على شهادة النبي عليّ وفاطمة والحسن والحسين على جماعتهم من الله أفضل السلام ومن حضر معهم من الملائكة فإذا قبضه الله إليه صير تلك الروح إلى الجنة في صورة كصورته فيأكلون ويشربون فإذا قدم عليهم القادم عرفهم بتلك الصورة التي كانت في الدنيا .

العشرون : الحسن بن سليمان الحلي في المحتضر عن الصدوق بإسناده عن الصادق (ع) أنه قال : من أحب لقاء الله أحب الله لقائه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقائه ، قال أصحابه : هلكنا يا ابن رسول الله فإنّا لا نحب الموت ، فقال (ع) : ذاك عند معاينة رسول الله وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهما) ما

من ميت يموت إلا حضر عنده محمد وعلي (صلوات الله عليهما) فإذا رآهما المؤمن استبشر وسرّ فيقوم النبي (ص) لينصرف ، فيقول : إلى أين وقد كنت أتمنى أن أراكما ؟ فقال (ص) : أتحبّ أن ترافقنا ؟ فيقول : نعم فيوصي به ذلك ملك الموت ويخبره أنه لهما محب فهذا يرضي لقاء الله وأحبه والله يحب لقائه (الخبر) .

قال المصنف وهذا الحديث يصرّح بحضور محمد وعلي (صلوات الله عليهما) عند كل ميت ، ورؤية المؤمن لهما حقيقة لا مجازاً ومن هذا الباب ما ورد من حضور الإمام (ع) جنازة مواليهم وزيارته لهم في قبورهم .

أما الأول : فرواه عماد الدين أب جعفر الطوسي في ثاقب المناقب عن عمار بن سعيد عن أبي علي بن راشد في خبر طويل في اجتماع الشيعة بنيشابور وبعثهم رسولاً معه متاع منهم ومن امرأة يقال لها شطيطة إلى الكاظم (ع) ، وورد الرسول وأخباره (ع) بموت شطيطة بعد تسعة عشر يوماً من يوم وروده ، وحضوره (ع) على جنازته ، قال : فأقامت شطيطة تسعة عشر يوماً وماتت (رحمها الله) ، فتزاحمت الشيعة على الصلوة عليها ، فرأيت أبا الحسن (ع) على نجيب فنزل عنه وأخذ بخطامه ، ووقف يصلي عليها مع القوم ، وحضر نزولها إلى قبرها ونثر تراب أبي عبد الله (ع) ، فلما فرغ من أمرها ركب البعير وألوى رأسه نحو البرية ، وقال : أعرف أصحابك واقرئهم عني السلام وقل لهم : إني ومن جرى مجراي من أهل البيت لا بدّ من حضور جنائزكم في أي بلد كان وكنتم ، فاتقوا الله في أنفسكم وأحسنوا الأعمال لتعينونا على خلاصكم وفكّ رقابكم من النار ، قال أبو جعفر : وهو الرسول فلما وليّ (ع) عرفت الجماعة فرأوه وقد بعد والنجيب يجري به ، فكادت أنفسهم تسيل حزناً إذ لم يتمكنوا من النظر إليه ، ورواه ابن شهرآشوب في المناقب وفي لفظه : إني ومن يجري مجراي من الأئمة (ع) لا بدّ لنا من حضور جنائزكم في أي بلد كنتم .

وأما الثاني : فقد تقدم في الباب الأول قول أبي عبد الله (ع) : من زارني

في حيوته زرته بعد وفاته ، ومناط الإشكال في الجميع واحد ، إذ لا فرق بين كثرة الأمكنة وقلّتها بعد تجويز حضور أحدهم (ع) في مكانين في ساعة واحدة كما يتفق كثيراً في الصلوة والدفن .

ثم إنهم (رحمهم الله) بعد تلقي تلك الأخبار بالقبول ذكر والتصوير رؤية أشخاص متباعدة شخصاً واحداً عند كل واحد منهم وجوهاً :

الأول

ما اختاره العلامة المجلسي (ره) حيث قال : اعلم أن حضور النبي والأئمة (صلوات الله عليهم) عند الموت مما قد ورد به الأخبار المستفيضة ، وقد اشتهر بين الشيعة غاية الإشتهار ، وإنكار مثل ذلك لمحض استبعاد الأوهام ليس من طريق الأخيار وأما نحو حضورهم وكيفيته فلا يلزم الفحص منه ، بل يكفي فيه وفي أمثاله الإيمان به مجملاً على ما صدر عنهم (ع) .

وما يقال : من أن هذا خلاف الحس والعقل ، أما الأول فلإنا نحضر الموتى إلى قبض أرواحهم ولا نرى عندهم أحداً ، وأما الثاني فلأنه يمكن أن يتفق في آن واحد قبض أرواح آلاف من الناس في مشارق الأرض ومغاربها ولا يمكن حضور الجسم في زمان واحد في أمكنة متعددة .

فيمكن الجواب عن الأول بوجوه :

« الأول » : إن الله تعالى قادر على أن يحجبهم عن أبصارنا لضرب من مصلحة ، كما ورد في أخبار الخاصة والعامة في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وجعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً** ﴾ ، إن الله تعالى أخفى شخص النبي (ص) مع أن أوليائه كانوا يرونه ، وإنكار أمثال ذلك يفضي إلى إنكار أكثر معجزات الأنبياء والأوصياء ، وقد مرّ فيما نقلنا عن تفسير العسكري التصريح بهذا الوجه إلى أن قال : وأما الجواب عن الوجه الثاني فبأنه إنما يتمّ الشبهة إذا ثبت وقوع هذا الاتفاق ، ومحض الإيمان لا يكفي في ذلك ، مع أنه إذا قلنا بأن حضورهم في الأجساد المثالية يمكن أن يكون لهم أجساد مثالية كثيرة ، لما جعل الله لهم من القدرة الكاملة التي بها امتازوا عن سائر البشر .

الثاني

ما احتمله أيضاً حيث قال : ويمكن أن يخلق الله تعالى لكل منهم مثالاً بصورته وهذه الأمثلة يكلّمون الموتى ويبشرونهم من قبلهم (ع) ، كما ورد في بعض الأخبار بلفظ التمثيل ، واختاره تلميذه المحدث الجزائري في الأنوار حيث قال بعد نقل بعض ما تقدم : ولم يذهب أحد من الأصحاب إلى تأويل هذا ولا إنكاره ، نعم ذهب سيدنا الأجل علم الهدى إلى تأويله إلى أن نقل الوجه الأول عن شيخه وقال : وأما الذي رجحناه نحن أخذاً من مفاهيم الأخبار فهو القول بالتمثيل ، بأن الله سبحانه يمثّل للميت رسول الله وأمير المؤمنين والأئمة (صلوات الله عليهم) كما مثله أهل السموات حتى رآه النبي (ص) في جميع السموات واقفاً يصلي والملائكة تصلي خلفه ، فقال : هذا علي بن أبي طالب (ع) خلقته في جميع السموات حتى تنظر إليه الملائكة فتطمئنّ إليه نفوسهم من شدة حبهم لعلي بن أبي طالب (ع) ، ويؤيده ما رواه الكليني في رواية سدير الصيرفي عن مولانا الصادق (ع) في قول ملك الموت للمحتضر : افتح عينيك فانظر ، قال : ويمثل له رسول الله (ص) وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم (ع) ، فيكون (ع) : يأتي إلى بعض المحتضرين بنفسه الشريفة وصورته الأصلية ويأتي إلى بعض آخر صورته الممثلة المشابهة لتلك الصورة الأصلية وهذا غير الجواب الأول الذي بني على البدن المثالي ، وهذا التمثيل من باب ما رواه شيخنا الكليني وذكر حديث تمثل المال والولد والعمل للإنسان في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة (انتهى).

وفيه أولاً : أن جميع ما نقلناه صريح في حضور الأصل والخروج عنه بمجرد هذا الخبر الضعيف خروج عن الطريقة المستقيمة .

وثانياً : أن خبر التمثل غير صريح بل ولا ظاهر في كون المرئي مثالهم ، بل هو نظير ما ورد في الحديث من سرّه أن يمثل الناس قياماً فليتبوّء مقعده من النار ، قال في المجمع : أي يقومون له وهو جالس ، يقال : مثل الرجل يمثل مثولاً إذا انتصب قائماً ، وفي حديث صلوة الخوف ثم يقوم ويقومون فيمثل قائما

أي ينتصب قائماً يقال مثل بين يديه مثولاً أي انتصب قائما بين يديه .

وثالثاً : أن في الخبر المذكور أيضاً ما يشهد بكون المراد هو الأصل ففيه بعد قوله (ع) : وذريتهم فيقال له : هذا رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة (ع) رفقاؤك قال : فيفتح عينيه فينظر (الخ) وهو أصرح من دلالة التمثل على الصورة لو سلمت فلا بدّ من حمله عليه .

ورابعاً : أنّ المقصود من تلك الأخبار ليس مجرد رؤية الميت صورهم ومثلهم (ع) بل صريحها أن الذي يحضر يكلم معه ويبشره ويأمر ملك الموت بالإرفاق فالمتكلم المبشر إن كأن نفوسهم المقدسة في تلك الصورة الممثلة فهو رجوع إلى التوجيه الأول وإن كان غيرهم فهو حينئذ ملك خلقه الله تعالى بصورهم ، فإن كان واحداً في جميع الموارد عاد الإشكال ، وإلا فلا يساعده خبر ولا أثر ، مع أن التعبير عن حضور الملك بحضورهم وعدّه من فضائلهم وافتخارهم (ع) به ما لا يخفى .

فظهر أن الإستناد إلى خبر تمثيل المال وخبر صورة أمير المؤمنين (ع) في السماء غير مجد بل في حديث المعراج تصريح بأنه ملك ففي العيون عن النبي (ص) : ليلة أسرى بي ربي (عزّ وجلّ) رأيت في بطنان العرش ملكاً بيده سيف من نور يلعب به كما يلعب علي بن أبي طالب بذي الفقار ، وإنّ الملائكة إذا اشتاقوا إلى علي بن أبي طالب (ع) نظروا إلى وجه ذلك الملك ، فقلت : يا رب هذا أخي علي بن أبي طالب وابن عمي ؟ فقال : يا محمد هذا ملك خلقته على صورة علي (ع) يعبدني في بطنان عرشي (الخبر) والحاصل أن حمل قوله (ع) : « يا حار همدان من يمت يرني » ، وقوله : « يعرفني طرفه وأعرفه » على أنه يرى ملكاً على صورتي مما يأباه الطبع السليم .

الثالث

ما ذكره (ره) أيضاً من أنه يمكن أن يرتسم صورهم في الحس المشترك بحيث يشاهدهم المحتضر ويكلّم معهم كما في المبرسم ثم استبعده عن سياق الأخبار وقال : بل مثل هذه التأويلات ردّ للأخبار وطعن في الآثار .

قلت : هو أنسب بطريقة الحكماء النافين كل ما لا يجدونه في الخارج بل صرّح به بعضهم .

الرابع

ما ذكره المفيد (ره) في المقالات بعد عبارته المتقدمة ما لفظه : غير أني أقول فيه أن معنى رؤية المحتضر لهما (ع) هو العلم بثمرة رؤيتهما أو الشك فيهما والعداوة لهما أو التقصير في حقوقهما على اليقين بعلامات يجدها في نفسه وإمارات ومشاهدة أحوال ومعاينة مدركات لا يرتاب معها بما ذكرنا دون رؤية البصر لأعيانهما (ع) ، ومشاهدة النواظر لأجسادهما بإيصال الشعاع . وقد قال الله (عزّ وجلّ) : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾ وإنما أراد جل إسمه بالرؤية هيهنا معرفة ثمرة الأعمال على اليقين الذي لا يشوبه ارتياب ، وقال سبحانه : ﴿ **فمن كان يرجوا لقاء ربه فإن أجل الله لآت** ﴾ ، ولقاء الله تعالى هو لقاء جزائه على الأعمال ، ونقل قريب من هذا عن السيد المرتضى .

ولعمري أن طرح تلك الأخبار أهون على النفس عن إرتكاب هذا التأويل ، واستعمال الرؤية بمعنى العلم في الآية لا يجوز الإطراد مع أن في الآية أيضاً كلاماً مذكوراً في باب المعاد وتجسم الأعمال في تلك النشأة ، وتنزه الذات الأحدية عن الملامسة والمواجهة في الطرف أوجب صرف اللقاء عن ظاهره إلى ما ذكره ، أو إلى معنى آخر ليس هنا محلّ ذكره ، ولا أظن أحداً ادعى الرؤية بالبصر باتصال الشعاع ، فإنهم لا يخصون المشاهدون بالبصير المفتوحة عيناه ، بل هو جار في الأعمى ومن أغمض عيناه ولم يذكروه وجهاً لامتناع رؤية أجسامهم اللطيفة .

مع أنه ذكر بعد ذلك في رؤية المحتضر للملائكة ما نصه : والقول عندي في ذلك كالقول في رؤيته لرسول الله وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهما) ، وجائز أن يراهما ببصره بأن يزيد الله تعالى في شعاعه ما يدرك به أجسامهم الشفافة الرقيقة ، ولا يجوز مثل ذلك في رسول الله وأمير المؤمنين (ع) لاختلاف

ما بين أجسامهما وأجسام الملائكة في التركيبات (انتهى) .

وقد أكثر الشيخ حسن بن سليمان الحلي تلميذ الشهيد الأول في كتاب المحتضر من الطعن على هذا الكلام والتأويل في الخبر فقال في بعض كلماته : أنّا وجدنا هذا التأويل لا يوافق الأخبار الواردة عنهم (ع) الصريحة الصحيحة من أن الأموات يرون الأموات والإحياء بعد الموت ، وكذلك الأحياء يرونهم حقيقة في اليقظة والنوم ، ويرون أهاليهم وما يسرّهم فيهم وما أنعمهم ، ولنذكر إنشاء الله بعض ما رويناه وأنه حقيقة دون المجاز ، ومنعه (ره) من رؤيته لهما بسبب عدم اتصال الشعاع جوابه هبك علمت أن شرط الرؤية في هذا العالم اتصال الشعاع من الرائي والمرئي فمن أين لك أنّ هذا الحكم يجري بعد الموت في عالم البقاء ؟ والله سبحانه يقول ﴿ **وكان الله على كل شيء مقتدراً** ﴾ ويقول : ﴿ **ويخلق ما لا يعلمون** ﴾ ، وقد جاء في الحديث عنهم (ع) : لا تقدر عظمة الله على عقلك فتهلك ، فقدرته سبحانه بلا كيف ولا يحبط بها العلم ، ولو سأل المنكر لرؤية المحتضر لهما (ع) عند موته عياناً هل يقدر الله سبحانه الحجج (صلوات الله عليهم) عند الوفاة وبعده كما أقدر سبحانه النائم أن يرى من يراه في أبعد البلاد في حيوة المرئي وبعد موته على صورته وقالبه الذي كان يعرفه به ، وربما أكل معه وشرب وتحدثا بما قد يفيد العلم أو لا يقدر لا سبيل إلى إنكار القدرة فإذا جاز وقوعها فلا يجوز تأويله والعدول عن الظاهر من غير ضرورة الامتناع .

ثم ذكر بعض ما يدلّ على وجود البدن المثالي الإنسان بعد الموت وبعض الأخبار السابقة إلى أن قال : فعلى هذا التقرير إذا مات في اللحظة الواحدة عدة أموات في أطراف الدنيا يجب الإقرار والإعتراف بحضورهم (ع) عند كل واحد واحد ، لوعدهم الصادق للمؤمن وإغاثته من كربه وتفريج همّه والوصية فيه لملك الموت ، ولا يلتفت هنا إلى الوهم وضعف العقل ، ولا يقال : كيف يكون الجسم الواحد في الزمان الواحد يحضر الأماكن المتعددة ؟ فإذا عرض الشيطان للعاقل بذلك رده بقوله سبحانه و : ﴿ **كان الله على كل شيء مقتدراً** ﴾ وبما روي عنهم (ع) : ولا تقدر عظمة الله على قدر عقلك فتهلك وينظر فيما

حكى الله سبحانه في كتابه العزيز في قصة آصف وإحضاره عرش بلقيس من مسيرة شهرين ذهاباً وعائداً في طبق جفن على جفن ، وهذا آصف وصيّ سليمان (ع) وكان عنده حرف من الإسم الأعظم فما ظنّك فيمن عنده اثنان وسبعون حرفاً ؟ إلى أن ذكر بعد أوراق أدرج فيها جملة ممّا ورد في رؤية الأحياء الأموات وغيرها وجواز رؤية الملائكة في الدنيا ما لفظه وتعليله (ره) : جواز رؤية الملك بأن يزيد الله في شعاعه ما يدرك به أجسامهم الشفافة الرقيقة ليس بشرط في الرؤية وجوازها ، لأن قوة بصر الإنسان وزيادة شعاعه لا يوجب له رؤية الملك ، فربّ قويّ البصر لا يرى الملك ، أو ربّ ضعيف البصر يراه كما يشاء الله .

قال : فقوة الأنبياء والمحتضرين على رؤية الملائكة ليس هو بقوة جسمانية يفهمها الإنسان ، ويحيط علمه بها بل هو أمر الله لا يعلّل ولا يأول بل يجب التسليم فيه لأهل الذكر (ع) ، وقوله : لا يجوز مثل ذلك في رسول الله (الخ) هذا الفرق الذي ذكره لا يصلح للتعليل لما تقدم في حديث يونس عن الصادق (ع) ، وهو أن الإنسان إذا مات صير الله روحه في قالب كقالبه الأول فبه يعرف ويأكل ويشرب ويجالس ويتحدث فلو ساغ الحكم هنا بالعقل دون النقل عن أهل الذكر (صلوات الله عليهم) لرجحنا رؤية المحتضر لمحمد وعلي (صلوات الله عليهما) على رؤية الملك لحديث يونس والقالب للروح ، وإن الله سبحانه سلكها فيه إلى يوم البعث فعلى هذا صار الآدمي أولى بالرؤية وأقرب إلى الملك (انتهى ما أردنا نقله) .

الخامس

ما اختاره الفاضل المقدم في كلامه السابق : من أن الذي يحضر هو أرواحهم المقدسة في أجسامهم التي يتنعمون في تلك الدار لصراحة الأخبار وعدم ما يوجب صرفها عن ظاهرها سوى الاستبعاد وضعيف الإعتبار ، وارتضاه المحقق المحدث البحراني في درر النجفية حيث قال بعد نقل ما تقدم عن المجلسي (ره) في بيان رؤيتهم (ع) في المنام وقوله : والظاهر أنها ليست رؤية

بالحقيقة وإنما هو بحصول الصورة في الحس المشترك وغيره (الخ) ما لفظه ولا يخفى بعده .

أما أولاً فلما رواه في إكمال الدين من أنه روى في الأخبار الصحيحة عن أئمتنا (ع) أن من رأى رسول الله (ص) واحداً من الأئمة (صلوات الله عليهم) قد دخل مدينة أو قرية في منامه فإنه أمن لأهل المدينة أو القرية مما يخافون ويحذرون وبلوغ لما يأملون ويرجون فإن ترتب هذه الأمور على مجرد وجود الصورة في الحس المشترك ونحوه بعيد غاية البعد .

وأما ثانياً فلما تقدم من أن الرؤيا الصادقة عبادة عما تراه الروح بعد خروجها من الجسد حال النوم وصعودها إلى الملكوت ، فكلما رأته ثمة فهو حقّ وهذا القائل قد اعترف بذلك في الكتاب المشار إليه فما المانع من أن تتصل بأحد منهم (ع) وهم في ذلك العالم بلا ريب لما ورد في الأخبار من أنهم (صلوات الله عليهم) ينقلون بعد الدفن بأجسادهم الشريفة إلى السماء ، وإنما الزائر إنما يزور موضع قبورهم فهم أحياء في السماء منعمون كما كانوا في الدنيا ، فأيّ مانع من اتصال الروح بهم هناك (ح) .

وأما ثالثاً فلا ريب أن الأخبار قد استفاضت بأنه ما من ميت يموت في شرق الأرض وغربها إلا ويرى حال موته النبي وأمير المؤمنين (عليهما الصلوة والسلام) وليست هذه الرؤية بحاسة البصر لشمول ذلك للأعمى ومن تعطل بصره في تلك الحال ، بل الرؤية إنما هي بهذه الروح التي تصعد وقت النوم ، وهذه الرؤية حال النوم حسب تلك الرؤية حال الموت ، ولا أظن هذا القائل يلتزم التجوز في رؤيتهما (صلوات الله عليهما) حال الموت لاستفاضة الأخبار وصحتها وصراحتها بكون الرؤية حقيقة غاية الأمر أن في المقام إشكالاً مذكوراً في محله من أنه كيف يمكن القول بحضورهم على جهة الحقيقة مع جواز أن يموت في ساعة واحدة ألوف من الناس في أطراف الأرض من شرقها وغربها شمالها وجنوبها ، وهذا مجرد استبعاد عقلي فإنّا لما قام لنا الدليل على ذلك ، وجب علينا القبول به ، وبيان كيفية ذلك غير واجب علينا ، فإن ذواتهم

المقدسة عليها مسحة من الذات الإلهية التي تاهت في بيداء معرفها العقول ، وضلت في الوصول إلى حقيقتها ألباب الفحول ونورهم الذي خلقوا منه منشعب من نور ذاته السبحانية ، ومشتق من لوامع تلك البروق الصمدانية ، ولذا ورد في الخبر عنه (ص) : يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت ، ولا عرفني إلا الله وأنت ، ولا عرفك إلا الله وأنا ، وهذه المعرفة جارية فيهما وفي أبنائهما المعصومين (صلوات الله عليهم) أجمعين ، (وح) فلا مطمع للوقوف على كنه حقائق ذاتهم المقدسة كسائر الأنام وقياسهم على غيرهم من البشر في أمثال هذه الأحكام ، ومن نظر إلى عباداتهم وأذكارهم وتسبيحهم في عالم الأرواح علم أنه لا مساح له عما ذكرنا ولا براح .

قلت : ولله درّهما من تحقيق الحق والسداد في المقال والصواب في النظر ، ولا بأس برفع الإستبعاد المذكور بوجوه لا تنكر :

الأول : أن أجسادهم الشريفة أشرف وألطف من أجساد المؤمنين الذين يدخلون الجنة بعد دخولها وقدرتهم على الحركة والتقلبات في الدنيا أكثر منهم فيها بمراتب ، وقد ورد في حالات أهل الجنة وكيفية تنعمهم ما هو أغرب من ذلك ولم ينكره أحد ، فلا يجوز إنكاره في المقام أيضاً أما الأشرفية والألطفية وأكثرية القدرة وأعظميتها فواضح ، وأما الثاني فكثير مثل ما رواه محمد بن العباس في تفسيره عن رسول الله (ص) في قوله تعالى : ﴿ **ومساكن طيبة** ﴾ أنها قصر من لؤلؤ في الجنة ، في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء ، في كل بيت سبعون سريراً ، على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون ، على كل فراش امرأة من الحور العين ، في كل بيت سبعون لوناً من الطعام ، في كل بيت سبعون وصيفاً ووصيفة قال (ص) : فيعطي الله المؤمن من القوة في غداة واحدة أن يأتي على ذلك كله وعدد الحور مائتان وأربعة وأربعون ألف وثلاثمائة واليوم الذي يرى الميت نبيه (ص) من أيام الآخرة فلا تغفل ، « وفي تفسير الإمام (ع) وعقاب الأعمال للصدوق » في خطبة طويلة للنبي (ص) : ومن بنى مسجداً في الدنيا بنى الله تعالى له بكل شبر منه أو كل ذراع منه مسيرة أربعين ألف عام مدينة

من ذهب وفضة ودرّ وياقوت وزمرّد وزبرجد ، في كل مدينـة أربعون ألف ألف قصـر ، في كل دار أربعـون ألف ألف بيت ، في كـل بيت أربعـون ألف ألف سرير ، على كل سرير زوجة من الحور العين ، ولكل زوجة ألف ألف وصيف وأربعون ألف ألف وصيفة ، في كل بيت أربعون ألف ألف مائدة على كل مائدة أربعـون ألف ألف قصعة ، في كـل قصعة أربعـون ألف ألف لون من الـطعام ويعطي الله وليه من القوة ما يـأتي على تلك الأزواج وعلى ذلك الـطعام وعلى الشراب في يوم واحد ، وتقدم عن الإختصاص في خبر الجنة في سير المؤمن فيهـا من قصر إلى قصـر وإرادته النـزول عند كـل قصـر ومنـع المـلائكـة منـه قوله (ع) : فيسير حتى يأتي تمام ألف قصر كل ذلك ينفذ فيه بصره ويسيره في ملكه أسرع من طرف العين .

الثاني : إن قلوب المؤمنين خلقت من فاضل طينة أبدان الأئمة (ع) كما في جملة من الأخبار ، وفي البصائر والكافي عن الباقر أن الله خلق محمداً وآل محمد من طين عليين وخلق قلوبهم من طين فوق ذلك ، وخلق شيعتنا من طين دون عليين ، وخلق قلوبهم من طين عليين ، فقلوب شيـعتـنـا من أبــدان آل محمد (ع) إلى أن قال : وكل قلب يحنّ إلى بدنه ، « وفي المحاسن والكافي » عن السجاد (ع) : أن الله خلق النبيين من طينة عليين قلوبهم وأبدانهم ، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة وخلق أبدانهم من دون ذلك (الخبر) ، « وفي البصائر » عن الصادق (ع) الطينـات ثلاثـة : طينة الأنبيـاء ، والمؤمن من تلك الطينة إلا أن الأنبياء من صفوها هم الأصل ولهم فضلهم ، والمؤمن الفرع من طين لازب[1] كذلك لا يفـرق الله بينهم وبين شيعتهم (الخبر) والمؤمن يسيـر بقلبه في لحظة واحدة شرق الأرض وغـربها وبحـارها وجبـالها ومـا فوقهـا إلى السموات ومصابيحها ، فأبدانهم (ع) التي هي ألطف من قلوبهم أولى بذلك .

الثالث : أن النبي (ص) سار في بعض ليلة واحدة من مكة إلى مسجـد الأقصى ، ومنه إلى السماء حتى تجاوز السموات والكرسي والعرش والحجب

---

(١) طيب لازب : يلزق باليد لاشتداده.

ورجع من ليلته إلى مضجعه ، وقد ذكر أهل الهيئة وأصحاب الأرصاد أن بعد مقعر فلك الأقصى من مركز الأرض مائة وأربعون ألفاً ومائة وسبعة وأربعون مثلاً بما به نصف قطر الأرض واحد وهو المعبّر عنه في اصطلاحهم بالمقياس وبالفراسخ يصير البعد المذكور ثلاثة وثلاثون ألف ألف فرسخ وخمس مائة وأربعة وعشرون ألف فرسخ وستمائة وتسعة فراسخ ، فإذا ضوعف بملاحظة الصعود والنزول يصير سبعة وستين ألف ألف فرسخ وتسعة وأربعين ومائتين وتسعة عشر فرسخ بإسقاط مساحة قطر الأرض لأنه (ص) صعد من ظهره هذا ، وأما بعد محدب فلك الأقصى أي مقدار قطره فاعترفوا بعجزهم وعدم بلوغ علمهم إليه وأنه لا يعلمه إلا الله تعالى ومن أوحى إليه ثم ما فوقه من الحجب والسرادقات وبحار الأنوار وغيرها مما جاوزها فكذلك وظاهر الأخبار وتصريح بعض أن السير كان في ثلث الليل وذكر أقل من ذلك أيضاً ، فلو فرض أنه كان في أربع ساعات كان لكل ساعة قريب من ثمانية عشر ألف فرسخ إلى محدب فلك الثوابت والقدر المعمور من الربع المسكون على ما صرحوا به ثلاثة آلاف وسبع مائة وخمسة وستين ألف وأ بع مائة وعشرين فرسخاً ويزيد عليها مساحة البلاد الجديدة المعروفة « يكي دنيا » وإقليم « أمريكا » وبعض الجزائر المكشوفة في تلك الأزمان ، ومع ذلك لا يبلغ الجميع ثلث المقدار المذكور فكيف بما جهلنا به مما فوق الكرسي إلى ما شاء الله ، وهل يبقى بعد ذلك الأمر الضروري عند كافة المسلمين استبعاد خصوصاً لو قيل بالطفية أجسادهم الشريفة التي لهم في البرزخ عن جسدهم المحسوس في الدنيا الذي به سار (ص) ما سار .

الرابع : إن أهل الرصد والحساب ذكروا أن كل جزء من أجزاء مقعر فلك الأقصى يتحرك بمقدار ما يقول أحد واحد بإسكان الدال ألفاً وسبع مائة واثنين وثلاثين فرسخاً ونقل المحقق الداماد في شرح الصحيفة عن بعضهم أنه يتحرك في هذا الوقت ألفين وأربعمائة فرسخ ، قال رحمه الله : فعلى ما نحن أوردنا يتحرك من مقعره في ساعة مستوية ستة وستين ألف ألف فرسخ واثنين وسبعين ألف فرسخ ، والله سبحانه أعلم بما يتحرك به محدّبه (إذ ثخن الفلك الأقصى

وبعد محدب سطحه من مركز الأصل مما لا سبيل للبشر إلى تعرفه واستخراجه ، ولا يعلمه إلا صانعه العزيز العليم ولعل في قول سيدنا ومولانا أمير المؤمنين (صلوات الله وتسليمه عليه) : سلوني دون العرش إشارة إلى ذلك ، فكأنه يقول : زنة العرش ومقدار ثخنه مما قد استأثر بعلمه الخلاق العلام العليم فسلوني عما دونه (انتهى) وفي كلامه الأخير ما لا يخفى على الخبير .

الخامس : إنه على مذهب من قال أن الحيوان إنما يبصر المبصرات بخروج الشعاع من البصر واتصاله بالبصر يلزم أن يخرج من العين جسم ينبسط في لحظة على نصف كرة العالم ، ثم إذا طبق الجفن عاد إليها وأن ينتقل شعاع العين إلى زحل مثلاً في تلك اللحظة اللطيفة ، وذلك يدل على أنّ الحركة الواقعة على هذا الحد من السرعة من الممكنات لا من الممتنعات .

السادس : ما دلّ عليه القرآن من قصة عرش إبليس وإحضاره آصف من أقصى اليمن إلى أقصى الشام في مقدار لمح البصر .

السابع : ما ذكره الرازي في رفع الاستبعاد عن حركته السريعة في ليلة المعراج : من أنه كما يستبعد في العقل صعود الجسم الكثيف من مركز العالم إلى ما فوق العرش ، فكذلك يستبعد نزول الجسم اللطيف الروحاني من فوق العرش إلى مركز العالم ، فإن كان القول بمعراج محمد (ص) في الليلة الواحدة ممتنعاً في العقول كان القول بنزول جبرائيل (ع) من العرش إلى مكة في اللحظة الواحدة ممتنعاً (انتهى) وفي تفسير البرهان عن عمر بن إبراهيم الأوسي قال : قال رسول الله (ص) : لجبرائيل (ع) : أنت مع قوتك هل عييت قط أصابك تعب ومشقة ؟ قال : نعم يا محمد ثلاث مرات : يوم ألقي إبراهيم (ع) في النار أوحى الله إليّ أدركه فوعزتي وجلالي لئن سبقك إلى النار لأمحونّ إسمك من ديوان الملائكة ، فنزلت إليه بسرعة وأدركته بين النار والهواء ، فقلت : يا إبراهيم هل لك حاجة ؟ قال : إلى الله فنعم وأما إليك فلا ، « والثانية » حين أمر إبراهيم (ع) بذبح ولده إسماعيل أوحى إليّ أن أدركه فوعزتي وجلالي لئن سبقك السكين إلى حلقه لأمحونّ إسمك من ديوان الملائكة ، فنزلت بسرعة

حتى حولت السكين وأقبلتها في يده وأتيته بـالفداء ، و « الثـالثة » : حين رمي يوسف (ع) في الجب أوحى إليّ الله تعالى يا جبرائيل أدركه فوعزتي وجلالي إن سبقك إلى قعر الجب لأمحونّ اسمك من ديوان الملائكة ، فنزلت إليه بسرعة وأدركته إلى الفضاء ورفعته إلى الصخرة التي كانت في قعر الجب وأنزلته عليها سالماً فعييت ، وكان الجب مأوى الحيات والأفاعي ، فلما حسّ به قـال : كل واحدة لصاحبتها إياك أن تتحركي فإن نبياً كريمـاً نزل بنـا وحلّ بسـاحتنا ، فلم تخرج واحدة من وكرها إلا الأفاعي فإنها خرجت وأرادت لذعه ، فصحت بهن صيحة صمت آذانهم إلى يوم القيامة .

الثامن : ما ظهر من أجسامهم الشريفة في دار الدنيا من الغرائب ما يتحير منه العقول ولا يبقى مع التأمل فيها الاستبعاد المذكـور ، منها عـدم تبين الظل لهم في الشمس مع ثيابهم ومنها رؤيتهم من خلفهم مثل رؤيتهم من أمـامهم ، « وفي البصائر » عن الـرضا (ع) : أن لنـا عين لا تشبه أعين النـاس وفيها نـور وليس للشيطان فيه شرك ، ومنها إخراج الماء من أصـابعهم (ع) ، ومنها طـول رجلهم من الكـوفة إلى الشـام ومنها طـول يدهم كـذلك كمـا في قصة المـرأة والطشت ومنها رؤيتهم ما بين المشرق والمغرب ، وعدم حاجب لبصرهم ومنها طيهم الأرض والمسافة البعيدة في مقدار طرف العين ، وهو من البـاب بل في الكشي في ترجمة جابر وسيرة الرجل من الكوفة إلى المدينة ومنها إليها ، وقوله له بالكوفة فكن قال : فسمعت أخ (آخر ظ) النون بالكوفة ، وفي حديث بساط قال أمير المؤمنين : لو إنني أردت أن أجوب الدنيا بـأسرهـا والسموات السبـع وأرجع في أقل من الطرف لفعلت بما عندي من إسم الأعظم ، وسماعهم (ع) الأصوات في المنام ورؤيتهم الملائكة والجن والشياطين ، وخروج سبعة أمنان من دم من جسدهم كما في قضية الهادي (ع) وإخفائهم أنفسهم عن الأعين من غير حاجب وسـاتر ومـانع ومشيهم على المـاء وصعودهم وحـركتهم في الهواء وأكلهم السموم القتالة من غير ضـرر وحملهم من الأثقال مـا لا يقوم بـه جميع البشر إلى غير ذلك من الخوارق التي لا تقصر عن المقام مع أن جميع ذلك في دار الدنيا وعوارض بشريتهم فيها أظهر وخـواص الأجسام العنصـرية فيهـا أشدّ

لكثافتها وإن كان ما فيهم من البشرية في جنب نورانيتهم وروحانيتهم التي منها تنبعث تلك الأمور كالذرة بالنسبة إلى السموات أو كالغبار الذي يستر وجه ماء البحر الساكن الذي إذا تموج لا يبقى للغبار أثر إلا أنه في الدنيا ساكن غالباً وفي الآخرة متحرك فظهر من جميع ما ذكرنا صحة القول المذكور وعدم وقع للإستبعاد المذكور .

السادس من الاحتمالات

أن يكون المراد من الحضور كشف الحجاب عن بصر المحتضر فيرونهم (ع) وهم في مستقرّهم ومقامهم من ذلك العالم ، من دون حركة وسير منهم لذلك ، كرؤية الناس جميعاً كوكباً معيناً في آن واحد في أمكنة متباعدة ، ووجه اختلاف صورهم في أنظار المحتضرين إما لاختلاف أنفسهم بحسب القرب والبعد إليهم (ع) ، والنورانية والظلمة من جهة العمل والإعتقاد الصحيح اللائق بهم فيهم وعدمه ، والمحبة الكاملة وعدمها كاختلاف الناظرين إلى الشمس بحسب لون نورها ، كان ينظروا إليها وراء من زجاجات مختلفات الألوان وبحسب شدة النور وضعفه بتوسط أبخرة وأدخنة في البين وعدمه ، وبحسب كبر القرص وصغره بسبب قرب بعضهم إليها كأن يكون في السماء وعدمه ، بل عند اثنين أحدهما في مكان تطلع عليه الشمس من البحر ، والآخر في مكان هي عنده في نصف نهاره (ح) ، أو لتصرفهم (ع) في الأنظار كسائر عجائبهم نظيره ما رواه الراوندي في الخرائج عن أبي القاسم بن القاسم عن خادم علي بن محمد (ع) قال : كان المتوكل يمنع الناس من الدخول على علي بن محمد (ع) فخرجت يوماً وهو في دار المتوكل ، فإذا جماعة من الشيعة جلوس خلف الدار ، فقلت : ما شأنكم جلستم هيهنا ؟ قالوا : ننتظر انصراف مولانا للنظر إليه ونسلّم عليه وننصرف ، فقلت لهم : إذا رأيتموه تعرفونه ؟ قالوا : كلنا نعرفه ، فلما وافى قاموا إليه فسلموا عليه ونزل فدخل داره وأراد أولئك الإنصراف ، فقلت : يا فتيان اصبروا حتى أسألكم أليس قد رأيتم مولاكم ؟ قالوا : نعم ، قلت : فصفوه ، فقال واحد : هو شيخ أبيض الرأس أبيض مشرب بحمرة ، وقال الآخر : لا تكذب ما هو إلا أسمر أسود اللحية ،

وقال الآخر : لا لعمري ما هو كذلك هو كهل ما بين البياض والسمرة ، فقلت : أليس زعمتم أنكم تعرفونه انصرفوا في حفظ الله ، ومثله ما رواه الصدوق في العلل عن الصادق (ع) قال : ما أنزل الله تبارك وتعالى كتاباً ولا وحياً إلا بالعربية فكان يقع في مسامع الأنبياء (ع) بألسنة قومهم ، وكان يقع في مسامع نبينا (ص) بالعربية ، فإذا كلّم به قومه كلمه بالعربية فيقع في مسامعهم بلسانهم ، وكان أحد لا يخاطب رسول الله (ص) بأيّ لسان خاطبه إلا وقع في مسامعه بالعربية ، كل ذلك يترجم جبرائيل له وعنه تشريفاً من الله (عزّ وجلّ) ، « وفي قصص الأنبياء » عنه (ص) : أن الوحي ينزل من عند الله (عزّ وجلّ) بالعربية ، فإذا أتى نبياً من الأنبياء أتاه بلسان قومه .

ويشهد لهذا الاحتمال ما في تفسير الإمام (ع) في قوله تعالى : ﴿ **إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين** ﴾ ، بعد ذلك حضور ملك الموت لقبض روحه بأفظع المناظر وأقبح الوجوه . قال (ع) : ثم يقول : ارفع رأسك وطرفك وانظر فيرى دون العرش محمداً (ص) على سرير بين يدي عرش الرحمن ، ويرى علياً (ع) على كرسي بين يديه وسائر الأئمة (ع) على مراتبهم الشريفة بحضرته ، ثم يرى الجنان قد فتحت أبوابها ويرى القصور والدرجات والمنازل التي تقصر عنها أماني المتمنين ، فيقول له : لو كنت لأوليائك موالياً كانت روحك تعرج بها إلى حضرتهم (الخبر) ، وفيه أيضاً في قوله تعالى : ﴿ **الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم** ﴾ بعد ذكر نزول ملك الموت لقبض روح المؤمن وإرائته درجاته وقصوره في الجنة قال (ع) : ثم يقول : انظر فينظر فيرى محمداً وعلياً والطيبين من آلهما في أعلى عليين فيقول : أوتراهم هؤلاء ساداتك وأئمتك هم هناك جلّاسك وأنّاسك (الخبر) .

ومع ذلك كله فلا يساعده ما مرّ من الأخبار خصوصاً صريح تفسير الإمام (ع)[1] بل فيه ما يمكن الجمع بينه وبين ما هنا بأن يحضرون عند الميت

---

(١) وكذا صريح رواية الكافي والمحاسن من أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يجلس عند=

ويبشـرونه ثم يـرتفعون ويكشف عنـه الغطاء حتى يـراهم في محلهم من أعلى عليين فراجع وتأمل .

ومن جميع ما ذكرنا : ظهر الجواب عن الإشكال الثالث ، وهو إختلاف صورهم (ع) في المنام لواحد في مناماته أو لجماعة فيها .

وأما الجواب عن الإشكال الثاني : فمن وجهين : « الأول » : ما اختاره المحدث البحراني في درره حيث قـال بعد ذكـر الإشكال من أنّـه كيف يمكن القول بهذا الخبر على إطلاقه وهو يستلزم تناقض الذي نبّه عليه شيخنـا المفيد وسيدنا المرتضى (ره) من رؤي المحق والمبطل والمؤمن والكـافر لـه (ص) ، وإخبار كل منهم عنه (ص) بما يوافق اعتقاده . والجواب عن ذلك : أنـه لا بد من تخصيص الخبر المذكور برؤيا المؤمن خاصة ، لما عرفت آنفاً من اشتراط صحة الرؤيا غالباً بالإيمان والصلاح والتقوى ، وإن فرضنا صدق رؤيا غيره فهو نادر ، فيحمل الخبر على ما هو الأكثر الغالب ، ومثل هذا الحمل غير عزيز في الأخبار كما لا ينبغي على من جاس خلال تلك الـديار ، « قـال القرطبي » من علماء المخالفين في شرح قوله (ع) : الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءاً من النبوة : الرؤيا لا تكون جزءاً من النبوة إلا إذا وقعت من مسلم صالح صادق ، لأنه الذي يناسب حاله حال النبي (ص) وكفى بالرؤيا شرفاً إنها نوعاً مما أكرمت به الأنبياء وهو الإطلاع على شيء من علم الغيب كمـا قال : لم يبق شيء من

= رأسـه وعلي (عليـه السـلام) عنـد رجليـه فيكب عليـه رسـول الله اه، وكـذا الحـديث السادس عشر وأنه إذا حيل بينه وبين الكلام أتـاه رسول الله (صلى الله عليـه وآله) ومن شـاء الله فجلس رسـول الله عن يمينـه اه، وكـذا الحـديث السـابـع عشـر حيث قال (عليه السلام) فيه ويحضره رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليـه السلام) وجبرائيل وملك الموت فيدنو منه علي (عليه السلام) اه، لكن مع ذلك كله فكـأن هذا الوجه أسلم من الإشكال وأبعد من القيل والقال، ونظيره مـا ورد في كيفية قبض ملك الموت أرواح الناس مع كثرتهم في وقت واحد في شرق الأرض وغربها فقد روى ابن بابويه وغيره أن ملك الموت، سأل كيف تقبض الأرواح من المشرق والمغرب؟ فقال: إن الدنيا بين يدي كالقصعة بين يدي أحدكم يتناول منها ما يشاء (انتهى). والله تعالى أعلم بحقيقة الحال.

مبشرات النبوة إلا أن الرؤيا الصادقة يراها الرجل المسلم وأما الكافر والكاذب والمخلط وإن صدقت رؤياهم في بعض الأحيان ، فإنها لا تكون من الوحي ولا من النبوة إذ ليس كل من صدق في حديث عن غيب يكون خبره نبوة بدليل الكاهن والمنجم فإن أحدهم قد يحدث ويصدق ولكن على الندرة وكذلك قد تصدق رؤياه كرؤيا العزيز سبع بقرات ، ورؤيا الفتيان في السجن ولكن ذلك قليل بالنسبة إلى مناماتهم المخلطة الفاسدة (انتهى) وما ذكره صحيح إلا أنه لا يلائم ذيل الخبر وعموم العلة كما لا يخفى على المتأمل فيه ، « الثاني » : أن يقال أن رؤيا النبي (ص) على قسمين : « الأول » : أن تقترن في اليقظة بما تدل على صدقها ككثير من المنامات المقترنة للإعجاز ولا يجوز (ح) عقلاً أن تتضمن قبيحاً وتؤيد باطلاً وتشيد فاسداً من العقائد ، ولم ينقل إلى الآن مثل ذلك ، كيف وهو إغراء بالباطل وإضلال للعباد نظير جريان المعجزة على يد مدعي النبوة كاذباً .

« الثاني » : أن تكون مجردة عن ذلك فاعلم أنّ حاله (ص) وأوصيائه (صلوات الله عليهم) مع الناس بعد مماتهم كحالهم معهم في حيوتهم وحضورهم أومت بعد التأمل في طبقات الناس وكيفية معاشرتهم مع كل صنف بما يقتضيه ذاته وصفاته وأفعاله ، وإمدادهم كل نوع بما هو مناسب له كما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ **وآتيكم من كل ما سألتموه** ﴾ فمن كان قابلاً للأسرار يلقونه إليه قبل سؤاله ، ومن لا يتحمله يسيرون معه على منواله ، ومن كان ضعيفاً يرفقون به في السير ، ومن كان قابلاً للهداية يرشدونه إلى مفاتيح الخير ، ومن كان عنيداً جاحداً ومكابراً معانداً أعرض عن الآيات المتتالية وصرف وجهه عن البراهين المتوالية يمدونه في ضلالته بمقتضى سؤاله وقابليته ، كما قال تعالى : ﴿ **فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ، في قلوبهم ، مرض فزادهم الله مرضاً ، وجعلنا قلوبهم قاسية ، وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ، وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ، قل من كان في الضلالة ليمدد له الرحمن مداً** ﴾ .

ثم النظر إلى خوار العجل واستجابة دعاء فرعون ورجوع سهم نمرود ملطخاً بالدم ومصاحبه صاحب الغار ومناكحة بنته وبنت أخيه ، وتزويج ثالث القوم كريمته ، وطراوة الشجرة اليابسة التي يصلب عليها الأولان ، وقول الباقر (ع) لأبي بصير كما في المحاسن : إن استرشدك فارشده ، فإن استزادك فزده ، وإن جاحدك فجاهده وقول الصادق (ع) كما فيه وفي الكافي في حديث اشتباه دم العذرة بالحيض : يا خلف سر الله سر الله فلا تذيعوه ولا تعلموا هذا الخلق أصول دين الله بل ارضوا لهم بما رضي الله لهم من ضلال .

ثم بعد التأمل فيما شرحناه في الفصل السادس فيما يرد على العبد المؤمن والكافر والمسلم والمنافق من الله تعالى من النعمة والبلاء والعقوبة والجزاء والاستدراج والإبتلاء ، لا تكاد تشك في عدم خروج ما يراه المبطل الذي تراكم عنده الحجج القاطعة والبراهين الساطعة اللامعة على إثبات العقائد الحقة مما يتعلق بالتوحيد والرسالة والإمامة ، وأعرض عنها وعكف على أباطيله التي زيّنها له الشيطان ، وأقام على قواعده المجتثة البنيان في نومه مما يسرّه ويبشره أو يوهمه صحة ما عنده عن أحد الأقسام السابقة التي لا يوجب الإلتزام بها توهم جبر وإضلال بل هو جار على مقتضى الحكمة الإلهية التي لا تتخلف عن أحد في كل حال ، وإن استصعب تصوره والإيمان به صادقاً على كل من لا يعرف الرجال بالحق بل الحق بالرجال ولم أجد مصرحاً بما ذكرنا ولكن لا ينبغي التوحش من الحق إذا ساعده الدليل وهو حسبي ونعم الوكيل ومنه يظهر الجواب عن المناقضة في الأحكام مضافاً إلى ما تقدم عن المجلسي ، وذكرناه في أواخر الفصل الثاني في الجواب عن الإشكال الرابع وهو حجية قولهم (ع) في المنام ، مع إمكان كون بعضها للتقية وبعضها لموافقة المزاج حينئذ وبعضها لعدم فهم المراد وبعضها يحتاج إلى التعبير ، وبعضها صحيحاً واقعاً وإن لم يجب العمل به لوجوب العمل بالأدلة الظاهرية التي قام على خلافها كما لا يجب العمل بالجفر والرمل بل يحرم العمل بالحكم المستخرج منهما خصوصاً إذا خالف ما دلّ عليه أحد الأدلة الأربعة .

وأما الثاني : وهو الكلام في ذيل الخبر المتواتر أعني قوله (ص) : فإن

الشيطان لا يتمثل بي ، فاعلم أن ظاهر قوله تعالى : ﴿ **أنه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم** ﴾ إن الجن والشياطين بحسب أصل خلقتهم بحيث لا يتمكن الإنس من رؤيتهم ، وأطبق المسلمون أنّ ذلك لرقة أجسامهم ويجوز أن يروهم بأحد وجهين إمّا بزيادة قوّة أبصارهم أو بكثافة أجسام هؤلاء وهو الأغلب ، وقد وقع ذلك في كثير من المواضع وقد رأى قوم لوط إبليس في صورة أمرد حسن الوجه وفعلوا به ما فعلوا ، وقريش في دار الندوة في صورة شيخ نجد ، وأصحاب بدر في صورة سراقة وسلمان (ع) في يوم السقيفة في صورة شيخ كبير .

واختلفوا في أن الله تعالى يشكلهم في هذه المواضع وغيرها بحسب المصالح بأشكال مختلفة وصور متنوعة من غير قدرة لهم على ذلك أو أنهم ممكنون من ذلك وأنه تعالى جعل لهم القدرة على ذلك ، وإلى الأول ذهب السيد المرتضى قال : في المسألة الثامنة عشر من المسائل النيلية : فأما إبليس والجن فليس تقدر على التصوّر ، وكل قادر يقدره فحكمهم سواء في أنّهم لا يصحّ أن يصوروا أنفسهم بل إن اقتضت المصلحة أن يتصوّر بعضهم بصورة صوّرها الله تعالى للمصلحة ، وإلى الثاني شيخنا المفيد وأبو جعفر الطوسي كما في تفسير الطبرسي وقال المجلسي أنه الأظهر من الأخبار .

واحتج : للأول بما قيل أنهم لو قدروا على تغير أنفسهم بأيّ صورة شاؤوا أو أرادوا لوجب أن ترتفع الثقة عن معرفة الناس فلعل هذا الذي نشاهده أو نحكم عليه بأنه ولدي أو زوجتي جن صوّر نفسه بصورة ولدي أو زوجتي وعلى هذا التقدير يرتفع الوثوق عن معرفة الأشخاص وأيضاً فلو كانوا قادرين على تخبيط الناس وإزالة العقل مع أنه تعالى بيّن العداوة الشديدة بينهم وبين الإنس فلم لا يفعلون ذلك في حق أكثر البشر ، وفي حق العلماء والأفاضل والزهاد لأن هذه العداوة بين العلماء والزهاد أكثر وأقوى ، ولما لم يوجد شيء من ذلك ثبت أنه لا قدرة لهم على البشر بوجه من الوجوه ، ويتأكد هذا بقوله تعالى : ﴿ **ما كان لي عليكم سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي** ﴾ وفي الإحتجاج في أسألة الزنديق عن الصادق (ع) قال : أفمن حكمته أن جعل لنفسه عدوّاً وقد كان ولا

عـدوّ له فخلق كمـا زعمت إبليس ، فسلطه على عبيده يـدعـوهم إلى خـلاف طاعته ، ويأمرهم بمعصيته ، وجعل له من القوة كما زعمت يصل بلطف الحيلة إلى قلوبهم فيوسوس إليهم فيشككّهم في ربّهم ، ويلبس عليهم دينهم فيزيلهم عن معرفته حتى أنكر قوم لما وسوس إليهم ربوبيته وعبدوا سواه فلم سلط عدّوه على عبيـده وجعل لـه السبيل إلى إغـوائهم ؟ قال (ع) : إن هـذا العدو الـذي ذكرت لا يضره عداوته ولا ينفعه ولايته وعداوته ، لا تنقص من ملكه شيئاً ولايته لا يزيد فيه شيئاً إلى أن قال (ع) : فصار عدوّ آدم وولده بذلك السبب وما له من السلطنة على ولده إلا الوسوسة والدعاء إلى غير السبيـل ، وفي هذا الخبـر أنه قال : كيف صعدت الشياطين إلى السماء وهم أمثال الناس في الخلقة والكثافة وقد كانوا يبنون لسليمان بن داود (ع) من البناء مـا يعجز عنـه ولد آدم ؟ غلظوا السليمـان كما سخـروا وهم خلق رقيق غذائهم النسيم ، والـدليـل على ذلـك صعودهم إلى السماء لاستراق السمع ، ولا يقدر الجسم الكثيف على الإرتقاء إليهـا إلا بسلّم أو سبب ، وفي العلل عن أميـر المؤمنين (ع) أنـه تعـالى قـال للمـلائكة قبـل آدم وأنقـل مـردة الجن العصـاة عن بـريتي وخلقي وخيـرتي ، وأسكنهم في الهواء وفي أقطار الأرض لا يجاورون نسل خلقي ، واجعـل بين الجن وبين خلقي حجـابـاً ولا يـرى نسـل خلقي الجن ولا يـوانسـونهم ولا يخالطونهم .

واحتج للثاني بما رواه علي بن إبراهيم في تفسيره في الصحيح عن أبي جعفر عن آبائه عن أمير المؤمنين (ع) في خبر يذكر فيه ابتداء خلق آدم وسجود الملائكة وإنكار إبليس إلى أن قال (ع) : فقال الله تعالى : ﴿ **اخرج منها فإنك رجيم وإنّ عليـك لعنتي إلى يوم الـدين** ﴾ ، قال إبليس : يـا رب وكيف وأنت العدل الذي لا تجور ولا تظلم فثواب عملي بطل ؟ قال : لا ولكن سلني من أمر الدنيا ما شئت ثواباً لعملك فأعطيك ، فأول ما سأل البقاء إلى يوم الدين ، فقال الله : قـد أعطيتـك ، قال : سلّطني على ولـد آدم ، قال : سلّطتـك ، قال . أجرني فيهم مجرى الدم في العروق ، قال : قد أجريتك ، قال : لا يولد لهم ولد إلا ولد لي اثنان وأراهم ولا يروني ، وأتصـور لهم في كل صـورة شئت ،

فقال : أعطيتـك ، قال : يـا رب زدني ، قال : قـد جعلت لك ولـذريتك في صدورهم أوطاناً ، قال : رب حسبي . « ومـا رواه ابن الشيخ في الأمـالي » : عن الصادق (ع) عن آبائه (ع) أن يحيى (ع) قال لـه : يا أبـا مرة إن لي إليـك حاجة ، فقال له أعظم قدراً من أن أردك بمسـألة فسلني مـا شئت ، فإني غيـر مخالفك في أمر تريده ، فقال يحيى : يا أبامرة أحب أن تعرض عليّ مصائدك وفخوخك[1] التي تصطاد بها بني آدم ، فقال له إبليس : حبّـاً وكرامـة وواعده لغـد ، فلما أصبـح يحيى (ع) قعد في بيتـه ينتظر المـوعد وأغلق عليـه البـاب إغلاقاً ، فما شعر حتى ساواه من خوخة كانت في بيتـه فإذا وجهـه صورة وجـه القرد وجسده على صورة الخنزير (الخبر) فلولا قدرته على التشكل لكان اللازم سؤاله عنه تعالى أن يريه له على النحو الذي أراده ، « ويؤيده ما في البصـائر » عن الصادق (ع) يوم الأحد للجن ليس تظهر فيه لأحد غيرها ، « وفي كتاب زيد النرسي » عن أبي عبد الله (ع) قال : إن شيطاناً قد ولع بابني إسماعيل ، يتصور بصورته ليفتتن به الناس ، وأنه لا يتصور في صورة نبيّ ولا وصيّ ، فمن قال لك من الناس : إن إسماعيل ابني حيّ لم يمت فإنّمـا ذلك الشيـطان تمثل لـه في صورة إسماعيل ، إلى أن قال : ولو جهد الشيطان أن يتمثل بابني موسى ما قدر على ذلك أبداً ، وفي أخبار كثيرة من نسبة التمثل والتشكل والتشبه إليهم ، فإنها ظـاهرة في كـونه بقـدرتهم واختيارهم كسـائر الأفعـال التي تنتسب إليهم وإلى غيرهم .

ولكن يمكن أن يكون المراد من قوله أتصور لهم في كل صورة ، أي لا يكون طريق وسـواسي إليهم وإغوائي لهم عن جـادة الحق والصراط المستقيم منحصراً في أمر دون أمر ، كما في غيره وغير كل ذي روح مريد من المضلين ، فإن طريق إضلالهم منحصر دائماً في أمر واحد إذا انتبهت النفس إلى فساد وسوء عاقبته تستريح من شـرّه وإضلالـه ، بخلاف هـذا الصنف فإنهم إذا يئسـوا من الإضلال من جهة توسّلوا له بجهة أخرى ولا يزالوا كذلك حتى يوردوا الإنسان

---

(١) المصائد جمع المصيدة : ما يصاد به . والفخوخ جمع الفخ بمعنى المصيده .

في المهالك ، حتى إنك قد عرفت أن الشيطان قد يتوسل لإغوائه بالطاعة والأمر بها والحثّ عليها ويؤيد هذا الإحتمال قوله في آخره قد جعلت لك ولذريتك في صدورهم أوطاناً ، فإن ظاهره انحصار محل إغوائه فيها ، فينحصر إغوائه في الوسوسة كما تقدم في حديث الزنديق ، فلو تمكن من الإغواء بطرق السمع والبصر لم يكن وطنه واحداً وأما سائر الأخبار فلا يصلح لمعارضة ما تقدم خصوصاً الوجه العقلي فإنه في غاية المتانة ، فإن شدة عداوة اللعين وذريته للإنسان معلوم بالضرورة وكذا سهولة إضلالهم وإغوائهم وإيقاعهم في المعاصي ومنعهم من العبادات في لباس البشرية والمجانسة في الخليقة والهيئة ، وكذا عدم ورود قضية في ذلك مع أنه لو كان لهم ذلك لتجاوز العد والإحصاء ، ولا يبقى في الدنيا عالم وزاهد ، ولا يبقى لهم تصنيف وتأليف إلا أن يقال بجواز قدرتهم على التشكل وعدم قدرتهم على الإضلال من هذا الطريق وهو بعيد ومناف لظاهر أخبار المجوزة .

وعلى ما ذكرنا فالمراد من قوله (ع) : فإن الشيطان لا يتمثل بي أي أنه تعالى لا يصوّره بصورته (ص) وصورة غيره من الحجج ، ولا تقتضي المصلحة جعله في هيئتهم في زمان أبداً ، وهو مع ذلك قبيح في صريح حكم العقل ونقض لبعثة الأنبياء لإهداء الناس وإرشادهم وإضلال لهم وإخلال للمصالح العامة وإفساد للنظام الكلي كل ذلك ظاهر لمن عرف مقامهم (ع) ووقف على مصالح خلقتهم وغرض بعثتهم .

(وح) فالواجب طرح كل ما ورد مما ظاهره جواز ذلك ودخول القبيح في فعله تعالى وغيره من المفاسد إن لم يمكن تأويله مثل ما رواه علي بن إبراهيم في تفسيره مرسلاً عن الصادق (ع) ، قال : جعل الله (عزّ وجلّ) ملك سليمان في خاتمه فكان إذا لبسه حضرته الجن والإنس والشياطين وجميع الطير والوحش وأطاعوه ، فيقعد على كرسيه ويبعث الله (عزّ وجلّ) ريحاً تحمل الكرسي بجميع ما عليه من الشياطين والطير والإنس والدواب والخيل فتمرّ بها في الهواء إلى موضع يريده سليمان (ع) وكان يصلي الغداة بالشام والظهر بفارس ، وكان

يأمر الشياطين أن يحملوا الحجارة من فارس يبيعونها بالشام ، فلما مسح أعناق الخيل وسوقها بالسيف سلبه الله ملكه[1] وكان إذا دخل الخلا دفع خاتمه إلى بعض من تخدمه ، فجاء شيطان فخدع خادمه وأخذ من يده الخاتم ولبسه ، فحوت عليه الشياطين والجن والإنس والطير والوحش ، وخرج سليمان في طلب الخاتم فلم يجده فهرب ومرّ على ساحل البحر وأنكرت بنو إسرائيل الشيطان الذي تصور في صورة سليمان ، وصاروا إلى أمه فقالوا لها : أتنكرين من سليمان شيئاً ؟ فقالت : كان أبر الناس بي وهو اليوم يعصيني ، وصاروا إلى جواريه ونسائه وقالوا : أتنكرن من أمر سليمان شيئاً قلن : لم يكن يأتينا في

---

(١) وقصة مسح سليمان أعناق الخيل وسوقها بالسيف على ما رواه علي بن ابراهيم هي أنه (عليه السلام) كان يحب الخيل ويستعرضها فعرضت عليه يوماً إلى أن غابت الشمس وفاتته صلوة العصر، فاغتم من ذلك غماً شديداً فدعا الله (عز وجل) أن يرد عليه الشمس حتى يصلي العصر فرد الله سبحانه عليه الشمس وقت صلاة العصر حتى صلاها ثم دعا بالخيل فأقبل يضرب أعناقها وسوقها (جمع الساق) حتى قتلها كلها وهو قوله عز اسمه «ردوها علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق» (انتهى).

ثم لا يخفى أن ما ذكره (رحمه الله) في من لا يحضره الفقيه: أن الجهال من أهل الخلاف يزعمون أن سليمان (عليه السلام) اشتغل ذات يوم بعرض الخيل حتى توارت الشمس بالحجاب ثم أمر برد الخيل وأمر بضرب سوقها وأعناقها وقال أنها شغلتني عن ذكر ربي وليس كما يقولون: جل نبي الله سليمان (عليه السلام) عن مثل هذا الفعل لأنه لم يكن للخيل ذنب فيضرب سوقها وأعناقها لأنها لم تعرض نفسها عليه ولم تشغله وإنما عرضت عليه وهي بهائم غير مكلفة، والصحيح في ذلك ما روي عن الصادق (عليه السلام) أنه قال: أن سليمان بن داود (عليه السلام) عرض عليه ذات يوم بالعشى الخيل فاشتغل بالنظر إليها حتى توارت الشمس بالحجاب فقال للملائكة: ردوا الشمس على أصلى صلاتي في وقتها فردوها فقام فطفق مسح ساقيه وعنقه وأمر أصحابه الذين فاتتهم الصلاة معه بمثل ذلك وكان ذلك وضوئهم للصلاة (الخ). وكيف كان ففي ما ذكره علي بن ابراهيم مع إرساله وموافقته للعامة ما لا يخفى من الإشكال وسيأتي بعضه عن المؤلف وإن شئت تحقيق الكلام في هذه القصة وتمييز الصحيح عن السيم فراجع البحار (ج٥، ص ٣٥٦)، ومجمع البيان (ج٨، ص ٣٧٤، ٣٧٥) وتنزيه الأنبياء (ص ٩٣، ٩٤) ومن لا يحضره الفقيه (ص ٥٣) وغير ذلك من كتب الحديث والتفسير وغيره.

الحيض وهو يأتينا في الحيض ، فلما خاف الشيطان أن يفتنوا به ألقى الخاتم في البحر فبعث الله سمكة فالتقمته وهرب الشيطان ، فبقوا بنو إسرائيل يطلبون سليمان أربعين يوماً وكان سليمان يمر على ساحل البحر تائباً إلى الله مما كان منه ، فلما كان بعد أربعين يوماً مرّ بصياد يصيد السمك ، فقال له : أعينك على أن تعطيني من السمك شيئاً ؟ قال : نعم فأعانه سليمان ، فلما اصطاد دفع إلى سليمان سمكة فأخذها وشقّ بطنها وذهب يغسلها فوجد الخاتم في بطنها ، فلبسه وحوت عليه الشياطين والجن والإنس والطير والوحوش ورجع إلى مكانه ، وطلب ذلك الشيطان وجنوده الذين كانوا معه ، فقيّدهم وحبس بعضهم في جوف الماء ، وبعضهم في جوف الصخر بأسامي الله ، فهم محبوسون معذّبون إلى يوم القيامة ، قال : ولما رجع سليمان إلى ملكه قال لآصف وكان أصف بن برخيا كاتب سليمان وهو الذي كان عنده علم من الكتاب : قد عذرت الناس بجهالاتهم فكيف أعذرك ؟ فقال : لا تعذرني فلقد عرفت الحوت الذي أخذ خاتمك[1] وأباه وأمه وعمه وخاله : ولقد قال لي : اكتب لي ، فقلت له : إن القلم لا يجري بالجور ، فقال : اجلس ولا تكتب فكنت أجلس ولا أكتب شيئاً ، ولكن أخبرني عنك يا سليمان صرت تحبّ الهدهد وهو أخسّ الطير منتناً وأخبثهم ريحاً ، قال : إنّه يبصر الماء من وراء الصفا الأصم فقال : وكيف يبصر الماء من وراء الصفا وإنما يواري عنه الفخ بكف من تراب حتى يأخذ بعنقه ؟ فقال سليمان : قف يا وقاف إنه إذا جاء القدر حال دون البصر .

وفي هذا الخبر من الإشكال ما لا يخفى كتصور الشيطان بصورة سليمان وهو من الأنبياء المرسلين في طول تلك المدة ، وسلطنته على هؤلاء وفيهم الأنبياء والأوصياء ، وتسليط الشيطان على أزواج سليمان هو من القبح بمكان ومن هنا قال السيد في تنزيه الأنبياء وأما ما رواه الجهال القصاص في هذا الباب فليس مما يذهب على بطلانه وأن مثله لا يجوز على الأنبياء وأن النبوة لا يكون في خاتم ولا يسلبها النبي (ص) ولا ينزع عنه ، وأن الله لا يمكن الجني من

(١) وفي نسخة: « قد عرفت الجن الذي أخذ خاتمك » وهو الظاهر.

التمثيل بصورة النبي (ص) ولا غير ذلك مما افتروا به على النبي (ص) (انتهى) وهو متين غير قوله وأن النبوة (الخ) ، فإن الموجود في الأخبار المستفيضة أنّ سلطنته وملكه كان دائراً مدار الخاتم وهذا لا بعد فيه ، هذا .

ويظهر من بعض المحققين أن المراد بعدم تصور الشيطان بصورة الأنبياء (ع) أنه لا يمكنه دعوى النبوة أو الإمامة مع ظهور الحسن في أعماله وصفاته ، فإذا ادعى في اليقظة أنه نبي أو إمام لا يظهر بصورة من ادعى رتبته فيعرفه المؤمن البتة ، فيظهر له القبح في الأعمال والصفات لأنه إن ظهر ذلك بحيث تخفى على المؤمن وجب على الله في الحكمة أن يكشف سره وإلا كان مغرياً بالباطل تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، نعم ذلك يخفى على أوليائه لأنهم لا يفرقون بين الحق والباطل ولا يعرفون صفة النبي والإمام فيكتفون بمجرد الدعوى إنما سلطانه على الذين يتولّونه والذين هم به مشركون ، على أن الله سبحانه يبين بطلان دعوته لتقوم عليهم الحجة البالغة ، ثم ساق الخبر وقال : فاعتبر بمن تشبه في اليقظ بالأنبياء كيف فضحه الله بأفعاله ثم لم يمهله (انتهى) .

وفيه خروج عن الظاهر إذ المنساق من التمثل والتشبه والتصور المشاكلة في الهيئة الظاهرة والمناسبات المقدارية ، بل مع صحة الخبر كيف كان يخفي عليهم الأمر بمجرد دعوى النبوة وأنه هو سليمان النبي (ع) .

بقي الكلام : فيما تضمنه خبر الزنديق المتقدم من الإعتراض على إيجاد إبليس وتسليطه على البشر وجوابه (ع) من عدم سلطنته عليهم إلا بالوسوسة ، فإن لسائل أن يسأل عن حكمة هذا المقدار من السلطنة ، وأنه لا خير فيه وفي وسوسته بل لولا وساوسه لما عصى الله فعاد المحذور الذي ذكره الزنديق ، ولا يخفى أن الشيطان ووسوسته داخلة في جملة الشرور والمؤذيات الموجودة في العالم مما لا يظهر للأكثر في بادىء النظر فيه جهة خير يصل إلى العباد ، ولا يبرز منه إلا الشر والأذى والصد عن كثير من المنافع والمضار ، كالحيات والعقارب والهوام والسباع والسموم القتالة والرياح العاصفة ونظائرها ،

والإشكال المذكور جار في الجميع .

والجواب العام : أنه بعد تسليم وجوب سلب جميع النقائص من العبث والظلم والقبح مساحة أفعاله ، وأنها معللة بالأغراض والمصالح العائدة إلى عباده تعالى ، والنظر في قوله تعالى : ﴿ **خلق لكم ما في الأرض جميعاً** ﴾ ، الظاهر في كون غاية كل شيء مخلوق في الأرض انتفاع الإنسان به ، وعود نفع منه إليه لا بد وأن يكون لهذه الشرور حكماً ومنافعاً لو ظهرت لحكم بوجوب خلقها كل ذي شعور ، ولا يستبعد أن يكون من جملتها هذه الأمور :

الأول

أن يكون الغرض من خلقتها دفع مضار كثيرة لا تدفع إلا بها ، كالطاعون الذي يدفعه كثرة البراغيث والوباء الذي يحدث من عفونة الهواء التي ترفعها الرياح العاصفة والذباب الذي يذهب بكبر الجبابرة وهكذا ، « وفي طلب الأئمة » عن النبي (ص) : لولا الذباب الذي يقع في أطعمة الناس من حيث لا يعلمون لأسرع فيهم الجذام وعن الباقر (ع) : لولا أن الناس يأكلون الذباب من حيث لا يعلمون لجذموا أو قال لجذم عامتهم ولا فرق في المصلحة بين ما يصل نفعه إليه أو يدفع ضرر شيء عنه أو عن شيء آخر يصل نفعه إليه بواسطة أو وسائط ، فإن الجميع مشترك في تلك المصلحة .

الثاني

وجود كثير من المنافع فيها بحيث يستهلك في جنبها المضار المودعة فيها ، وقد علم بعضها في مفردات الطب ، ألا ترى أن الأفعى أخبث أنواع الحيات وأشدّها لذعاً وأسرعها إهلاكاً ، وإضرّها سماً ، وفيه من الخوف من الإنسان ما هو ظاهر لكل أحد بحيث لا يسمع ملذوعه إلا نادراً في بعض السنين ، وفي ترياقه من المنافع العَظيمة ما لا يخفى ، مع أنّ لسمه نفع عظيم له ، فإن الله تعالى لما خلق أصناف حيوان البرّ والبحر أعطى كل جنس آلات وأدوات لتجر المنفعة أو لتدفع المضرة ، أعطَى بعضها معدة حارة أو كرشاً أو

قانصة[1] لينضج الكيموس فيها بعد المضغ الشديد ، ويصير غذاءاً لها ولم يعط الحياة لا معدة حارة ولا قانصة ولا كرشاً ولا أضراساً تمضغ بها اللحم جعل في فكيها عوضاً منها سماً حاراً منضجاً لتأكل به اللحمان ، وذلك إنها لما قبضت على جثث الحيوانات ، وحصلت في كيها أقبلت من ذلك السم عليها فتهريها من ساعتها وتبلعها وتزدردها وتستمر بها فلو لم يكن هذا السم لما استمرأها الأكل ولا حصل لها غذاؤه هلكت جوعاً وفي توحيد المفضل قال (ع) : فأما الطائر الصغير الذي يقال له ابن تمرة فقد عشش في بعض الأوقات في بعض الشجرة فنظرت إلى حية عظيمة قد أقبلت نحو عشه فاغرة فاها لتبلعه فبينما هو ينقلب ويضطرب في طلب حيلة منها إذ وجد حسكة [2]فحملها فألقاها في فم الحية فلم تزل الحية تلتوي وتنقلب حتى ماتت أفرأيت لو لم أخبرك بذلك كان يخطر ببالك وببال غيرك أنه يكون من حسكة مثل هذه المنفعة العظيمة ، أو يكون من طائر صغير أو كبير مثل هذه الحيلة ؟ اعتبر بهذا وكثير من الأشياء تكون فيها منافع لا تعرف إلا بحادث يحدث به والخبر يسمع به ، الخبر ويجود أن يكون الغرض من خلق بعض المضار دفع ضرر آخر ذي منفعةعظيمة وهكذا .

الثالث

أن يكون آية لما أخبر به الأنبياء (ع) من أنواع النكال والعقوبة المعدة في الدار الآخرة لعصابة العصاة المردة وتصديقاً لإمكانه ومذكراً له ورادعاً عن القبائح المستلزمة لاستحقاقه ، قال تعالى : ﴿ **أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين** ﴾ .

وفي الإحتجاج روي أنه اتصل بأمير المؤمنين (ع) أن قوماً من أصحابه

---

(١) الحسكة واحدة الحسك : نبات شائك له ثمرة خشنة تعلق بأصواف الغنم ويقال له بالفارسية (خارخسك) .

(٢) الكرش : هي لذي الخف والظلف بمنزلة المعدة للانسان ويقال له بالفارسية «سكنبه» وكذا القانصة للطير ويقال له بالفارسية (سنگدان ـ چينه دام» .

خاضوا في التعديل والتجوير[1] فخرج حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إن الله تبارك وتعالى لما خلق خلقه أراد أن يكونوا على آداب رفيعة وأخلاق شريفة ، فعلم أنهم لم يكونوا كذلك الإبان يعرفهم ما لهم وما عليهم والتعريف كما يكون إلا بالأمر والنهي ، والأمر والنهي لا يجتمعان إلا بالوعد والوعيد والوعد لا يكون إلا بالترغيب والوعيد لا يكون إلا بالترهيب والترغيب لا يكون إلا بما تشتهيه أنفسهم وتلذه أعينهم والترهيب لا يكون إلا بضد ذلك ، ثم خلقهم في داره وأراهم طرفاً من اللذات ليستدلوا به على ما ورائهم من اللذات الخالصة التي لا يشوبها ألم وهي الجنة ، وأراهم طرفاً من الآلام ليستدلوا به على ما ورائهم من الآلام الخالصة التي لا يشوبها لذة إلا وهي النار ، فمن أجل ذلك ترون نعيم الدنيا مخلوطاً بمحنتها وسرورها ممزوجاً بكدرها وغمومها[2] .

الرابع

أن يكون مخوفاً و، حركاً للإنسان إلى التضرع إلى مقدس حضرته ، وداعياً للهرب إلى منيع عقوته[3] فيظهر له بذلك آثار الذلة والمسكنة ، ويتحقق فيه علامات العبودية ، فإن الإنسان لتمكنه في غياهب الشهوات والأهواء ، وانغماره في بحار زخارف الدنيا ، لا ينهض إلى مقام التضرع والإنابة ومواقف الإستكانة والمسألة ما لم يكن له داعياً يشغله عن نيل مناه ، وصارفاً عن اتباع هواه ، وهذه المؤذيات والشرور ادعى شيء للإعراض عن تلك الأمور وإدراك تلك الغايات فخلقتها حينئذ لطف يقرب إلى الطاعات قال تعالى : ﴿ **فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون** ﴾ ، « وفي كتاب المؤمن » عن الصباح قال : قلت لأبي عبد الله (ع) : ما أصاب المؤمن من بلاء فبذنب ؟ قال : لا ، ولكن ليسمع

---

(١) وفي المصدر (التجريح) بدل (التجويز).

(٢) قيل: فحدث الجاحظ بهذا الحديث فقال: هو جماع الكلام الذي دونه الناس في كتبهم وتحاوروه بينهم، قيل ثم سمع أبو علي الجبائي بذلك فقال: صدق الجاحظ هذا ما لا يحتمله الزيادة والنقصان.

(٣) العقوة ما حول الدار. الساحة والمحلة.

أنينه وشكواه ودعائه .

الخامس

ما ذكره أبو الصلاح في الكافي من أن العاقل إذا علم بأول وثبة وجوب التحرز من هذه المؤذيات فلأن يتحرز من الضرر العظيم بالعقاب بالطاعة أولى ، والفرق بينه وبين الوجوه المتقدمة واضح .

السادس

إنها من جنود الله التي لا يعلمها إلا الله خلقها إظهاراً لعظمته ، وإجلالاً لسلطنته وسوطاً لغضبه ونقمته ، يعذب بها في الدنيا من يشاء عقوبة ، ويبتلي بها آخرين امتحاناً أو رحمة ، قال تعالى : ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين** ﴾ وهو أشدّها أذى وضرراً ، وقد أهلك كثيراً من الأمم السالفة بأنواع منها أشار إلى بعضها في كتابه ، قال تعالى : ﴿ **فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات** ﴾ ، « وفي العلل » ابن المنصور قال يوماً لأبي عبد الله (ع) : وقد وقع على المنصور ذباب فذبّ عنه ، ثم وقع عليه فذبّ عنه ، فقال : يا أبا عبد الله لأيّ شيء خلق الله (عزّ وجلّ) الذباب ؟ فقال : ليذلّ به الجبارين ، « وفي الاختصاص وغيره » في معاجز الباقر (ع) أنه قال له ذئب في طريق مكة : ادع الله أن لا يسلّط شيئاً من نسلي على أحد من شيعتكم ، « وفي الكافي » عن الصادق (ع) في قوله تعالى : ﴿ **ومن عاد فينتقم الله منه** ﴾ قال : إن رجلاً انطلق وهو محرم فأخذ ثعلباً فجعل يقرب النار إلى وجهه وجعل الثعلب يصيح ويحدث من استه ، وجعل أصحابه ينهونه عما يصنع ، ثم أرسله بعد ذلك فبينما الرجل نائم إذ جاءته حية ودخلت في فيه ، ولم تدعه حتى جعل يحدث كما أحدث الثعلب ثم خلت عنه ، وعن در المنثور عن جويرة بن أسماء عن عمه قال : حججت مع قوم فنزلنا منزلاً ومعنا امرأة فنامت وانتبهت وحية متطوقة عليها[1] جمعت رأسها

---

(١) تطوقت الحية : صارت كالطوق.

مع ذنبها بين ثدييها فهالنا ذلك وارتحلنا فلم تزل منطوية عليها لا تضـرّها شيئـاً حتى دخلنا أنصاب الحرم فانسابت[1] فدخلنا مكة فقضينا نسكنا وانصرفنا حتى إذا كنا بالمكان الذي تطوقت عليها فيه الحية وهو المنزل الذي نزلنا فيه ، فنامت فاستيقظت والحية متطوقة عليها ، ثم صفـرت الحية فـإذا بالـوادي يسيل علينـا حيات ، فنهشتها حتى بقيت عظاماً ، فقلت للتي كانت الجاريـة لها : ويحـك أخبرينا عن هذه المرأة قالت : بغت ثلاث مرات كل مرة تلد ولداً فـإذا وضعته سجـرت التنور فـألقته فيـه ، « وفي الأمـالي » عن الصـادق (ع) أن محمـد بن الأشعث نادى الحسين (ع) في صبيحة يوم شهادتـه : يا حسين بن فـاطمة أيّـة حرمة لك من رسول الله ليست لغيـرك ؟ إلى أن قال (ع) : فـرفع الحسين (ع) رأسه إلى السماء فقال : اللهم أر محمد بن الأشعث ذل هذا اليوم لا تعزّه بعد هذا اليوم أبداً ، فعرض له عارض فخرج من العسكر يتبرز فسلّط الله عليه عقرباً فلذعه فمات بادي العورة ، « وعن دلائل الطبـري » مسنداً أن رجـلاً قال لأبي عبد الله (ع) : حكيم بن عباس الكلبي ينشـد الناس بـالكوفـة هجائكم إلى أن قال : فرفع أبو عبد الله (ع) يديه إلى السماء وهما ينتفضان رعدة فقال : اللهم إن كان كاذباً فسلّط عليه كلبك ، قال : فخرج حكيم من الكوفـة فأدلـج فلقيه الأسـد فأكله (الخبـر) وتقدم في آداب الأكـل أن الإنسـان إذا لم يسم قـالت الملائكة للشيطان : ادن يا فاسق فكل معهم وفي هذا المعنى أخبار كثيرة وآثار متواترة لا يسع المقام ذكرها .

السابع

أن يكون كثير من هذه المؤذيات أناساً عصوا خالقهم فعذّبوا ومسخوا في حياتهم أو بعد مماتهم وأبقاهم الله تعالى نسلاً بعد نسل أو أفنـاهم عن آخرهم وخلق على مثالهم هذه الصور ليعتبر بهم من كان له قلب أو ألقى السمـع وهو شهيد فيرتـدع عن الخصلة التي أوردتهم في هذه البليـة وألبستهم تلك الصورة القبيحة ، « وفي العلل » عن الصادق (ع) أن الله تبارك وتعالى مسـخ قومـاً في

(١) أي ذهبت.

صور شتى مثل الخنزير والقرد والدب ، ثم نهى عن أكل المثلة لكيلا ينتفع بها ولا يستخف بعقوبته .

وفي الأخبار المستفيضة أن **الفيل** كان رجلاً جباراً لوطياً لا يدع رطباً ولا يابساً ، أو كان رجلاً ينكح البهائم ، **والدب** : كان رجلاً مؤنثاً يدعو الرجال إلى نفسه ، أو كان يسرق الحاج ، أو كان يقطع الطريق ولا يرحم غريباً ولا فقيراً إلا سلبه ، **والأرنب** : امرأة قذرة لا تغتسل من حيض وغيره ، **والعقرب** : رجلاً همازاً لا يسلم منه أحد ، أو نمّاماً يسعى بين الناس بالنميمة ويغري بينهم بالعداوة ، **والضب** : إعرابياً بدوياً لا يرع عن قتل من مرّ به من الناس أو كان يسرق ، **والوزغ** : كان سبطاً من أسباط بني إسرائيل يسبون أولاد الأنبياء ويبغضونهم ، وليس يموت من بني أمية ميتاً إلا مسخ وزغاً ، **والغطاية والعنكبوت** : امرأة سحرت زوجها أو كانت سيئة الخلق عاصية لزوجها مولية عنه أو كانت خائنة له تمكن فرجها سواه ، **والدعموص**[1] : رجلاً نمّاماً يقطع بين الأحبة أو كان زاني الفرج لا يرع من شيء ، أو كان إذا جامع النساء لم يغتسل من الجنابة ويترك الصلوة فصار قراره في الماء إلى يوم القيامة من جزعه من البرد ، **والجري**[2] : رجلاً ديوثاً يجلب الرجال على حائله أو نمّاماً أو كان من التجار وكان يبخس انناس في المكيال والميزان ، **والوطواط**[3] : سارقاً يسرق الرطب من رؤوس النخل ، **والقرد** : الذين اعتدو في البست ، **والخنازير** : الذين كفروا بالمائدة ، **والزهرة** : امرأة فتنت هاروت وماروت ، **والسهيل** : كان عشاراً باليمن ، وهما دابتان من داوب البحر ، **والطاووس** : كان رجلاً جميلاً فكابر امرأة رجل مؤمن تحبه فواقع بها ، ثم راسلته بعد فمسخا ، **والزنبور** : كان لحاماً يسرق في الميزان ، **والخفاش** : كانت امرأة سحرت ضرة لها ،

---

(١) الدعموص كبرغوث : دويبة تغوص في الماء والعامة تسميها البلعط .

(٢) الجري : نوع من السمك النهري الطويل وليس له عظم الأعظم الرأس والسلسلة ويدعونه في بعض البلاد ثعبان الماء .

(٣) الوطواط : الخطاف وهو طائر طويل الجناحين قصير الرجلين أسود اللون .

والبعوض : كان رجلاً يستهزىء بالعلماء ، **والفار** : كان سبطاً من اليهود غضب الله عليهم ، **والقملة** : هي من الحسد وكان سفيه من سفهاء بني إسرائيل أقبل إلى نبي كان قائماً يصلي فجعل يهزء به ويكلح في وجهه[1] فما برح من مكانه حتى مسخ قملة ، **والقنفذ**[2] : كان رجلاً من صناد يد العرب إذا أنزل به الضيف ردّ الباب في وجهه ، ويقول لجاريته : أخرجي إلى الضيف فقولي : إن مولاي غائب عن المنزل ، فيبيت الضيف بالباب جوعاً ويبيت أهل البيت شباعاً مخصّبين .

ومن المنسوخ الكلب والورل والزمير[3] والمارماهي والحية والخنفساء وفي كتاب محمد بن المثنى عن عبد السلم بن سالم عن ابن أبي البلاد عن عمار بن عاصم السجستاني قال : جئت إلى باب أبي عبد الله (ع) فدخلت عليه فقلت : أخبرني عن الحية والعقرب والخنفس وما أشبه ذلك ، قال : فقال : أما تقرء كتاب الله ؟ قال : قلت : وما كل كتاب الله أعرف فقال : أو ما تقرأ : **أولم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم أن في ذلك لآية أفلا يتذكرون** ﴾ ، قال : فقال : هم أولئك حرجوا من النار ، فقيل لهم : كونوا شيئاً ، وعلى هذا فهؤلاء عباد خلقوا للعبادة والمعرفة وكلفوا بالإنقياد والطاعة كسائر الفرق المختلفة ، فعصوا واعتدوا فعذّبوا ومسخوا وترددوا بين الناس عبرة وموعظة ، فلا قبح ولا محذور بل فيه من الفوائد ما يعرفه كل ذي شعور .

الثامن

أنه لما كان الغرض من الخلقة تهذيب العباد عن الرذائل وتحليتهم بالفضائل وإيصالهم إلى سني مقام المعرفة وعلى محل العبادة على النحو المقرر

---

(١) كلح في وجهه: أي فزعه.

(٢) القنفذ: دويبة ذات ريش حاد في أعلاه يقي به نفسه إذ يجتمع مستديراً تحته يقال له بالفارسية (خاربشت).

(٣) الورل: دابة على خلقة الضب أعظم منه طويل الذنب دقيقه. والزمير: نوع من السمك لو شوك ناتىء على ظهره وأكثر ما يكون في المياه العذبة.

في الشرائع الحقة ، ولذا وجب في الحكمة بعث من هو بأقواله مظهر لمرادات الله التي بها يتم تلك المقاصد ، وبأفعاله مظهر لكل محاسن ومحامد ، وهو مع ذلك ظهير لكل مؤمن مجاهد وراكع وساجد ، ولا يمكن معرفة حقيقة ما أتوابه كما هو واستجماعه لجميع شرائط التقرب والمصالح الكامنة إلا بوجود ما يقابله ويضاده في جميع المراتب ، وجب وجود مظهر للكفر ومظهر له ، وظهير للكافرين والفاقد لأحدهما أو الاثنين ، فإن في مقابل كلّ حق باطل وتجاه كل صواب خطأ ، قال أمير المؤمنين (ع) : وبمضادته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له ، وقال بعض العلماء : قدر الشباب لا يعرفه إلا الشيوخ ، والعافية لا يعرفه إلا أهل البلاء والصحة لا يعرفه إلا المرضى والحيوة لا يعرفه إلا الموتى ، وهذا ظاهر إذ لا يظهر قدر النعمة ما دامت موجودة ولذا لا تجد أحداً يحمد الله تعالى على الموجود إلا نادراً ، لأن المعدوم غير مرئي وقد يحمدون الله تعالى على الحيوة لأنهم يرون الأموات ، ولا يحمدون الله على العافية إلا إذا رأوا أهل البلاء ، ولا على الهداية إلى الإيمان إلا إذا رأوا الكافر ، ولا على النفع إلا بعد الضرر ، وبالجملة فوجود الكفر والكافر والمضلّ موجب لظهور حسن الإيمان أو زيادة حسنة وظهور قدر نعمته ونعمة الهداية واللطف والتوفيق والعناية ، ولدفع ضرر اختلاط باطلهم بالحق وصعوبة التميز بينهما لغير الكاملين كان مع الإنبياء (ع) ميزان قسط من عرفه وتمسك به أمن من الوقوع في هذا المحذور .

التاسع

إن جملة من هذه المؤذيات من أنواع الجن الذين هم شركاء الإنس في التكليف والإطاعة والعصيان والثواب والعقاب ، « ففي الخصال » عن الصادق (ع) الجن على ثلاثة أجزاء فجزء مع الملائكة ، وجزء يطيرون في الهواء وجزء كلاب وحيّات ، « وفي الكافي » عنه (ع) لما سئل عن الكلاب فقال : كل أسود بهيم وكل أحمر بهيم ، وكل أبيض بهيم ، فذلك خلق من الكلاب من الجن ، وما كان أبلق فهو مسخ من الجن والإنس ، « وفيه » عن النبي (ص) الكلاب من ضعفه الجن ، وعن أحدهما (ع) : الكلاب السود

البهم من الجن ، ورؤيتهم بصورة الحيات والثعبان والكلاب مستفيضة في الأخبار والآثار ، والسرّ في كونهم بحيث يخاف منه الإنسان ويرتعد من رؤيتهم بل من سماعهم وتخيلهم فرائص الشجعان ، تنبيه البشر على أنهم مع ما هم عليه من القوة والسلطنة والتدبير والمكر والحيلة والآلات والسلاح والأعوان ، مقهورون تحت سلطنة من يخاف من أهون جنوده وأضعفهم ، فهذا الخوف فيهم لطف يقرّ بهم إلى أجلّ الطاعات ، ثم أن كلا منهما إذا عتدى واستحق العقوبة في دار الدنيا يسلّط أحدهما على الآخر ، فقد يقتل الإنسان العقرب وتارة تلذعه وهكذا في سائر المؤذيات فالأمر جار على أتقن ما يتصور من الحكمة ، ومن وراء ذلك ما لا يعلمه إلا الله وأولياؤه من الحكم والمصالح .

العاشر

إن الله تعالى خلق الخلق بقدرته ودبّر الأمور بمشيئته فجعل قوام الخلق بعضها ببعض وجعل لها عللاً وأسباباً لما فيها من اتقان الحكمة ، وصلاح الكل والنفع العام ، ولكن ربما يعرض من جهة العلل والأسباب آفات وفساد لبعض ولم يمنع علمه السابق بما يكون منها الفساد والآفات أن لا يجعلها ، إذ كان النفع فيها أعم والصلاح أكثر من الفساد ، فإن الشمس جعلت سراجاً للعالم وحيوة وسبباً للكائنات بحرارتها ومحلها من العالم محل القلب من البدن ينبث منه الحرارة الغريزية إلى سائر أطراف البدن التي هي سبب للحيوة ، وصلاح الكل والنفع العام ولكن ربما يعرض منها تلف وفساد لبعض الحيوانات والنبات ، ولكن يكون ذلك مستهلكاً في جنب العموم وصلاح الكل وهكذا الأمطار التي يرسلها الله تعالى لحيوة البلاد وصلاح العباد من الحيوانات والنباتات والمعادن وإن كان ربما يكون منه فساداً أو هلاكاً لبعض الحيوانات وهكذا حكم الحيات والسباع والتنين والهوام وأمثالها كل ذلك يخلقها الله تعالى من المواد الفاسدة والعفونات الكائنة ليصفي الجوّ والهواء منها لأن يعرض لها الفساد من البخارات المتصاعدة فيعفن الهواء ، ويكون أسباباً للوباء وهلاك الحيوان كلها دفعة واحدة ، ألا ترى أنّ الذباب والديدان والبق والخنافس لا تكون في دكان البزاز والحداد والنجار ، بل في دكان القصاب واللبان أو السماد

والسرقين ، فإذا خلقها الله في تلك العفونات امتصت ما فيها واغتذت به وصفا الهواء منها وسلم من الوباء ، ثم تكون تلك الحيوانات الصغار مأكولاً وأغذية لما هو أكبر منها وذلك من حكمة الخالق ، لأنه لا يصنع شيئاً بلا نفع ولا فائدة ، وهذه الوجود بعضها تختص ببعض الشرور وبعضها تعمها ، وأنت بعد التأمل فيما ذكرنا تعرف عدم قبح في وجود الشيطان الذي خلقه الله لعبادته ومعرفته كسائر الكفار فعصى وخالف العزيز الجبار ، وعدم قبح في تسلطه وذريته بالوسوسة على بني آدم بعد إعطائهم ما يدفعها عنهم من الداخل والخارج أضعاف ما لهم عليهم ، مع مالهم ولوسوستهم من المنافع ، فإنهم من بعض أسواط غضب الرحمن الذي يعذب به من يشاء في الدنيا بالإغواء وفي الآخرة بما ورد في أخبار القبر وعذاب جهنم من أنه يقرن مع كل كافر شيطان يبصق في وجهه » وفي تفسير علي » في قوله تعالى : ﴿ وإذا النفوس زوّجت ﴾ عن أبي جعفر (ع) قال : أما أهل الجنة فزوّجوا الخيرات الحسان ، وأما أهل النار فمع كل إنسان منهم شيطان ، يعني قرنت نفوس الكافرين والمنافقين بالشياطين ، فهم قرناؤهم ويمتحن به من يشاء ويبتلي به من يريد كرامة لهم ومزيداً لأجرهم ، ومن أخوف الأسباب المؤذية التي تضطر الإنسان إلى الإلتجاء إلى حريم حضرته تعالى وإناخة الرحل بفناء حمايته ودوام تضرعه وإنابته لدوام وسوسة عدوه وعدم غفلته ، وأي نفع أعظم من ذلك . ثم بوسوسته يستعلم طرق الآفات إلى أبواب العبادات ، ويستكشف كثير من المكر والخدع والحيلة التي لا بد من استعمالها في كثير من المقامات لدفع البليات ، وائتلاف القلوب المختلفات والغلبة على الأعداء في الحروب والغزوات إلى غير ذلك من الفوائد التي يعلمها الله وخلفاءه على البريات .

الفصل التاسع

في جملة من الكلام في تعبير الرؤيا وشرائط المعبر قال الله تعالى : ﴿ لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ وكذلك يجتبيك ربك ويعلّمك من تأويل الأحاديث ﴾ ، وقال الله تعالى : ﴿ ولنعلّمه

من تأويل الأحاديث ﴾ قال الطبرسي وغيره أي من تعبير الرؤيا ، لأنها أحاديث الملك إن كانت صادقة وأحاديث النفس أو الشيطان إن كانت كاذبة ، أو من تأويل غوامض كتب الله وسنن الأنبياء وكلمات الحكماء .

قلت : والحديث في الاية يحتمل وجوهاً ، « منها » أن يكون المراد إخبار الناس له (ع) ما رواه في منامهم فعبّر عن قصهم له (ع) رؤياهم في اليقظة بالحديث ، « ومنها » أن يكون المراد أحاديث آبائه وأجداده من الأنبياء والمرسلين في أنواع العلوم والحكم أو خصوص ما يتعلق بالرؤيا ، « ومنها » تنبيه الملك أو الشيطان أو النفس له بعد اليقظة بما رآه في النوم فإن التفاته إليه يحتاج إلى تذكر يجده كل أحد بالوجدان ، فمن ذكره من الثلاثة فكأنه حدثه بما رآه ، ومن علم تأويل رؤياه علم تأويل رؤيا غيره من الناس ، « ومنها » ما يريه الملك وغيره في المنام والتعبير عنه بالحديث ، مع أنّ الغالب كون ذلك بالمشاهدة ، وقد يكون بتوسط غير السماع والرؤية لعدم إمكان التعبير عما سمعه أو رآه إلا بالتكلم أو الكتابة الداخلة في أنواع الحديث .

روى الراوندي في قصص الأنبياء عن الصدوق بإسناده إلى ابن محبوب عن أبي إسماعيل الفراء عن طربال عن أبي عبد الله (ع) قال : لما أمر الملك بحبس يوسف (ع) في السجن ألهمه الله تأويل الرؤيا ، فكان يعبّر لأهل السجن رؤياهم ، « وفيه » عن الصدوق عن السكري عن الجوهري عن ابن عمارة عن جابر الجعفي عن الباقر (صلوات الله عليه) قال : سألته عن تعبير الرؤيا عن دانيال أهو صحيح ؟ قال : نعم كان يوحى إليه وكان نبياً ، وكان مما علّمه الله تعالى تأويل الأحاديث ، وكان صديقاً حكيماً ، وكان والله يدين بمحبتنا أهل البيت ، قال جابر : بمحبتكم أهل البيت ؟ قال : أي والله وما من نبي ولا ملك إلا وكان يدين بمحبتنا ، « وفي الكافي » عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن معمر بن خلاف قال : سمعت أبا الحسن (ع) ، يقول : إنما رأيت الرؤيا فأعبرها والرؤيا على ما تعبر ، « وفيه » عن عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد وعلي بن إبراهيم عن ابن محبوب عن عبد الله بن غالب عن

جابر بن يزيد عن أبي جعفر (ع) أن رسول الله (ص) كان يقول : إنّ رؤيا المؤمن ترف[1] بين السماء والأرض على رأس صاحبها حتى يعبرها لنفسه أو يعبّرها له مثله ، فإذا عبرت لزمت الأرض فلا تقصوا رؤياكم إلا على من يعقل ، « وفيه » عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد ومحمد بن خالد عن القاسم بن عروة عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال : قال رسول الله (ص) : الرؤيا لا تقصّ إلا على مؤمن خلا من الحسد والبغي .

وفي قرب الإسناد عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن زياد عن أبي عبد الله (ع) قال : من رأى أنه في الحرم وكان خائفاً أمن ، « وفي إكمال الدين » للصدوق روى في الأخبار الصحيحة عن أئمتنا (ع) أن من رأى رسول الله أو أحداً من الأئمة (صلوات الله عليهم) قد دخل مدينة أو قرية في منامه فإنه أمن لأهل المدينة أو القرية مما يخافون ويحذرون ، وبلوغ لما يأملون ويرجون ، « وفي فرج الهموم » للسيد بن طاوس (ره) عن كتاب تعبير الرؤيا للكليني بإسناده عن محمد بن سالم قال : قال أبو عبد الله (ع) : قوم يقولون النجوم أصحّ من الرؤيا وذلك كانت صحيحة حين لم ترد الشمس على يوشع بن نون وعلى أمير المؤمنين (ع) فلما ردّ الله (عزّ وجلّ) الشمس عليهما ضلّ فيهما علماء النجوم فمنهم مصيب ومنهم مخطىء .

وفي مجمع الزوائد للهيثمي عن أبي الطفيل عن النبي (ص) قال : رأيت فيما يرى النائم غنماً سوداً يتبعها غنم عفر[2] فأولت أن الغنم السود : العرب ، والعفر : العجم ، « وعن أنس » قال : كان رسول الله (ص) يعبر على الأسماء ، « وعن أبي بكرة » أن النبي (ص) قال : من رأى أنه يشرب لبناً فهي الفطرة ، ومن رأى أن عليه درعاً من حديد فهي حصانة دينه ، ومن رأى أنه يبني بيتاً فهو عمل يعمله ، ومن رأى أنه غرق فهو في النار ، « وعن زكريا بن

---

(١) من أرف الطائر ارفافاً: بسط جناحيه.

(٢) قال الثعالبي: العفرة بياض تعلوه حمرة، وقال في ألوان الظباء: فإن كانت حمراً يعلو حمرتها بياض فهي العفر.

إبراهيم بن عبد الله بن مطيع » عن أبيه عن جده قال : رأى مطيع بن الأسود في المنام أنه أهدي إليه جراب تمر ، فذكر ذلك للنبي (ص) فقال : هل بأحد من فتياتك حمل ؟ قال : نعم بامرأة من بني ليث وهي أم عبد الله ، قال : إنّها ستلد غلاماً ، فولدت فأتى به النبي (ص) فسماه عبد الله وحنكه بتمرة ودعا له بالبركة .

قال في النهاية[1] يقال : عبرت الرؤيا أعبرها عبراً وعبرتها تعبيراً إذا أوّلتها وفسّرتها وخبرتها بآخر ما يؤول أمرها ، يقال هو عابر الرؤيا وعابر للرؤيا وهذه اللام تسمى لام التعقيب لأنها عقبت الإضافة ، والعابر الناظر في الشيء ، والمعبر المستدل بالشيء على الشيء ، « ومنه الحديث » للرؤيا كنى وأسماء فكنّوها بكناها واعتبروها بأسمائها ، « ومنه حديث ابن سيرين » كان يقول : إني أعتبر الحديث ، المعنى فيه أنّه يعبر الرؤيا على الحديث ، ويعتبر به كما يعتبرها بالقرآن في تأويلها ، مثل أن يعبّر الغراب بالرجل الفاسق ، والضلع بالمرأة ، لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سمى الغراب فاسقاً وجعل المرأة كالضلع ونحو ذلك من الكنى والأسماء ، وقال أيضاً فيه : الرؤيا لأول عابر وهي على رجل طائر ، لأول عابر أي إذا عبرها برّ صادق عالم بأصولها وفروعها واجتهد فيها وقعت له دون غيره ممن فسّرها بعد ، وهي على رجل طائر أي أنها على قدر جار وقضاء ماض من خير أو شر وإن ذلك هو الذي قسّمه الله تعالى لصاحبها من قولهم اقتسموا داراً فطار سهم فلان في ناحيتهما أي وقع سهمه وخرج وكل حركة من كلمة أو شيء يجري لك فهو طائر والمراد أنّ الرؤيا هي التي يعبرها المعبر فكأنها كانت على رجل طائر فسقطت ووقعت حيث عبرت كما يسقط الذي يكون على رجل الطائر بأدنى حركة[2] .

---

(١) في مادة عبر.

(٢) وفي النسخة الموجودة عندي من النهاية (المطبوعة بمصر بالمطبعة العثمانية سنة ١٣١١ ـ وهي أصح النسخ المطبوعة على ما قيل) في مادة طير هكذا: (فيه) الرؤيا لأول عابر وهي على رجل طائر كل حركة من كلمة أو جار يجري فهو طائر مجاز، أراد على رجل قدر جار وقضاء ماض من خير أو شر وهي لأول عابر يعبرها أي أنها إذا احتملت

وفي البحار عن شرح السنة عن جابر قال : أتى النبي (ص) رجل وهو يخطب ، فقال : يا رسول الله رأيت فيما يرى النائم البارحة كأن عنقي ضربت فسقط رأسي فاتبعته فأخذته ثم أعدته مكانه ، فقال رسول الله (ص) : إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه فلا يحدثن به الناس ، وعن أبي سلمة قال : كنت أرى الرؤيا فيهمّني حتى سمعت أبي قتادة يقول : كنت أرى الرؤيا فيمرضني ، حتى سمعت رسول الله (ص) يقول : الرؤيا الصالحة من الله ، فإذا رأى أحدكم ما يحبّ فلا يحدث به إلا من يحب ، وإذا رأى ما يكره فلا يحدث به وليتفل عن يساره ، وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فإنها لن تضره ، ثم قال : فيه إرشاد للمستعبر لموضع رؤياه ، فإن رأى ما يكره لا يحدث به حتى يستقبله في تعبيرها ما يزداد به همّاً ، فإن رأى ما يحبه فلا يحدث به إلا من يحبه لأنه لا يأمن ممن لا يحبه أن يعبّرة حسداً على غير وجهه فيغمّه أو يكيده بأمر ، كما أخبر الله تعالى عن يعقوب حين قصّ عليه يوسف (ع) رؤياه : ﴿ **لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً** ﴾ ، وعن أبي رزين قال : قال رسول الله (ص) : الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة وهي على رجل طائر فإذا حدثت بها وقعت وأحسبه قال : لا تحدث بها إلا حبيباً أو لبيباً وفي رواية أخرى : الرؤيا على رجل طائر ما لم يعبر فإذا عبرت وقعت ، قال : وأحسبه قال : ولا تقصها إلا على واد أو ذي رأي الواد ، لا يحب أن يستقبلك في تفسيرها إلا بما تحب ، وإن لم يكن عالماً بالعبارة لم يعجل لك بما يغمك وأما ذو الرأى فمعناه ذو العلم بعبارتها ، فهو يخبرك بحقيقة تفسيرها أو بأقرب مما تعلم منها ولعله أن يكون في تفسيرها موعظة يردعك عن قبيح ما أنت عليه أو يكون فيها بشرى فتشكره الله عليها ، قال : وروى أبو أيوب مرسلاً أن النبي (ص) قال : إن الرؤيا تقع على ما عبر ، ومثل ذلك رجل رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها ، وإذا رأى أحدكم

= تأويلين أو أكثر فعبرها من يعرف عبارتها وقعت على ما أولها وانتفى عنها غيره من التأويل «وفي حديث آخر» الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر أي لا يستقر تأويلها حتى تعبر يريد أنها سريعة السقوط إذا عبرت كما أن الطير لا يستقر في أكثر أحواله فكيف يكون ما على رجليه .

رؤيا فلا يحدث بها إلاّ ناصحاً أو عالماً وفي بعض المواضع مرسلاً أن المنام لا يقصّ على أربعة على العدو وصغير السن والمنافق[1] .

أقول : علم التعبير كما عرّفوه علم يتعرف منه المناسبة بين التخيلات النفسانية والأمور الغيبية ، لينتقل من الأولى إلى الثانية ، وليستدل بذلك على الأحوال النفسانية في الخارج ، أو على الأحوال الخارجية في الآفاق ومنفعته البشرى أو الإنذار بما يروه .

قلت : الأولي بناء على ما مهدناه سابقاً في حقيقة الرؤيا أن يبدل التخيلات النفسانية بما يراه في المنام ، سواء كان في نفسه أو في السماء أو في الهواء أو في الأرض فإن هذا التعريف لا يتم إلا على مذهب الحكماء ، وهو علم شريف لشرف غايته التي هو العلم بالمغيبات وتكميل النفس بزيادة الخوف أو الشوق فيها ، وقوة الإيمان بالله تعالى وخلفائه وما أخبروه مما أشرنا إليه في صدر الكتاب وهو من علوم الأنبياء (ع) خصوصاً يوسف ودانيال (ع) كما مرّ أنه تعالى ألهمهما إياه ، فالمعبر الكامل لا بد وأن يكون ممّن أخذه منهم تصريحاً أو تلويحاً أو من قواعدهم التي أسّسوها والعلوم الأخر التي تنتهي إليهم ، أو ممن هذب نفسه باتباعهم واهتدى باقتدائهم ، فصار يرشّح على نفسه ما يسيل إلى قلوبهم وجرى على لسانه ما يطابق المخزون عندهم وإن لم يعرف حقيقة المناسبة ، ومن هنا ظهر عدم الفائدة في الرجوع إلى كتب التعبير الداير بين الناس المنتهي أغلبها إلى ابن سيرين وإضرابه ، ممن لم يكن داخلاً في أحد الأقسام المذكورة ، وإن اختلط قليل من الحق الصادر من الصادقين بكلماتهم فيظهر صدق بعض مقالهم لعدم تميزه ويؤيد ذلك ما في الكافي عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله (ع) في قصة رؤياه له (ع) وعنده أبو حنيفة وتعبيره ما رآه قال : ثم خرج أبو حنيفة من عنده فقلت جعلت فداك إني كرهت تعبير هذا الناصب ، فقال : يا ابن مسلم لا يسوءك الله فما يواطىء تعبيرهم تعبيرنا ولا

(١) كذا في الأصل وقد سقط من الموضع شيء كما لا يخفى .

تعبيرنا تعبيرهم وليس التعبير كما عبّره (الخبر) قد مرّ بتمامه[1] وفيه أيضاً عن عمر بن أذينة أن رجلاً دخل على أبي عبد الله (ع) وقصّ عليه رؤياه وإن الشمس طلعت على رأسه وجسده وعبّره (ع) قال : قلت جعلت فداك إنهم يقولون أنّ الشمس خليفة أو ملك فقال : ما أراك تنال الخلافة ولم يكن في آبائك وأجدادك ملك ، وأيّ خلافة وملوكية أكثر من الدين والنور ترجو به دخول الجنة ، إنهم يغلطون فقلت : صدقت جعلت فداك ، هذا والذي ينبغي أن يذكر في هذا المقام وجه اختلاف صور الأشياء في بعض المنامات الصادقة الذي لأجله احتاج إلى التعبير أولاً ، ثم ذكر بعض ما ورد في تأويل الحجج (ع) المستخرجة منه بعض القواعد الكلية ، ثم ذكر بعض ما قيل مما أشير إلى وجهه في الكتاب والسنة ثانياً ثم ذكر ما يحتاج إليه الأخبار المتقدمة من البيان ثالثاً ، ثم ذكر شرايط المعبر وتكليفه رابعا فهيهنا مقامات :

المقام الأول

في وجه الإختلاف صور الأشياء في بعض الأوقات في عالم المثال ، أما الحكماء فقد تقدم بعض كلماتهم في ذلك ونذكر هنا بعضها « قال ابن سينا » في الرسالة المسماة بالفيض الإلهي : أما الإلهامات والمنامات فإنها داخلة تحت تأثير النفساني في النفساني وتكثر هذه الإلهامات وتقلّ وتصدق هذه المنامات وتكذب بحسب قوة استعداد النفوس البشرية وضعف استعدادها بموجب صفائها وكدوراتها وخلوصها عن المحسوسات وتدنسها بها ، أما في بدو حدوثها في الأبدان وأما بعد ذلك بمقتضى السير والعادات التي يتفق أن يستر بها ويتعوّدها ، وقد يصدق المنامات تارة بأن يرى الأمر على ما هو عليه وبصورته من غير حاجة إلى تعبير وتأويل وتارة بأن يرى محاكياً للشيء وهذا يتفاوت ، فربما كانت بمحاكيات قريبة من الشيء جداً وربما كانت بمحاكيات بعيدة وهذه يحتاج فيها إلى تعبير وتأويل والسبب في هذه الالة للأنبياء ، وأصحاب الكرامات ان القوة المتخيلة جبلت محاكية لكل ما يلقاها من هيئة إدراكية أو هيئة مزاجية سريعة النقل من شيء إلى شبهه أو ضدّه فالأثر الروحاني السانح للنفس في

حالتي النوم واليقظة قد يكون ضعيفا فلا يحرك الخيال والذكر فلا يبقى له أثر ، وقد يكون أقوى من ذلك فيحرك الخيال ، إلا أن الخيال يعين في الانتقال ويحكي عن الصريح فلا يضبط الذكر ، بل إنما يضبط انتقالات المتخيل وحاكياته ، وقد يكون قوياً جداً فيرسم فيه الصورة ارتساماً قوياً ولا يتشوّش بالانتقالات ، فما كان من الأثر الذي ذكرنا مضبوطاً في الذكر في حالتي النوم واليقظة كان إلهاماً أو وحياً صريحاً أو حكماً ، ولا يحتاج إلى تأويل ولا تعبير ، وما كان قد بطل هو وبقيت محاكياته فإنه يحتاج إليهما ، أما الوحي إلى التأويل وأما الرؤيا إلى التعبير ، هذا إذا لم يكن الرؤيا من أضغاث الأحلام التي يكون سببها أمزجة الأبدان وغلبة أحد الأخلاط وحديث النفس أو غير ذلك مما يخرج الرؤيا عن الحكم بصحتها ، وذكر مثل ذلك في إشاراته .

وقال شارح التلويحات في هذا المقام : أن الصورة السانحة إما أن تكون كلية أو جزئية فإن كانت كلية فإما أن تنطوي سريعاً أو تثبت ، فالمتخيلة التي من شأنها المحاكاة تحاكي تلك المعاني الكلية المنطبعة في النفس بصور جزئية لم تنطبع تلك الصورة في الخيال ، وينتقل إلى الحس المشترك فتصير مشاهدة فإن كان المشاهد شديد المناسبة لما أدركته النفس من المعنى الكلي حتى لا يتفاوت بينهما إلا بالكلية والجزئية كانت الرؤيا غنياً عن التعبير وإن لم يكن كذلك فإن كان هناك مناسبة يمكن الوقوف عليها والتنبه لها كما إذا صوّر المعنى بصورة لازمة أو مما يضادها احتيج حينئذ إلى التعبير وفائدته التحليل ، وإن لم يكن هناك مناسبة على الوجه المذكور فتلك الرؤيا مما يعد أضغاث أحلام وإن كان الصورة التي أدركها النفس من المبادىء العالية جزئية فقد تثبت تلك الصورة وقد لا يثبت ، والثانية إن حفظها الحافظة على وجهها ولم يتصرف القوة المتخيلة المحاكية للأشياء بتمثيلها فيصدق هذه الرؤيا ولا يحتاج أيضاً إلى تعبير ، وإن كان المتخيلة عالية وإدراك النفس للصور ضعيفاً أسرعت المتخيلة إلى تبديل ما رأت النفس بمثال ، وربما نزلت ذلك المثال بآخر وهكذا إلى حين اليقظة أو الإلتفات إلى معان آخر ، فإن انتهى إلى ما يمكن أن يعاد إليه بضرب من التهليل فهو رؤياً يفتقر إلى التعبير وإلا فهو من الأصغاث الأحلام أيضاً ، إلى غير

ذلك من كلماتهم التي يشبه بعضها بعضاً وحاصله أن الأثر الملقى وما أفيض من العالم الأعلى أن بقي بحاله لقوة النفس وقوة الذاكرة وضعف المتخيلة كان على طبق ما وقع أو يقع مما يشاهد في الخارج وإنما تحوله المتخيلة وتلبسه صورة أخرى تناسبه ، والصورة صورة أخرى وهكذا إذا كانت قوية ، سواء كان الأثر كليّاً أو جزئياً فمن ضعفت قوته المتخيلة كثرت مطابقة ما رآه لما في الخارج ، ومن قويت فيه احتاج إلى التعبير إذا لم يكن من الأضغاث .

وفيه أولاً : أن الصورة المرئية في هذا العالم قد تكون من مقتضيات الشيء المرئي فيه ، إذ الأشياء كثيراً ما تختلف صورهم باختلاف العوالم من غير تصرف للمتخيلة فيه ، ومدخلية له في ذلك فيحتاج إلى التعبير ومعرفة صورة المرئي في المنام في الخارج والمطابقة بينهما ، ولا ينافي ذلك قوة النفس وضعف المتخيلة ، ومن ذلك أفعال العباد من الحسنات والسيئات فإنها تصير في دار الحبور إلى جنات وقصور ، وتلبس صور الغلمان والحور ، أو تنقلب في دار النكال بالسلاسل والأغلال على نحو الحقيقة والوجود الأصلي الخارجي لا الظلي التبعي في عالم النفس والتخيل كما تقرر في باب المعاد .

وثانياً : أنه منقوض بمنامات الأنبياء والأئمة (ع) وقد تقدم شطر منها ، وجلها كل محتاجاً إلى التعبير ، ولا نفس أقوى من نفوسهم ولا ذاكرة أحفظ من ذاكرتهم ولا متخيلة أضعف من متخيلتهم :

وثالثاً : أن المتخيلة إن لم تكن عالمة بالصور المشابهة للشيء المرئي وأشباه الأثر الملقى فكيف يتمكن المعبر من التعبير والرجوع من صورة إلى مماثلها وإلقاء الخصوصيات وطرح المشخصات إذ لعلها حاكته بصورة لا تناسبه ، وألبسه ثوباً لا يوافقه ، وإن كانت عالمة بها قادرة على إبرازه في شكل يطابقه فما وجه جهله بكيفية التعبير واحتياجه إلى المعبر ، وكيف خفي عليه ما هو سبب في نضده وترتيبه في الذاكرة ، وكيف لا يقدر على ذلك في اليقظة وهو أقوى فيها منه في المنام ، مع أنا نرى جميع الناس إلا الأندر منهم جاهلين بالصور المناسبة للأشياء واقعاً في يقظتهم ، بل منكرين لأكثرها ومعتقدين

خلافها ، أيزعم من أعماه حبّ الدنيا أن الصورة المشابهة لصورة الدرهم والدينار صورة العذرة والنجاسات ، أو يحتمل من حبّب البكر إليه والترفع أن صورة المتكبر تناسب صورة الذرات ، وأن أريد بالمناسبة ما هو كذلك بزعمه واعتقاده وإن خالف الواقع وهو مع كونه خلاف الواقع لكثرة ما يرى الجهال والفساق والمنغمرين في بحار الشهوات والمعاصي صور أعمالهم القبيحة ، لا يمكن الالتزام به لاختلاف قواعد التعبير ، وما أشير إليه في بعض الأخبار وساعده الوجدان والاعتبار من أن المعبر لا بدّ وأن يعبر المنام بما يناسب حال الرائي لا ينافي ما ذكرنا ، إذ ليس الغرض منه ما يوافق اعتقاده وجهله المركب ، بل ما يناسبه من حيث الرتبة والشرف والرفعة والوضع والخساسة ، فإنّ العطاء على قدر استعداد المعطي .

ورابعاً : أنه منقوض بمنامات كثيرة للفساق والجهال ، ومن قويت متخيلتهم وضعفت نفوسهم المطابقة لما وقع أو يقع في الخارج ، فما السبب في التخلف فيهم وما سرّ سكون تخيلهم عن التصرف فيما ألقي إلى نفوسهم الضعيفة عن تحمله وتحفظه كما هو ، وبالجملة فلم أجد لما مهّدوه أصلاً تسكن إليه النفس ولا أنكر كون الأمر كما ذكروه في بعض المواضع لا لضعف النفس وقوة التخيل ، بل لقوتها وعلمها بأصل الشيء وصورة في العوالم .

وقال بعضهم : أن الأعراض الخارجية قد تغير صورة الشيء عما تقتضيه مادته في نفسها في عالم عقله ونفسه وجسده فإن جردت عنها تصوّر بصورة مخالفة لصورتها ، فإن كان الجسم مشوباً بالأعراض والنفس غير مشوبة تغير الجسم عن صورة كانت تنزل صورة نفسه ، وإن كانت النفس مشوبة بالأعراض والعقل غير مشوب تغير صورتها عن صورة كانت تنزل عقلها وبذلك اختلفت الصور المشهودة في عالم الأجساد مع الصور البرزخية والأخروية فلربما كان الشخص في الدنيا على صورة الإنسان وفي الآخرة على صورة أخرى ، فكانت إنسانيته في الدنيا عرضية ، ومن هذا الباب يقع المسخ إذا غلبت خصال النفوس الشقية على الشخص واستولت عليه فتهتك ستر أعراض ظاهرهم ، ويظهرون

بصورة ذاتية أجسادهم المطابقة لصور نفوسهم الحاصلة من صور أعمالهم ، فيصيرون بذلك وزغاً وقردة وخنازير وكلاباً وأمثال ذلك .

وبالجملة صورة الشيء في عالم المثال على خلاف صورته في عالم الزمان نعم أسفل عالم المثال المتصل بعالم الزمان يشاكل صورة الزمانية ، فإذا نام الإنسان فإما أن يتوجه إلى أدنى عالم المثال المرتبط بعالم الزمان والمواد الزمانية بسبب عدم الحجاب بينه وبين أسفل الزمان وعدم انقطاعه عنه بالكلية ، فيرى الأشياء كما هي في عالم الزمان إن لم يكن له صبغ آخر ، فيرى زيداً بصورته الزمانية إن جاء لمجيئه في الدنيا وتكلم وأكل وشرب كما يرى الرائي في الدنيا بعينه الظاهرة ، وأما إذا انقطع توجه الروح من أسفل عالم المثال توجه إلى أعلاه يتحد الأشياء هناك على صور غير صورها الدنياوية ، ولصعود الروح إلى أعلاه أسباب جسدانية كعدم كونه متجسداً بكثرة الرطوبات وغلظته ، وعدم قلة الرطوبات المنبعثة عنها الأبخرة الحاجبة بين الروح والجسد ، ، وإلا فلا يرفع تعلق الروح بالكلية ، ولا يتمحّض تعلّقه بأعلى عالم المثال ، فيسير في وسط الهواء ويشاهد الأشياء بصورها الزمانية وأسباب روحانية كالذكر والطهارة وعدم الاهتمام بشيء وشدة الفكرة فيه ، والتقوى والصلاح والعلم .

قال : فالرؤيا التي تخالف صورتها الزمانيات وتقع كما رأى الرائي بعينه أنزل رتبة وأقرب إلى الملك ، فما رآه الرائي في أعلم عالم المثال يحتاج إلى التعبير ، وما رآه في أسفل عالم المثال لا يحتاج إليه ولم يكن صبغ من نفس الروح ، وإلاّ فيصدق جنسها أو نوعها أو بعض أجزائها وأن لا يصدق أبداً (انتهى) محرراً .

ولا يغنى عن جوع لابتنائه على مناسبات غير مطردة ، وما ذكر في الأخبار من ذكر علل المسوخات إشارات وكنايات أو بيان لبعض أسبابها ، وإلا فمحال عادة اتفاق أهل قرية في مرتبة معينة من الخصال المذمومة مع أن المذكور فيها المعاصي الجوارحية لا الأفعال القلبية والصفات النفسانية المتوقفة على ملكات لا تحصل إلا بعد مدة طويلة بل في جملة منها حصوله بعد ذنب واحد ، مع أنّ

أمثالهم في كلّ قرن وأعصار ما لا يحصى كثرة .

ثم : إن كان الموجود في أعلى عالم المثال صورة نفس الإنسان على ما يقتضيه عمله دائماً كان العاصي مهتوك الستر عند الملأ الأعلى مفتضحاً عند أهل السماء وهذا ينافي وعده تعالى ورأفته وقد ستر النمام والمنافقين عن كليمه والزناة وغيرهم عن خليله ، وسريرة إبليس عن صفيه ، بل الموجود في الأخبار أن كل أحد لا يفتضح بين أهل المحشر من الأنبياء والمرسلين والملائكة بأصنافهم أجمعين ، والجنة والناس بما أكتسبه من المعاصي وقد أبليت السرائر ورفعت الحجب ووجد كل نفس ما عمل من خير أو شرّ محضراً ، « وفي دعوات الراوندي » روى أن في العرش تمثالاً لكل عبد ، فإذ اشتغل العبد بالعبادة رأت الملائكة تمثاله ، وإذا اشتغل بالمعصية أمر الله بعض الملائكة حتى يحجبوه بأجنحتهم ، لئلا تراه الملائكة فذلك معنى قوله (ع) : يا من أظهر الجميل وستر القبيح .

ثم : إن اللازم على ما ذكره عدم رؤية غير مهذبي النفوس من الأتقياء العالمين صور الأشياء كما هي ، لاحتياجها إلى صعود أرواحهم إلى أعلى عالم المثال المتعذر في حقهم ، وقد أوردنا من منامات الكفار والمشركين فضلاً عن الجهال والعاصين مما هو من هذا الباب ما يكفي للنقض ، ولم يكن في الذين كانوا في مصر وعبّر رؤياهم يوسف (ع) وصار من معجزاته قليل من الموصوفين بما ذكر ، بل كانوا من هذا الصنف قطعاً ، « وفي مكارم الأخلاق » كان رسول الله (ص) كثير الرؤيا ولا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، وظاهره مطابقة ما رآه في الخارج في الغالب لوجود بعض ما يحتاج إلى التأويل في مناماته كما مرّ .

ثم : إنه لم يبرهن على أن تغير الصورة الواقعية لشيء بالأعراض الخارجية أمر دائمي فيجوز بقائها على أصلها ويكون صورته في الدنيا والبرزخ واحدة لا تفاوت بينها إلّا في اللطافة والكثافة ، ويشهد لذلك ما في الكافي عن الصادق (ع) قال : فإذا قبضه الله (عزّ وجلّ) صير تلك الروح في قالب كقالبه

في الدنيا ، فيأكلون ويشربون ، فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا ، « وفي المحاسن » عنه (ع) أنه ذكـر الأرواح أرواح المؤمنين فقال : يلتقون ويتسائلون ويتعارفون حتى إذا رأيته قلت فلان .

واعلم : أن الـذي يختلج في البال أن يستنـد هذا الإختـلاف إلى أمور يمكن استنباطها عما ذكرناه سابقاً .

منها : ما هو من لوازم هذا العالم من حيث الرقة واللطافة وغيرها ، فإن الشيء الواحد تختلف صورته باختلاف حاله في ذلك كالحجر المستخرج منـه الزجاج المستخرج منه البلور ، ومنه يظهر الاختلاف في اللون بعد إشراق شعاع الشمس وسائر الأنـوار عليه ، وقـد أشير في كثيـر من الأخبار إلى أنّ لـون هذا العالم أخضر ففي المحاسن والكافي عن حنان قال : كنت مع أبي عبد الله (ع) على المائدة فمال علي بالبقل وامتنعت أنا منعـه لعلة كانت بي ، فـالتفت إليّ وقال : يا حنان أما علمت أن أمير المؤمنين (ع) لم يؤت بطبق ولا فطور إلا وعليه بقـل ؟ قلت : ولِمَ ذاك جعلت فداك ؟ قـال : لأن قلوب المؤمنين خضـر فهي تحن إلى أشكالها ، وفي الكافي خضرة ، « وعن مناقب ابن شهرآشـوب » أنه سأل ابن أبي العوجاء أبا عبد الله (ع) : لِمَ يميل القلب إلى الخضرة أكثر ممـا يميل إلى غيرهـا ؟ قال : من قبـل أن الله تعالى خلق القلب أخضـر ومن شأن الشيء أن يميل إلى شكله ، « وفي منتخب البصائر وغيره » عن الرضا (ع) : أن الله (عزّ وجلّ) خلف هذا النطاق زبرجدة خضـراء ، منها اخضـرت السماء ، قلت : وما النطاق ؟ قال : الحجاب ولله (عـزّ وجلّ) وراء ذلـك سبعون ألف عالم أكثر من عدد الجن والإنس ، وكلهم يلعن فلاناً وفلاناً ، « وفي الأمالي » عن رسول الله (ص) فيمن صام أربعة وعشرين يوماً من رجب فإذا نزل به ملك الموت ترآى له في صورة شاب عليه حلة من ديباج أخضر على فرس من أفراس الجنان ، وبيده حرير أخضر مملواً بالمسك الأذفر إلى أن قال : ثم يأخذ روحه في تلك الحرير وأمثال ذلك مما فيه إشارة إليه كثير ، وربما يستأنس له ببعض وجوه ليس هنا محلّ ذكره وربّما أول بعضهم الخضرة في تلك المقامات ببعض

أنواع العلوم .

قال التقي المجلسي في شرح الأنوار الأربعة التي خلق منها العرش كما في الكافي ما لفظه : والنور الأخضر المعرفة وهو العلم المتعلق بذاته وصفاته سبحانه كما هو مجرب في الرؤيا ، ويؤمي إليه ما روى عن الرضا (ع) أنه سأل عما يروى أنّ محمداً (ص) رأى ربه في صورة الشاب الموفق في صورة أبناء ثلاثين سنة رجلاه في خضرة فقال : رسول الله (ص) حين نظر إلى عظمة ربه كان في هيئة الشاب الموفق ، وسنّ أبناء ثلاثين سنة ، فقال الراوي : جعلت فداك من كانت رجلاه في خضرة ؟ قال : ذاك محمد (ص) كان إذا نظر إلى ربه بقلبه جعله في نور مثل نور الحجب حتى يستبين له ما في الحجب أن نور الله منه أخضر ومنه أحمر ومنه أبيض ومنه غير ذلك (الخبر) لأنه (ص) كان (ح) في مقام كمال العرفان ، وخايضاً في بحار معرفة الرحيم المنان وكانت رجلاه في النور الأخضر وقائماً في مقام من المعرفة لا يطيقها أحد من الملائكة والبشر وإنما عبروا بهذه العبارات والكنايات لقصور أفهامنا عن إدراك صرف الحق كما تعرض على النفوس الناقصة في المنام هذه الصورة ، ونحن في منام طويل من الغفلة عن المعارف الربانية والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا (انتهى) .

وليعلم : أنه قد يكون للشيء صورة في عالم المثال وليس له صورة في هذا العالم ، كالشجاعة التي صورتها الأسد ، والحيلة والخديعة فإن صورتها الثعلب ، والجهل فإن صورتها الخنزير ، ومتاع الدنيا فإن صورتها العذرة وغير ذلك مما سنشير إليه ، وقد يكون للشيء الواحد صور متعددة باعتبار جهات متعددة فيها كالعلم فإن صورته الماء من حيث كونه سبباً لحيوة النفس وبقائه ، والعسل لكونه أحلى الأشياء عندها وألذها واللبن لكونه من عالم الصفاء والضياء ، والأجسام النورية كالشمس والسراج لكونه سبب تنوير النفس وتفرقتها بين الحق والباطل وقد يختلف صورة الشيء باختلاف الأشخاص الذين يرونه وقد يكون الشيء الواحد مثالاً لشيئين مختلفين باختلاف الأشخاص كالماء فإنّه مثال للعلم الذي فيه الحيوة الحقيقية للنفوس للعلماء والمتعلمين ، وللمال الذي فيه حيوة الدنيا لأهلها أو باختلاف الأزمان كالنار ، والأمطار . فإنها مثال للراحة

والنشاط في الشتاء ، وللتعب والأمراض في الصيف .

ومنها : أن يكون سببه الإختلاف في المدرك وهو الروح إذا كان ضعيفاً وناقصاً من جهة العلم والإعتقاد ، بل مريضاً ومتشكلاً بصورة ما غلب على طبيعته من الأخلاط ، فإنه يدرك (ح) الشيء متكيفاً بما هو عليه ، ويخرجه عن الصورة التي تقوم فيه ، وقد منعنا سابقاً كونه كذلك دائماً ، غير أنه مما لا يمكن منعه كلياً لقيام التجربة ومساعدة حالات الحواس الظاهرة ، فإن الإنسان يرى الشيء الواحد مختلف الهيئة واللون والحجم باتلاف عينه بالصحة والمرض وقوة النور وضعفه ، بل قرب المرئي وبعده وغير ذلك مما هو مذكور في محله .

ومنها : أن يكون ذلك من مقتضيات وجود الشيء المرئي في هذا العالم ، كالأعمال الحسنة والقبيحة ، فإنها أعراض في الدنيا وجواهر في تلك الدار ، كما جاءت في متواتر الأخبار ، ومثلها الكعبة والقرآن وشهر رجب وشعبان ورمضان بل جميع الساعات والأزمان خصوصاً يوم الجمعة وليلة القدر ويوم الغدير وغيرها ، والسرّ في إطلاعه على ذلك وكشف الغطاء عن عين قلبه ورؤيته حقائق تلك الأشياء ، ما مرّ من الإنذار والبشارة والعقوبة والإختبار حسب ما قدّمت يداه ، وقد تكون صورة عمل حقيقة عمل آخر فيرى في المنام تلك الصورة إذا صدر منه أو من غيره هذا العمل مثل ما ورد من أن من فعل كذا كان كمن عمل كذا ، هذا إذا كان المقصود إزالة الريب عن قلب الرائي في كون عمل كالزيارة مثل الحج مثلاً ، وإلا فلا يرى حقيقة الحج .

ومنها : أن يكون السبب فيه الشيطان بأن يتصور في عينه الشيء المرئي في غير صورته ، كالمشعبد الذي يصرف الأبصار بحركات سريعة وخفة يد تلبس على الحس التفرق بين الشيء وشبهه ، لسرعة الإنتقال منه إلى شبهه ، ومنه بعض أنواع السحر ، « قال الطبرسي ره » : هو عمل خفي لخفاء سببه يصور الشيء بخلاف صورته ويقلبه من جنسه في الظاهر ولا يقلبه من جنسه في الحقيقة ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ **يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى** ﴾ ، « وفي طب الأئمة » عن الباقر (ع) : السحرة لم يسلطوا على شيء إلا العين ،

« وفيه » أن أبا بصير سأل الصادق (ع) عن سحر لبيد بن أعصم رسول الله (ص) ؟ فقال (ع) بلى كان النبي (ص) يرى يجامع وليس يجامع وكان يريد الباب ولا يبصره حتى يلمسه بيده والسحر حق وما سلط السحر إلا على العين والفرج الخبر[1] ، « وفي تفسير العياشي » عن الصادق (ع) قال : رأيت فاطمة (ع) في النوم كان الحسن والحسين (ع) ذبحا أو قتلا ، فأحزنها ذلك فأخبرت به رسول الله (ص) ، فقال : يا رؤيا فتمثلت بين يديه ، قال : أنت أريت فاطمة هذا البلاء ؟ قال؛ لا ، فقال : يا أضغاث وأنت أريت فاطمة هذا البلاء ؟ قالت : نعم يا رسول الله ، قال : ما أردت بذلك ؟ قالت : أردت أحزنها ، فقال (ص) لفاطمة (عليها الصلوة) : اسمعي ليس هذا بشيء .

قال المجلسي (ره) : كأن خطابه (ص) كان لملك الرؤيا وشيطان الأضغاث لقوله سبحانه : ﴿ **إنما النجوى من الشيطان** ﴾ أو تمثل لإعجازه لكل

---

(١) قال الطبرسي (رحمه الله) في كتاب مجمع البيان في تفسير قوله: ﴿**ومن شر النفاثات في العقد**﴾، قالوا إن لبيد بن أعصم اليهود سحر لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم دس ذلك في بئر لبني زريق فمرض رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم ذكر قصته إلى أن قال: ورووا ذلك عن عائشة وابن عباس ثم قال: وهذا لا يجوز لأن من وصف بأنه مسحور فكأنه قد خبل عقله وقد أبى الله سبحانه ذلك في قوله ﴿**وقال الظالمون أن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا**﴾ إلى أن قال: ولو قدروا على ذلك لقتلوه وقتلوا كثيراً من المؤمنين مع شدة عداوتهم بهم (انتهى).

وقال المحدث العلامة المجلسي (رحمه الله) في البحار بعد نقل حديث سحر لبيد بن أعصم رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بئر ذروان عن كتاب طب الأئمة ما لفظه: أقول: المشهور بين الامامية عدم تأثير السحر في الأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، وأولوا بعض الأخبار الواردة في ذلك وطرحوا بعضها (انتهى).

قلت: ويظهر من الفيض (رحمه الله) أيضاً أن تلك الروايات توافق روايات المخالفين من العامة قال (رحمه الله) في الصافي بعد ذكر روايات طب الأئمة: وروت العامة ما يقرب من ذلك.

فهذا الحديث مضافاً إلى مخالفته لما هو المشهور بين الامامية كما صرح به المجلسي (رحمه الله) موافق لما رواه العامة فيمكن حمله على التقية مع ما فيه من ضعف السند والله العالم.

منهما مثال وتعلق به روح فسأله ، ومثل هذا التسلط الذي يذهب آثره سريعاً من الشيطان ولم يوجب معصية على المعصومين لم يدل دليل على نفيه (انتهى) وقد مر تحقيق ذلك ويؤيد الإحتمال الأول[1] ما في تفسير علي بن إبراهيم عنه (ع) في هذه الحكاية : أن جبرائيل نزل وقال : يا محمد هذا شيطان يقال له الدها ، وهو الذي أرى فاطمة (ع) هذه الرؤيا ويؤذي المؤمنين في نومهم ما يغتمون به ، وفي رواية أخرى أن لإبليس شيطاناً يقال له هزع يملأ المشرق والمغرب في كل ليلة يأتي الناس في المنام .

ومنها : أن لا يكون المرئي هو أصل الشيء الخارجي أو صورته بل شيء آخر يشارك الخارجي في بعض الصفات الحسنة أو الذميمة الذي أريد تنبيه الرائي عليه ليترتب على الخارجي بعد الكشف عنه ما يترتب عيه بملاحظة هذه الصفة من فعل أو ترك أو زيادة ، أو نقصان أو حبّ أو بغض ، كالعذرة والقاذورات التي يراها الإنسان في المنام فيصاب مالاً حراماً أو حلالاً ، واللباس إذا رأى أنه لبسه أو خلعه فيزوج امرأة أو يطلقها ، وهذه الأسباب وغيرها مما يحتمل في المقام ولا يبلغه عقول ذوي الأفهام قد يجتمع في شيء واحد في منام واحد أو متعدداً أو في أمور متفرقة كذلك وهذه الأمور قد تكون من الأمور الماضية أو المستقبلة أو الحالية والجميع قد يكون مما يتعلق بنفس الرائي أو المكان الذي نام فيه أو يرى فيه الرؤيا أو بجملة ما وجد أو يوجد في العالم فإن الإنسان قد يرى حقيقة أعماله السابقة والعاكفة عليها ، وما يبتلي بها بعد حين من الحسنة والقبيحة والمركبة منهما في نوم واحد ، وقد يرى دفعة في مكان معين ما فعل فيه في السابق أو حال نومه أو يفعل فيه بعد أمة من الأقسام الثلاثة من غير ارتباط لتلك الأفعال به وإنما انكشفت له لبشارة أو إنذار أو إمتحان أو غير ذلك مما مرّ ، وقد يرى أموراً سلفت في العالم أو ستظهر فيه مما لا تختص بهما ، وإذا ضممت بعض ذلك بالآخر ثم بما ذكرنا من أقسام مباني اختلاف الصور ناقت الأجسام (كذا) وأوجبت جملة منها توهم كونها من الأضغاث

---

(١) أي المذكور في كلام المجلسي (رحمه الله).

والأحـلام كما وقـع لجلساء ملك مصـر في رؤيـاه مـع أنهـا كـانت من الأمـور المستقبلة المتعلقة بكلية العالم ، فلو كان معها شيء مما تقدم كانوا أولى بهذا المقال ومن هنا تعرف أن كثيراً من المنامات التي تحمل على الأضغاث لعـدم التمكن من ضمّ أجزاء بعض المنام إلى بعض ومعـرفة المنـاسبة بينهـا من هذا الباب .

المقام الثاني

في ذكر بعض ما ورد في تأويل الحجج (ع) لاستخراج بعض القواعد منه وقد أوردته بمتونه وأسانيده في صدر الكتاب وإنما نعيد مضمونه إجمالاً تسهيلاً للناظرين .

(أ) : رأى يوسف (ع) الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً ، وأول بابويـه وإخوته[1] .

(ب) : رأى نمرود لعنه الله كوكباً طلع فذهب بضوء الشمس والقمـر ، فأوّل بغلام يولد في نـاحيته يكـون هلاكـه وهلاك دينـه على يديـه ، وكان هـو إبراهيم (ع)[2] .

(ج) : رأى رجـل أن الشمس طالعـة على قـدميـه دون جسـده ، أوّلـه الصادق (ع) بمال يناله من نبات الأرض من برّ أو تمر يطأه بقدمه ويتسع فيه وهو حلال[3] .

(د) : رأى رجــل أن الشمس طلعت على رأسـه دون جســده ، أوّلـه الصادق (ع) بأنّه ينال أمراً جسيماً وديناً شاملاً ، قال (ع) : فلو غطتك لانغمست فيه ، ولكنها غـطت رأسك أمـا قرأت : ﴿ **فلمـا رأى الشمس بازغـة قال هـذا ربي** ﴾ ، فلما أفلت تبرأ منها إبراهيم ؟ قال : قلت : إنهم يقولون أن الشمس

---

(١) الجزء الأول من هذا الطبعة (ص ١٠٢).
(٢) (ج ١، ص ١٢٠).
(٣) (ج ١، ص ١٤٢).

خليفة أو ملك إلى آخر ما مرّ عن قريب[1] .

(هـ) : رأت هند زوجة أبي سفيان شمساً مشرقة على الدنيا كلها فولـد منها قمر فأشرق نوره على الدنيا كلها ، وولد منه نجمـان زاهران قـد أزهر من نورهما المشرق والمغرب وسحابة سوداء مظلمة كالليل ولد منها حية رقـطاء ، دبت إلى النجمين فـابتلعتهما ، والنـاس يتـأسفـون عليهمـا ، أوّل النبي (ص) الشمس بنفسه ، والقمر بفاطمة والنجمـان بالحسن والحسين (ع) ، والسحـابة بمعاوية والحية بيزيد لعنة الله عليهما[2] .

(و) : رأت صفية الخيبرية أن قمراً وقع في حجرهـا فقال زوجهـا : ما هذا ألا إنك تتمنين ملك الحجاز ؟ فسبيت وزوّجها النبي (ص)[3]

قلت : للشمس علو وارتفـاع ونور وشعـاع يهتـدي بـه النـاس في أمـور دنياهم ، وتأثير وتربية في العناصر والمركبات وقهرو غلبة على سائـر الكواكب النيرات ، يشترك في كل ذلك وغيره من سائر صفاتها مع أمور يمكن التعبير بها عنها كالدين الذي يهتـدي به النـاس في ظلمات جهلهم وكفـرهم ، والخلافـة الإلهيـة التي تخضع دونهـا كل جبـار ، والسلطنة الـظاهرة التي تتقلب بـأيـدي الفسـاق والكفار ، فيصـح أن يأول الشمس تـارة برسـول الله (ص) ، وأخرى بنمرود كما ورد كذلك في تأويل شموس القرآن ففي الأخبار المستفيضة في قوله تـعـالى : ﴿ **والـشمس وضـحـاهـا** ﴾ الشـمس رسـول الله (ص) أوضـح الله (عزّ وجلّ) للناس دينهم ، ﴿ **والقمر إذا تلاها** ﴾ ذاك أمير المؤمنين (ع) تلا رسول الله (ص) ونفثه بالعلم نفثاً ، « وفي تفسير علي » عن الرضا (ع) في قوله تعالى : ﴿ **الشمس والقمر بحسبان** ﴾ ، وإنما عناهما لعنهمـا الله ، وحيث أن تعبير الرؤيا يختلف باختلاف الأشخاص والواجب التأويل بمناسبة حال الـرائي في الرفعة والضعة والكفر والـديانـة أوّل (ع) طلوع الشمس على رأس الرجـل

---

(١) (ج ١، ص ١٤٤).
(٢) (ج ١، ص ١٩٦).
(٣) (ج ١، ص ١٩٣).

الذي لم يكن في آبائه خلافة وملك يحتمل في حقه ذلك بظهور الدين لمشاعره ومداركه التي هي في رأسه وعدم تغطيتها سائر جسده بعدم توغله في الدين كما هو وعلى قدمه بالمال الحلال الذي ليس بعد الدين أمر جسيم مثله ، ومن ذلك يعرف وجه ما قيل من أن الشمس ملك عظيم وما رأى فيها من تغير أو كسوف فهو حدث بالملك من همّ أو مرض أو نحوه والقمر وزير الملك ، والزهرة امرأة وعطارد كاتبه والمريخ صاحب حربه وزحل صاحب عذابه والمشتري صاحب ماله ، وسائر النجوم العظام أشراف الناس وإنما يكون القمر وزيراً ما رأى في السماء ، فإن رأى عنده أو في حجره أو في بيته تزوّج زوجاً يغلب ضوءه رجلاً كان أو امرأة ، وقد أخذ ذلك من النجوم ، ونحن نذكر إنشاء الله بعض ما قالوه في المقام .

(ز) : رأى النبي (ص) شجرة عظيمة غليظة الساق ثابتة الأصل باسقة الفرع غلاظ مستويات ، وعلى كل واحد غصن واثنان وثلاثة ، وعند ساق الشجرة من الحشيش ما لا يتهيأ وصفه ، فأوّل (ص) الشجرة به (ص) والأغصان بأهل بيته والحشيش بمحبيه ومواليه[1] .

(ح) : رأى نضر بن كنانة جدّ النبي (ص) شجرة خضراء خرجت من ظهره وبلغ أعنان السماء وأغصانها نور في نور[2] .

(ط) : رأى عبد المطلب شجرة نبتت على ظهره نال رأسها السماء ، وضربت بأغصانها الشرق والغرب ، يزهر منها نور أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً ، ورأى العرب والعجم ساجدة لها ، وهي كل يوم تزداد عظماً ونوراً ، وإن رهطاً من قريش أرادوا قطعها فإذا دنوا منها أخذهم شاب من أحسن الناس فيأخذهم ويكسر ظهورهم ويقلع أعينهم (الخ)[3] أوّل الشجرة بالنبي (ص) والشاب بأمير المؤمنين (ع) .

---

(١) (ج ١ ، ص ٤٩).
(٢) (ج ١ ، ص ١٢٦).
(٣) (ج ١ ، ص ١٣٠).

(ى) : رأى رجل أن كرم بستانه حمل بطيخاً أوّله الصادق (ع) بأن امرأته حملت من غيره[1] .

(يا) : رأى بخت نصر شجرة عظيمة شديدة الخضرة ، فرعها في السماء عليها طير السماء ، وفي ظلها وحوش الأرض وسباعها ، فبينما هو ينظر إليها إذ أقبل ملك يحمل حديدة كالفأس على عنقه ، وصرخ بملك آخر في باب من أبواب السماء يقول له : كيف أمرك الله أن تفعل بالشجرة أمرك أن تجتثها من أصلها أم أمرك أن تأخذ بعضها ؟ فقال له : إن الله تعالى يقول : خذ منها وابق ، فضرب رأسها بفأس ، فانقطع وتفرق ما كان عليها من الطير وما كان تحتها من السباع والوحش وبقي الجذع لا هيئته لها ولا حسن ، فأوَّل دانيال (ع) الشجرة به ، والطيور بولده وأهله والسباع والوحوش برعيته (الخبر)[2] .

(يب) : رأى رجل شبحاً من خشب يلوح بسيفه وهو يشاهده فزعاً فأوّله الصادق (ع) بنفسه وأنه يريد اغتيال رجل في معيشته[3] .

قلت : أن الشجرة بل مطلق النبات أشبه شيء بالإنسان من بدو غرسها في أرض طيبة أو خبيثة ، وسقيها بماء ملح أو عذب فراع ، وقلع الشوكة من أطرافها وإبقائها وكثرة أغصانها وقلّتها ووجود الثمرة لها وعدمه واختلاف ثمرها ف النفع والضرر وطول البقاء وقصر زمنته وعموم الإنتفاع به وعدمه ، وكونها في محل محفوظ عن الحوادث الخارجة وعدمه ، وهكذا الإنسان من حيث إنسانيته وترقيه من عالم طبيعته وصعود نفسه عن درجة بهيمية وسبعيته وشيطانيته وتكميله قوتيه العلمية والعملية اللتين بهما يقدر على العروج إلى عالم القدس الأعلى وعدم ذلك كله وانتفاع الناس به في ذلك وعدمه ، وحفظه عقائده وعلومه الحقة وأعماله الحسنة عن أبالسة الأوهام والآفات العظام وعدمه ، وأمثال ذلك مثلها ولذا عبّر الله تعالى عن الفريقين بها كثيراً في كتابه العزيز فقال تعالى : ﴿ ومثل

---

(١) (ج ١، ص ١٥٩).
(٢) (ج ١، ص ١١٠).
(٣) (ج ١، ص ١٤٤).

كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾ ، ففي الباقري : الشجرة رسول الله (ص) ونسبه ثابت في بني هاشم وفرع الشجرة علي بن أبي طالب (ع) وغصن الشجرة فاطمة (ع) وثمرتها الأئمة من ولد علي وفاطمة (ع) وشيعتهم ورقها ، « وفي خبر » والأئمة أغصانها وعلمنا ثمرها وفي الباقري أيضاً أن الشجرة الخبيثة بنو أمية وكذا في أخبار كثيرة في قوله تعالى : **﴿ والشجرة الملعونة في القرآن ﴾** ، ومرّ بعضها في منامات النبي (ص) ، « وفي المجمع » في النبوي في قوله تعالى : **﴿ صنوان وغير صنوان ﴾** أنه (ص) قال لعلي (ع) : الناس من شجر شتى وأنا وأنت من شجرة واحدة .

وفي تفسير محمد بن العبّاس تأويل قوله تعالى : **﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾** بالنبي والأوصياء (صلوات الله عليهم) ، « وفي الصادقي » المروي في تفسير علي أن المراد من الشجرة في قوله تعالى : **﴿ ومن الشجر ومما يعرشون ﴾** العجم بعد تفسير النحل بهم (ع) ويشير إلى ذلك أيضاً ما في الكافي وغيره في قوله تعالى : **﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه إنا صببنا الماء صباً ثم شققنا الأرض شقاً فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً وفاكهة وابأ ﴾** عن زيد الشحام عن أبي عبد الله (ع) قلت : ما طعامه ؟ قال : علمه الذي يأخذه عمن يأخذه .

وعليه فيمكن أن تكون في الأقسام إشارة إلى أنواع المعارف الإلهية والعلوم المحمدية والحكم العلوية فجاز تأويل الأشجار المختلفة بالرجال المختلفة ومعرفة نفسه بما يراه في المنام من أقسامها قال المولى « محمد صالح » في شرح الخبر الأخير : وكأنه (ع) أوّل رؤياه بالإلهام والتعليم الرباني ويحتمل أنه (ع) استنبط أن ذلك الرائي منافق يريد اغتيال غيره من قوله تعالى : **﴿ كأنهم خشب مسندة ﴾** وقد فسّر بعض المفسرين الخشب بالمنافق نظراً إلى هذه الآية ، فذلك الشبح الخشبي كان مثاله ، وذلك الفرس الخشبي كان نفاقه ، وكما أن المنافق في ترويج أمره راكب على فرس النفاق الذي لا يكون

أمره رائجاً ، ولا يوصل صاحبه إلى منزل كذلك الفرس الخشبي وسيف ذلك الشبح قصد الرائي إهلاك غيره ، وأما كون الإغتيال في أمر المعيشة فيحتمل أنه مستنبط من ركوبه على الفرس ، لأن الفرس قد يأوّل بالدنيا وسعة المعاش ، ولأنه سبب لازدياد الرزق والتوسعة في المعيشة وطلب الدنيا كما في بعض الروايات .

قلت : ومن هنا أوّل بعضهم رؤيا من رأى أنه يحمل البيض إلى تحت الأخشاب بأنّه يقود الفاحشات إلى الرجال ، إذ البيض هي النساء لقوله تعالى : ﴿ **كأنهن بيض مكنون** ﴾ ومما ينسب إلى نبي الله يوسف (ع) أن من رأى أن الأشجار يبست يصير الرائي كاذباً ، وإن كان الخشب اليابس مما ينتفع به يصل إليه منفعة عظيمة ، وإن رأى أنه قلع الأشجار أو كسرها يصل إليه همّ كثير ، وإن رأى النخيل يصل إليه نفع عظيم ، وإن رأى نفسه فوق الشجر يصير غنياً ، وإن رأى نفسه فوق شجرة الزيتون أو تحتها يصير مسروراً في النشأتين ، وشجرة الرمان الحلو مال حلال ، والحامض الحرام ، وشجرة النارنج مرض قليل ، والعنب الأبيض غنى للمفلس ، والأسود الثلج والمطر والحصرم[1] استماع كلمات سوء من الأقارب ، والزبيب طول في العسر إلى آخر ما لا يقتضي المقام ذكره لعدم الظن بالنسبة .

(**يج**) : قال الصادق (ع) : من رأى أنه في الحرم وكان خائفاً أمن ، أخذ (ع) ذلك من قوله تعالى : ﴿ **حرماً آمناً** ﴾ ، وفيه إشارة إلى جواز استخراج التعبير من كلام الله تعالى ولا بأس بذكر بعضه من تنزيله أو تأويله فمن رأى أنه في بلاد الشام خصوصاً بيت المقدس يبارك في ماله أو ولده أو علمه بخسب حاله يرزق من الطيبات لقوله تعالى : ﴿ **ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوء صدق ورزقناهم من الطيبات** ﴾ فقد فسّر بالشام وبيت المقدس وقيل مصر وقوله تعالى : ﴿ **ونجّيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا**

---

(١) الحصرم بكسر الحاء : أول العنب ما دام أخضر حامضاً ويقال له بالفارسية (غوره) .

فيها ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ﴾ ، فقد فسر الأرض والقرى بأرض الشام وقراها ويساعده جملة من الأخبار . ومثل الشام كربلاء ، لقوله تعالى : ﴿ نودي من شاطىء الواد الأيمن في البقعة المباركة ﴾ ، ففي التهذيب عن الصادق (ع) أن البقعة المباركة هي كربلاء ، ومن ذلك تأويل الحبل بالعهد والأمان ، لقوله تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ﴾ ، والسفينة بالنجاة ، لقوله تعالى : ﴿ وأنجيناه وأصحاب السفينة ﴾ ، والبحر المتلاطم المواج بالشهوات والأهواء لقوله تعالى : ﴿ كظلمات في بحر لجّي يغشاه موج من فوقه موج ﴾ ، والنار بما يأتي والصعود إلى السماء بالعلو والرفعة لقوله تعالى : ﴿ ورفعناه مكاناً علياً ﴾ ، والخشبة بالنفاق لقوله تعالى : ﴿ كأنهم خشب مسندة ﴾ ، والحجارة بالقسوة لقوله تعالى : ﴿ وأشد قسوة ﴾ ، والمرض بالنفاق لقوله تعالى : ﴿ في قلوبهم مرض ﴾ والماء بالفتنة لقوله تعالى : ﴿ واسقيناهم ماءاً غدقاً لنفتنهم ﴾ كذا قيل .

وفيه أن له أوصافاً وخواصاً شتى يمكن التأويل بها بحسب اختلاف الأشخاص فوقوع المطر على بدنه بذهاب أقذار المعاصي ورجز الشيطان لقوله تعالى : ﴿ وينزل عليكم من السماء ماءاً ليطّهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبّت به الأقدام ﴾ ، وبالعلوم لقوله تعالى : ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ﴾ الآية ، ففي تفسير عليّ يقول : أنزل الحق من السماء فاحتمله القلوب بأهوائها ذو اليقين على قدر يقينه وذو الشك على قدر شكّه (الخ) ، ومثله قوله تعالى : ﴿ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وماء مسكوب ﴾ ، ففي الصادقي أنه ما يخرج من الإمام وقد يعبر بالإمام (ع) لقول الرضا (ع) في قوله تعالى : ﴿ أن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين ﴾ ، ماؤكم أبوابكم أي الأئمة وبخصوص الحجة (ع) ، « ففي غيبة الطوسي » بسندين عن الباقر

والكاظم (ع) أن أصبح إمامكم غائباً فمن يأتيكم بإمام ظاهر وفي لفظ إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فماذا تصنعون ، « وفي تفسير فرات » عن الباقر (ع) في قـوله تعـالى : ﴿ **أنهار من مـاء غير آسن** ﴾ الـخ فالأنهـار رجـال ، ومـاء غيـر آسن علي (ع) في الباطن ، ﴿ **وأنهار من لبن لم يتغير طعمه** ﴾ ، فإنه الإمام (ع) ، ﴿ **وأنهار من خمر لذة للشاربين** ﴾ فإنه علمهم يتلذذ منـه شيعتهم **وأكل اللحم** النيء[1] ، بالغيبة لقوله تعـالى : ﴿ **أيحب أحدكم أن يـأكل لحم أخيـه ميتاً** ﴾ **ودخول الملك** قرية أو داراً تصغر عن قدره وينكر دخول مثله مثلها بمصيبة وذلّ ينال أهلها لقوله تعالى : ﴿ **أن الملوك إذا دخلوا قريـة أفسدوهـا وجعلوا أعزة أهلها أذلة** ﴾ ، **والبيض** بالنساء لقوله تعـالى : ﴿ **كأنهن بيض مكنـون** ﴾ **وكذا اليـاقوت والمرجان** لقوله تعالى : ﴿ **كأنهن اليـاقوت والمـرجان** ﴾ ، **واللبـاس** بالزوجـة أو الزوج لقـوله تعـالى : ﴿ **هنّ لباس لكم وأنتم لبـاس لهنّ** ﴾ **وقيام القيامة** في موضع بانبساط العدل في ذلك المكان فإن كانوا مظلومين نصروا وإن كانوا ظالمين انتقم منهم لقوله تعالى : ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامـة فلا تظلم نفس شيئاً** ﴾ ، **والغسل والوضوء** بالماء البارد توبة وشفاء من المرض لقوله تعالى : ﴿ **هذا مغتسل بارد وشراب** ﴾ فلما اغتسل أيوب (ع) خـرج من المكاره ، **والأذان** حج لقوله تعالى : ﴿ **وآذن في الناس بالحج** ﴾ **والركوع** توبة لقوله تعالى : ﴿ **وخرّ راكعاً وأناب** ﴾ **والسجود** قرب لقوله تعالى : ﴿ **واسجد واقترب** ﴾ ، **والكلب** الذي يلهث بالعالم الفاجر لقوله تعـالى في قصة بلعم : ﴿ **فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث** ﴾ **والحمار الحامل للكتب** بالعالم الذي لا يعمل بعلمه لقوله تعالى : ﴿ **ومثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً** ﴾ **والزرع** القائم الحسن له بـأمور يمكن استظهارها من قولـه تعالى : ﴿ **محمـد رسول الله** (ص) ﴾ ﴿ **والـذين معه أشدّاء على الكفار** ﴾ ، إلى قوله : ﴿ **ومثلهم في الإنجيل كزرع أخـرج شطأه**

---

(١) النيء ـ بتشديد الياء وأصله النيء فابـدل الهمزة يـاء وأدغم في الياء ـ وهـو من اللحم: الذي لم تمسه النار أو لم ينضج .

فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾ إذ قد يكون الغرض من التشبيه دوام الدين بدوام صلاح المؤمنين ، فكما أن الزرع لا يبيد ولا يفنى إلا بعد تبديل الأرض وانفطار السماء وإلا فما دام السماء منفتقة والأرض منصدعة ، لا يكون له نفاد وهلكة ، فكذلك المؤمنون القائمون على سوق الدين لا أفول لشروقهم ولا خمول لبروقهم .

نجوم سماء كلما غاب كوكب   بدى كوكب تأوي إليه كواكبه

يورث إيمان كل واحد غيره ، ويصير كأوله آخره إلى أن يتصل بالنشور وعداً من الله العزيز الشكور ، فيعبر زرعه الذي بما رآه بما فيه دوام لذكره ويختلف باختلاف الأشخاص فقد يكون ذلك في اتصال النسل وعدم انقطاعه وقد يكون ببقاء علومه الحقه في الكتب والدفاتر أو في صدور الحرائر وقد يكون باتصال صدقات جارية له في الدنيا ينتفع منها أهل الفقر والغنا وهكذا .

ويحتمل أن يكون الغرض قوة أهل الدين وغلبتهم بعد ضعف جمعهم وشوكتهم ، فكما أنّ الحبّ المستور تحت التراب من أول خبئه إلى أوان استوائه على سوقه دليل لكل شيء ، إذ يطأه كل ما دبّ ودرج وتشتته كل ريح وهمج ، ثم يعلو ويغلب عليه ويصير مبغوطاً لكل من ينظر إليه ، فكذلك الدين من أول ظهوره كان ضعيفاً بضعف المؤمنين ، ثم صار بعد حين قوياً بقوتهم على المشركين ، فيعبر (ح) بما يناسب الحال من الغلبة بالعلم أو الملك أو العشيرة أو المال .

ويجوز أن يكون المقصود انتشار الدين وكثرة المؤمنين وتزايدهم يوماً يوماً في طول السنين ، فكما أنّ الحبّ الواحد إذا انشق ونما يزيد يوماً فيوماً إلى أن يملأ أغصانه الهواء وأفنائه الفضاء ، وتصير الحبة الواحدة سبعمائة والله يضاعف لمن يشاء ، فكذلك حال هذا الدين في انتشاره بكثرة أهله كما وعد الله به خاتم رسله ، فقد جاء في صحيح الأخبار أنّه يأتي يوم لا يبقى في الأرض من الكافرين دياراً .

ويحتمل أن يكون المراد كثرة الإنتفاع لهم لإيمانهم ، فكما أن الزرع

ينتفع به من أول بروزه إذ هو (ح) أنظر شيء يميل القلب إلى النظر إليه ، وأحسن شيء لإذهاب الأحزان الكامنة فيه إلى حصاده ، وإخراج الحبّ منه للمنافع الجمة التي منها زرعه ثانياً ، فكذلك المؤمن الذي زكاه الله بنبيّه في قوله : ﴿ **هو الذي بعث في الأميين رسولاً منه يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم** ﴾ على بعض الوجوه وأنماه وأنبته نباتاً حسناً لا يضرّه عدوّه وهواه ، ينتفع بقوله وفعله وحاله في تمام لياليه وأيامه لأمور دنياه وآخرته ، من أول أمره إلى غيبته في حضرته ، ثم إنك بعد التأمل في منافع الزرع وخواصه وما يعرضه من الإختلاف ككون الزرع في أرضه أو أرض غيره وفي أوانه أو في غير أوانه أو حصده أو هم قائم أو حصد زرع غيره أو غيره حصد زرعه أو أفناه إعصار فيه نار ، وأمثال ذلك تقدر على وجوه التعبير بعد ملاحظة حال الرائي ، **والمرج** : والعشب والنبات المونق المعجب بأمور حسب اختلاف حال الرائي وزمانه ومكانه والأعمال التي هو عاكف عليها يمكن استظهارها من قوله تعالى : ﴿ **اعلموا إنما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد** ﴾ ، ومن قوله تعالى : ﴿ **واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الريح** ﴾ ، ومن قوله تعالى : ﴿ **إنما مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتيها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس** ﴾ إذ يحتمل أن يكون المقصود تقبيح الدنيا وبيان عدم جواز التعلق بها والأغترار بزخارفها وزينتها لسرعة تقضيها وزوالها وقلة فائدتها وجدواها وما لا بقاء له ولا دوام فالعاقل لا يحوم حوله ، ولا يترقب حصوله ويؤكد هذا الإحتمال في الرائي لو رأى النبات بعد زهرته وحسنه هشيماً تذروه الرياح .

ويحتمل أن يكون الغرض بيان مقدار الممدوح من الدنيا والمذموم منها . فكما أن صاحب النبات يقتصر في انتفاعه به بما يصلح به جسده أو يرتزق به أهله ومن يعوله أو يوسّع به على أهل الفقر والإحتياج ويرغب عما زاد على

ذلك ، ولا ينظر إلى ما ليس فيه بعض تلك المنافع ، فكذلك الإنسان لا بدّ وأن يقتصر من الدنيا ما يسدّ به خلته ، ويقوّي بـه جسده ، ويتـوسل بـه إلى حجه وزيارته ، وينفق به خاصته ويتصدق به على قرابته وأحبته ، ويدخل الجميع في حقيقـة الإنفاق في سبيـل الله المرغب في الآيـات والأخبار ، فـإن الظاهـر أن المقصود منه صرف المال وإخراجه عن نفسه على النحو الذي فيه رضاه تعالى ، سواء صرفه على نفسه أو على غيره ، لا الأخير خاصة ، وفي حقيقة الإمتاع في قوله تعـالى : ﴿ **فلينظر الإنسـان إلى طعامـه** ﴾ إلى قولـه : ﴿ **متاعـاً لكم ولا نعـامكم** ﴾ ، إذ ما سـوى الموارد المـذكورة ممـا يجمعه الإنسـان لا يتمتع بـه حقيقة ، وإنما هو خازن فيه لغيره فمن تعلقت بـه العنايـة الإلهية وأريـد تنبيهه وتعليمـه ميزان الممـدوح والمذمـوم من الـدنيـا إذا عكف عليهـا أو أخـطأ في تشخيصها يرى تلك الرؤيا .

ويحتمل أن يكون المقصود فيها خصـوصاً الأخيـرتين بيان الحق والعلوم النـازلة من سمـاء الفيض الإلهي إلى أراضي النفوس الميتـة فقد تقـدم تأويـل الحشيش بالأناسي في رؤياء النبي (ص) ويكون حالها كقوله تعـالى : ﴿ **أنزل من السماء ماءاً فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقد عليـه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل وأما الزبد فيذهب جفاءاً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض** ﴾ بنـاء على تفسير المـاء بالحق النازل من السماء والقلوب بالأودية والزبـد بالأبـاطيل التي اجتمت معـه سواء كان منشأها الحق النازل كالمتشابهات التي يتبعها من في قلبه زيـغ أو ما يلقيه الشيطان في قلبه معه من الوساوس والتأويلات الباطلة ، والشك الذي في قلبه ، كما ورد في الخبر في بقدرها (كذا) فـذو اليقين على قدر يقينـه ، وذو الشك على قدر شكه ، وتفصيل ذلك وتوضيح انطباقه مـع الآيات يحتـاج إلى بسط لا يقتضيه المقام .

والذي ينبغي التنبيه عليه أن المقصود من تلك الآيات وما يشبهها مما ذكر فيها الماء والنبات والزرع وحياة الأرض على اختلاف سياقها ومواردها ، زيـادة على ما ذكرنا إثبات الصانع جلا وعلا وانحصار المؤثر فيه تعالى ورفـع استبعاد

البعث والنشور ، ورفع شبهة المعراج وسرعة نزول الوحي ، وشبهة الآكل والمأكول ، وبيان تأهب من ساوق النبات في البلوغ إلى حده المقرر لنوعه ، وبروز ثمره المطلوب منه للرحيل ، والإشارة إلى عدم قدرته على تحفظه نفسه من الآفات والبليات في دار تترامية سهام الحوادث من كل الجهات ، وإلى كيفية الخلقة من ابتداء امتزاج النطفة والحصة الترابية بما يحتاج من الماء بعد حيوة محل انعقاده كالأرض به ، ثم نمّو أعضاءه وكثرة أجزاءه به ، وبما يحمل معه من الأجزاء الأرضية والهوائية إلى مقام لا يعدوه ثم بقاء ذلك الحدّ وحفظه بسببه ، ثم صيرورته سبباً لهلاكه كالنبات قال تعالى : ﴿ **والله أخرجكم من الأرض نباتاً** ﴾ ، وقال : ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم** ﴾ ، وإلى عجزه وعدم الاختيار والقهر تحت سلطنة عزيز جبار ، فلا يمكن الزيادة فيما قدر نقصه والنقص فيما قضى زيادته ، ولا العقيم أن يولد ولا الأب أن لا يولد ولا صاحب الأربعين أن يعيش بعده بساعة أو يموت قبله ، وإن بلغ به المرض الغاية ، وإنما يخالف النبات بعد ذلك في الأفعال الصادرة عنه بالإختيار ، وإلى إمكان تبدل سيئات مراتبة النباتية والحيوانية والإنسانية والأمراض العارض لها في خلال حيوته بحسناتها بإعانة علمي الطب والدين في مراتبه الثلاثة من العقائد والأخلاق والأعمال كما في عوارض الزرع والنبات مما يمكن بتدبير علم الفلاحة تبديل سيئات آفاته بالحسنات .

وإلى ما يؤول إليه أمر الصدقات وما ينفقه في سبيل الخيرات كما قال تعالى : ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنّة بربروة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطلّ والله بما تعملون بصير** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **مثل الذين ينفقون في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** ﴾ .

« وقد أشار تعالى في هذا التمثيل العجيب إلى جميع ما يشترط في التصدق مما به قوامه فإن من أهمّ ما على الزارع قبل زرعه تحصيل بذر صالح لا عيب فيه ، وعلى المنفق الإنفاق من طيب ماله كما قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين**

آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمّموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ﴾ ، فنهى عن قصد الإنفاق فكيف بفعله ، وعلى الزارع تعيين أرض طيّبة تخرج نباتها بإذن ربّها لا الخبيث الذي لا يخرج إلا نكداً ، وعلى المنفق الإنفاق على من يحبّه الله ويقوّى به على طاعته كما قال تعالى بعد آيات الإنفاق : ﴿ للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا ﴾ لا على من يستعين به على معصية الله ، وعلى الزارع تخليص بذره عند زرعه عما يمنعه من النمو والترقي ، وقلع ما نبت معه مما يفسده ، وعلى المنفق أن ينفق كما عرفت ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من نفسه ، وعالماً بأنه تعالى يخلقه » كما قال تعالى : ﴿ وما تنفقوا من خير يوفّ إليكم ﴾ ، وقال : ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ﴾ لا رياءً فإن مثله كما قال تعالى : ﴿ مثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا ﴾ ولا كارهاً كما قال فيمن لا تقبل نفقاتهم ﴿ ولا ينفقون ألا وهم كارهون ﴾ ، وعلى الزارع أن يحفظ زرعه من تطرق الآفات إليه ، وعلى المنفق أن لا يبطل ما أنفقه كما قال تعالى : ﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منّاً ولا أذى لهم أجرهم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى ﴾ وقال تعالى : ﴿ مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صرٌ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته ﴾ ، وعلى الزارع أن يخفي زرعه عن غيره قبله وبعده عن عدوّه الذي همّه في تضييعه وستر البذر تحت التراب وإخفاؤه عن عيون الطيور والنمل وغيرها ، وعلى المتصدق التصدق سراً وعدم إخباره به قبله وبعده حفظاً عن شياطين الإنس والجن ، وعلى الزارع أن يبقي بعد حصاد مقداراً من الحبوب لزرعه ثانياً بعد صرف ما يحتاج إليه منها ، وعلى المنفق الإنفاق مما يخلفه الله عليه كذلك قال : ﴿ ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ﴾ أي ما فضل من قوت السنة أو ما فضل عن الأهل والعيال دائماً إلى غير ذلك مما يحتاج إلى تدبر فيهما .

وإلى كيفية : تقسيم الأرزاق بين العباد وارتـزاق بعضها بتـوسط بعض ، ومع ذلك لا يقدر القوي أن يأكل زائداً على سهمه ، ولا أن يمنع الضعيف عن حقه ، والضعيف لا يقدر أن يمنع حصته ولا يفوته ما قدر له ، ولا يوجب كثرة الوسائد نسبة الأرزاق إلى غيره تعالى كما أن أجزاء النبات يرتزق بعضها بتوسط الآخر ، ويأتي الماء إلى آخر ورقة في أقصى أغصان الأشجار الكبيرة بعد تقلبه في كثير من الأغصان الكبيرة والصغيرة ومع هذا فلا يقدر الساق الذي هو أقربها إليه وأكثرها سهماً وأقويها أن يشرب أزيد من سهمه ، ولا أن يمنع سهم غيره ولا حظّ له في التوسط إلا كتوسط سائر الآلات .

وإلى اختلاف : الناس في مراتب المنافـع والمضار كمّـاً وكيفاً وظهـوراً وخفاءاً كأقسام النبات التي بعضها كالترياق الأعظم ، وبعضها القتال من السم ، والنافع بعضها والمضار بعضها والجامع لهما وما خفي نفعه وما ستر ضرّه وما قلّ وجوده وما كثر حصوله وكم من نبات بين أيدي الناس لا يبـالون بـه ، وهو في المنفعـة كالكيميـاء ، كالمؤمن الكـامل الـذي بين أظهرهم ويـزعمون أنـه من الجهلاء ، وكم من شجرة كبيرة يعجب الناظر بهجة أوراقها وحسن منظر هـالا ينتفع أحد بشيء من ثمرها .

وإلى كيفية إصلاح المزاج والحال واختلاف الأمراض والآفات فإن منها ما يعرض أصول النبات فيسرع الفساد إلى أغصانها وأوراقها ، ولا ينفعه التدبير إلا بمشقة شديدة من ذي علم كامل كالأمـراض التي تعرض الأجـزاء الرئيسـة في الجسد وهي القلب والدماغ والكبد والعقـائد الحقّـة التي إن فقدهـا أحد هلك وأهلك ومنها ما يعرض الأغصان ومنها ما يعرض الثمار قبل صلاحهـا وبعدهـا ومنها ما يعرض الأوراق وتطبيقهـا بما يعـرض مراتب ظـواهر الإنسـان وبواطنـه ظاهر .

وإلى اختلاف طبقات الإنسان في الغنى والفقر وشدة ابتلاء الأول وتعبه ، وفراغه الثاني وراحته ، كأقسام النبات والأشجار فكـل ما يـرون فيه أغـراضهم ومناهم يسرعون إلى قطعه وإبانته فأكثرها نفعاً لهم أشدهـا تعباً منهم ، وما لا

يرون له نفعاً لا يبالون بوجوده وعدمه ، إلى غير ذلك من جهات التشبيه التي يمكن استخراجها وانطباقها على الآيات المذكورة ، وإن اختلف ظهور بعضها في بعض إلا أنه يمكن استظهار جميعها من مثل قوله تعالى : ﴿ **والله أخرجكم من الأرض نباتاً** ﴾ وقد خرجنا عن المقصود إلا أن الكلام يجرّ بعضها إلى بعض مع أن فيما ذكرنا من فوائد التعبير ما لا يخفى ، فإن المستخرج من القرآن قد يكون من ظاهره وتنزيله وقد يكون من باطنه وتأويله وليعلم أن المراد بالحيوة الدنيا في الآيات المتقدمة إما ما يقابل الأعلى أو ما يقابل الأكبر أو ما يقابل الأبعد أو ما يقابل الدائم ولا بدّ من ملاحظة المقام وسياق الكلام .

(يد) : رأى النبي (ص) قرداً يصعدون منبره وأوّله (ص) ببني أمية[١] .

(يه) : رأى النبي (ص) كباً أبقع ولغ في دمه ، أوّله بقاتل الحسين[٢] (ع) .

(يو) : رأى النبي (ص) غنماً سوداً يتبعها غنم عفر ، أوّل (ص) السود بالعرب والعفر بالعجم[٣] .

(يز) : رأى أبو عبد الله الحسين (ع) كلاباً تشدّ عليه وتنهشه وفيها كلب أبقع أشدّها عليه ، فأوّله بقاتله شمر وكان أبرص[٤] .

(يح) : رأى ملك مصر سبع بقرات سمان يأكلهنّ سبع عجاف ، أوّل يوسف الصديق (ع) السمن بسنين مخاصيب ، والعجاف بسنين جدب[٥] .

(يت) : رأى عباس بن عبد المطلب أنه خرج من منخر عبد الله أخيه طائر أبيض ، فبلغ المشرق والمغرب ، ثم رجع حتى سقط على بيت الكعبة

---

(١) (ج ١، ص ٤٥ ـ ٤٨).
(٢) (ج ١، ص ٤٩).
(٣) (ج ١، ص ٥٧).
(٤) (ج ١، ص ٧).
(٥) (ج ١، ص ١٠٧).

فسجدت له القريش كلها[1] .

(ك) : رأى رجل أنّ بيده عصفوراً يقلبه وليس له ذنب ، فقال له الصادق (ع) : تنال تسع دنانير ولو كان له ذنب لنلت عشرة[2] .

(كا) : رأى ابن أبي قحافة كأن كلبة تهر على الناس فلما دنوا منها استلقت على ظهرها ودرّت ثديها لبناً فأوّل النبي (ص) الكلب بأبي سفيان وأنه ذهب كلب أعدائه وأقبل درّهم[3] .

(كب) : رأت فاطمة بنت أسد رؤيا عجيبة وفيها أنه كانت بيدها سيف مسلول تصول به إذ صار شبلاً ثم صار ليثاً مستأسداً فخرج عن يدها ومرّ نحو الجبال يجوب بلاطحها ويخرق صلادحها والناس منه مشفقون ومنه حذرون ، إذ جاء النبي (ص) فقبض على رقبته فانقاد له كالظبية الألوف ، وكان الأسد أمير المؤمنين (ع)[4] وتقدم في رؤيا بخت نصر تأويل الطيور بأهله والسباع والوحوش برعيته .

قلت : كما أن الحيوانات مختلفة في الصور والأعضاء والأشكال والهيئات حتى روى الكليني عن أمير المؤمنين (ع) أن الله تعالى خلق ألفاً ومأتين في البر وألفاً ومأتين في البحر وقيل : أن عدد أنواعها ألف وأربعمائة ، ثمانمائة بحرية وستمائة برية ، « وفي إخوان الصفا » أن البحرية نحو من سبعمائة كذلك مختلفة في الأخلاق والهيئات النفسانية المحمودة والمذمومة ، والأفعال الحسنة والقبيحة ، وكلها مجتمعة في الإنسان الذي فيه انموذج ما في جميع المخلوقات ، وكل من أدرع بخصلة منها فقد شابه باطنه ظاهرها وصارت بهيئتها صورة نفسه التي تحشر بها فربما يظهرها الله تعالى له في المنام رحمة ولطفاً أو

---

(١) (ج ١ ، ص ١٣٣).
(٢) (ج ١ ، ص ١٤٦).
(٣) (ج ١ ، ص ١٤٦).
(٤) (ج ١ ، ص ١٨٤)، ومر تفسير بعض غرائبه هناك فراجع .

عقوبة وزجراً ، ولجميع خلقه بالمسخ وربما يسترها عنه ، وقد أشير في كثير من الأخبار إلى تعلم بعض الخصال المحمودة عن بعضها ويقاس عليه باقيها والإجتناب عن بعض مذمومها ومثله سائرها ، « ففي المكارم » عن النبي (ص) : تعلموا من الديك خمس خصال : محافظته على أوقات الصلوة والغيرة والسخاء والشجاعة وكثرة الطروقة ، « وفيه » عن الصادق (ع) : تعلموا من الغراب ثلاث خصال : استتاره بالسفاد[1] وبكوره في طلب الرزق وحذره ، « وفي المحاسن » عن علي (ع) : مرّ ببهيمة وفحل يسفدها على ظهر الطريق فأعرض علي (ع) بوجهه فقيل له : لم فعلت ذلك يا أمير المؤمنين (ع) ؟ فقال : إنه لا ينبغي أن تصنعوا ما يصنعون وهو المنكر إلا أن تواروه حيث لا يراه رجل ولا امرأة .

وفي الخصال عن زرارة بن أوفى قال : دخلت على علي بن الحسين (ع) فقال : يا زرارة الناس في زماننا على ست طبقات : أسد ، وذئب ، وثعلب ، وكلب ، وخنزير ، وشاة ، « فأما الأسد » : فملوك الدنيا يحب كل واحد منهم أن يغلب ولا يغلب ، « وأما الذئب » : فتجاركم يذمون إذا اشتروا ويمدحون إذا باعوا ، « وأما الثعلب » : فهؤلاء الذين يأكلون بأديانهم ولا يكون في قلوبهم ما يصفون بألسنتهم ، « وأما الكلب » : يهرّ على الناس بلسانه ويكرمه الناس من شرّ لسانه ، « وأما الخنزير » : فهؤلاء المخنثون وأشباههم لا يدعون إلى فاحشة إلا أجابوا ، « وأما الشاة » : فالمؤمنون الذين تجز شعورهم ، ويؤكل لحومهم ويكسر عظمهم ، فكيف يصنع الشاة بين أسد وذئب وثعلب وكلب وخنزير .

وفي أخبار كثيرة شيعتنا من لا يهرّ هرير الكلب ولا يطمع طمع الغراب ، « وفي النهج » قال (ع) : والله لا أكون كالضبع تنام على طول اللدم[2] ، حتى

---

(١) السفاد بالكسر: نزو الذكر على الأنثى قال الطريحي: والعرب تزعم أن الغراب لا يسفد، ومن أمثالهم «أخفى من سفاد الغراب» ويزعمون أن اللقاح من مطاعمة الذكر والأنثى وإيصال جزء من الماء الذي في قانصته إليها.

(٢) الضبع: ضرب من السباع ويقال له بالفارسية (كفتار) واللدم بسكون الدال: ضرب =

يصل إليها طالبها ويختلها راصدها ، « وفي الأمالي » في مناهي النبي (ص) ونهى أن يشرب الماء كرعاً كما يشرب البهائم .

كرع كمنع وسمع تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء .

وفي المحاسن أنه سأل عن الصادق (ع) عن الشرب بنفس واحدة فكرهه ، وقال : ذاك شرب الهيم ، قلت : وما الهيم ؟ قال : الإبل إشارة إلى الآية : ﴿ **فشاربون شرب الهيم** ﴾ وهي في مقام الذم كقوله تعالى : ﴿ **إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** ﴾ ، « وفي تحف العقول » عن الكاظم (ع) قال للحواريين : يا عبيد السوء لا تكونوا شبيهاً بالحداء الخاطفة[1] ولا بالثعالب الخادعة ، ولا بالذباب الغادرة ، ولا بالأسد العاتية كما تفعل بالفراس[2] كذلك تفعلون بالناس فريقاً تخطفون [وفريقاً تخطئون] وفريقاً تعذرون [بهم][3] وفي النهج « أتمتلىء السائمة من رعيها فتبرك ، وتشبع الربيضة من عشبها فتربض ويأكل عليّ من زاده فيهجع ، قرت إذاً عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة امرعية[4] » ، « وفي الكافي » في صفات المؤمنين رهبان بالليل أسد في النهار ، هذا ومما وجد من صفاتها بالوجدان أنّ منها هادياً بالطبع قليل الغضب والخرق كالبقرة ، وشديد الجهل والغضب كالخنزير البري ، وحليم جزوع كالبعير ، ورديء الحركات مقتال كالحية ، وجريء قوي

= الحجر أو غيره على الأرض ليس بالقوي ويحكي أن الضبع تستغفل بمثل ذلك وتسكن حتى تصاد.

(١) الحداد بالكسر: نوع من الغراب يخطف الأشياء أي يستلبه بسرعة.

(٢) العاتي الجبار: والفريسة: ما يفترسه الأسد وفي بعض النسخ (بالفراش).

(٣) ما بين المعقفتين في الموضعين إنما هو في المصدر دون الأصل.

(٤) وهذا جزء من كتابه (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله بالبصرة والرعي بكسر الراء: الكلأ، وبرك البعير: استناخ وهو أن يلصق صدره بالأرض. والربيضة: جماعة من الغنم أو البقر تربض في أماكنها، وربوضها مثل بروك الابل، وهجع نام وهملت الإبل: تركت سدى بلا راع.

شهيم كريم النفس شجاع لا يهاب أحداً ولا يستعين بأحد ، إذا همّ بأمر قام إليه بنفسه ، صبور على الجوع ، وقور في الحركة كالأسد ، لا يأكل من فريسة غيره وإذا شبع من فريسته تركها ولم يعد إليها ، وقوي مقتال وحشي كالذئب ، ومختل مكار ردي الحركات كالثعلب ، وغضوب شديد الغضب سفيه إلا أنه ملق طماع متودد كالكلب ، وشديد الكيس مستأنس حقود كالفيل والقرد ، وذو حياء وحفاظ كالأوز ، وحسود منافر مباه كالطاووس ، وشديد الحفظ كالحمل والحمار .

قال الرازي : كنت مع جماعة في مفاوزة فضللنا الطريق فقدموا جملاً وتبعوه ، فكان ذلك الإبل ينعطف من تل إلى تل ومن جانب إلى جانب والجميع كانوا يتبعونه حتى وصل إلى الطريق بعد زمان طويل ، « وعن أرسطاطاليس » ما خلق الله تعالى أشدّ من بني آدم ، ولا جمع في الحيوان ما جمع فيه ، ولا في شيء من الحيوانات إلا وكلها يوجد في الإنسان ، وذلك أنه يكون شجاعاً كالأسد ، جباناً كالأرنب ، سخياً كالديك ، بخيلاً كالكلب ، فجوراً كالغراب ، وحشياً كالتمر ، أنيساً كالحمام ، خبيثاً كالثعلب ، سليماً كالغنم ، سريعاً كالغزال ، بطيئاً كالدب ، عزيزاً كالفيل ، ذليلاً كالحمار ، لصّاً كالعقعق[1] ، تائهاً كالطاووس ، هادئاً كالقطاة ، ضالاً كالنعامة ، شروداً كالتيس ، كدوداً كالثور ، شموساً كالبغل ، أخرساً كالحوت ، منطقياً كالهزار ، جهولاً كالخنزير ، مشئوماً كالبوم ، نفاعاً كالفرس ، مضرّاً كالفار (انتهى) ، وقد ذكرنا في آخر الفصل السابق الأفعال التي بسببها مسخ من مسخ ، وأن صور المسوخات من نتائج تلك الأفعال .

وقال الصدوق في العلل والخصال سمعت محمد بن عبد الله بن محمد بن طيفور يقول أن الله (عزّ وجلّ) أمر إبراهيم بذبح أربعة من الطير ،

---

(١) العقعق بفتح المهملتين وسكون ما بعدهما: طائر على شكل الغراب ويقال له بالفارسية (عكة) وهو ذو لونين أبيض وأسود طويل الذنب ويقال له القعقع أيضاً، قال الدميري: وفي طبعه الزنا والخيانة ويوصف بالسرقة والخبث.

طاووساً ونسراً وديكاً وبطّاً فالطاووس ، يريد به زينة الدنيا ، والنسر يريد به الأمل الطويل ، والبط يريد به الحرص ، والديك يريد به الشهوة ، يقول الله (عزّ وجلّ) : إن أحببت أن يحيى قلبك ويطمئن معي فأخرج عن هذه الأشياء الأربعة ، فإذا كانت هذه الأشياء في قلب فإنه لا يطمئن معي .

ويعجبني : نقل كلام من مقالة الحيوانات من إخوان الصفا ، ففيها بعد جمع الأسد جنوده من أصناف السباع والوحوش ، وعرضه عليهن رسالة رسول ملك الجن وأنه يدعوهن لمناظرة الإنس والمشورة منهن ، قال الفهد[1] إن كان الأمر يمشي هناك بالوثبات والقفرات والقبض والضبط فأنا لها ، قال الملك : لا ، قال الذئب : إن كان الأمر يمشي بالغارات والخصومات والمكابرة والحملات فأنا لها ، قال الملك : لا ، قال الثعلب : إن كان الأمر يمشي هناك بالحيل والحيلة والعطفات والروغات وكثرة الإلتفات فأنا لها ، قال : لا ، قال ابن عرس[2] إن كان الأمر يمشي هناك باللصوصية والتحسيس والاختفاء والسرقة فأنا لها ، قال : لا ، قال القرد : إن كان الأمر يمشي هناك بالحيلات والمجانات واللعب واللهو والرقص وضرب الطبل والدف والزفق فأنا لها ، قال : لا ، قال السنور : إن كان الأمر يمشي هناك بالتواضع والسؤال والكدية والمؤانسة والتحرز فأنا لها ، قال : لا ، قال الكلب : إن كان الأمر يمشي هناك بالبصبصة وتحريك الذنب واتباع الأثر والحراسة والنباح فأنا لها ، قال : لا ، قال الضبع : إن كان الأمر يمشي هناك بنبش القبور وجر الجيف وحرب الكلاب والكراع فأنا لها ، قال : لا ، قال الجراد : إن كان الأمر يمشي هناك بالإضرار والفساد والقرض والقطع والسرقة والأحزان فأنا لها ، قال الملك : لا يمشي الأمر هناك بشيء من هذه الخصال التي ذكرتموها .

ثم أقبل الأسد على النمر ، وقال : إن هذه الأخلاق والطباع والسجايا التي ذكرت هذه الطوائف من أنفسها لا تصلح إلا لجنود الملك من بني آدم

---

(١) الفهد : نوع من السباع بين الكلب والنمر يقال له بالفارسية (يوز) .
(٢) ابن عرس : دويبة تشبه الفارة بعض الشبهة أصلم الأذنين طويل الجسم .

وسلاطينهم وأمرائهم ، وقادة الجيوش وأمراء الحروب وهم إليها أحوج وبهم أليق لأن نفوسهم سبعية ولو كانت أجسادهم بشرية وصورهم آدمية ، فأما مجالس العلماء والفقهاء والفلاسفة والحكماء وأهل الرأي والعقل والفكر والتميز والروية فإن أخلاقهم وسجاياهم هي بأخلاق الملكية أشبه الذين هم سكان السموات وملوك الأفلاك وجنود رب العالمين ، قال النمر : صدقت فيما قلت ، ولكني أرى العلماء والفقهاء والقضاة من بني آدم قد تركوا هذه الطريقة التي قلت أنها أخلاق الملائكة ، وأخذوا في ضرب من أخلاق الشياطين من المكاثرة والمغالبة والغضب والعداوة والبغضة فيما يتناظرون فيه ويحاولون من الصياح والجلبة والشناعة ، وهكذا نجد منهم في مجالس القضاة والحكام يفعلون ما ذكرت ويتركون استعمال الأدب والنصفة ، قال الملك : صدقت ولكن رسول الملك يجب أن يكون رجلاً عاقلاً حكيماً خيراً فاضلاً منصفاً كريماً لا يميل ولا يحيف في الأحكام ، إلى أن قال : فمن ترى يصلح لهذا الأمر ؟ فأشار إلى كليلة وهو ابن آوى[1] .

فقال الملك له : وهل تنشط فتمضي إلى هناك وتنوب عن الجماعة ولك الكرامة علينا إذا راجعت وأفلحت ؟ قال : سمعاً وطاعة لأمر الملك ، ولكن لا أدري كيف أعمل وكيف أصنع مع كثرة أعدائي هناك من أبناء جنسنا قال الملك : من هم ؟ قال : الكلاب ، قال : ما لها ؟ قال : أليس قد استأمنت إلى بني آدم وصارت معينة لهم علينا معشر السباع ، قال الملك : فما الذي دعاها إلى (ذلك ظ) وحملها عليه حتى فارقت أبناء جنسها وصارت مع من لا يشاركها معينة لهم على أبناء جنسها ؟ فقال الدب : إنما دعى الكلاب إلى جوار بني آدم ومداخلتهم مشاكلة الطباع ومجانسة الأخلاق ، وما وجدت عندهم من المرغوبات واللذات في المأكولات والمشروبات وما في طباعها من الحس والشرة واللوم والبخل ، وما في جبلها من الأخلاق الذميمة الموجودة في بني آدم مما السباع عنه بمعزل ، وذلك أن الكلاب تأكل اللحمان ميتاً وجيفاً ومذبوحاً

---

(١) إبن آوى: ونوع من الكلاب البرية تسميه العامة الواوي ويقال له بالفارسية (شغال).

قديداً أو مطبوخاً ومشوياً ومالحاً وطرياً وجيداً وردياً ، وثماراً وبقولاً وخبزاً ولبناً وحليباً وحامضاً وجبناً ودبساً وشيرجاً وماطقاً وعسلاً وسويقاً وكوامخ وما شاكلها من أصناف مأكولات بني آدم التي أكثر السباع لا تعرفها ولا تأكلها ، ومع هذه الخصال كلها بها من الحرص والشره واللوم والبخل ما لا يمكنهم أن يتركوا أحداً من السباع أن يدخل قرية أو مدينة خوفاً أن تنازعها في شيء مما هي فيه ، حتى أنه ربما يدخل من نبات آوى أو بنات أبي الحصين ثعلب قرية بالليل ليسرق منه دجاجة أو ديكاً أو سوراً أو جيفة مطروحة أو كسرة مرمية أو تميرة مغيرة فترى الكلاب كيف تحمل عليه وتطرده وتخرجه من القرية .

ومع هذا كله ترى أيضاً بها من الذل والمسكنة والفقر والهوان والطمع ما إذا رأى في يد واحد من بني آدم رغيفاً أو كسرة أو تمرة أو لقمة كيف يطمع فيها وكيف يتبعه ويبصبص بذنبه ويحرّك رأسه ويحدّ النظر إلى حدقته حتى يستحي أحد منهم فيرمي بها إليه ، ثم تراها كيف تعدوا إليها بسرعة ، وكيف تأخذها بعجلة مخافة أن يسبقها إليه غيره ، وكل هذه الأخلاق المذمومة في الإنس والكلاب ، فمجانسة الأخلاق ومشاكلة الطباع دعت الكلاب إلى أن فارقت أبناء جنسها من السباع .

قال الملك : ومن غيرهم من المستأمنة إلى الإنس ؟ قال الدب : السنانير . قال : ولِمَ استأمنت ؟ قال : العلة واحدة وهي مشاكلة الطباع ، لأن السنانير بها أيضاً من الحرص والشره والرغبة في ألوان المأكولات والمشروبات مثل ما بالكلاب ، قال : كيف حالهم عندهم ؟ قال : أحسن حالاً من الكلاب قليلاً ، وذلك أن السنانير تدخل بيوتهم وتنام في مجالسهم وتحت فرشهم وتحضر موائدهم فيطعمونها مما يأكلون ويشربون وهي أيضاً تسرق منهم أحياناً إذا وجدت فرصة من المأكولات وأما الكلاب فلا يتركوها تدخل بيوتهم ومجالسهم وبين الكلاب وبين السنانير بهذا السبب حسد وعداوة شديدة حتى أن الكلب إذا رأى سنوراً قد خرج من بيوتهم حملت عليه حملة تريد أن تأخذه وتأكله وتمزقه والسنانير إذا رأت الكلاب نفخت في وجوهها ونفشت شعورها

وأذنابها وتطاولت وتعظمت عناداً لها ومناصبة وعداوة وحسداً وبغضاً وعداوة وحسداً وبغضاً وتنافساً في المراتب عند بني آدم .

قال الأسد للدب : من أيضاً من المستأمنة عندهم ؟ قال : الفار والجرذان يدخلون منازلهم وبيوتهم ودكاكينهم وخاناتهم غير مستأنسين بل على وحشة ونفور . قال : فماذا يحملها على ذلك ؟ قال : الرغبة في المأكولات والمشروبات من الألوان ، قال : ومن يداخلهم أيضاً من أجناس السباع ؟ قال : ابن عرس على سبيل اللصوصية والخلسة والتحبيس ، قال : ومن غيرهم يداخلهم ؟ قال : لا غير سوى الأسارى من الفهود والقردة على كره منها ، قال : متى استأمنت هذه الانس ؟ قال : منذ الزمان الذي تظافرت فيه بنو قابيل على بني هابيل ، وهزموهم ونهبوا أموالهم وساقوا مواشيهم من الأغنام والبقر والجمال والخيل والبغال وغنموا ، واستغنموا وأصلحوا الدعوات والولائم ، وذبحوا حيواناً كثيراً ورموا برؤوسها وكراعها وكروشها حول ديارهم وقراهم فلما رأتها الكلاب والسنانير رغبت جميعها في كثرة الريف والخصب ورغد العيش فداخلتهم وفارقت أبناء جنسها ، وصارت معهم معيناً إلى يومنا هذا .

فلما سمع الأسد ما ذكره الدب من هذه الصفة ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، واستكثر من تكرار هذه الكلمات ، فقال الدب : ما الذي أصابك أيها الملك الفاضل وما هذا التأسف على الكلاب والسنانير لأبناء جنسها ؟ قال الأسد : ليس تأسفي على شيء فاتني منهم ، ولكن لما قالت الحكماء أنه ليس على الملوك أضرّ ولا أفسد لأمره وأمر رعيته من المستأمن من جنده وأعوانه إلى عدوّه لأنه يعرف أسراره وأخلاقه وسيرته وعيوبه ، وأوقات غفلاته ، والنصحاء من جنوده والخونة منهم ومن رعيته ، ويدل على طريقات خفية ومكائد دقيقة . وكل هذه ضارة للملوك وجنودها ، لا بارك الله في الكلاب والسنانير .

قال الدب قد فعل الله بها ما دعوته عليها أيها الملك واستجاب دعاك ورفع البركة عن نسلها وجعلها في الغنم ، قال : كيف ذلك ؟ قال : إن الكلبة

الـواحدة يجتمـع عليها عـدة فحولـة لتحبلها وتلقى هي من الشـدة عند التعلق والخلاص جهداً وعناءاً ، ثم أنها تلد ثمانية أو أكثر ولا ترى منهم في برّ قطيعاً ولا في مدينة يذبح منها في اليوم عدة كما ترى ذلك في الأغنام في القطعات في البراري وما يذبح منها كل يوم في المدن والقرى أعداد لا احصى كثرة وهي مع ذلك تنتج في كل سنة واحـداً أو اثنين ، والعلة في ذلك أن الآفـات تسرع في أولاد الكلاب والسنانير لكثرة اختلاف مأكولاتها فيعرض لها أمراض مختلفة مما لا يعرض لها في السباع منها شيء (انتهى) .

وبعد التأمل في تلك الصفات المذكورة وما لم نذكره مما يظهر بـالتدبـر ومـطالعة مـا صنف في أحوالهـا يمكن تطبيق مـا يراه في المنـام من أصنـافهـا باختلاف الحالات بأصناف الناس المحشور معهم والمبتلى بهم .

والضابط : أن الحيوان منه أنسي ومنه وحشي ومنه حلال ومنه حرام ومنه ضارّ ومنه نافع ومنه جامع بينهما ، والنافع قد يعمّ نفعه وقد يختص بطائفة وفي معشر البشر مؤمن وكافر ، ونافع كله للكل كالعلمـاء الأتقياء وللبعض كـالزهـاد والعباد والأغنياء والأسخياء ، وضار للجميـع كالجـائر من السـلاطين ، ولفرقـة كسائر الفسقة والظلمة ، والجامع هو من خلط عملاً صالحاً آخر سيئاً وهكذا في اختلاف الصفات التي عددناها ، وخبث الحيوان من المسوخ وغيره قـد يكون لفعله كجملة مما مرّ ، وقد يكون لذاته كالكلب المخلوق من بزاق إبليس .

ومن هنا ظهر : أن خبث قاتل أبي عبد الله (ع) كان أشـدّ من خبث بني أمية فإن القرد خبيث بفعله وهو الإعتداء في السبت الذي صار سبباً لمسخـه ، والإرتكاب لكبيرة موبقة بمكره وخدعه ، ولا ينافي ذلك خبث ذات بعضهم كأبي سفيان وابنه ، فإن المقصود في المقام ما شـاركوه فيـه جميعهم المشاهـدة في المنام وممّا في القرد كثرة الزنا ففي الأمثال أزنى من قرد ، وحـال بني أمية في هذا الفعل مشهورة حتى أن عمة يزيد اعتذرت له لمّا واقعها ولم يجدها بكراً بأن أباه لم يدع في الشام بكراً ، فالقرد كل مكار خداع ، ومن زالت نعمته لكبيـرة ارتكبها ، ومن يرى المنكر ولا ينهى عنه كأصحاب السبت وغير ذلك ، وظهـر

أيضاً وجه تعبير الأغنام بالمؤمنين المتابعين للنبي (ص) من جهة كثرة منـافعهم وعمومها في الدنيا والآخرة ، والعدد في خبر العصفور يمكن أن يكون مستخرجاً من عشـرة أجزاء التي قسمت بهـا طيور إبـراهيم (ع) ، وكـانت العـرب أيضـاً يقسمـون الجزور في أزلامهم عشـرة أجزاء على الـوركين والفخـذين والعجـز والكاهل والزور والملحاء والكتفين ، والوحشي من الحيوان الحلال نعمة غيـر مترقبة ظاهرية أو باطنية ، فأخذه الوصول إليها ومفارقته سلبها عنه ، وقد سيقت إليه من حيث لا يعلم .

والحية : يعبر بالعدوّ لقوله تعالى : ﴿ **قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ في الأرض** ﴾ ولكم وفي تفسير الإمام (ع) : قلنا يا آدم ويا حواء ، يا أيتها الحية ويا إبليس اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ ، وآدم وحواء وولدهمـا عدوّ الحيـة وإبليس والحية وأولادهما أعداؤكم ، **وبالدنيا** كما شبهها أمير المؤمنين (ع) بها ، فـإنها لين مسها وفي جوفها السم الناقع يهوي إليها الصبي الغافل ويهرب منها الفطن العاقل ، **والفرس** قد يعبر بالمـال كما أشيـر إليه في الخبـر المتقدم ، والخيـر والزينة لقوله تعالى : ﴿ **إني أحببت حبّ الخير** ﴾ ، وقوله تعـالى : ﴿ **والخيل والبغـال والحمير لتـركبوهـا وزينة** ﴾ ، وفي الفقيـه عن النبي (ص) : الخيـل معقـود بنواصيهـا الخيـر إلى يـوم القيـامـة ، « وفي ثـواب الأعمـال » عن أبي الحسن (ع) : من ارتبط فرساً أشقر أغراً وأقرح فإن كان أغر سائل الغرة به وضح في قوامه فهـو أحب إليّ لم يدخـل بيته فقـر ما دام ذلـك الفرس فيـه ، « وفي المحاسن » عنه (ع) : من خـرج من منزلـه أو منزل غيـره في أول الغداة فلقي فرساً أشقر به أوضاح وإن كانت به غرة سائلة فهو العيش كل العيش لم يلق في نومه ذلك إلا سروراً ، وإن توجّه في حاجة فلقي الفرس قضى الله حاجته .

(**كج**) : رأى موسى العـطار صهره حسين وكـان ميتاً وإنـه عانقـه فقال الصـادق (ع) : معانقـة الأحياء لـلأموات أطـول لأعمارهم ، وإنـك تـزور أبـا عبد الله (ع) ، وكل من عانق سمّي الحسين (ع) يزوره انشاء الله تعالى[1] لمـا

---

(١) (ج ١، ص ١٤٣).

كانت الأموات في دار البقاء فمعانقتهم إشارة إلى بقائه كأنه التزم الباقي ، والجزء الثاني من الخبر إشارة إلى التأويل بالأسامي ، كمن رأى من يسمى هادياً أو مهدياً فيعبر بالهداية ، أو راشداً فبالرشد ، أو سالماً فبالسلامة ، « وفي كتب المخالفين » أن النبي (ص) قال : رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأنا في دار عقبة بن نافع فأتينا برطب ابن طاب[1] فأوّلت الرفعة لنا في الدنيا والعافية في الآخرة ، وأن ديننا قد طاب ، ومن ذلك تأويل المطر إذا رأى في المنام وسمي بهذا الإسم بالبلاء والعذاب ، لأن الله تعالى لم يذكره بهذا الإسم إلا في مقام العذاب ، قال تعالى : ﴿ **ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وأمطرنا عليهم حجارة من سجّيل** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين** ﴾ في موضعين ، وقال تعالى : ﴿ **فأمطر علينا حجارة من السماء** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم** ﴾ ، ومن هذا الباب تعبير السفر جل بالسفر إذا لم يكن في الرؤيا ما يدل على المرض لجزئه الأول والسوسن بالسوء لذلك وهذا باب واسع في التأويل يحتاج إلى تتبع في الآثار .

(كد) : رأى النبي (ص) أنه أتى ببركة فأتى له بصاع من رطب[2] .

(كه) : رأى الكاظم النبي (ص) ومعه خاتم وسيف وكتاب وعمامة ، فسأله عنه فقال (ص) : العمامة سلطان الله ، والسيف عزة الله ، والكتاب نور الله ، والعصا قوة الله ، والخاتم فجامع هذه الأمور[3] .

---

(١) ابن طاب : ضرب من الرطب.
(٢) (ج ١ ، ص ٤٤). وفيه فضيلة لأمير المؤمنين (عليه السلام) فراجع.
(٣) (ج ١ ، ص ٨٨).

(كو) : رأى الرضا (ع) غرة بين عيني علي بن يقطين فأوّله بالدين[1] .

(كز) : رأى النبي (ص) رجلاً مضطجعاً وآخر قائم عليه بصخرة ، فإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتدحرج الحجر فيتبعه فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل ، وكان الرجل هو الذي يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلوة المكتوبة يفعل به إلى يوم القيامة ، ورأى آخر مستلق لقفاه وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد ، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشقّ طرف فمه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل في الجانب الأول ، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ثم يعود فيفعل به مثل ما فعل في المرة الأولى ، وكان هو الذي يكذب الكذبة تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة ، ورأى رجالاً ونساءً عراة يأتيهم لهب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب استغاثوا ، وكانوا هم الزناة والزواني ورأى نهراً أحمر مثل الدم وفيه رجل سابح يسبح وعلى شاطىء النهر رجل عنده حجارة كثيرة والسابح يسبح ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فغر له فاه ، فألقمه حجراً وكان هو آكل الربـاء ورأى رجالاً شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطر كأقبح ما أنت راء وهم قوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً[2] .

(كح) : رأى رجل كأنه يبول في يده أوّله السجّاد (ع) بأن تحته محرم له ففتش فظهر أن زوجته أمه من الرضاعة[3] .

(كط) : رأى فرعون ناراً أقبلت من بيت المقدس فأحرقت قبط وبيوت مصر ، وتركت بني إسرائيل فعبر بغلام يولد فيهم يسلب ملكه[4] .

---

(١) (ج ١، ص ٩٢) لكن بين الموردين اختلاف والمذكور فيما مر ـ ولعله الأصح ـ أنه (عليه السلام) رأى مولى لعلي بن يقطين وبين عينيه غرة بيضاء اه، فراجع .

(٢) (ج ١، ص ٥١) وقد مر هناك تفسير لغاته فراجع .

(٣) (ج ١، ص ١٤٦).

(٤) (ج ١، ص ١١٩) وفيه أنه دعا بعدما رأى تلك الرؤيا الكهنة والسحرة والمعبرين=

(ل) : رأى متوكل العباسي (لعنه الله) عليا (ع) بين نار موقدة ففرح لنصبه فعبّره معبّر لم يذكر له اسمه بأن من رآه نبيّ أو وصي لقوله تعالى : ﴿ بورك من في النار ومن حولها ﴾[1] .

قلت : لله دره من استنباط حسن وتعبير صادق وعليه فإن رآه حولها كان الحكم واحداً ولكن الاقتصار على النبوة والوصاية يقلل الانتفاع بالآية والأولى التعميم والحكم بمباركية كل بما يناسبه فإن من كان كثير الخيرات والإنتفاعات في الدنيا بما يصلح به المال والجسد والنفس والدين والعرض وفي الآخرة بالشفاعة والإخراج ومن دركات النار ورفع الدرجات ومصاحبة الأبرار ، ومع ذلك لا يوجد فيه جهة شرّ أصلاً لا في ذاته ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، فهو الكامل في مباركيته ، وينحصر في الأنبياء وأوصيائهم والقرآن المجيد قال تعالى : ﴿ **وجعلني مباركاً أينما كنت** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وهذا كتاب مبارك** ﴾ ، بل بذلك وصف الله تعالى نفسه بها كما قال تعالى : ﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾ ، ﴿ **تبارك الذي أنزل الفرقان** ﴾ ﴿ **تبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ ، ثم من دون ذلك ما كثر نفعه في الدنيا كلياً أو في أحد المقاصد الخمسة أو في الآخرة ، وقد يعبّر النار بخير وفائدة ويصل من معطيها في النوم إلى الآخر ، لقوله تعالى : ﴿ **نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين** ﴾ وينبغي أن يلاحظ مقدار النار ووقت الحاجة كالشتاء مثلاً ، وإلا فربما يعبر بالفتنة والحرب لقوله تعالى : ﴿ **كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله** ﴾ ، ومن رأى أنّه استوقد ناراً يستضيء هو أو مع غيره بها فأطفأت فهو من الذين أتاهم الله ضرباً من الهداية فأضاعها ولم يتوصل بها إلى نعيم الأبد فبقي متحسراً متحيراً كما قال تعالى في حق المنافقين الذين أضاعوا ما نطقت به ألسنتهم من الإيمان بإبطانهم الكفر وإظهاره حين خلوا إلى شياطينهم أو ما ظهر لهم من الأدلة والحجج

= والمنجمين فعبروا له بما ذكره (رحمه الله) ولا يخفى أنه ليس من تعبير الحجج (عليهم السلام) الذي عقد له هذا الباب وكذا بعض ما مضى وما يأتي .

(١) (ج ١، ص ١٨٢).

والمعجزات التي من شأنها ردّ الكفر إلى الإيمان والنفاق إلى الوفاق بإعراضهم عنها ، وطرحهم لها أو أما جرى الله عليهم من أحكام المسلمين بحقن دمائهم وسلامة أموالهم وأولادهم ومشاركة المسلمين في الغنائم بإنكار باطنهم ذلك ، واعتقادهم أن لا إسلام ولا أحكام الإسلام ولا إجراء لها عليهم من هذه الحيثية ﴿ **مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون** ﴾ ومن رأى أنه يأكل ناراً فإنه مبتلي بأكل مال اليتيم لقوله تعالى : ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً** ﴾ .

(لا) : رأى النبي (ص) سيفاً كان في يده فهزّه فانقطع صدره وكان تأويله ما أصاب المسلمين في أحد ثم هزّه مرة أخرى فعاد وهو ما كان من الفتح واجتماع المؤمنين[1] .

(لب) : رأى طيار[2] أن معه قناة ليس فيها زج ولها اثنا عشر كعب ، أوّله الصادق (ع) بأنه يولد له اثنا عشر بنت قال : ولو كان فيها زج لكان ذكراً[3] .

قلت : لما كان الأولاد والأقرباء والأعوان كالسلاح من السيف والسنان والسهام لكون كل منها عدة للحرب ودفع العدو ومنع الصنم يمكن التعبير بكل واحد منهما عن الآخر لتلك المشابعة . وفي زيارة أمير المؤمنين (ع) وسيف الله المسلول : وفي أخرى الذي جعلته سيفاً لنبوته ، « وفي النهج » في ذمه (ع) أهل الكوفة ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل ، أي السهم المكسور الذي لا نصل له . وفي تعقيب صلوة العصر من يوم الجمعة في وصف الأئمة (ع) : ورماحك في أرضك ، وفي دعاء ليلة النصف من شعبان في وصف الحجة (ع) : سيف الله الذي لا ينبو .

---

(١) (ج ١، ص ٥٦).
(٢) أي أبا عمارة المعروف بطيار من أصحاب الصحادق (عليه السلام).
(٣) (ج ١، ص ١٤٠).

(ج) : رأى النبي (ص) امرأة سوداء ثائرة الوجه ، أوّلها بالوباء[1] .

(لد) : رأى أمير المؤمنين (ع) أن جبرائيل (ع) أخـذ حجرين من جبـل أبي قبيس وضرب أحدهما على الآخر على ظهر الكعبة فصارت كالـرميم ، ثم ذراهما في الريح فما بقي في الحرمين بيت إلا ودخل منه ، فأوّله بقتله وغمّهم به (ع)[2] .

(له) : رأى الباقر (ع) أنه على رأس جبل والناس يصعدون إليه من كل جانب حتى إذا كثروا عليه تطاول بهم في السماء ، وجعل الناس يتساقطون عنه من كـل جانب حتى لم يبق منهم أحـد إلا عصابـة يسيرة ، ففعـل ذلك خمس مرات في كل ذلك يتساقط عنه الناس ويبقى تلك العصابة ، فما مكث بعد ذلك إلا نحـواً من سنتين حتى هلك (ع)[3] الـظاهـر أن المـراد الإشــارة إلى الفتن والإختلاف الذي وقع بعده في الشيعة ، والجبل هو المحل الأرفع من الإمامة ، وتصاعد الناس ميلهم إلى التشرف بمجـاورته والتعلم من علومن ، وتسـاقطهم ارتداد جمع منهم عن الدين ، فإن الناس بعد وفاته (ع) صاروا فرقتين فرقة قالت بـإمامـة محمـد بن عبـد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طـالب (ع) الخارج بالمدينة المقتول بها ، وزعموا أنه القائم وأنّه الإمام المهدي وأنه قتل ، وقالوا : أنه حيّ لم يمت مقيم بجبل يقال لها العلميـة ، وهو الجبـل الذي في طريق مكة ونجد الحاجز عن يسار الطريق للذاهب إلى مكة وهو الجبل الكبير ، وهو عنده مقيم فيـه حتى يخرج ، لأن رسـول الله (ص) قال : القـائم المهدي إسمه إسمي وإسم أبيه إسم أبي[4] .

---

(١) (ج ١ ، ص ٥٦). وفيه «ثائرة الرأس» بـدل «ثائـرة الوجـه» ولعله أظهر يقـال رأيته ثـائر الرأس أي مشتعلاً شعر رأسه شيباً أو متفرق الشعر منتشره.

(٢) (ج ١ ، ص ٦١).

(٣) (ج ١ ، ص ٨٢).

(٤) وهو مما رواه بعض المخالفين في كتبهم وفي سنده زائدة بن أبي الرقاد الباهلي البصري وهو ضعيف منكر الحديث عندهم ذكره العسقلاني في تهذيب التهذيب وقـال الكنجي =

(لـو) : أتى رجل إلى أبي عبـد الله (ع) فقال : رأيت كـأني على منبر أخـطب فقال : مـا صناعتـك ؟ قال : حمـامي ، فقال (ع) : يسعى بـك إلى السلطان فتصلب فكان كما عبره (ع) . لما لم يكن الرجل من أهـل المنبر ولا ممن يترقب فيه ذلك ، عبّره بما يناسب حاله كما تقدم في رؤية الشمس ، ومن ذلك ما قيل أن من رأى أنه يؤذن فإن كان من أهل الصلاح يـرزق الحج لقـوله تعالى : ﴿ وآذان من الله ورسوله إلى الناس يـوم الحج الأكبـر ﴾ وإن كان من أهل الفجور يبتلي بالسرقة لقوله تعالى : ﴿ فـأذّن مؤذن بينهم أيتها العيـر إنكم لسارقون ﴾ .

(لز) : رأت امرأة أنّ جزع بيتها انكسرت أوّله النبي (ص) بقدوم زوجها صالحاً فكان كما قال (ص) ، ثم رأت كذلك فعبره كذلك ، وفي الثالثة عبّره ابن أبي قحافة بموت زوجها فكان كما قال ويأتي الكلام فيه[1] .

(لح) : رأت زوجة حنظلة أن السماء انفـرجت فوقعت فيهـا حنظلة ثم انضمت ، فأوّل بالشهادة فاستشهـد في صبيحته في غـزوة أحد جنبـاً ، فغسّله الملائكة بين السماء والأرض فلقب بغسيل الملائكة بعد موته[2] .

= الشافعي على ما حكي عنـه ـ بعد ذكـر ما ورد في النص على القـائم (عليهم السلام) وغيبته واسمه وصفتـه عن النبي (صلى الله عليه وآلـه) ـ وزاد زائدة في روايتـه يواطىء اسمه إسمي وإسم أبيه إسم أبي اه، قال: وقد ذكر الترمـذي الحديث في جـامعه ولم يذكر إسم أبيه إسم أبي، وذكر أبو داود في معظم روايات الحفاظ والثقات يواطىء إسمه إسمي فقط والذي روي «وإسم أبيه إسم أبي» زائدة، وكان يزيد في الأحاديث.

ثم قـال: وإن صح فمعنـاه إسـم أبيه إسم أبي الحسين وكنيتـه أبو عبـد الله فجعل الكنية إسماً كناية عن أنه من ولد الحسين دون الحسن ويحتمل أن يكون الـراوي وهم في قوله ابني فصحفه فقال أبي، فوجب حمله على هذا جمعـاً بين الروايـات «انتهى» وكيف كان فلا عبرة في مقابل النصوص الكثيرة المتجاوزة حـد التواتـر وربما تبلغ إلى أكثر من ألف حديث في نعته وشخصه وأنه الثاني عشر من الأئمة وأنه التاسـع من ولد الحسين (عليه السلام) ابن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) وتاريخ ولادته وغير ذلك.

(١) (ج ١، ص ٢٠٥).
(٢) (ج ١، ص ٢٠٦).

(لط) : رأى رجل كبشين ينتطحان على فرج امرأته فقال الصادق (ع) أنها عمدت إلى ذلك الموضع فأخذت شعره بالمقراض[1] .

(م) : رأت أم الفضل أن قطعة من لحم النبي (ص) قطعت فوضعت في حجرها فأوّله (ص) بتولد الحسين (ع) وأنها تربيه[2] .

(ما) : رأى ياسر الخادم قفصاً فيه سبعة عشر قارورة ، إذ وقع القفص فتكسرت القوارير فقال الرضا (ع) : يخرج رجل من أهل بيتي يملك سبعة عشر يوماً ثم يموت ، فخرج محمد بن إبراهيم بالكوفة مع أبي السرايا فمكث سبعة عشر يوماً ثم مات شبه (ع) القفص بالإنسان لإضلاعه الشبيهة به ، والقوارير بكرة السماء اللطيفة الشفافة ، وكل قارورة دورة يوم ، ولما كان ياسر من خدامه (ع) أوّله بأهله[3] .

(مب) : رأى محمد بن مسلم كأنه دخل داره فإذا أهله قد خرجت عليه ، فكسرت جوزاً كثيراً ونثرته عليه ، فقال أبو حنيفة : أنت رجل تخاصم وتجادل لئاماً في مواريث أهلك ، فبعد نصب شديد تنال حاجتك منها . فلما خرج قال أبو عبد الله (ع) : إنك تتمتع بامرأة فتعلم بها أهلك فتمزّق عليك ثياباً جدداً ، فإن القشر كسوة اللب ، قال : فوالله ما كان بين تعبيره وتصحيح الرؤيا إلا صبيحة الجمعة ، فلما كان غداتها كنت أنا جالساً بالباب إذ مرّت بي جارية فأعجبتني ، فأمرت غلامي فردّها ثم أدخلها داري فتمتعت بها ، فأحسّت بي وبها أهلي ، فدخلت علينا البيت فبادرت الجارية نحو الباب فبقيت أنا فمزّقت علي ثياباً جدداً كنت ألبسها في الأعياد[4] .

(مج) : القطب الراوندي في كتاب لبّ اللباب عن فصول عبد الوهاب وروي أنّ نصرانياً رأى سبع رؤيا في الروم ، فسأل المعبرين عنها فلم يعرفوها

---

(١) (ج ١ ، ص ١٥٨).
(٢) (ج ١ ، ص ١٩٧).
(٣) (ج ١ ، ص ١٤١).
(٤) (ج ١ ، ص ١٤٣).

فسأل الصحابة عنها فلم يعرفوها له فقال علي (ع) : رأيت قصراً أدلى من السماء وفيه كراسي من الذهب وجوار وغلمان وفرش الديباج وحوله قردة وخنازير ، قال : صدقت ، قال : ورأيت كرباساً أدلى من السماء وخرقه الناس حتى بقي خيط ، ورأيت طيوراً نزلن من السماء ووضعن رؤوسهنّ في الأرض ورجعن بغير رؤوس إلى السماء ، ورأيت أنعاماً ولا مخرج لها للبول والغائط ورأيت المرضى يعودون الأصحاء ، ورأيت حوضاً يابساً وعنده روضة ، ورأيت ثياباً خضراء يرى فيها كل شيء في الدنيا ، قال : صدقت ، ثم قال : أما القصر فسلطان ظالم في آخر الزمان والناس لا يؤدّون الزكوة فيأخذ السلطان أموالهم وحوله الظالمون المعينون له ، والكرباس المذاهب في آخر الزمان ، والخيط الطريق المستقيم ، وأما الطيور فلا يبقى من الإسلام إلا الإسم ويرجع الشريعة إلى السماء والمرضى يحضرون أبواب الأغنياء ، والأنعام التي لا مخرج لها فهم الأغنياء يأخذون ولا يعطون ، والثياب الخضر[1] يأخذها كلّهم ، ويتكلمون للدنيا ، وأما الحوض والروضة فالعلماء لا يستعملون ويستعمله من يسمعه منهم[2] .

(مـد) : وبخط الشهيد الأول في مجموعة عثرت عليه في المشهد الرضوي قيل جاء رجل إلى أمير المؤمنين (ع) ، فقال : يا أمير المؤمنين . رأيت في منامي كان لبنة ساجدة لنصف لبنة ، وكان دابة لها فمان في رأس واحد يأكل بهما ، وكان بقرة شاربة من ابنتها ، وكان أربعة نفر حسان الوجوه غابت ثلاثة وبقي واحد ، فقال (ع) : أما اللبنة الساجدة لنصف لبنة فإنه يأتي على الأمة زمان تذلّ فيه الأخيار للأشرار ، وأما الدابة التي لها فمان في رأس واحدتا تأكل بهما[3] ، فإنه يأتي على الأمة زمان تأكل النساء من فروج بناتهنّ ، وأما الأربعة نفر حسان الوجوه فهنّ الأمانة والزكوة وصلة الرحم والصلوة ، فإنه يأتي على الأمة زمان يرفع فيه الأمانة والزكوة وتنقطع فيه صلة الرحم وتبقى الصلوة تصلّى

---

(١) كذا بياض في الأصل.
(٢) (ج ٢ ، ص ٣٣٥).
(٣) كذا بياض في الأصل.

سمعة ورياءاً فإذا كان كذلك سلّط الله عليهم شرارهم فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم ، ولا يسمع منهم ، نعوذ بالله من ذلك ومن سوء التوفيق ، إلى غير ذلك من الأخبار الجزئية التي يمكن قياس ما ماثلها عليها .

قال العلامة المجلسي (ره) : كثيراً أما رأينا ماءاً صادياً فأصبنا علماً ، ودخلنا بستاناً أخضر فأصبنا معرفة ، ووجدنا الحية ديناً وكثيراً ما ترى العذرة في المنام يقع فيها الإنسان أو يتلوّث يده بها فيصيب مالاً وسقوط الأسنان العليا لموت أقارب الأب والسفلى لأقارب الأم وكسر الظهر لفوت الأخ كما قال سيد الشهداء (ع) حين استشهد العباس (ع) : الآن انكسر ظهري ، وكثيراً ما يرى الإنسان أنه يدخل الحمام فيوفق لزيارة أحد الأئمة (ع) فإنها موجبة لتطهير الأرواح عن لوث الخطايا والذنوب كالحمام لتطهير الأجساد ، وتناثر النجوم لفوت العلماء ، ولذا سموا ابتداء الغيبة الكبرى سنة تناثر النجوم لفوت كثير من أكابر العلماء فيها كالكليني وعلي بن بابويه والسيمري آخر السفراء وغيرهم (رضي الله عنهم) قال (ره) : وأما أضغاث الأحلام الناشئة من الأغذية الردية والأخلاط البدنية فهي كثيرة معلومة بالتجارب ، ولقد أتى رجل والدي (قدس سره) فزعاً مهموماً ، وقال : رأيت الليلة أسداً أبيض في عنقه حيّة سوداء يحملان عليّ ويريدان قتلي فقال والدي (ره) : لعلك أكلت البارحة قطعام الأقط[1] مع رب الرمان ؟ قال : نعم ، قال : لا بأس عليك الطعامان المؤذيان صورا لك في المنام .

قلت : ونظير هذا ما حدثني به بعض العلماء الراسخين قال : زرت مرة أبا عبد الله (ع) ومعي جماعة وكان بعضهم قيماً على الشراء وترتيب الغذاء والعشاء فأخذ يوماً لحم الجاموس وصنع منه مرقاً من غير إطلاعنا ، فأكلت منه ولم أعلم به فلما أخذت مضجعي رأيت في نومي كأنّ جاموساً يحملني وأحمل عليه وكنت مشغولاً به إلى أن انتبهت ، فلما قصصتها على الجماعة حدثوني بالواقع فعرفت سببها .

---

(١) الاقط: الجبن المتخذ من اللبن الحامض.

وقال والده التقى في شرح الأنوار الأربعة للعرش كما في الكافي : أن لكل شيء مثالاً وشبهاً في عالم الرؤيا ، والعوالم التي تطلع عليها الأرواح سوى عالم الحس ، وتظهر تلك الصور والمثل على النفوس مختلفة بحسب اختلاف مراتبها في الكمال ، فبعض النفوس تظهر لها صورة أقرب إلى ذي الصورة وبعضها أبعد ، وشأن المعبر الكامل أن ينتقل من تلك الصورة إلى ما هي صورة لها بحسب أحوال ذلك الشخص ، ولذا لا يطلع عليها كما ينبغي إلا الأنبياء والأوصياء (ع) المطلعون على مراتب استعدادات الأشخاص واختلافهم في النقص والكمال ، فالنور الأصفر كناية عن العبادة وصورة لها كما هو المجرب في الرؤيا أنه إذا رأى العارف في المنام الصفرة يوفق بعده لعبادة كما هو المشاهد في وجوه المتهجدين ، وقد ورد في الخبر أنه تعالى ألبسهم الله من نوره لما خلوا به والنور الأبيض بالعلم كما جرّب أن من رأى في المنام لبناً أو ماءاً صافياً يفاض عليه علم خالص عن الشكوك والشبهات ، والنور الأحمر : المحبة كما هو المشاهد في وجوه المحبين وجرب أيضاً في الرؤيا ، والنور الأخضر المعرفة وهو العلم المتعلق بذاته وصفاته سبحانه كما هو مجرّب في الرؤيا .

قلت : ويؤيد الأول ما ورد في قوله تعالى : ﴿ **سيماهم في وجوههم من إثر السجود** ﴾ من أنه تعالى عنى بذلك صفرة وجوههم ، وربما يؤّل بسرور يدخل على الرائي لقوله تعالى : ﴿ **صفراء فاقع لونها تسر الناظرين** ﴾ .

وقال : الشيخ الأجل العارف الإحسائي : ولقد كنت في أول أمري مقبلاً على شأني منقطعاً عن الخلق في أغلب أحوالي ، وكنت أرى في المنام أموراً عجيبة وبياناً لما أشكل علي في اليقظة لا أكاد أحصيها ، لا يخالف منها شيء شيئاً من الأمور المنقولة والمعقولة ، وقد أتت بلدنا امرأة من العامة فاجرة ذات علم وقد ولعت بها الزنا حتى ماتت في بلدنا وكانت جميلة الصورة فرأيت في المنام مقبرة فيها قبور يفور منها الشرر والدخان ورأيت بعض الرجال فيها أمواتاً غير مقبورين بل هم جيف وميتة أجسامهم عظيمة وهي مفتول كالجبال والخيول بصور تذهل من قبحها العقول ورأيت تلك المرأة الفاجرة وكان إسمها حسناء

جيفة في تلك القبور غير مقبورة ، وهي في صورة فرس عظيمة قبيحة المنظر لا يكاد الناظر إليها يملأ عينه منها لقبحها ، وذلك لما كانت الفرس الغالب عليها شهوة النكاح جداً كما ذكره العلماء والحكماء في خواص الحيوانات ، وكانت تلك المرأة بهذه الحالة كانت بصورة الفرس وقد عظم جرمها للناراً .

وقال المولى محمد صالح : الرؤيا تنقسم إلى ما هو حسن في الظاهر ومكروه في الباطن وإلى العكس ، والمعبّر لا بدّ أن يكون عاقلاً عالماً بطرق التعبير وهي أربعة : الإشتقاق كاشتقاق العاقبة من رؤية العقبة والرفعة من رؤية الرافع ، « الثاني » : ما يعبّر بمثاله في الشكل أو في الصفة مثل أن يعبّر الرطب بالدين لأنه حلو للقلوب ولأن الدين كمل بعد تدريج كما أن الرطب حلو كمل بعد تدريج من الطلع إلى أن صار حلواً ، « الثالث » : تعبيره بالمعنى المقصود من ذلك الشيء المرئي ، كدلالة فعل السفر على السفر ، وفعل السوق على المعيشة ، وفعل الدار على الزوجة والجارية ، « الرابع » : التعبير بما تقدم له ذكر في القرآن والسنة والشعراء وكلام العرب وأمثالها أو كلام الناس وأمثالهم أو خير معروف أو كلمة حكمة ذلك كتعبير الخشبة بالمنافق لقول الله تعالى : ﴿ كأنهم خشب مسندة ﴾ وتعبير الفارة بالفاسق لأنها تسمى في الحديث فويسقة ، وتعبير الزجاجة بغم المرأة لتسمية بعض الشعراء إياه بذلك (انتهى) وزاد بعضهم « التعبير بالصفة » كورد لا دوام له بحبيب لا وفاء له ، وآلات البيت بالخدم والدواجن[1] بالأضياف والتنور بالقهرمان والسنور بالأنيس ، « والتعبير باللازم » كوضع الرأس على الركبة بالهم ، وحمرة الوجه بالسرورة والرجفة بالخوف ، والتواضع بالرفعة والترفع بالضِعة ، والطمع بالذلة والقناعة باللذة ، وهكذا ، « والتعبير بالاقتران » كمن رأى مقاماً خطيراً لا يستأهله بأنه يناله أبوه أو أخوه أو قرينه ممن هو له أهل ، وكذا لو رأى أحداً في مقام أو مكان يرى نسبه أو أقاربه أو اللازمين له إن لم يكن هو فيه ، وزيارة السلطان بزيارة وزيره ، « والتأويل بنوع عين ما رآه أو جنسه » كصعود الجبل بالرتبة الشامخة ، وشرب

(١) الدواجن جمع ماجن وهي من الحيوان : ما ألفت واستأنست كالحمام والشاة والكلب.

الماء بنيل العلم ورعي الغنم بالرياسة ، وركوب البحر بارتكاب الأمور المهولة ، والغوص فيهن بالخوض في الفتن هذا ومن التعبير بدلالة الحديث تعبير الضلع بالمرأة لقوله (ع) : إنها كالضلع الأعوج ، والقوارير بالنساء لقوله (ص) : رويدك سوقاً بالقوارير[1] وهذا باب واسع يحتاج إلى تتبع وتدبر في الآثار ، ولعل الناظر فيما أشرنا هنا وفيما تقدم من المنامات يستغني عن النظر إلى كتب المخالفين المنهية عموماً وخصوصاً في المقام ، إلا أن ينظر إليها ليحكم بخلافهم لكون الرشد فيه ، وقد أحلف الصادق (ع) بربه أنه ما يوافق تعبيرهم تعبيرنا ولا تعبيرنا تعبيرهم .

اعلم : رفع الله عن بصيرتك غشاوة العماية وجعلك من المتدبرين في حقائق الأشياء كما هي أنك إن أردت أن تعرف إجمالاً خير منامك من شرّه ونافعه من ضرّه وصلاحه من فساده ، فتأمل في جملة الموجودات وميّز بين أقسامها ، فإن منها ما هو خير محض وخالص في النفع ليس فيه جهة شرّ أصلاً مما يتعلق بالآخرة أو الدنيا أو هو في جنب منافعه في حكم العدم ، ومنها ما هو بالعكس من ذلك ، وكلا منهما قد يعمّان البشر أو مع غيره ، وقد يختصان بشخص دون آخر ، ومنها ما اجتمع فيه الخير والشر والنفع والضر على اختلاف مراتبهما ودرجاتهما وجهاتهما فقد يكون خيراً لشخص وشراً لآخر ، وقد يكون نافعاً لشخص في حالة من حالاته دون أخرى أو في زمان أو مكان دون زمان أو مكان آخر ، وقد يكون خيراً له من جهة وشرّ من جهة أخرى على التساوي أو بالإختلاف ، وقد يكون خيراً لدنياه وضرراً لآخرته ، وقد ينعكس ، ثم أنظر إلى حالك أو حال من رأيت شيئاً في حقه والمناسبة بينهما وقتئذ حتى يظهر لك ما

(١) وفي المناقب لابن شهرآشوب (رحمه الله) «أرفق بالقوارير» وفي النهاية وأسد الغابة وغيرها «رفقاً بالقوارير» خاطب (صلى الله عليه وآله) به أنجشة خادمه ـ على ما قاله ابن شهر آشوب ـ وكان حسن الصوت بالحداء، فحدا بأزواج النبي (صلى الله عليه وآله) في حجة الوداع، فأسرعت الإبل فقال له: رويدك اه وقال ابن الأثير في النهاية كان أنجشة يحدو وينشد القريض (أي الشعر) والرجز فلم يأمن أن يصيبهن أو يقع في قلوبهن حداؤه فأمره بالكف عن ذلك.

تريد من المعرفة .

مثال الأول الأنبياء والأوصياء وملائكة الرحمة والقرآن والعلماء والأنوار والمعارف الحقة والعلوم النافعة ، فإن كونهم (ع) في كل مكان وزمان لخير حاضراً ومترقب لطهارة وجودهم عن لوث كل فساد وشرور ، وقد مرّ أن من رأى النبي (ص) أو أحد الأئمة (ع) في مدينة أو قرية فإنه أمن لأهل المدينة أو القرية مما يخافون ويحذرون ، وبلوغ لما يأملون ويرجون ويشير إلى ذلك ما ورد في شرافة كل مكان له نسبة ما إليهم كالولادة والنوم والصلوة والجلوس والمشي والدفن وغيرها ، « وفي النهج » في خطبة له (ع) : ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه ، وسراجاً لا يخبأ توقده ، وبحراً لا يدرك قعره ، ومنهاجاً لا يضلّ نهجه ، وشعاعاً لا يظلم ضوئه ، وفرقاناً لا يخمد برهانه ، وتبياناً لا تهدم أركانه ، وشفاءاً لا تخشى أسقامه ، وعزّاً لا تهزم أنصاره ، وحقاً لا تخذل أعوانه ، فهو معدن الإيمان وبحبوحته ، وينابيع العلم وبحوره ، ورياض العدل وعذرانه ، وأثافي الإسلام[1] وبنيانه ، وأودية الحق وغيطانه[2] وبحر لا ينزفه المستنزفون ، وعيون لا ينضبها المائحون ومناهل لا يغيضها الواردون[3] ومنازل لا يضل نهجها المسافرون وأعلام لا يعمى عنها السائرون ، وأكام[4] لا يجوز عنها القاصدون ، جعله الله رياً لعطش العلماء ، وربيعاً لقلوب الفقهاء ، ومحاج[5] لطرق الصلحاء ودواء ليس بعده داء ، ونوراً ليس بعده ظلمة وحبلاً وثيقاً عروقه ، ومعقلاً منيعاً ذروته[6] وعزّاً لمن تكلم به وشاهداً لمن خاصم به

---

(١) الأثافي جمع أثفية : وهي الأحجار التي توضع عليها القدر.

(٢) غيطان جمع غائط وهو المطمئن من الأرض.

(٣) نضب الماء : غار في الأرض ونضبته بمعنى نزعته ويقال نضب الثوب : خلعه يتعدى ولا يتعدى ومثله في ذلك غاض قال ابن أبي الحديد : ولا يغيضها بفتح حرف المضارعة غاض الماء وغضته أنّا يتعدى ولا يتعدى، وروى لا يغيضها بالضم على قول من قال: أغضت الماء وهي لغة ليست بالمشهورة (انتهى) والماتح : من متح الماء : نزعه.

(٤) الأكام جمع الأكمة : ما علا من الأرض وهي دون الكثيب.

(٥) المحاج جمع محجة : جادة الطرق.

(٦) المعقل : الملجأ وذروة كل شيء أعلاه.

وفلجاً لمن حاج به[1] وحاملاً لمن حمله ومطية لمن أعمله ، وآية لمن توسم وجنة لمن استلأم[2] وعلماً لمن وعى وحديثاً لمن روى ، وحكماً لمن قضى .

ومثال الثاني الشياطين والكفار والمؤذيات والخبائث والأعمال الموبقة والملهية وما ذكرنا سابقاً من مصالح وجودها لا ينافي المقصود في المقام لجواز وصول شرّ إلى النائم كفارة أو عقوبة أو إمتحاناً أو حفظاً للنظام الكلي ، وفي كثير من الأخبار لا خير في كذا وكذا ، وفيها لكل قوم نجيب إلا بني أمية .

ومثال باقي الأقسام المطر ، فإن نفعه عام لكل ذي حيوة بل للمعادن والجماد ، ومع ذلك فهو في غير وقته مضرّ للبعض وضرر لبعض أرباب الحرف في غالب حالاته ، وبالتأمل يظهر تفصيل الأقسام في جملة الأشياء ، ويظهر وجه اختلاف التعبير في رؤية شيء واحد من شخص واحد بحسب اختلاف شغله أو زمانه أو مقامه في الشرف والضعة والرفعة والدناءة ، ثم بعد معرفة الخير والشر لا يقنط ولا يغرّ بل يتأمل فيما شرحناه في الفصل السادس من أقسامهما ، وعلامة كل واحد منهما ، ثم العمل بما يقتضيه والله العالم .

وأما علماء النجوم : فلهم في التعبير مسلك آخر يساعده في الجملة الاعتبار والتجربة في بعض الأوقات .

قال علي بن أبي الرجال الكاتب في كتاب البارع : الرؤيا عندي أقسام أحدها عن الله (عزّ وجلّ) ، والثاني عن قوى الكواكب ، والثالث عن قوى أخلاط البدن ، فأما التي عن الله (عزّ وجلّ) فهي التي يكون عن الدعوات والصلوات والإنذارات والتي تكون على جهة العناية منه جل وعزّ للناس كافة ، والتي تكون عن قوى الكواكب فهي الرؤيا الكثيرة التي تراها كلّ واحد من الناس ولا يلهي في مواليدهم أو حين مسقط النطفة ، وإذا انتهيت تلك الدلائل في بعض الأوقات إلى المواضع المشاركة لها في الشكل أو نظرت إلى بعض

---

(١) الفلج : الظفر والفوز.

(٢) توسم : تفرس. واستلأم : تدرع.

الإدلاء حدثت تلك الرؤيا ، وأما التي حدثت عن قوى أخلاط البدن وليس لها إنذار البتة مثل أن يكون الإنسان غلب عليه في وقت من الأوقات خلط السفراء إما على جهة الكثرة وإما على جهة القوة والفساد فرأى الإنسان كأنه في نيران ، وإذا غلبت عليه الرطوبة يرى كأنه في ماء وإذا غلبت عليه السوداء يرى كأنه في ظلمة أو كأنه يحلق أو كان عليه ثقيلاً مثل الذي يسمى الكابوس ، وإذا كان الغالب عليه الدم فيجب ما يخلطه من الأخلاط الثلاثة إما في الكمية وإما في الرد ، كذلك تكون الرؤيا من ذلك الجنس فأما إذا لم يكن معه خلط زائد ولا فاسد فإن الرؤيا تكون بحسب القوى الواردة من الكواكب .

واعلم أن الرؤيا التي تكون عن قوى الكواكب على وجهين إما أضغاث وإما إنذارات حقيقة فأما الأضغاث فهي التي تكون عن قوى ضعيفة من قوى الكواكب وهي التي لم يبلغ من قوة الكوكب أن يأتي بالأمن للإنسان ، ويحصل من ذلك رؤيا وخواطر في الفكر وطلب له ومفاوضات منه من غير أن يكون أكوان ، والتي يكون لما دلت عليه الكواكب تماماً فيكون لذلك وجود في الثلاثة المواضع أعني في الرؤيا ، وفي الفكر والطلب والمفاوضة ، ففي كون الشيء وتمامه ، فعند ذلك تصير الرؤيا ذات تأويل وإنذار ودليل يستدل منه على كون الشيء بحول الله وقوته .

وإذا سألت عما رأى في منامه فأنظر إلى الطالع الذي يسألك فيه ، فإن كان فيه زحل فإنه رأى موتى وشياطين وأشياء قذرة مفزعة ، وإن كان فيه المشتري فإنه رأى متعبدين ونساكاً ومواضع عبادة وقوماً شرفاً وإن كان فيه المريخ فإنه رأى القواد والجند والدم واللصوص والسلاح والحروب ، وإن كان فيه الشمس فإنه رأى بساتين وشجراً مثمراً وذهباً وملكاً ، وإن كانت فيه الزهرة فإنه رأى جارية عذراء وأكلاً وشرباً ولعباً ونزهاً ولباساً أحمر وأبيض ، وإن كان فيه عطارد فإنه رأى ناساً حسناً منطقهم ومنظرهم ومجالس وفرشاً وطعاماً أو كتباً ودواوين ومحلات وإن كان فيه القمر فإنه رأى أنهاراً أو ماءاً ولؤلؤاً وجواهراً وأكلاً وضرباً أو رأى خالته أو أمته (عمته ظ) وقال ما شاء الله والخياط وابن الفرجان

انظر في ذلك من البرج التاسع من الطالـع ، وإن كان فيـه أحد من الكـواكب السبعة فقل رأى مثل ما ذكرنا في كونها في الطالع ، ورد في دلالة الشمس أنه يطير بين السماء والأرض ، أو رأى نوراً فإن لم يكن في التاسع كوكباً فانظر من الطالع فإن لم يكن فمن الثالث ، فإن لم يكن فمن الرابع والسابـع والعاشـر ، وقل منهم كما قلت أولاً إنشاء الله تعالى ، وقيل أن الشمس في درجة الـظاهرة في اليقظة والقمر هي الرؤية الباطنية في النوم ، فإذا سألت عن الرؤيا فاعـرف الساعة التي فيها الدليل ، فإن رأى رؤيا يسيرة جيدة يرجوها ورأيت دليـل تلك الرؤيا منحوساً ، فإنها لا يصدق ويبطل ، فإن قبل الدليل واتصـل بسعد كـانت حقاً ، ويبلغ ما يرجوه منها والوقت من موضع الدليل إلى قابل تدبيره أيّام أو شهور أو سنين ، فإذا كانت الرؤيا قبيحـة فقل فيهـا الشر ، فـإن رأيت الدليـل مقبولاً ويتصل بسعد فقل أنها لا تصح من تلك الرؤيا الردية شيء ، وإن كان الـدليل تلك الساعة التي رأى فيها الرؤيا الردية منحوساً خيف عليه بالشيء الذي تـدل عليه ، ولذلك فانظر فإن كان الدليـل على ما ذكـرت من الخير والشـر ، « وأنا أقول » : أن ينظر إلى رب الطالع أو المستولى عليه أو القمر من منهما في التاسع أو الثالث ، فإن لم يكن فمن منهما في الطالع أو أحد أوتاده ، فإن كان منصرفاً عن سعد متصلاً بسعد كانت الرؤيا حسنة وكان تـأويلها حسنـاً جيداً في معنـاه ومعنى السعد الذي يذهب إليه ويكون من تلك المنفعة من شكل بيته من الفلك الذي هو فيـه أجود نـظراً ، وإن كان ينصـرف عن نحس ويتصل بنحس كـانت الرؤيا مفزعة وتأويلها مذموم ، ودخلت المضر عليه من طبيعـة النحس المتصل به ، ومن شكل بيته من الفلك ودلالة ذلك ، وإن كان ينصرف عن سعد ويتصل بنحس فالرؤيا نحسة وتأويلها مذموم ، وإن كان ينصرف عن نحس ويتصل بسعد كانت الرؤيا مذمومة ، وكان تأويلها نافعاً سعداً محموداً على قدر طبيعـة السعد وشكل بيته من الفلك كما قدمنا وعلى هذا المنهاج فقس إنشاء الله تعالى .

وصرّح أبو معشـر البلخي في كتاب المـدخل أن سهم الـرؤيا في البيت الثالث ، وقال صاحب حل المسائل أن البيت التاسع وصاحبه والكواكب الذي فيه وفي الطالع والعاشر والرابع دليل الرؤيا ، فإن كان صاحب التاسع في محل

مسعود قال : رؤيا تدل على السرور ، وإن كان في مكان منحوس يخاف على صاحبها ، ولينظر إلى الكواكب الذي هو صاحبه ويحكم على مزاجه وطبيعته ، مثل أن المريخ يدل على الفتنة وإهراق وهكذا وكذا إلى مزاج البروج ، مثل أنّ البرج المائي يدلّ على الأمطار والمياه ، وكذا الكوكب الذي في التاسع مثل أن المشتري يدل على أنه رأى الأنبياء والعلماء والذنب على أنه رأى الحيات والتنين وهكذا (انتهى) .

والحاصل أن العمدة في بيان أصل المنام وأن السائل أي شيء رآه في نومه وتعبيره بعد معرفته ملاحظة البيت الثالث والتاسع مع الطالع وصاحب كل واحد والمستولي عليه والكوكب المتعلق بالغرض فيحكم على حسب سعادته ونحوسته ونظراته مع السعد والنحس بنظر العداوة أو المحبة وتفسير ذلك مع منسوبات كل كوكب وبرج مذكور في المطولات من كتب القوم ، وقريب من طريقتهم طريقة علماء الرمل إلا أنهم صرحوا بأن أصل المنام يستخرج من البيت الثالث وتعبيره من البيت التاسع وحيث أن ذكر ما يتعلق بهذا المقام من كلماتهم بدون ذكر مقدماته غير نافع ومعه خروج عن وضع الكتاب طوينا الكشح عن ذلك كلياً وإن رأينا منه ما يتحير منه لبّ ذوي العقول وشاهدنا من عجائبه ما يزيل عن القلوب القفول .

المقام الثالث

في بيان ما يحتاج إليه بعض الأخبار المذكورة في أول الفصل .

فنقول : اعلم أن الظاهر من جملة من أخبار الباب أن الرؤيا لأول عابر ، وعلى نحو ما وقع به العبارة أولاً إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشرّاً ، وهذا مشكل من وجهين ، « الأول » : منافاته لما مرّ من أن أبا حنيفة عبّر رؤيا محمد بن مسلم عند أبي عبد الله (ع) على خلاف ما هو في الواقع ، ثم عبّرها أبو عبد الله بعد ما خرج أبو حنيفة بما هو في الواقع وقد وقع ما عبّره بعد أيام قلائل[1] ،

(١) وفي كتاب الغارات عن أبي إسماعيل كثير النوا أن أبا بكر خرج في غزاة، فرأت أسماء =

« الثاني » : أن مبادىء المنامات الصادقة أمور واقعية لا يتغيرها قول أحد وفهمه وبيانه ، مع أن ظاهر الأخبار تحققها وثبوتها بالتعبير ، وأنها قبله ليست شيئاً معيناً غير قابلة إلا لجهة واحدة.والجواب عنه من وجوه :

الأول : ما ذكره الفاضل الطبرسي في شرحه حيث قال بعد ذكر الإشكال ولا يمكن الجمع بينهما بأن الرؤيا لأول عابر إذا أصاب وجه العبارة وإلا فهي لمن أصابها بعده بل الجمع إن ذلك محمول على الإيجاب الجزئي إذ قد يؤثر التعبير في النفس قبضاً وانبساطاً من باب التطير أو التفال فيؤثر لأجل ذلك ، كما قال نظير ذلك في المسحور . من قال السحر لا حقيقة له ، وقد ورد في بعض الروايات أن الطيرة لا أثر لها ، مع أنه ورد في بعضها كيفية الإستعاذة منها ليتخلص من شرها من يجد في نفسه منها شيئاً وبالجملة لأمثال ذلك قد يكون تأثيراً في النفوس وقد لا يكون ، **لا يقال** الرؤيا لا يغيرها عبارة عابر وكيف يغير ما جاءت نسخته من أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ قول أحد أو فعله ؟ **لأنا نقول** : ذلك ممنوع إذ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ، وبالجملة تغييرها مثل تغيير البلايا والأمراض ونحوها بالصدقات والدعاء (انتهى) .

وهذا من باب التأثيرات النفسانية الغير المشترطة إلى الكيفيات المحسوسة فإنها قد تؤثر كذلك في الأبدان والنفوس ، مثاله اللوح الذي يكون قليل العرض إذا كان موضوعاً على الأرض قدر الإنسان على المشي عليه ، ولو كان موضوعاً فيما بين جدارين عاليين لعجز الإنسان عن المشي عليه وما ذاك إلا

= بنت عميس في منامها وهي تحته كأن أبا بكر مختضب بالحناء رأسه ولحيته وعليه ثياب بيض، فجاءت إلى عائشة فأخبرتها فبكت عائشة وقالت: إن صدقت رؤياك لقد قتل أبو بكر، إن خضابه الدم وإن ثيابه أكفانه، فدخل النبي (صلى الله عليه وآله) وهي كذلك، فقال (صلى الله عليه وآله): ما أبكاها ؟ فقالوا: يا رسول الله أرسلها أحد (كذا) ولكن ذكرت أسماء رؤيا رأتها لأبي بكر فأخبر النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: ليس ما عبرت عائشة ولكن يرجع أبو بكر صالحاً فليهنأ أسماء بغلام تسديه محمداً يجعله الله غيظاً على الكافرين والمنافقين، فكان الغلام محمد بن أبي بكر (رحمه الله)، قتل يومئذ أي بمصر قتله معاوية بن خديج بعدما فتحها ابن العاص (منه ره).

لأن خوفه من السقوط منه يوجب سقوطه منه ، وكذا إذا تصور كون فلان مؤذياً له حصل في قلبه غضب وسخن مزاج ومبدء السخونة هذا التصور النفساني ، فإذا ثبت أنّ تصور النفس يوجب تغير بدنه الخاص لم يبعد أيضاً أن يكون بعض النفوس تتعدى تأثيرها إلى سائر الأبدان والنفوس ، ومن هذا الباب تأثير العين وإن اشترط بالنظر وتأثير حسد الحاسد في زوال نعمة المحسود على بعض الوجوه فيهما ، وربما يوجه ذلك بأنه إذا عبر الرؤيا على صورة تخيلها في خياله الرائي ، فإذا دام تخيلها في خياله وقع ظلمها في النجوم وانطبعت فيها فإذا لم يكن مانع أقوى جرت به .

الثاني : أن يكون المراد من المعبر هو المعبر الكامل الجامع للشرائط الواقف على أسرار التأويل وأطراف التنزيل ، ومثله إذا عبر الرؤيا لا يكون مخطئاً ولا يخالف الواقع ما اعتقده وذكره ، وقد مرّ تخطئة تعبير جميع المخالفين .

الثالث : أن يكون ذلك من الحكم البالغة والعادة الجارية بأن يجري الله على لسان أول عابر ما هو المطابق للواقع من غير أن يكون ذلك لمزية منه ، وعدم معرفتنا بسرّ الحكمة لا يضرّ بالإحتمال .

الرابع : أن الغرض من تصويب المعبر هو ما يعبره حسب التنزيل والقواعد الظاهرة ومطابقة عبارته ببعض الوجوه لعبارة المنام ، فلا ينافي مخالفة كلامه لتأويل والمقصود من إرائتها إياه ، فإن المعبر يعبر حسب وجوه الخير والشر والنفع والضرّ الظاهرين في الأشياء مع أن من الجائز الواقع أن يكون الخير المرئي للإمتحان والإبتلاء أو للإستدراج والإملاء ، أو يكون المحل ممن لا يزيد فيه الخير إلا الخسارة والشر ، مثل أن قراءة القرآن بظاهرها تدل على صلاح حال صاحبها إلا أن التأمل في قوله تعالى : ﴿ **ونتزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً** ﴾ يعطي أن الدلالة على الصلاح والشفاء من الأمراض الباطنية والظاهرية ونيل الرحمة مختصة بالمؤمنين ، وأما القارىء الظالم فلا تزيده القراءة إلا الضلالة والخسارة .

الخامس : ما ذكره بعض الفضلاء من أنه لما كان تعبير الرؤيا ووقوعها مما يجوز أن يطول زمانه ويتأخر عن وقت المنام وبذلك يتطرق إليه النسيان ويعتقد عدم تأثير الرؤيا ، ولكن لو عبّرها له أحد كان متذكراً لها دائماً ومنتظراً لوقوعها إلى أن تقع قال (ع) : الرؤيا تقع على ما عبّر يعني العلم بوقوعها مستنداً إلى التعبير ، لا أنه ليس لها حقيقة وعالم سوى مقالة المعبر ، وفيه مع التكلف الظاهر عدم نهوضه لرفع الإشكال عن جميع الأخبار .

السادس : أن يكون المراد أن حقيقة الرؤيا والمقصود منها هو كما يفهمه أولاً ويعبر على نفسه من الألفاظ والمعاني المبنية لها في النوم أو اليقظة وهذا قريب من الثالث ، والحاصل أنه لا إشكال في أنّ للرؤيا حقيقة وعالم مستقل ، وأن الرائي يرى ما له أصل وقع أو سيقع ، فالواجب صرف هذه الأخبار عن ظاهرها بما ذكرنا أو بغيرها .

المقام الرابع

في شرائط المعبر الذي ينبغي قصّ الرؤيا عليه وتكليفه بعده ، قد عرفت في طي الأخبار السابقة أن المعبر لا بدّ وأن يكون عاقلاً لبيباً خالياً من الحسد والبغي ، محباً أو محبوباً له ناصحاً عالماً غير عدوّ ولا صغير ولا منافق ، ودوداً حبيباً ذو رأي والوجوه في إتصافه بهذه الصفات الحسنة قد علم مما تقدم ، وأما السرّ في خلوّه عن الحسد والبغي والعداوة والنفاق فوجوه :

الأول : أن المتصف بها لا يأمن من أن يعبر الرؤيا بما يورث الهم والحزن للرائي فتصير نفسه في تشويش واضطراب وغم طويل وانقباض دائم لسماعه ما لا يوافقه من المكاره والبلايا وترقبه نزولها وهذا ضرر عظيم وصارف للنفس عن الإشتغال بما يصلح دينه ودنياه وعلى هذا فسرّ بعضهم قوله تعالى : **﴿ لا تقصص رؤياك على إخوتك ﴾** فيكيدوا لك كيداً .

الثاني : أن تعبيره بخلاف الواقع حسداً وعداوة وربما يؤثر في الواقع بناء على ما تقدم من تأثير بعض النفوس أو الكلام في نفوس أخرى خصوصاً إذا كانت ضعيفة كالبله والنساء والصبيان ، فتقع الرؤيا على ما عبّره من الشر وقد

ذكر بعضهم أن وقوع تعبير يوسف لصاحبه في السجن الذي قال : ﴿ أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه ﴾ إنه يصلب وتأكل الطير من رأسه وإنكاره ما رآه وقوله (ع) . قضي الأمر الذي فيه تستفتيان من هذا الباب[1] ، وأنه لتأثير كلامه في نفس الرجل واقعاً فقتل وصلب ، وقد ذكرنا في صدر الكتاب وجهاً آخر فلاحظ ، والحاصل أنه لا شبهة في وجود أصل التأثير في أمثال ذلك من الطيرة والفال والعين والحسد وبعض مقامات المحبة وغيرها في بعض الأحيان ومنه بعض أقسام السحر .

الثالث : أنه قد يكون سبباً لوصول ضرر آخر عليه من جهة المعبر ، سواء كانت رؤياه حسنة أو سيئة لأنه إذا عرف خير رؤياه فلا يأمن من أن يكيد له كيداً وينصب له غوائل لصرفه عنه ، وإذا عرف شرّها سرّ وقوي في عداوته وإمداده الجهة التي منها يصل إليه ، وهذا هو الظاهر من الآية المتقدمة ، فإن إخوة يوسف كانوا يعرفون تأويلها ويخافون علوّه عليهم فيحسدونه ويحتالون له بما يمكنهم من الكيد والغوائل كما فعلوا .

ثم : إن المعبر الكامل جالس في مقام الأنبياء (ع) لكون علم التعبير غرفة من بحار علومهم المستمدة من العيون الصافية الإلهية فينبغي أن يكون في غاية الشفقة والعطوفة لإخوانه المؤمنين طالباً لهم كل خير ومنفعة بقلبه ولسانه داعياً لهم عند الله تعالى لصرف المكاره والشرور ، مبتغياً لهم كل بهجة وسرور فإن كانت الرؤيا سيئة فيتضرع أولاً بقلبه إلى الله تعالى في صرفه عنها ، سواء كانت من البلايا العامة أو الخاصة فإنه تعالى يصرف البلاء بالدعاء ، وقد أبرم إبراماً ويجعله عليه رحمة ، أو يستثنيه من قومه وإن كان عاماً وإلهامه بالدعاء عند ذلك إحدى علامات دفع البلاء عنه ، « ففي الكافي » عن أبي عبد الله (ع) : هل تعرفون طول البلاء من قصره ؟ قلنا : لا ، قال : إذا ألهم أحد الدعاء عند البلاء فاعلموا أن البلاء قصير ، « وفيه عن أبي الحسن (ع) : ما من بلاء ينزل على

---

(١) يعني في تأثيره في نفس المخاطب لا في تعبيره لئلا ينافي مقامه (عليه السلام) .

عبد مؤمن فليلهمه الله (عزّ وجلّ) الدعاء إلا كان كشف ذلك البلاء وشيكاً[1] وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء ، إلا كان ذلك البلاء طويلاً ، فإذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء والتضرع إلى الله (عزّ وجلّ) .

وحيث عرفت سابقاً اتحاد نفوس المؤمنين وأنه ينبغي أن ينزل كل واحد منهم الآخر منزلة نفسه فيما يرد عليه من اللاواء والبؤس فيشرك معه في همه ويجعل دفعه ورفعه من مهمه فالسيئة التي رآها آخره في منامه كأنه الذي ابتلى بسوء عاقبتها فيدعو له كما يدعو لنفسه ولأعزّ أحبته ، ثم يأمره ثانياً بالاستغفار والإرتداع عما لعله أوقعه في هذا المضمار ثم يهديه ثالثاً إلى الأوراد والدعوات والأعمال التي ذكرناها في الفصل السادس لدفع الرؤيا المكروهة ويأمره بالتصدق الذي هو الترياق الأعظم لأمثال ذلك من أمراض بني آدم ، ومع ذلك يورى في تعبيره بما يستر عليه شرّ ما رآه ، ولا يذكر له حقيقة ما عرفه من رؤياه ويطيب خاطره بأنّه لعله من نجوى الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئاً ، وأنه مما فعل الله به عقوبة وكفارة لبعض ذنوبه فينبغي أن يسرّ به أكثر مما يظن به خيراً لأنه تعالى أكرم من أن يعاقب على ذنب مرتين أو تخويفاً من سياط غضبه فيعز إليه ويتضرع ويتجافى عن الملهيات فيصير بذلك من أجل ما قرب إلى الطاعات وأبعد الإنسان عن اقتحام الموبقات .

والحاصل أنه بما ذكرنا وأمثاله يرتدعه عن التوجه إلى سيئة رؤياه ويشغله عن ترقب نزول البلاء مع تحريكه إلى الأعمال الخاصة ببيان لا يزيده الحزن والكآبة ، هذا ولا يخفى عليك أن المعبر الكامل في العلم والعمل كالمؤمن كذلك أعزّ من الكبريت الأحمر ، وإنما يوجد في الناس ما دار في الألسنة مما أخذ أغلبه مما لفّقه رؤساء الضلالة كجملة أخرى من العلوم التي لم يبق لها إلا الرسوم .

---

(١) أي سريعاً.

الفصل العاشر

في نوادر ما يتعلق بالرؤيا والنوم والنائمين وما نستطرده من خلالها مما يزيد في إيمان المؤمنين ويقين المتقين .

في روضة الكافي عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى وأبو علي الأشعري عن محمد بن عبد الجبار جميعاً عن علي بن حديد عن جميل عن زرارة عن أبي جعفر (ع) قال : سأله حمران فقال : جعلني الله فداك لو حدثتنا متى يكون هذا الأمر فسررنا به فقال : يا حمران إن لك أصدقاء وإخواناً ومعارف أن رجلاً كان فيما مضى من العلماء وكان له ابن لم يكن يرغب في علم أبيه ولا يسأله عن شيء وكان له جار يأتيه ويسأله ويأخذ عنه فحضر الرجل الموت فدعاابنه فقال له : يا بني إنك قد كنت تزهد فيما عندي ويقلّ رغبتك فيه ، ولم تكن تسألني عن شيء ولي جار قد كان يأتيني ويسألني ويأخذ مني فإن احتجت إلى شيء فأته ، وعرّفه جاره فهلك الرجل وبقي ابنه ، فرأى ملك ذلك الزمان رؤيا فسأله عن الرجل فقيل له : قد هلك ، فقال الملك : هل ترك ولداً ؟ فقيل له : نعم قد ترك إبناً ، فقال : ائتوني به ، فبعث إليه ليأتي الملك فقال الغلام : والله ما أدري لما يدعوني الملك وما عندي علم ولئن سألني لأفتضحن فذكر ما كان أوصاه أبوه به ، فأتى الرجل الذي يأخذ العلم من أبيه فقال له : إنّ الملك قد بعث إليّ يسألني ولست أدري فيم بعث إليّ وقد كان أبي أمرني أن آتيك إن احتجت إلى شيء فقال الرجل : ولكن أدري فيما بعث إليك فإن أخبرتك فما أخرج الله لك من شيء فهو بيني وبينك ؟ فقال : نعم ، فاستحلفه واستوثق منه أن يفي له فأوثق له الغلام ، فقال له : إنه يريد أن يسألك عن رؤيا رآها أي زمان هذا ؟ فقل له : هذا زمان الذئب ، فأتاه الغلام فقال له الملك : أتدري لما أرسلت إليك ؟ فقال : أرسلت إليّ تريد أن تسألني عن رؤيا رأيتها أيّ زمان هذا ؟ فقال له الملك : صدقت ، فأخبرني أي زمان هذا ؟ فقال له : زمان الذئب ، فأمر له بجائزة فقبضها الغلام وانصرف إلى منزله وأبى

أن يفي لصاحبه ، وقال : لعلّي لا أنفد هذا المال ولا آكله حتى أهلك ولعلّي لا أحتاج ولا أسأل عن مثل هذا الذي سألت عنه ، فمكث ما شاء الله ثم أن الملك رأى رؤيا فبعث إليه يدعوه فندم على ما صنع ، وقال : والله ما عندي علم آتيه به وما أدري كيف أصنع بصاحبي وقد غدرت به ولم أوف له ؟ ثم قال : لآتينّه على كل حال ولأعتذرنّ إليه ولأحلفنّ له فلعلّه يخبرني فأتاه فقال له : إني قد صنعت الذي صنعت ولم أوفِ لك بما كان بيني وبينك وتفرق ما كان في يـدي ، وقد احتجت إليك فأنشدك الله أن لا تخذلني وأنا أوثق لك أن لا يخرج لي شيء إلا كان بيني وبينك ، وقد بعث إليّ الملك ولست أدري عما يسألني ؟ فقال : إنه يريد أن يسألك عن رؤيا رآها أيّ زمان هذا ؟ فقل له : إن هذا زمان الكبش ، فأتى الملك فدخل عليه ، فقـال : لما بعثت إليـك ؟ فقال : إنـك رأيت رؤيا وإنك تريد أن تسألني أيّ زمان هذا ؟ فقال له صدقت ، فأخبرني أيّ زمان هذا ؟ فقال : هذا زمان الكبش ، فأمر له بصلة فقبضها وانصرف إلى منزله وتدبر رأيه في أن يفي لصاحبه أو لا يفي له فهمّ مرة أن يفعل ومرة أن لا يفعل ، ثم قال : لعلي أن لا أحتاج إليه بعد هذه المرة أبداً وأجمع رأيه على الغدر وترك الوفاء ، فمكث ما شاء الله ، ثم أن الملك رأى رؤيا فبعث إليه فندم على ما صنع فيما بينه وبين صاحبه ، وقال : بعد غدر مرتين كيف أصنع وليس عنـدي علم ؟ ثم أجمع رأيه على إتيان الرجـل فأتـاه فناشـده الله تبارك وتعـالى وسألـه أن يعلمه وأخبره أن هذه المرة يفي له وأوثق له ، وقال : لا تدعني على هذه الحال فإني لا أعود إلى الغدر وسأفي لك فاستوثق منه ، فقال : إنّه يدعوك يسألك عن رؤيا رآها أيّ زمان هذا ؟ فإذا سألك فأخبره أنّه زمان الميزان ، قال : فـأتى الملك فدخل عليه فقال له : لمَ بعثت إليك ؟ فقال : إنك رأيت رؤيا وتريد أن تسألني أيّ زمان هذا ؟ فقال : صدقت ، فـأخبرني أيّ زمـان هذا ؟ قـال : هذا زمـان الميزان ، فأمر له بصلة فقبضهـا وانطلق بهـا إلى الرجـل فوضعهـا بين يديـه ، وقال : قد جئتك بما خرج لي فقاسمنيه ، فقال له العالم : إن الزمان الأول كان زمان الذئب وإنك كنت من الذئاب ، وإن الزمان الثاني كـان زمان الكبش يهمّ ولا يفعل ، وكذلك كنت أنت تهمّ ولا تفي ، وكان هذا زمان الميزان وكنت فيه

على الوفاء فاقبض مالك لا حاجة لي فيه وردّه عليه .

قال العلامة المجلسي في المجلد الثاني عشر من مرآة العقول قوله (ع) : إن لك أصدقاء وإخواناً لعل المقصود من إيراد تلك الحكاية أن هذا الزمان ليس زمان الوفاء بالعهود ، فإذا عرفت زمان ظهور الأمر فلك معارف وإخوان فتحدثهم به ، فيشيع الخبر بين الناس وينتهي إلى الفساد العظيم والعهد بالكتمان لا ينفع ، لأنك لا تفي به إذ لم يأت بعد زمان الميزان ، أو المراد أن لك معارف وإخواناً فانظر في حالهم فمهما رأيت منهم العزم على الانقياد والطاعة والتسليم التام لإمامهم فاعلم أنه زمان ظهور القائم (ع) ، فإن قيامه (ع) مشروط بذلك ، وأهل كل زمان يكون عامتهم على حالة واحدة كما يظهر من الحكاية ، فيمكنك استعلام أحوال جميع أهل الزمان باستعلام أحوال معارفك والأول أظهر .

قوله (ع) : ولكني أدري لعلّ علمه كان بإخبار ذلك العالم وكان العالم أخذه من الأنبياء حيث أخبروا بوحي السماء أن هذا الملك سيرى تلك الأحلام وهذه تعبيرها أو بأن أخذ من العالم نوعاً من العلم يمكنه استنباط أمثال تلك الأمور به وكان ذلك من علوم الأنبياء على أنه يحتمل أن يكونا من الأنبياء .

وقال الفاضل الطبرسي في شرحه بعد ذكر الخبر فيه فوائد ، « الأولى » : أنه ينبغي إظهار السرّ وتعليم العلوم الغريبة التي يحتاج إليها الخلق في بعض الأوقات لمن هو أهل لها ، « الثانية » : أنه لا يجوز تعليمها لمن ليس بأهل لها وإن كان ولد ، « الثالثة » : أنه ينبغي ترغيب الجاهل في الرجوع إلى العالم عند الحاجة ، « الرابعة » : أنه يجب الوفاء بالعهد لئلا يؤدي إلى الخجالة في وقت ، « الخامسة » : أنه تعالى قد ينبه الرجل بما فيه صلاحه وصلاح الخلق كما نبّه الملك المذكور الذي وقع الجور في رعيته ولم يكن عالماً به ، فسأل في المنام أي زمان هذا ؟ فعبّر بأنه زمان الذئب ، فتنبه أنه وقع الجور وشاع بين الرعية ، فاشتغل بالإصلاح حتى ظنّ أنه قد رفع ولم يرتفع بالكلية ، فسأل ثانياً : أيّ زمان هذا ؟ فعبّر بأنه زمان الكبش الذي قد يضرب وقد لا يضرب ، فتنبّه أنه قد بقي الجور في الجملة فاشتغل بالإصلاح حتى رفع بالكلية ، فسأل

ثالثاً : أيّ زمان هذا ؟ فعبّر بأنه زمان الميزان ، أي زمان القسط والعدل فعلم وتيقن ارتفاع الجور بالمرة فاطمئن قلبه .

إذا عرفت هذا فنقول : لعل الغرض منه أن هذا الزمان ليس زمان الميزان فأخاف أن لا تفي بعهد الكتمان ، ويعلم ذلك أصدقائك وإخوانك ، وكأنه أشار بزمان الذئب إلى زمان سلطان بني أمية ، وبزمان الكبش إلى مدة سلطان بني عباس ، فإن بعضهم همّ أن يدفع الأمر إلى صاحبه ثم غدر كالمأمون ، وبزمان الميزان زمان ظهور القائم (ع) فإنه زمان عدل يمكن إظهار السر فيه ، وبالجملة أشار إلى اختلاف حالات الخلق ، فغالب أحوالهم الغدر وعدم الوفاء بالعهد وهذا يقتضي كتمان السر عليهم وإذا اعتدل الزمان واعتدلت أحوالهم ينبغي إظهاره ، ويحتمل أن يكون المراد أن لك معارف وأصدقاء وإخواناً فهل ترى أحداً منهم يكتم السر فإذا رأيت منهم الطاعة والإنقياد وكتمان السر فاعلم أن ذلك الزمان زمان ظهور هذا الأمر والله يعلم .

وفي مجمع الزوائد للهيتمي عن ابن عمر أنّ رسول الله (ص) قال : أفرى الفرى من ادّعى إلى غير أبيه وأفرى الفرى من أرى عينيه ما لم تريا[1] وعن الترمذي وأحمد عن علي (ع) عن النبي (ص) أنه قال : من كذّب في الرؤيا متعمداً كلف عقد شعيرة في القيامة ، وعن أحمد والطبراني عن أبي شريح الخزاعي أن رسول الله (ص) قال : من أعتا الناس من قتل غير قاتله أو طلب بدم الجاهلية في الإسلام أو بصر عينيه في النوم ما لم يبصر ، ذكر الأخبار الثلاثة في باب من كذب في حلمه ، وفي دروع الواقية بأسانيد متعددة عن سلمان (ع) في ذكر أسامي أيام الشهور وسعودها ونحوسها ، قال (ره) : في اليوم

---

(١) وقد ورد في الحديث لا دعوة في الإسلام وهو أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته وقد كانوا يفعلونه فنهى عنه وجعل الولد للفراش وقوله من أرى عينيه اه، أي يقول: رأيت في النوم كذا وكذا ولم يكن رأى شيئاً. قال ابن الأثير لأنه كذب على الله فإنه هو الذي يرسل ملك الرؤيا ليريه المنام.

الثالث والعشرين روزبندين[1] إسم الملك الموكل بالنوم واليقظة ، وفي الرابع والعشرين روزدين[2] إسم الملك الموكل بالنوم واليقظة والسعي والحركة وحراسة الأرواح إلى أن ترجع إلى الأبدان ، وفي نسخة في الأول أنه إسم من أسماء الله (عزّ وجلّ) ، وفي بعض التعبير عن دانيال النبي (ع) أن الملك الموكل بالرؤيا إسمه صديقون ، من شحمة أذنه إلى منكبه مسيرة سبعمائة سنة ، وهو الذي يضرب الأمثال للآدميين فيريهم بضياء الله (عزّ وجلّ) من علم غيبه في اللوح المحفوظ ما هو كائن من خير أو شرّ ، يتشبه على شيء من ذلك ، ومثل هذا الملك كمثل الشمس إذا وقع نورها على شيء يضرب ذلك الشيء به ، وكذلك يعرفك هذا الملك بضياء الله (عزّ وجلّ) معرفة كل شيء ويهديك ويبشّرك ويحذّرك من معصية قد هممت بها ، فإن هذا الملك يقدم رؤيا الشر ويؤخر رؤيا الخير لفائدة يذكرها ، وذلك الشفقة من الله (عزّ وجلّ) على عباده ، ولو كان رؤيا الشر متأخراً لكان الإنسان إذ أقصمها وعلم أنها شر لم يزل منتظر وقوع ذلك الهم فلا يزال مهموماً فعجل الله بها حتى لا يطول همه وحزنه وأما رؤيا الخير أخّرت للإنسان إذا بشّر بها فرح وإن تأخرت لأنه منتظر وقوعها وروى الصدوق في ثواب الأعمال عن محمد بن الحسن عن محمد بن الحسن الصفار عن يعقوب بن زيد عن محمد بن الحسن المثنى عن هشام بن أحمد وعبد الله بن مسكان ومحمد بن مروان عن أبي عبد الله (ع) قال (ع) : ثلاثة يعذّبون يوم القيامة من صوّر صورة من الحيوان حتى ينفخ فيها وليس بنافخ فيها ، والذي يكذب في منامه يعذب حتى يعقد بين شعيرتين وليس بعاقدهما ، والمستمع من قوم وهم له كارهون يصب في أذنيه الانك وهو الأسرب .

حكاية عجيبة فيها معجزة باهرة

حدثني الصالح الصدوق الثقة الأمين الحاج الميرزا يوسف البروجردي (ره) وقال : لم أحدث بهذه الحكاية منذ ثلاثين سنة أحداً غيرك ،

---

(١) روزبيدن خ ل.

(٢) روزدير خ ل.

وإنما حدثتك لئلا أكون ممن كتم آيات الله وفضائل خلفاءه وذلك لأني سألته أن يذكر لي ما رآه من المعاجز الغريبة في طول مجاورته في مشهد أبي عبد الله الحسين (ع) وكان أزيد من ثلاثين سنة . قال (ره) : كنت أقرأ على السيد العالم الفاضل السيد ابراهيم القزويني صاحب الضوابط وكان يحبّني ويخصّني من بين أقراني ، وقلت له يوماً : ليس لي قرآن صغير الحجم أحمله معي إذا أردت التحول من البيت ، فقال : عندي قرآن موقوف كما تريد إلا أنه في غاية الجودة في الخط والكاغذ والتذهيب ، وقد أودعه رجل من أهل كرمانشاه فإن كنت تقوم بشرائط حفظه أعطيك إياه ، فضمنت له حفظه بقدر الميسور وأخذته منه وكان معي في كل مكان كنت أتردد إليه إلى أن كان في بعض أيام الصيف ووقت النوم على السطوح ، وكنت أضعه بعد المطالعة فوق الكتب وكان بعض الأهل يحمله إلى الحجرات التحتانية قبل أن أنزل من السطح ، وكانت امرأة بروجردية جاءت في تلك الأيام زائرة ولما أرادت الرجوع لم يبق لها ما يوصلها إلى بلدها ، فطلب مني شيئاً وكانت تتردد إلي لذلك فدخلت الدار يوماً في أول طلوع الشمس وكان القرآن فوق الكتب في الإيوان الذي كنت أضحي فيه ، ولم يكن في صحن الدار أحد فأخذت القرآن وخرجت ، فلما نزلت من السطح لم أرَ القرآن في موضعه فسألت عنه ؟ فقالوا : كان على الكتب ، ففتشنا عنه فلم نعثر عليه وما ظننا أنها الآخذة له فعرضني همّ عظيم لكونه أمانة خفت إن قصّرت فيها ولم آمن من بعض الناس أن يسوء ظنّهم فيتوهمون إني أردت أن أنكره وأغيّر صفحته الأولى التي كتبت فيها وقفيته فتوسلت بذلك إلى دعوى مسروقيتيه فتركت البحث والحضور عند السيد وشاع ذلك فدخلني غمّ منعني عن كل شيء ، وكنت جازماً أن أصنع مثله وكان الأميرزا فتحعلي الأصفهاني من مشاهير الخطاطين صديقاً لي ، فتعاهدني أن يكتب مثله من غير إجرة لكني لم يطب خاطري من ذلك فدخلت الحضرة في حالة ردّية وحزن وكآبة عظيمة ، وشكوت إلى الحضرة المقدسة الحسينية على الجدث الساكن فيها آلاف سلام وتحية ، وقلت : لا يمكنني تحمل الاتهام المذكور ولا يكوننّ هذا جزاء مجاورتي قبرك الشريف ، وخرجت متحسراً متفكراً في ليلتي هذه ، فلما أصبحت وطلعت

الشمس ونزلت من السطح إذا بالمرأة السارقة في هيئة منكرة دخلت الدار وألقت القرآن بين يدي وقالت : خذ ما لك فقد أهلكتني ولم يكن قابلاً لهذا المقدار من العقوبة ، فتعجبت من مقالها وقلت : ما لي اطّلاع بما تقولين ولم أعلم إلى الآن أن القرآن كان عندك فما قصّتك ؟ فقالت : لما أخذت القرآن خرجت فرأيت جماعة من الزوار أرادوا الخروج إلى الكاظمين فأكريت دابة وخرجت معهم بعد العصر ونزلوا وقت المغرب عند الخان العطاشية ، وهي على فرسخين من كربلاء فلما صلّيت وتعشّيت وضعت رحلي عند بعض الزوار وأخذت القرآن وتنحيت جانباً منهم لعلمي بأنك تبعث أحداً خلفي لرده مني فرأيت أرضاً ندية كثيرة الكلأ والعشب فتستّرت ببعض الحشيش ووضعت القرآن تحت رأسي على الأرض ونمت وما انتبهت إلا بعد ذهاب القافلة ، فلما قمت وأتيت المنزل ورأيته خالياً من أهله تحيّرت في أمري وإذا بفارسان في زيّ الأعراب بيد كل واحد رمح طويل ، فأشارا إليّ برمحهما أن ارجعي إلى كربلاء ، وظني أنه قال أنهما قالا لها وردّي القرآن إلى أهله ، قالت : فامتنعت فأشار إليّ بالرمح فذعرت ورجعت مسرعاً فلزماني وكلما عدوت في السير ثم التفت إلى خلفي رأيتهما ورائي ورأس الرمحين قريب مني بحيث لو مكثت قليلاً دخل في بدني ، فكنت أجدّ في المسير خوفاً إلى أن وافيت باب البلد في أول طلوع الشمس ، فالتفت فلم أر أحداً وما ظننت إلا أنك بعثتهما إليّ ، وقد بلغني من التعب ما لا يوصف ورحلي في المسيب مع القافلة ما أدري ما صنع به ؟ قال : فأعطيتها شيئاً وانصرفت وأخذت القرآن ، فوجدت الورقة الأولى منه مع طرف الجلد الذي يليها قد ضيعت بسبب الرطوبة التي سرت من الأرض التي نامت عليها إليها .

وفي تلك الأيام حدثت عجيبة

هي أنه كان رجل فاضل صالح تقيّ من أهل العلم المشتغلين في النجف الأشرف من أهل تبريز يسمى المولى محمد صديقاً لي ، وكان سديداً مستقيماً مشغولاً بنفسه قليل الكلام كثير المواظبة لإصلاح معاده ، وكنت أجتمع معه في

غالب الليالي في صلوة الجماعة في الصحن المقدس الغروري ، فقال لي ليلة : هل عندك مصباح الكبير للشيخ الطوسي (ره) ؟ قلت : نعم . فقال : أحتاج إلى شيء فيه ، فجئت به في الليلة الأخرى وأخذ مني فلما كان في الليلة الثالثة قال إن لي إليك حاجة لا بد أن تقضيها ، فقلت : حبّاً وكرامة ، فقال : أحب أن تجيء غداً بعد طلوع الشمس إلى بيتي مع المولى المعظم المفخّم العالم العليم هادي الأنام إلى صراط المستقيم المولى فتجعلني السلطان آبادي أدام الله أظلاله على مفارق الأقاصي ولأداني ، فأجبت مسئوله فذهبت الغد مع مولينا الأجلّ إليه ، فلقينا عنده الشيخين الجليلين شيخ علماء العراق الشيخ جواد النجفي والفقيه النبيه الشيخ محمد حسين الكاظميني كثّر الله تعالى في المسلمين أمثالهما مع آخرين من أتباعهما ، ولما قضينا الوطر من شرب الچاي أخرج المولى المتقدم كتاب المصباح وقال : إني قد دعوتكم لأشهدكم على عقائدي وأعمل بما رواه الشيخ فيه لهذا المطلب ، فقلت : الخبر المروي فيه أنه يستحب ذلك عند الوفاة ، وظاهره أنه للمريض الذي آيس من حيوته ، وإنّا لا نرى بك مرضاً ولا سوء مزاج ولا علّة ثم أخذت منه الكتاب وقرأت المتن فصدّقني الجماعة وأطبقوا على عدم دخوله في عموم الرواية ، فقال : إنّي أجد في نفسي شيئاً ولا جناح عليكم لو أعنتموني على ذلك فسكتوا ، فأخذ الكتاب وقرأ سورة الإشهاد بكيفية انقلبت حالنا وأخذتنا الرقة ، فلما أتى على آخره أخذت منه وقرأت العبارة التي يقرأها الشهود وتبعني الجماعة في القراءة ، وتغيّرت أحوالهم فاشهد كل واحد منهم الجماعة على ما أشهده المولى المذكور عليه ثم قمنا وشيعنا إلى خارج باب داره ولم يكن به ـ علم الله وكفى به شهيداً ـ مرض جزئي ولا كلّي فلما كان وقت المغرب أتاني بالكتاب في المحل المتقدم وقال : كتبت سورة الشهادة وفي الغد أبعثه إليك لتختمها بخاتمك ، فلما كان في الليلة الأخرى أتاها رجل آخر وقال : إنه اعتذر من مجيئه بنفسه ، وقال : إني أجد في بدني ضعفاً فختمتها وختمها الجماعة وفي غدها سمعت بمرضه فأتيناه مع مولانا الأجل عائداً فوجدناه لما هو به لا يتمنّى إياب عافيته وتوفي (رحمة الله عليه) في اليوم السابع من الاشهاد ، وكان ذلك في اليوم

السابع عشر من صفر المظفر من سنة ألف ومائتين وتسعة وثمانين والله يعلم كيف علم بوفاته فاستعدّ قبل ورودها رزقنا الله الاستعداد للموت قبل حلول الفوت .

وأما كيفية العمل المذكور : فقال الشيخ (ره) في الكتاب المذكور نسخة الكتاب الذي يوضع عند الجريدة مع الميت يقول قبل أن يكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله وأنّ الجنّة حقّ وأنّ النار حق وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور » .

ثم يكتب : بسم الله الرحمن الرحيم شهد الشهود المسمون في هذا الكتاب أن أخاهم في دين الله (عزّ وجلّ) فلان بن فلان ، ويذكر إسم الرجل أشهدهم واستودعهم وأقرّ عندهم أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً (ص) عبده ورسوله ، وأنه مقرّ بجميع الأنبياء والرسل (ع) وأنّ عليّاً ولي الله وإمامه وأن الأئمة من ولده أئمّة ، وأن أولهم الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والقائم الحجة (ع) وأن الجنّة حقّ والنار حقّ وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور وأن محمداً (ص) عبده ورسوله جاء بالحق وأن علياً ولي الله والخليفة من بعد رسول الله (ص) ومستخلفه في أمّته مؤدّياً لأمر ربه تبارك وتعالى ، وأن فاطمة بنت رسول الله وابنيها الحسن والحسين إبنا رسول الله (ص) وسبطاه إماما الهدي وقائدا الرحمة ، وأن عليّاً ومحمداً وجعفراً وموسى وعلياً وحسناً والحجة القائم (ع) أئمة وقادة وسادة ودعاة إلى الله (عزّ وجلّ) وحجّة على عباده . **ثم يقول للشهود** : يا فلان يا فلان يا فلان المسمين في هذا الكتاب أثبتوا إلى هذه الشهادة عندكم حتى تلقوني بها عند الحوض ، **ثم يقول الشهود** : يا فلان نستودعك الله والشهادة والإقرار والإخاء مودوعة[1] عند رسول الله (ص) ، ونقرأ

---

(١) موعودة خ ل.

عليك السلام ورحمة الله وبركاته ، ثم تطوى الصحيفة وتطبع وتختم بخاتم الشهود وخاتم الميت وتوضع عن يمين الميت مع الجريدة وتكتب الصحيفة بكافور وعود على جبهته غير مطيب إنشاء الله وبه التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله أخيار الأبرار وسلّم تسليماً .

توضيح في نوم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن صلوة الصبح

في الكافي عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن عثمان بن عيسى عن سماعة بن مهران قال : سألته عن رجل نسي أن يصلّي الصبح حتى طلعت الشمس قال : يصليها حين يذكرها ، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رقد عن صلوة الفجر حتى طلعت الشمس ثم صلاّها حين استيقظ ولكنه تنحى عن مكانه ذلك ثم صلى . وعن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن علي بن النعمان عن سعيد الأعرج قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : نام رسول الله (ص) عن الصبح والله (عزّ وجلّ) أنامه حتى طلعت الشمس وكان ذلك رحمة من ربك للناس ، ألا ترى لو أن رجلاً نام حتى طلعت الشمس تعيّره الناس وقالوا : لا تتورع لصلواتك فصارت أسوة وسنة ، فإن قال رجل لرجل : نمت عن الصلوة ؟ قال : قد نام رسول الله (ص) فصارت أسوة ورحمة رحم الله سبحانه بها هذه الأمة . وروى الصدوق في الفقيه عن الحسن بن محبوب عن الرباطي عن سعيد الأعرج قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : أن الله تبارك وتعالى أنام رسول الله (ص) عن صلوة الفجر حتى طلعت الشمس ثم قام بها فبدأ فصلى الركعتين اللتين قبل الفجر ، ثم صلى الفجر وأسهاه في صلوته فسلم في الركعتين ، ثم وصف ما قاله ذو الشمالين ؟[1] وإنما فعل ذلك رحمة لهذه

---

(١) هو أبو محمد عمير بن عمرو المعروف بذي اليدين صحابي على ما قاله الصدوق (رحمه الله) في الفقيه في رد من ادعى أنه لم يكن في الصحابة من يقال له ذو اليدين وأنه لا أصل للرجل، ثم أنه (رحمه الله) جعل الخبر دليلاً على ما ذهب إليه تبعاً لشيخه محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد من جواز طرو السهو للنبي (صلى الله عليه وآله) وقد كتب في ردهما وتفنيد ما استندا إليه من أخبار آحاد لا يوجب علماً، كثير من =

الأمة لئلا يعير الرجل المسلم إذا هو نام عن صلوة أو سهى فيها فقال : قد أصاب ذلك رسول الله (ص)

وقال الشهيد (ره) في الذكرى : روى زرارة في الصحيح عن أبي جعفر (ع) قال : قال رسول الله (ص) : إذا دخل وقت صلوة المكتوبة فلا صلوة نافلة حتى يبدأ بالمكتوبة قال : فقدمت الكوفة فأخبرت الحكم بن عتيبة وأصحابه فقبلوا ذلك مني فلما كان في القابل لقيت أبا جعفر (ع) فحدثني أن رسول الله (ص) عرس في بعض أسفاره وقال ما يكلؤنا[1] ؟ فقال بلال : أنا ، فنام بلال وناموا حتى طلعت الشمس فقال (ص) : يا بلال ما أرقدك ؟ فقال : يا رسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بأنفسكم ، فقال رسول الله (ص) : قوموا فتحوّلوا عن مكانكم الذي أصابكم فيه الغفلة ، وقال : يا بلال أذّن فأذّن فصلى رسول الله (ص) ركعتي الفجر وأمر أصحابه فصلوا ركعتي الفجر ، ثم قام فصلى بهم الصبح ثم قال (ص) : من نسي شيئاً من الصلوة فليصلها إذا ذكرها ، فإن الله (عزّ وجلّ) يقول : ﴿ **وأقم الصلوة لذكري** ﴾ فحملت الحديث إلى الحكم وأصحابه ، فقال : نقضت حديثك الأول ، فقدمت على أبي جعفر (ع) فأخبرته بما قال القوم فقال : يا زرارة ألا أخبرتهم أنه قد فات الوقتان جميعاً ، وأن ذلك كان قضاء من رسول الله (ص) ثم قال الشهيد (ره) : ولم أقف على رادّ لهذا الخبر من حيث توهم القدح في العصمة .

وقد روى العامة عن أبي قتادة وجماعة من الصحابة في هذه الصورة : أن النبي (ص) أمر بلالاً فأذّن فصلّى ركعتي الفحر ثم أمره فأقام فصلى صلوة الفجر ، وفي دعائم الإسلام روينا عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عن علي (ع) : أن رسول الله (ص) نزل في بعض أسفاره إلى أن قال (ع) : فقال

= علمائنا كالمفيد والسيد المرتضى وغيرهما ويأتي من المؤلف (رحمه الله) أيضاً بعض الكلام في ذلك ومن أراد الاطلاع على تمام الكلام في ذلك فليراجع بحار الأنوار وغيره من الموسوعات الكبيرة.

(١) الكلاء: الحفظ والحراسة.

رسول الله (ص) تنحوا من هذا الوادي الذي أصابتكم فيه هذه الغفلة ، فإنكم نمتم بوادي الشيطان (الخبر) ، وفي التذكرة ، روي أن النبي (ص) نزل في بعض أسفاره بالليل في واد فغلبهم النوم وما انتبهوا إلا بعد طلوع الشمس ، فارتحلوا ولم يقضوا الصلوة في ذلك الموضع بل في آخر : وعن شرح السنة للبغوي بإسناده عن سعيد بن المسيب أن رسول الله (ص) حين قفل من خيبر أسرى حتى إذا كان من آخر الليل عرس ، فقال لبلال : أكلأ لنا الصبح ونام رسول الله (ص) وأصحابه وكلأ بلال ما قدر له ، ثم استند إلى راحلته ، وهو مقابل الفجر فغلبته عيناه فلم يستيقظ رسول الله (ص) ولا بلال ولا أحد من الركب حتى ضربتهم الشمس ففزع رسول الله (ص) وقال : يا بلال (ما أرقدك ظ) فقال بلال : يا رسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك ، فقال رسول الله (ص) اقتادوا[1] : فبعثوا رواحلهم فأقتادوا شيئاً ثم أمر رسول الله (ص) بلالاً فأقام الصلوة فصلى بهم الصبح ثم قال حين قضى الصلوة : من نسي صلوة فليصلها إذا ذكرها ، فإن الله يقول : ﴿ **أقم الصلوة لذكري** ﴾ ، وروى الشيخ في التهذيب بإسناده عن الحسين بن سعيد عن النضر عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (ع) قال : سمعته يقول : أنّ رسول الله (ص) رقد فغلبته عيناه فلم يستيقظ حتى أتاه حرّ الشمس ثم استيقظ فعاد ناديه ساعة ، وركع ركعتين ثم صلى الصبح وقال : يا بلال ما لك ؟ فقال بلال : أرقدني الذي أرقدك يا رسول الله ، قال : وكره المقام وقال : نمتم بوادي الشيطان . ورواه في الإستبصار بحذف قوله فعاد ناديه ساعة واحتمل في الوافي أن يكون المراد أنه عاد إلى مكانه الذي كان فيه أصحابه فمكث ساعة .

قال العلامة المجلسي : في البحار بعد ذكر ما أردنا **أقول** : ولم أر من قدماء الأصحاب من تعرض لردّها إلا شرذمة من المتأخرين ظنّوا أنه ينافي العصمة التي ادّعوها وظني أن ما ادعوه لا ينافي هذا إذ الظاهر أن مرادهم العصمة في حال التكليف والتميز والقدرة وإن كان سهواً وإن كان قبل النبوة

---

(١) قاد البعير واقتاده: جره خلفه.

والإمامة وإلا فظاهر أنهم (ع) كانوا لا يأتون بالصلوة والصوم وسائر العبادات في حال رضاعهم مع أن ترك بعضها من الكبائر وهذا لا ينافي الأخبار الواردة بأنهم (ع) كانوا من الكاملين في عالم الذر ويتكلمون في بطون أمهاتهم وعند ولادتهم لأن الله تعالى مع أنه أكمل أرواحهم في عالم الذر ، ويظهر منه الغرائب في سائر أحوالهم على وجه الإعجاز جعلهم مشاركين مع سائر الخلق في النمو وحالة الصبا والرضاع والبلوغ ، وإن كان بلوغهم لكمال عقولهم قبل غيرهم ولم يكلفهم في حال رضاعهم وعدم تمكنهم من المشي والقيام بالصلوة وغيرها ، فإذا صاروا في حدّ ينافي ظاهراً منهم الأفعال والتروك لا يصدر منهم معصية فعلاً وتركاً وعمداً وسهواً ، وحالة النوم أيضاً مثل ذلك ، ولا يشمل السهو تلك الحالة لكن فيه إشكال من جهة ما تقدم من الأخبار وسيأتي أنّ نومه (ص) كان كيقظته وكان يعلم في النوم ما يعلم ، في اليقظة فكيف ترك (ص) الصلوة مع علمه بدخول الوقت وخروجه؟ وكيف عوّل على بلال في ذلك مع أنه ما كان يحتاج إلى ذلك ، فمن هذه الجهة يمكن التوقف في تلك الأخبار مع اشتهار القصة بين المخالفين واحتمال صدورها تقية .

ويمكن الجواب عن الإشكال بوجوه :

الأول : أن تكون تلك الحالة في غالب منامه (ص) وقد يغلب الله عليه النوم لمصلحة ، فلا يدري ما يقع ويكون في نومه ذلك كسائر الناس كما يشعر له بعض تلك الأخبار .

الثاني : أن يكون مطلعاً على ما يقع لكن لا يكون في تلك الحالة مكلفاً بإيقاع العبادات فإن معظم تكاليفهم تابع لتكاليف سائر الخلق فإنهم كانوا يعلمون كفر المنافقين ونجاسة أكثر الخلق وأكثر الأشياء وما يقع عليهم وعلى غيرهم من المصائب وغيرها ، ولم يكونوا مكلفين بالعمل بهذا العلم .

الثالث : أن يقال كان مأموراً في ذلك الوقت من الله تعالى بترك الصلوة مصلحة مع علمه بدخول الوقت وخروجه .

الرابع : أن يقال لا ينافي اطلاعه في النوم على الأمرر عدم قدرته على

القيام ما لم تزل عنه تلك الحالة ، فـإن الإطلاع من الـروح والنوم من أحـوال الجسد .

قال القاضي عياض في الشفاء فإن قلت : فما تقول في نومـه (ص) عن الصلوة يوم الوادي وقد قال إنّ عيني تنامان ولا ينام قلبي ؟ فاعلم أن للعلماء في ذلك أجوبة . « الأول » : أن المراد بـأن هذا حكم قلبـه عند نـومه وعينيـه في غالب الأوقات ، وقـد يندر منـه غير ذلـك كما ينـدر من غيره خـلاف عادتـه ، ويصحح هذا التأويل قـوله في الحـديث : أن الله قبض أرواحنا ، وقـول بلال فيه : ما ألقيت عليّ نومة مثلها قطّ ، ولكن مثل هذا إنما يكون منه لأمر يريد الله من إثبات حكم وتأسيس سنة وإظهار شرع ، وكما قال في الحديث الآخر : ولو شاء الله لأيقظنا ولكن أراد أن يكون لمن بعدكم ، « وفي الثاني » : أن قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحديث فيه ، لما روي أنّـه كان ينـام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه[1] ثم يصلي ولم يتوضأ ، وقيل لا ينام من أجل أنـه يوحى إليه في النوم ، وليس في قصة الوادي إلا نوم عينيه عن رؤية الشمس ، وليس هذا من فعل القلب ، وقد قال (ص) : إن الله قبض أرواحنا ولو شاء لردّها إلينا في حين غير هذا ، « فإن قيل » : فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال أكـلأ لنا الصبـح ، « فقيل في الجـواب » : أنه كـان من شأنـه (ص) التغليس بالصبح ومراعاة أوّل الفجر لا تصح ممن نامت عينه إذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة ، فوكّل بلالاً بمراعاة أوله ليعلم بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته (انتهى كلام الفياض ومزخرفات العياض) .

أقول : ما ذكره العلامة المجلسي (ره) من أنه لم أر من قدماء الأصحاب من تعرض لردّها (الخ) عجيب ، فإن في رسالة المفيد أو السيد المرتضى في ردّ الصدوق (ره) في مسألة السّهو وقد نقلها بتمامه بعد كلامه المتقدم من غيـر فصل ما لفظه :

---

(١) غط غطيطا النائم: نخر في نومه.

فصل : والخبر المروي في نوم النبي (ص) عن صلوة الصبح من جنس الخبر عن سهوه في الصلوة فإنه من أخبار الآحاد التي لا توجب علماً ولا عملاً ، ومن عمل عليه فعلى الظن يعتمد في ذلك دون اليقين ، وقد سلف قولنا في نظير ذلك ما يغني عن إعادته في هذا الباب ، وقال السيد الأجل علي بن طاوس في الطرائف : ومن طرائف ذلك ما رواه في الجمع بين الصحيحين للحميدي في مسند عمران بن حصين في الحديث الأول من المتفق عليه ما يتضمن معناه ، لأن ألفاظه فيها تكرار أسماء الرواة وتطويل لا حاجة إلى ذكره ههنا : أن النبي (ص) كان في سفر فنام هو وأصحابه إلى أن طلعت الشمس ، فأوّل من صلّى أبو بكر ثم عمر فكبّر عمر تكبيراً عالياً وأيقظ رسول الله (ص) ، فأمرهم بالارتحال فسار غير بعيد ثم نزل فصلى الصبح قضاءاً ورووا نحوه في كتاب الجمع بين الصحيحين أيضاً نحوه في الحديث من أفراد البخاري من مسند أبي قتادة الحارث بن ربعي ، ورووا أيضاً نحوه في مسند أبي هريرة في الحديث الثاني من أفراد مسلم قال عبد المحمود : إذا نظرت أيها العاقل في وصفهم لعناية الله في نبيهم (ص) وأنه سبحانه لا يصحّ أن ينام ، وأن جبرائيل ما كان شفقته على نبيّهم دون عناية عمر حتى كاد يوقظه دون الله ، أو جبرائيل ، وإذا نظرت إلى روايتهم عن نبيهم محمد (ص) أنّه تنام عيناه ولا ينام قلبه ، وتفسيرهم لذلك بأن نومه لا يمنعه من معرفة الأحوال ، ونظرت في رواياتهم بوجوب قضاء ما فات من الصلوة عقيب ذكره ثم يذكرون عنه في هذه الرواية أنّه أخّر القضاء إلى بعد الارتحال ، وأنّه قد نام قلبه حتى لم يحس بخروج الوقت ، وكل ذلك يشهد عليهم بالمناقضة في رواياتهم وسوء مقالاتهم ، وتكذيب أنفسهم .

وعن العلامة (ره) أنه قال بعد ذكر بعض الأخبار في ذلك : أن حديثهم باطل لاستحالة صدور ذلك عن النبي (ص) ثم في جعله (ره) حالة النوم كحالة الرضاع والصبي في عدم تعلق التكليف المستلزم لعدم قبح ما يصدر منه من الأفعال والتروك ما لا يخفى ، فإن عمدة أدلة العصمة دليل التنفير ، ولا شك أن من نام عن الصلوة الفريضة متهاون في الدين عند الناس وأحقّ بالتعبير والتنفر

عمن يسهو في صلوته لكشفه عن تقصير صاحبه في المقدمات دون الصبي في تـركه الصلوة ، فهـو نقص يجب تنزههم عنـه مضـافـاً إلى مـا ورد في أبـواب فضائلهم المنافي لنومهم عن آكد الفرائِض .

وقد أشار إليه إجمالاً في الجواهر فقال : والإنصاف أنه لا يجترىء على نسبتـه إليهم (ع) لمـا دلّ من الآيـات والأخبـار كمـا نقـل على طهـارة النبي وعترته (صلوات الله عليهم) من جميع الأرجاس والذنوب وتنزههم عن القبائح والعيـوب ، وعصمتهم من العثار والخـطل في القـول والعمـل ، وبلوغهم إلى أقصى مراتب الكمال وأفضليتهم ممن عـداهم في جميع الأحـوال والأعمال ، وأنهم تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ، وأن حالهم في المنام كحالهم في اليقظة ، وأن النـوم لا يغير شيئاً منهم من جهة الإدراك والمعـرفة وأنهم لا يحتملون ولا يصيبهم لمة الشيطان ولا يتثاوبون ولا يتمطون في شيء من الأحيان وأنهم يرون من خلفهم كما يرون من بين أيديهم ، ولا يكون لهم ظل ولا يرى لهم بول ولا غائط ، وأن رائحة نجـوهم كرائحـة المسك وأمـرت الأرض بستره وابتـلاعه ، وأنهم علموا ما كان وما يكون إلى انقراضه وأنهم جعلوا شهداء على الناس في أعمالهم وأن ملائكة الليل والنهار كانوا يشهدون مع النبي (ص) صلوة الفجر وأن الملائكة كانوا يأتون الأئمة عند وقت كل صلوة ، وأنه ما من يوم ولا ساعة ولا وقت صلوة إلاّ وهم ينبّهـونهم لها ليصلوا معهم ، وأنهم كـانـوا مؤيـدين بـروح القدس يخبرهم ويسدّدهم ولا يصيبهم الحدثان ولا يلهو ولا ينام ولا يغفل ، وبه علموا دون العرش إلى ما تحت الثرى ، ورأوا ما في شرق الأرض وغربها إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله ، كما ورد أنهم لا يعرفهم إلا الله ولا يعـرف الله حق المعرفة إلاّ هم ، وليسوا هم بأقلّ من الديكة التي تصرخ في أوقات الصلوة وفي أواخر الليل بسماعها صـوت تسبيح ديـك السماء الـذي هو من المـلائكة وعرفه تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض السابعة وجناحاه يجاوزان المشرق والمغرب وآخر تسبيحه في الليل بعد طلوع الفجر ربنا الرحمن لا إله غيره ليقم الغافلون تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً .

ثم : ما ذكره (ره) في الجـواب الأول ففي غايـة البعد ، فـإنه تقييـد في

إطلاق أخبار نومهم وتأييدهم بروح القدس من غير دليل مضافاً إلى تصريح الفقهاء كما تقدم بأن نومهم غير ناقض لوضوئهم ، وأما الجواب الأخير فهو غير رافع للنقض عنهم مع أن إطلاعهم من طرف حواسهم غير عيونهم باق عند النوم ، وإلا كان ناقضاً لطهارتهم بل حالهم (ح) على ما ذكره (ره) أردء من حال رعيتهم من بقاء قدرتهم على القيام مع عدم تعطيل حاسة السمع ، نعم ما ذكره في الجواب الثاني والثالث الذي مآلهما واحد هو الذي ارتضاه شيخنا المحقّق الأنصاري في رسالة المواسعة ، فقال : إلاّ أن يقال بإمكان سقوط أداء الصلوة عنه (ص) في ذلك الوقت لمصلحة علمها الله سبحانه ، فإنّ اشتراكه (ص) مع غيره في هذا التكليف الخاص ليس الدليل عليه أوضح من الأخبار المذكورة حتى يوجب طرحها ، خصوصاً بملاحظة القراين الواردة في تلك الأخبار ، منها قوله (ع) في رواية سعيد الأعرج : إن الله تعالى أنام رسول الله (ص) إلى أن قال : وأسهاه في صلوته فسلم في الركعتين إلى أن قال : وإنما فعل ذلك رحمة لهذه الأمة لئلا يعير الرجل المسلم إذا هو نام عن صلوته أو سهى (الخبر) فتأمّل ، وقوله (ص) مخاطباً لهم : نمتم بوادي الشيطان ولم يقل نمنا فعلم أنّ النوم كان زللاً منهم لا منه (ص) (انتهى) ، ولعلّ التأمل إشارة إلى أن السهو المذكور في هذا الخبر مع النوم منفي عنه (ص) بأخبار كثيرة ولم يقل به من الأصحاب إلا جماعة قليلة ، مع أن السهو في الركعتين أهون من النوم عن فريضة الصبح كما يشهد به العقل والعقلاء ، وصرّح به (ره) قبل ذلك ، فنفيه عنه أولى من نفيه فإن سقط خبر الأعرج عن الحجية لم يبق ما يصلح لمعارضة ما أشير إليه ، غير أن الإحتمال المذكور يمنع من ردّه وطرحه فالأولى التوقف وردّ علمه إلى الله تعالى وأوليائه .

كلام في نوم أصحاب الكهف

قال الله تعالى في سياق قصتهم : ﴿ **فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وتحسبهم إيقاظاً وهم رقود** ﴾ ، قال المفسرون : أي ضربنا عليهم حجاباً يمنع السماع ، أي أنمناهم إنامة لا ينبههم فيها الأصوات ، فحذف

المفعول « ثم بعثناهم » أيقظناهم « وتحسبهم إيقاظاً » لانفتاح عيونهم أو لكثرة تقلبهم وهم رقود أي نيام وظاهر الآيات وصريح كلامهم أنهم كانوا في تلك المدة نائمين كنوم غيرهم من البشر إلا في الطول والقصر ، ويؤيده ما رواه علي بن إبراهيم في تفسيره عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال : كان سبب نزول سورة الكهف أن قريشاً بعثوا ثلاثة نفر إلى نجران : النضر بن الحارث بن كلدة ، وعقبة بن أبي معيط ، والعاص بن وائل السهمي ، ليتعلموا من اليهود والنصارى مسائل يسألونها عن رسول الله (ص) فخرجوا إلى نجران إلى علماء اليهود فسألوهم فقالوا : إسألوه من ثلاث مسائل فإن أجابكم فيها على ما عندها فهو صادق ، واسألوه عن مسألة واحدة فإن ادّعى علمها فهو كاذب ، قالوا : وما هذه المسائل ؟ قالوا : اسألوا عن فتية كانوا في الزمن الأول فخرجوا وغابوا وناموا كم بقوا في نومهم حتى انتبهوا ؟ وكم كان عددهم وأي شيء كان معهم من غيرهم ، وما كان قصتهم ؟ واسألوه عن موسى (ع) حين أمر الله أن يتبع العالم ويتعلم منه من هو وكيف تبعه وما كان قصته معه ؟ واسألوه عن طائف طاف مغرب الشمس ومطلعها حتى بلغ سدّ يأجوج ومأجوج من هو وكيف كان قصته ؟ ثم أملوا عليهم أخبار هذه المسائل الثلاث ، وقالوا لهم : إن أجابكم بما قد أملينا عليكم فهو صادق ، وإن أخبركم بخلاف ذلك فلا تصدقوه ، قالوا : فما المسألة الرابعة ؟ قالوا : اسألوه متى تقوم الساعة فإن ادّعى علمها فهو كاذب فإن قيام الساعة لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى .

فرجعوا إلى مكة واجتمعوا إلى أبي طالب فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك يزعم أن خبر السماء يأتيه ونحن نسأله عن مسائل ، فإن أجابنا علمنا أنه صادق ، وإن لم يخبرنا علمنا أنه كاذب ، فقال أبو طالب : سلوه عمّا بدا لكم ، فسألوه عن المسائل الثلاث فقال رسول الله (ص) غداً أخبركم ولم يستثن[1] فاحتبس الوحي عنه أربعين يوماً حتى اغتمّ النبي (ص) وشك أصحابه الذين

---

(١) بأن يقول إلا أن يشاء الله .

كانوا آمنوا به ، وفرحت قريش واستهزؤا وآذوا ، وحزن أبوطالب ، فلما أن كان بعد أربعين صباحاً نزل عليه جبرائيل بسورة الكهف ، فقال رسول الله (ص) : يا جبرائيل لقد أبطأت ؟ فقال : إنّا لا نقدر إلا بإذن الله فأنزل : ﴿ **أم حسبت** ﴾ يا محمد ﴿ **أنّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً** ﴾ ثم قصّ قصتهم فقال : ﴿ **إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشداً** ﴾ .

فقال الصادق (ع) أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا في زمن ملك جبار عات وكان يدعو أهل مملكته إلى عبادة الأصنام فمن لم يجبه قتله فكانوا هؤلاء قوماً مؤمنين يعبدون الله (عزّ وجلّ) ووكّل الملك بباب المدينة حرساً ولم يدع أحداً يخرج حتى يسجد الأصنام فخرج هؤلاء بعلة الصيد ، وذلك أنهم مرّوا براع في طريقهم فدعوه إلى أمرهم فلم يجبهم ، وكان مع الراعي كلب فأجابهم الكلب وخرج معهم ، فقال الصادق (ع) : فلا يدخل الجنة من البهائم إلا ثلاثة : حمار بلعم بن باعورا ، وذئب يوسف (ع) وكلب أصحاب الكهف فخرج أصحاب الكهف من المدينة بعلة الصيد هرباً من دين ذلك الملك ، فلما أمسوا دخلوا ذلك الكهف والكلب معهم ، فألقى الله عليهم النعاس كما قال تبارك وتعالى : ﴿ **فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً** ﴾ فناموا حتى أهلك الله ذلك الملك وأهل مملكته وذهب ذلك الزمان وجاء زمان آخر وقوم آخرون ، ثم انتبهوا فقال بعضهم لبعض : كم نمنا هيهنا ؟ فنظروا إلى الشمس قد ارتفعت فقالوا : نمنا يوماً أو بعض يوم ، ثم قالوا لواحد منهم : خذ هذا الورق وادخل المدينة متنكراً لا يعرفوك فاشتر لنا طعاماً فإنهم إن علموا بنا وعرفونا قتلونا أو ردّونا في دينهم ، فجاء ذلك الرجل فرأى المدينة بخلاف الذي عهدها ، ورأى قوماً بخلاف أولئك لم يعرفهم ولم يعرفوا لغته ولم يعرف لغتهم ، فقالوا : من أنت ومن أين جئت ؟ فأخبرهم فخرج ملك تلك المدينة مع أصحابه والرجل معهم حتى وقفوا على باب الكهف ، وأقبلوا يتطلعون فيه ، فقال بعضهم : هؤلاء ثلاثة ورابعهم كلبهم ، وقال بعضهم : هم خمسة وسادسهم كلبهم ، وقال بعضهم : هم سبعة وثامنهم كلبهم ، وحجبهم الله بحجاب من الرعب فلم

يكن أحد يقدم بالدخول عليهم غير صاحبهم وأنه لما دخل عليهم وجدهم خائفين أن يكون أصحاب دقيانوس شعروا به فأخبرهم صاحبهم أنهم كانوا نائمين هذا الزمن الطويل وأنهم آية للناس فبكوا وسألوا الله تعالى أن يعيدهم إلى مضاجعهم نائمين كما كانوا ، ثم قال الملك : ينبغي أن نبني هنا مسجداً ونزوره ، فإن هؤلاء قوم مؤمنون ، فلهم في كل سنة نقلتين ، ينامون ستة أشهر على جنوبهم الأيمن وستة أشهر على جنوبهم الأيسر ، والكلب معهم قد بسط ذراعيه بفناء الكهف وذلك قوله تعالى : ﴿ **نحن نقصّ عليك نبأهم بالحق** ﴾ ، أي خبرهم إلى قوله : ﴿ **بالوصيد** ﴾ ، أي بالفناء ، ﴿ **وكذلك بعثناهم** ﴾ أي أنبهناهم الخ .

ولكن في قصص الأنبياء للراوندي مسنداً عن ابن عباس أنه أتى عمر في خلافته ثلاثة من أخبار اليهود وسألوه عن أشياء لم يحسنها كغيرها ، ففزع إلى أمير المؤمنين (ع) فأجاب عنها ثم سألوه عن قوم كانوا في الزمن الأول فماتوا ثلاث مائة سنة وتسع سنين ثم أحياهم الله تعالى فأجابهم ، وساق (ع) قصتهم في خبر طويل ، وفيه : فلم يزل الراعي يسير بهم حتى علا بهم جبلاً فانحطّ بهم على كف يقال له الوصيد ، فإذا بفناء الكهف عيون وأشجار مثمرة فأكلوا من الثمر وشربوا من الماء وجنّهم الليل فأووا إلى الكهف ، فأوحى الله تعالى عزّ وعلا إلى ملك الموت بقبض أرواحهم ووكل الله تعالى بكل رجل ملكين يقلبانه ذات اليمين إلى ذات الشمال ، ومن ذات الشمال إلى ذات اليمين ، إلى أن قال (ع) : فلما أراد الله أن يحييهم أمر إسرافيل الملك أن ينفخ فنفخ فقاموا من رقدتهم ، إلى أن قال (ع) : إنه لما رجع تمليخا من البلد قالوا : الحمد لله الذي نجاك من دقيوس ، قال تمليخا : دعوني عنكم وعن دقيوسكم كم لبثتم؟ قالوا : لبثنا يوماً أو بعض يوم ، قال تمليخا : بل لبثتم ثلاثمائة وتسع سنين ، وقد مات دقيوس وانقرض قرن بعد قرن ، وبعث الله نبياً يقال له المسيح عيسى ين مريم ورفعه الله إليه وقد أقبل إلينا الملك والناس معه قالوا : يا تمليخا أتريد أن تجعلنا فتنة للعالمين ؟ قال تمليخا : فما تريدون ؟ قالوا : ادع الله جل ذكره وندعوه معك حتى يقبض أرواحنا فرفعوا أيديهم فأمر الله تعالى بقبض

أرواحهم (الخبر) .

ويؤيده ما في الإحتجاج عن الصادق (ع) في حديث : وقد رجع إلى الدنيا ممن مات خلق كثير منهم أصحاب الكهف أماتهم الله ثلاثمائة عاماً وتسعة ثم بعثهم في زمان قوم أنكروا البعث ليقطع حجتهم وليريهم قدرته وليعلموا أن البعث حق .

وفي أول كتاب الغيبة للشيخ الطوسي مرسلاً وأن أصحاب الكهف قد أخبر الله عنهم أنهم بقوا في كهفهم ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعاً ، ثم أحياهم الله تعالى فعادوا إلى الدنيا ورجعوا إلى قومهم ، والأولى صرف الجميع عن ظاهره وحمله على الخبر الأول الصحيح المؤيد بظاهر الآية وأطباق المفسرين ظاهراً ، حتى أنهم رووا عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **قال قائل منهم كم لبثتم** ﴾ هو رئيسهم تمليخا ، ردّ علم ذلك إلى الله تعالى حين رأى التغير في شعورهم وأظفارهم وبشرتهم ، وذكر بعضهم في سبب الأعثار عليهم أنه طالت شعورهم وأظفارهم طولاً مخالفاً للعادة ، وتغيرت بشرتهم ، فعرفوا بذلك والتعبير عن هذا النوم الطويل بأخيه المشابه له في خصوص المقام في أمور كثيرة غير مستنكر .

تنبيه : في تفسير العياشي عن أبي عبد الله (ع) أنه ذكر أصحاب الكهف فقال : كانوا صيارفة كلام ولم يكونوا صيارفة دراهم ، وفي الكافي عن سدير الصيرفي قال : قلت لأبي جعفر (ع) حديث بلغني عن الحسن البصري فإن كان حقاً فإنّا لله وإنا إليه راجعون ، قال : وما هو؟ قلت : بلغني أن الحسن البصري كان يقول : لو غلى دماغه من حرّ الشمس ما استظل بحائط صيرفي[1] ولو تفرث كبده عطشاً لم يستسق من دار صيرفي ماء ، وهو عملي وتجارتي وعليه نبت لحمي ودمي ، ومنه حجي وعمرتي ، فجلس ثم قال : كذب الحسن خذ سواء واعط سواء فإذا حضرت الصلوة دع ما بيدك وانهض إلى الصلوة أما علمت أن أصحاب الكهف كانوا صيارفة[2] قال العلامة المجلسي (ره) : لعله (ع) إنما

(١) من صرفت الدراهم بالذهب: بعته واسم الفاعل من هذا (صيرفي)..

(٢) الهاء في صيارفة للنسبة.

ذكر ذلك إلزاماً عليهم حيث ظنّوا أنهم كانوا صيارفة الدراهم لئلا ينافي ما سبق ، والصدوق (ره) قال في افقيه بعد إيراد الخبر يعني صيارفة الكلام ولم يعن صيارفة الدراهم ، ولعله (ره) ذهب إلى أن هذا المعنى لا يناسب المقام وقد يوجّه الخبر على ما حمله عليه بوجوه .

الأول : أن أصحاب الكهف كانوا صيارفة الكلام يميّزون بين الحق والباطل فينبغي أن تكون أيضاً كذلك فلم تنقل هذا الكلام عن الحسن ، مع أن قوله ليس بحجة ومع ذلك ظاهر الفساد لأن الإستظلال بظل الكافر والاستسقاء من داره جائز والصيرفي لا يكون شرّاً منه ، وأيضاً بيع الصرف من الأمور الضرورية التي تجب كفاية .

الثاني : أن يقرأ يعني ولم يعن على بناء المجهول ، فالمراد أن الحسن وهم في تأويل ما روي في ذم الصيارفة ، فإن المعنى بها صيارفة الكلام ، قال ابن الأثير في حديث الخولاني : من طلب صرف الحديث ينبغي به إقبال وجوه الناس إليه ، أراد بصرف الحديث ما يتكلفه الإنسان من الزيادة فيه على قدر الحاجة ، وإنما كره ذلك لما يدخاه من الرياء والتصنع لما تخالطه من الكذب (انتهى) . **أقول** : وعلى هذا يمكن أن يقرء على بناء المعلوم أيضاً بأن يكون الضميران راجعين إلى الرسول (ص) .

الثالث : أن يكون المعنى أن أصحاب الكهف كانوا صيارفة الكلام كما يقال : فلان يحسن صرف الكلام أي تفضيل بعضه على بعض فأصل الصرف والتميز ليس بحرام بل هو من الكلام ، وإنما الحرام ما يصدر عن بعض الصيارفة من الغش والرباء وغيرهما .

الرابع : أن يكون ذكره (ع) ذلك بعد رد قول الحسن أمراً بالتقية بأن أصحاب الكهف كانوا صيارفة كلام يصرفونه عن ظاهره في مقام التقية ، وعليه يمكن أن يحمل خبر الكاهلي (انتهى) وأراد بخبر الكاهلي ما رواه الراوندي في قصصه عن أبي عبد الله (ع) أنه ذكر أصحاب الكهف فقال : لو كلّفكم ما كلّفهم قومهم فافعلوا فعلهم ، فقيل له : وما كلفهم قومهم ؟ قال : كلّفوهم

الشـرك بالله فـاظهروه لهم وأسـرّوا الإيمان حتى جـاءهم الفـرج ، وقـال : إن أصحاب الكهف كذبوا فآجرهم (الله ظ) وصدقوا فآجرهم الله ، وقال : كانوا صيارفة كلام ولم يكونوا صيارفة دراهم (الخبر)[1] .

معاجز سمعناها في تلك الأيام (ص)

حدثني العالم الجليل والفاضل النبيل مصباح المتقين وزين المجاهـدين السيد الأيد مـولانا السيـد محمد بن العـالم السيد هـاشم بن مير شجـاعة علي الموسوي الرضوي النجفي المعروف بالهندي سلمه الله تعالى ، وهو من أوثق أئمـة الجماعـة في حرم أميـر المؤمنين (ع) قال : فيمـا كتب ليّ بعـد الحمـد والصلوة أخبرني ، وكنت إذ ذاك مراهقاً أو شاباً مصطفى الكوفي ، وكان شيخاً مسنّاً من خدمة مسجد الكـوفة وقـد صادفني أمشي في طـريق النجف الأشرف وزقاق من أزقته ، فترحم على جدي المزبور وقال لي : أنه كان مشربـاً كريمـاً وجيهاً سخياً يطعم الفقراء وكان له غلام ليس بعامي وذكر لي إسمه وأظن أنّه قال الحاج قنبر ، فـأخبرني عنـه أنّه قـال : لما كنـا في خدمـة السيد المـذكور في المـركب مقبلين من الهند إلى النجف الأشـرف كـان يختصـر طبعـه في بعض الأوقات فيؤنس نفسه بأن يخرج من جيبه عقداً كان فيه من أنواع الجواهر فيجعله فيما بينه وبين نفسه مختفياً به عن سائر من في المركب مقابل بصره ، وينظر فيه سـويعة ثم يـرجعه إلى جيبـه ولم يطلع على ذلـك المسافـرون الذين معـه في المركب ولم يعلم أحد منهم بما معه من الجواهر ، إلا أن النـوخدة الـذي في أعلى المركب تسلط يومـاً على إبصار ذلـك العقد لعلو مكـانه والسيـد لا يعلم بذلك فعلم النوخدة بأوصاف تلك الجواهر وبأن السيد متخفّ بها فليس في أهل المـركب من يعلم بها أنهـا معه ، فـأضمر في نفسـه الاحتيال في أخـذهـا من السيد ، فلما أصبح نادى بالناس : أنّه كان معي عقد من الجواهر المشتملة على العدد الفلاني والأوصاف الفلانية وقد سرق مني في هذه الليلة ، فلا بدّ لي من

---

(١) ونقل الطريحي عن بعض معاصريه من شراح الحديث كلامـاً طويـلاً ثم رده ولم أنقله لطوله فراجع المجمع مادة صرف.

تفتيش أمتعتكم وثيابكم حتى آخذه ممن أجده عنده ، ثم أخذ في تفتيش الناس وعلم السيد أنهم يصدّقونه إذا وجد عنده في كونه سارقاً له منه ، فألقاه في البحر وقال : هذا أمانتي عندك يا أمير المؤمنين ، ولا يعلم أحد بما صنع ، فلما انتهى النوخدة في التفتيش إليه لم يجد معه مما رأى شيئاً فآيس مما دبّر من الحيلة وفتش من بقي من الناس تفتيشاً صورياً ثم عاد إلى مكانه قال : ثم إنّا بعد وصلنا إلى جزيرة فنزلنا فيها ، فقال السيد : إني شديد الشوق بأكل السمك فتصفح الجزيرة لعل فيها من يبيع سمكاً فتشتري منه ، قال : فتصفحت فوجدت رجلاً معه سمكة كبيرة عفنة فأخبرت السيد بعفونتها ، فقال : خذها وداو ريحها بالأفاويه[1] فلما شققت بطنها وجدت عقد الجواهر بعينه في جوفها ، فأتيت به إلى السيد وسجد لله شكراً ثم أخبرني بمثل ذلك سعيد السقا وكنت موعوداً في مكان كان فيه عن لسان مملوك السيد مر شجاعتعلي المتقدم ذكره ، وهذه القضية كانت مشهورة بين الناس إلا أنهم لا يعلمون أن صاحب القضية من هو وما إسمه وإنه جدّي .

وأخبرني : غير واحد أنه (ره) كان معه كتاب فيه نسبه متصلاً بعلي الهادي (ع) وأنه عرضه على السيد العلامة بحر العلوم السيد مهدي الطباطبائي (ره) وعلى الشيخ الكبير الشيخ جعفر وعلى الشيخ حسين النجفي (ره) فشهدوا جميعاً بصحة نسبه ووضعوا خواتيمهم في ذلك الكتاب ، وأخبرني الشيخ جواد بن الشيخ حسين نجف دام مجده أنه كان يومئذ صغيراً ومع ذلك بقي في ذكره صورة تلك الخواتيم وشهادة السيد والشيخين بأنه موسوي رضوي صحيح النسب ، وذلك في بعض أيام عشرة المحرم وأن الوسائط التي كانت بيننا وبين علي الهادي قليلة ، وأن اتصالنا به (ع) أقرب عن إتصال سائر السادات بالأئمة الهداة (ع) .

وأخبرني : الشيخ موسى الخمائسي وكان كسبه الكتاب بفروشية وكان مع ذلك عالماً بالمقدمات معروفاً في عصره بل وغيرها وكان الشيخ محمد

(١) الأفاويه جمع الأفواه: ما يطيب به الطعام كالفلفل والكمون.

حسن (ره) صاحب جواهر الكلام قد التمس منه تصحيح جواهر الكلام مما وقع فيه من اللحن المخالف للعربية بخطه الشريف ، وكان كثير الألحان فهذّبه له منه وكان قد التمس منه جماعة من التجار وغيرهم أن يصلي بهم إماماً فصلى بهم برهة من الزمان ثم أعرض من قبل نفسه عن ذلك وترك جماعتهم وكان معتمداً في خبره ، فذكر لي أن ميرشجاعتعلي جدي (ره) اشترى هذه الدار التي نحن فيها وكتب الحجة وفيها خواتيم العلماء الذين لا ترد شهادتهم ولا حكومتهم ، ثم سافر عنها بعدما نزل فيها إلى بعض الزيارات ، فلما رجع وجد رجلاً قد أسكن فيها عياله وأولاده وادعى أن الدار ملكه وكان من أقارب بائعيها وطرد السيد وقال له : ارجع إلى عندك ، فقال السيد : أما آن لي حجة لا ترد ولكني لا أترافع معك حتى ينتقم الله لي منك ببركة أجدادي واستأجر له منزلاً كالغرباء فما انقضى ذلك اليوم حتى مات ولد من أولاد ذلك الرجل فما فرغ من تجهيزه حتى أشرف ولده الآخر على الموت ، فهرب بأهله من الدار وعاد السيد إليها ، وقال : كان السيد هاشم أي والده حسن الخلق والخلق ، وكان عالماً بالمقدمات من تلامذة الشيخ محسن العفكاوي أحد مشايخي الماهرين .

وأخبرني : الشيخ موسى (ره) أنه سافر معه إلى سرّ من رأى فاتفق له أنه مرض مرضاً شديداً لا يطيق معه النهوض ، فوضع ما معه من المال للسفر تحت فراشه الذي كان مضطجعاً عليه ، وقال للشيخ موسى : ادع كل يوم من تجده من الزوار الغرباء حتى يتعشوا عندنا ليلاً ، واقرأ لهم مرثية علي بن الحسين (ع) وادع لي بالشفاء ، ففعلت فكنت أدعو جماعة وأوعدهم من الصبح ثم أتي إلى الفراش فأخرج من تحته شامياً وهو من السكة المتعارفة يومئذ الباقية إلى اليوم وقيمته الآن قرآنان ، قال : فأشتري به اللحم والخبز وأطبخه وأعمل ما يتعشى به الموعودون ، ثم أقرأ لهم بعض المراثي ويبكي ثم ندعو ، وهكذا كان رأينا كل يوم وقد طالت المدة ، فوعدت يوماً جماعة ثم جئت لأخرج شيئاً من المال الذي تحت الفراش فلم أجد منه بقية والسيد هاشم لا يعلم بنفاده ، وليس معه غير ذلك المال ، فقلت : كيف أصنع إن لم أعلمه بالحال فلا حيلة لي وإن أعلمته خفت أن يغتمّ فيضرّه الغم ويزيد مرضه عليه ثم لم أجد بدّاً من أن أعلمته

فتغيـرت ألوانـه وارتعش وقال : احملني إلى أعلى السـطح ودعني فيه وحـدي لأتضرّع إلى ربي وأستشفع بالعسكريين (ع) ، قال : فأصعدته السـطح ونزلت عنه فما مضت ساعة إلا وقد ناداني ، فصعدت إليه وإذا بيـده صرة كبيـرة فيهيا دراهم كثيرة كفتنا لبقايا مدة مرضه ولرجوعنا إلى النجف .

قال سلمه الله : وكنّا في أيام الـطاعون ثـلاثتنا الحقيـر وأخي المرحـوم السيد علي وأمي نائمين في قبة واحدة مطعونين لا نستطيع الجلوس ، وكنت ابن أربع سنين فشكى بعضنا إلى بعض ذات ليلة وحشة الظلمة لأنّا لم يكن معنا أحد يعلق السراج ، ولم يكن معنا في دارنا أحد سوانا ، قد مات قبلنا أبونا وبقيت لنا جدة لأمنا لها ابنتان ولكل من ابنتيها أولاد ، فتأتي إلى دارنا تارة وإلى دار ابنتها الأخـرى الأخرى ، ولم تكن تلك الليلة معنـا ، فبينما نحن نتشـاكى الـظلمـة ووحشتها ، وإذا بسراج معلق في روزنة في آخر زاوية من القبة ، وشعلتها كبيرة تضيء منها القبة أكمـل الضياء وليس في القبـة أحد قـد عمل ذلـك لنا ولكنـه بقدرة الله تعالى وفضله ففرحنا بذلك فرحاً عظيماً .

قال دام مجده : ثم وجدنا ألم العطش الشديـد من جهة المـرض وليس معنا أحد يسقينا وبعضنا يشكو ذلك إلى بعض ، فبينما نحن كذلـك إذ وجدت وأحسست بماء عذب بارد ينزل في حلقي ارتويت منه ، فبشرت بذلك والدتي وبشرها أخي بمثله وبشرتنا هي بأنها أيضاً شربت الماء ، فكأنّ شربنا جميعاً في وقت واحد من غير ساق سقانا ، ولا فتح فم للشرب بل بقدرة الله سبحانه وفضله وسررنا بذلك سروراً عظيماً .

قال سلمه الله : ومما شاهدته عيني من العجائب أنه كان عندنا في البيت هرة لطيفة الألوان قد ربيت عندنا ، ودخلت دارنا وهي رضيعة لا تستطيع الأكل حتى يعلس لها الخبز فتلطعه لطعاً وكان دخولها إلى دارنا في اليوم الذي ولد فيه شيخ سلمان وهو أخوه لأنه من الشيخ موسى المتقدم ، فلما بلغ أربع سنين أو خمساً تقريباً اتّفق له يوماً بقرب الليل أنـه يبكي ويطلب من أهله سمكـاً ونحن نسلّيه ونعده فلا يسكت ، وقد بقينا معه في حيرة وتلك الهرة يومئذ كبيرة تدخل

بيوت الجيران ولا تنام ليلاً إلا في دارنا ، فبقي سلماننا يبكي ساعة لا يسكته عن طلب السمك شيء ونحن متألمون مشغولون بإسكاته ، وإذا بالهرة في فيها سمكة كبيرة قد جاءت من باب الدار قاصدة إليه حتى أوصلت القطعة إلى يديه ، فسكت ولم يكن فيها شيء من التراب وكانت مقلية فتناولها من فمها وأكلها .

قال حرسه الله : وكنت في طفوليتي قوي البلاهة كثير النوافل والرغبة في التعقيبات المأثورة ، فوجدت يوماً في الكتاب الكفعمي المسمى بالجنة الواقية والجنة الباقية رواية عن الصادق (ع) تشتهي على قوله أن الفاتحة لو قرأت أربعين مرة في نفسي : واعجباه من الناس يتركون موتاهم في القبور ولا يحيونهم بهذا العمل ، ثم أخذت ذبابة فوضعتها في الماء في الحوض ظهراً وأغرقتها فيه ، وذهبت عنها إلى العصر فوجدتها ميتة لا حركة فيها ، فرفعتها بيدي وتركتها في الأرض اليابسة وجعلت أقرا الحمد عليها وأنفث عليها بعد إتمامها حتى قرأتها أكثر من ثلاثين مرة فتحركت أرجل الذبابة وجعلت تمسح برجليها جناحها وبقيت أقرأ فقبل تمام الأربعين مره طارت الذبابة ، فقلت في نفسي : لعلها لم تكن ماتت بل أغمي عليها فأنا غداً أضع الذبابة في ماء الحوض من الصبح ، فإذا بطلت حركتها وأغمي عليها تركتها بحالها إلى العصر حتى أصير بحيث أحلف أنها ماتت ، ثم أعود إلى هذا العمل ففعلت ذلك فما بلغت الأربعين مرة إلا وقد طارت بإذن الله تعالى .

قال سلمه الله : وسافرت أول زياراتي إلى بلد الحسين (ع) مع الشيخ موسى الخمايسي (ره) فلما انتهيت إلى الشباك الشريف أخذت لوحاً فصرت أزور فيه ليلاً فكان الناس بمرورهم يحولون بيني وبين الضياء فأقف عن الزيارة حتى تحصل فرجه يأتيني منها الضياء فأتلو ثم تنسد بمرور الناس فأسكت ، فبينما أنا كذلك في أوائل الزيارة وأنا إذ ذاك قابض بكلتا كفي على اللوح من الجانبين إذ خلفت شمعة معلقة مقبوضة في إحدى كفي مع اللوح ، فرعبت من ذلك ورفعت رأسي كأني أطلب من فعل ذلك ثم علمت أنها من بركة مولانا

الحسين (صلوات الله عليه) .

قال زيد توفيقه : وفي زيارة أخرى في زمن نجيب باشا الذي ذبح أهل كربلاء سنة (١٢٥٨) غدير دم لم يكن معي تربة حسينية حين خرجت من النجف ، وقلت أصلّي على الأرض والنباتات في الطريق ، فإذا وصلت إلى كربلاء اشتريت ترباً فلما وصلت لم أجد واحدة تباع لأنه قد حدث من الحكام شيء من البدع عليها فامتنع بائعيها من عملها وبيعها رجاء أن ترتفع عنهم تلك البدعة ، فعند ذلك حزنت على أني في البلد ليس معي تربة أصل عليها ، فدخلت الحرم الحسيني شرّفه الله تعالى مغموماً من أجل ذلك ، وكان دخولي في النهار في وقت خلى من كثرة الزوّار حتى وقفت للصلوة في آخر موضع في الجهة التي بين الشباك وبين البابين ، واتفق أن لم يكن أحد في تلك الجهة غيري وغير امرأة بعيدة عنّي جداً في طرف القبلة ملاصقة للشباك ، فسمعت رنّة تربة وقعت على الأرض ورأيتها مدوّرة تدور في الأرض بالقرب مني ، فأخذتها وأنا مشغوف بها وإذا هي من صخرة فظننت أنها مما يعمل من صخر بلد مشهد الرضا (ع) . ولم يكن أحد يحتمل وقوع التربة منه إلا تلك المرأة على بعدها ، فيحتمل إحتمالاً سوداوياً أنها منها ، فذهبت إليها وسألتها فقال : لا ليست لي ، فعلمت أنها من بركة الحسين (ع) وجعلت أصلي عليها إلى أن رجعت إلى النجف ، فوضعتها على رفّ القبلة البرانية التي أطالع وأباحث فيها وجعلت أصلي على بعض الترب الحسينية التي في النجف وأتعاهد هذه التربة مدة طويلة على وحه التبرك بها حتى حكيت قصتها لرجل من الملائية ، فضحك وقال لي : هذه قد طاحت من الشبابيك التي في القبة من صبية رموا بها طائراً مثلاً أو من المرأة ولم تحب أن تأخذها منك ، فدخل في قلبي استبعاده أن يكون ذلك من غير الأسباب المعتادة ، وصدقت كلامه ، فلما عدت بعد ذلك إلى موضعها لم أجدها .

قال دام علاه : وأخبرني الثقة الجليل الحاج مولى علي بن الحاج ميرزا خليل أنه أراد زيارة الحسين (ع) فاستخار الله في كتابه الشريف على طريق السفن ظهرت الآية المشتملة على وصف البحر بقوله تعالى : ﴿ **تستخرجون**

منه حلية تلبسونها وتأكلون لحماً طرياً ﴾ ، فلما كان في السفينة وثبت سمكة من الماء إلى جوف السفينة وهم سائرون فيها فقبض عليها بيده الشريفة وطبخوها وأكلوها ، ولما خرج عن السفينة مد كفه إلى الماء فاغترف للوضوء غرفة فإذا في يده مع الماء فصّ أحمر مشتبه بين الياقوت الغير الجيد وبين الدر الأحمر ، ورأيت ذلك الفص بيده متختماً به .

قال زيد فضله : وأنه سلّمه الله استخار يوماً على حفر بئر في صحن مثيم في مواضع متعددة حتى انتهت به الإستخارة إلى موضع خاص ، فأمرهم بالحفر فيه فحفروا قليلاً فوجدوا بئراً قديمة معمولة مسقوفة فاستراح من كثرة المصرف .

قال دام توفيقه : ودعاني يوماً إلى زيارة الحسين (ع) فكنت في ضيافته فرأيت منه بعض التيسرات الغريبة له في سفرنا ذلك بحيث يبعد اتفاقه في العادة ، كمرور إبل في الطريق خالية إلى الحصبوه على أربعة فراسخ على النجف فأرضى صاحبها بأن يركبها المشاة من النجف إلى ذلك الموضع بقمري عن كل مركوب ، فركبنا جميعاً على هذا النمط وكنا وما معه من المال حتى بقيت معه في نهار ذلك اليوم بلا غداء إلى الظهر ، وكانت العادة أن نفرغ من غدائنا قبل الظهر بكثير ، فخرج وخرجت معه من منزلنا إلى زيارة الحرم بغير أن نتغدى وحن جياع وهو لا يحب أن يستقرض أو يظهر الحاجة إلى القرض ، وكنت لا أعلم بسبب تأخره في غدائنا حتى مررنا في أوائل الصحن الشريف برجلين في كفّ أحدهما قرانات بيض محمد شاهية وهما مملوتان منها وهو واقف والآخر جالس على الدكة ، وهما يتحاسبان فسلم عليهما فردّا السلام وأعرض الرجل القائم ما في يده على الشيخ متعارفاً به ابتداءاً منه فأخذ الشيخ واحدة قبض عليها بأبهامه مع سبابته ولم يفتح لها باقي كفّه فقال الرجل خذها فوضعها في جيبه وبقي الرجل متعارفاً بالباقي فأخذ أخرى بهذه الكيفية ثم ثالثة ثم رابعة ثم خامسة وبقي الرجل متعارفاً بالباقي ، فقال له : يكفي ثم فارقه والتفت إلي فقال : أريد أن أعلمك التوكل على الله إنه لم يكن معي شيء وهذا الرجل ليس بيني وبينه إلا السلام من بعيد ولا أريد أن أتحمل منه القرض فجاء الله به على هذا الوجه اللطيف ، ونقل عنه بعض الناس كرامات عجيبة وهو

حرّي بها لأنه لم يزل مجاهداً للنفس حابساً لها على الزهد والطاعة والتنزّه من السجايا الردية ، حتى أني رأيت المهدي (ع) مرتين بصورته ولا أحسّ بأنها صورته إلا بعدما استيقظت من نومي .

قال سلمه الله تعالى : أن امرأة علوية تسمى ملا آسية كانت قوية الإيمان نجيبة عفيفة ودارها بالقرب من دار العالم الشيخ مشكور الحولاوي ، فحدثتني أهلي بنت الشيخ طالب البلاغي (ره) وهي امرأة صالحة نجيبة أنها وأمها وجماعة من البنات كنّ عند الملا آسية في شهر رمضان تقرأن القرآن مقابلة ، وكانت الملا العلوية سامتة الرأس لميزاب في السطح ، وكان الوقت قريباً من ليلة الجراح أي لية التاسع عشر ، وكانت وفيات أهل البيت (ع) في دارها واتفق أنها متحيرة في أمر ليلة الجرح لحاجتها وعدم تيسر ما تهيأ لتلك الهيئة ، وكان في بيتها ديك قد ربي عندها وكان تلك الساعة فوق الميزاب ، فذرق فوقع على القرآن من الديك خزرة من ذهب يابسة ليس فيها شيء من البلة ، فأخذته وفرحت به وصرفته بما يقرب من ثمان قرانات ، وذلك من بركات جدّها أمير المؤمنين (ع) وقد شاهدت أهل والدة ابني باقر وأمها ومن كان حاضراً ذلك .

قال حرسه الله : واتفق لها أيضاً أن استقرضت من الحاج حسين شمسه من الخدمة المعروفين لأمير المؤمنين (ع) تومانين عند مضيها إلى زيارة الرضا (ع) احتياطاً لسفرها فوضعتها في كيس صغير وخاطت فم الكيس ولم تحتج إلى فتقه حتى رجعت ، فجاءت لتفي الحاج حسين بعين ماله وفتقت الكيس فوجدت مع التومانين درهمين أبيضين مسكوكين بسكة الرضا (ع) ، ففرحت بذلك فرحاً عظيماً وكانت قبل ذلك مغمومة ، حيث لم تشاهد من معاجز الرضا (ع) شيئاً في زيارتها ، وقد شاهد كثير من الزوار شيئاً من ذلك ، فارتفع غمّها وشكرت الله على ذلك ، ولما حدثتني بذلك أهلي لقيت الحاج حسين فسألته عنه فقال : نعم وقد أردت شراء الدرهمين أو أحدهما بالتومانين وبغيرها فأبت على ذلك وامتنعت منه امتناعاً شديداً .

قال أيّده الله : وقالت أهلي أم باقر : وجدت في البحار رواية تتضمن أن زينب حدثت بهذا الحديث وهو أن النبي (ص) أهدي إليه من ثمار الجنة رمانة وسفرجلة وتفاحة وأن النبي (ص) اختص بواحدة والأمير بأخرى والحسين (ع) بالتفاحة ، فكان تفقد كلّ واحد بفقد صاحبها فكان التفاحة معنا في الطف وتتغير حالها بتغير حال الحسين (ع) إلى أن استشهد ففقدت التفاحة ، وفي الرواية أن من كان من الخواص أو من أهل الجنة شمّ تلك الراحة في وقت السحر إما مطلقاً أو في ليلة عاشوراء فحدثت بذلك الملا آسية فسافرت إلى كربلاء وبقيت ليلة عاشوراء عند الضريح تزور تعمل وتبكي إلى أن صار السحر ، فامتلأ أنفها من رائحة التفاح يخرج إليها من الضريح وأخبرني ثقة اسمه شيخ علي بن شيخ يعقوب عمران ، عن الشيخ المولى علي أنه شم رائحة التفاحة فسألت الله سبحانه أن يمكّنني من زيارة عاشوراء في هذه السنة رجاء أن أشمّها ، وبحسب العادة لا سبيل إلى ذلك ، فاتفق لي تيسّره بأحسن وجه ، فلما كانت ليلة العاشر شممت الشباك من الجوانب الأربع ، من أول الليل فلم أجد شيئاً فوقفت من جهة الوجه على الشباك منكر الخاطر وقد دخل على قلبي الذل والإنكسار والإلتجاء ، وعلى عيني جريان الدموع والبكاء فشممتها كأطيب وأجود ما يكون من التفاح يستريح إليها القلب وبقيت أشمّها قدر ربع ساعة ثم ذهبت وأنا أعلم أني لست أهلاً لذلك ، ولكن بفضل الله سبحانه وكرم الحسين (ع) .

قال أكرمه الله : وكان الشيخ محسن خنفر من أعيان العلماء كثير الذكر دائم الطهارة بالغاً في العلم والتقوى والمعرفة منزلة عظيمة ، فمما اشتهر من كراماته أنه إذا عرض عليه خبز قد اختبزته امرأة حائض فأكل منه أول لقمة أحسّ به ولفظها من فيه ، وقال : أنه خبزته حائض فلا يقبله طبعي فإذا لم يعلموا بالحال فحصوا عن الخبز فوجدوه كذلك . وحدث السيد محمد الزبير وهو من أجلاء السادات القاطنين في المشهد الغروي أنه (ره) زاره يوماً ، فأراد النهوض فمنعه حتى قدم إليه الغداة ، فلما أكل من الخبز لقمة قال : أنه خبزته حائض ، فقام السيد من حينه وتفحص عن المباشر فظهر أنها جارية كانت حائض .

قال أعانه الله : واتفق لي أن أكثرت من أنواع الصلوات المرغب فيها في

شهر رجب وشعبان من سنة كنت فيها من أهلي في دار قـوم اخرين ، وكـانت امرأة تخبز وهي حائض وأخرى خبزت وهي طاهـرة فقلت لها : أتين بقـرصين أحدهما من خبزك والأخرى من خبز الحائض لأنظر هل أفـرق بينهما ، فـأتتني بالقرصين ولم تعلمني بالحال . فـأكلت من أحدهمـا ثم من الآخر فـأحسست بطعم تنفرت منه ، فقلت : هذا خبز الحائض وكان كذلك .

قال صانعه الله تعالى : ورأيت الشيخ المتقدم (ره) في جميع الوبـاءات ليس به أثر الخوف ولا يبالي ولا يكترث وإن اشتد وكثر في وباء الخفيف الذي مات في وقته لا به بل بالمحرقة كان في غاية من التشويش ، ولا يحب أن يسمع بموت أحد أو علوق المرض بأحد خوفاً ، فلما حم مـررت به وكـان على وجه ليس به ما يـدل على التشويش ، فسمعتـه يقول لخـادمه : خـذ هذه الـدراهم فأوصلها إلى فلان وقل له إما أن تبرىء الذمة ليبقى للورثة أو تستوفي مالـك ، فتعجبت من ذلك ثم توفي بعد أيام في ذلك المرض .

قال حفظه الله تعالى : وسمعت من الشيخ أحمد الصد توماني وهـو من طائفة معروفة بهذا اللقب ، أن رجلاً من تلامذته كلمه في الدرس فصاح بـه ، وقال : يأتون بجنابتهم ويتكلمون بما لا يليق ، قال : فأخبرنا الرجل بعد ذلك أنه جاء إلى الدرس وأنه كان غافلاً أو ناسياً للجنابة ، وفي بالي أني سمعت من الشيخ نحواً من ذلك .

قال رفع الله قـدره : وقال ابنـه الشيخ محمـد حسن : خرج أبي لصلوة الليل فلما توضأ ناداني أحضر السراج فأحضرته ، فقال أحد خواتيمي سقط من يدي هيهنا ، فنظرنا لم نجده والأرض ليس فيها تراب فلن ندر أين ذهب الخاتم ثم تأملنا الأرض نهاراً فلم نجده ثم مضى وقد آيسنا من الخـاتم نصف شهر ، فخرج نصف الليل ليتوضأ في ذلك الموضع فناداني أحضر السراج فأحضرته ، وإذا هو قد أمسك بيده شيئاً فقال : أحسست بخاتمي كأنه وقع في يـدي ففتح يده وإذا فيها الخاتم الذي فقدناه .

قال جمع الله شمله : وسمت من ابنه الآخر الشيخ أحمد قال : كنت مع

أبي في وليمة فما رجعنا إلا بعدما صار وقت دوران الحرس في الطرق ليلاً ، ونحن جماعة بخدمة الشيخ ، ففي أثناء ما نمشي سمعنا وطأة أقدام الحرس فقال الشيخ : التصقوا بالحائط واسكتوا فالتصقنا وسكتنا والشيخ والحارس مرّ علينا وكأنّه لم يرنا حتّى بعد عنّا .

قال شكر الله سعيه : ومرضت بسعال شديد استمرّ معي ثلاثة أشهر وراجعت الصالح الحاج ميرزا خليل الطبيب فوصف لي الأدوية وباشرني وعادني فلم يفد شيئاً وأمرني بتغيير الهواء ولو في مسجد الكوفة فمكثنا هناك فلم أنتفع وكانت كيفية مرضي أني أتغدّى فإذا فرغت عطشت عطشاً شديداً لا أصبر معه عن شرب الماء فإذا أشربته جائني السعال حتى ألقى جميع ما كان في جوفي من شدته ، فلا يبقى غدائي وإذا تعشيت فلا يبقى عشائي في جوفي فما أدري كيف عشت في تلك الثلاثة أشهر والطعام لا يستقر في جوفي ، وكنت محتمياً من كل ما ينافي السعال من حامض أو رطب أو مالح ونحو ذلك ، وكان الشيخ محسن (ره) يعودني ولا يقول لي شيئاً غير أنه يتخوف عليّ من طول مدة السعال أن يعرض لي مرض السلّ ، فلما أراد الله شفائي اتفق لي أني أكلت خبزاً مع سمك كثير الدهن من قبل نفسه قليل الملح ، فلما فرغت بقيت أنتظر العطش الذي يعرض لي فلم أعطش ولم أشرب ماء ولم أسعل ، حتى كان الليل فعرفت أن ذلك دوائي ، ولما كان النهار جائني الشيخ يعودني وهو لا يعلم بالحال فوضع يده على نبضي ولم يكن قبل ذلك فعل مثل ذلك في يوم من أيام عيادته ، ثم قال لي : أنت ينفعك أكل السمك ؟ فقلت له : نعم فإني أكلته أمس فانقطع السعال عني إلى الآن وذلك بعد رجوعي من مسجد الكوفة .

قال شرح الله صدره : أن رجلاً صالحاً يسمى الحاج عبد الله الواعظ كان كثير التردد إلى مسجد السهلة والكوفة ، فنقل لي الثقة الشيخ باقر بن الشيخ هادي وكان عالماً بالمقدمات وعلم القراءة وبعض علم الجفر وعنده ملكة الإجتهاد المطلق ، إلاّ أنّه مشغول عن الإستنباط لأكثر من قدر حاجته بمعيشة العيال ، وكان يقرأ المراثي ويؤمّ الجماعة وكان صدوقاً خيراً معتمداً عن الشيخ

مهدي الزريجاوي ، قال : كنت في مسجد الكوفة فوجدت هذا العبد الصّالح خرج إلى النجف بعد نصف الليل ليصل إليه أوّل النهار ، فخرجت معه لأجل ذلك أيضاً فلما انتهينا إلى قريب من البئر التي في نصف الطريق لاح إليّ أسد على قارعة الطريق والبرية خالية من الناس ليس فيها إلا أنا وهذا الرّجل ، فوقفت عن المشي فقال : ما بالك ؟ فقلت : هذا الأسد ، فقال : امش ولا تبال به ، فقلت : كيف يكون ذلك ؟ فأصرّ علي فأبيت ، فقال لي : فإذا رأيتني وصلت إليه وقفت بحذائه ولم يضرّني أفتجوز الطريق وتمشي ؟ فقلت : نعم فتقدمني إلى الأسد حتى وضع يده على ناصيته فلما رأيت ذلك أسرعت في مشيي حتى جزتهما وأنا مرعوب ثم لحق بي وبقي الأسد في مكانه .

وقال نوّر الله قلبه : قال الشيخ باقر : وكنت في أيام شبابي خرجت مع خالي الشيخ محمد علي القارىء مصنف الكتب الثلاثة في علم القراءة الكبير والمتوسط والصغير ومؤلف كتاب التعزية جمع فيه تفصيل قضية كربلاء من بدئها إلى ختامها بترتيب حسن وأحاديث منتخبة إلى مسجد السهلة ، وكان في تلك الأوقات موحشاً في الليل ليس فيه هذه العمارة الجديدة ، والطريق بينه وبين مسجد الكوفة كان صعباً أيضاً ليس بهذه السهولة الحاصلة بعد الإصلاح ، فلما صلينا تحية مقام المهدي (ع) نسي خالي سبيله[1] وتتنه ، فذكر ذلك بعدما خرجنا وصرنا في باب المسجد فبعثني إليها فلما دخلت وقت العشاء إلى المقام فتناولت ذلك وجدت جمرة نار كبيرة تلهب في وسط المقام ، فخرجت مرعوباً منها فرآني خالي على هيئة الرعب فقال لي : ما بالك ؟ فأخبرته بالجمرة ، فقال لي : سنصل إلى مسجد الكوفة ونسأل العبد الصالح عنها ، فإنّه كثير التردد إلى هذا المقام ولا يخلو من أن يكون له علم بها ، فلما سأله خالي عنها قال : كثيراً ما رأيتها في خصوص مقام المهدي (ع) من بين المقامات والزوايا .

قال نضّر الله وجهه : وأخبرني الشيخ باقر المزبور عن السيد جعفر ابن

---

(١) الكلمة فارسية، وهي اسم للآلة الصغيرة المعدة لشرب التتن.

السيد الجليل السيد باقر القزويني المتقدم ذكره في الباب الأول[1] قال : كنت أسير مع أبي إلى مسجد السهلة ، فلما قاربناها قلت له ، هذه الكلمات التي أسمعها من الناس أن من جاء إلى مسجد السهلة في أربعين أربعاء فإنه يرى المهدي (ع) أرى أنها لا أصل لها ؟ فالتفت إليّ مغضباً وقال لي : ولم ذلك لمحض أنك لم تره أو كل شيء لم تره عيناك فلا أصل له وأكثر من الكلام عليّ حتى ندمت عليّ ما قلت ، ثم دخلنا المسجد وكان خالياً من الناس فلما قام في وسط المسجد ليصلي ركعتي الاستجارة أقبل رجل من ناحية مقام الحجة (ع) ومرّ بالسيد فسلّم عليه وصافحه فالتفت إلى السيد والدي وقال لي : فمن هذا ؟ فقلت : أهو المهدي (ع) ؟ فقال : فمن ؟ فركضت أطلبه فلم أجده في داخل المسجد ولا في خارجه .

وقال أصلح الله باله : وأخبرني الشيخ باقر المزبور عن رجل صادق اللهجة كان حلّاقاً وله أب كبير مسن وهو لا يقصر في خدمته حتى أنه يحمل له الإبريق إلى الخلا ويقف ينتظره حتى يخرج فيأخذه منه ولا يفارق خدمته إلا ليلة الأربعاء فإنه يمضي إلى مسجد السهلة ثم ترك الرواح إلى المسجد ، قال : فسألته عن سبب ذلك ؟ فقال : خرجت أربعين أربعاء ، فلما كانت الأخيرة لم يتيسر لي أن أخرج إلا قريب المغرب ، فمشيت وحدي وصار الليل وبقيت أمشي حتى بقي ثلث الطريق وكانت الليلة مقمرة فرأيت إعرابياً على فرس قد قصدني فقلت في نفسي : هذا سيسلبني ثيابي ، فلما انتهى إليّ كلّمني بلسان البدو من العرب وسألني عن مقصدي ؟ فقلت مسجد السهلة ، فقال : معك شيء من المأكول ؟ فقلت : لا ، فقال : أدخل يدك في جيبك هذا نقل بالمعنى وأما اللفظ دورك أيدك لجيبك فقلت : ليس فيه شيء ، فكرر علي القول بزجر حتى أدخلت يدي في جيبي فوجدت فيه زبيباً كنت اشتريته لطفل عندي ونسيته وبقي في جيبي ثم قال لى الإعرابي : أوصيك بالعود أوصيك بالعود والعود في

---

(١) الجزء الثاني (ص ١٩٩ ـ ٢٠٤) من هذه الطبعة ومضى بعض كراماته (رحمه الله) هناك فراجع .

لسانهم إسم الأب المسنّ ، ثم غاب عن بصري فعلمت أنه المهدي (ع) وأنه لا يرضى بمفارقتي لأبى حتى في ليلة الأربعاء فلم أعد .

قال أحسن الله مآله : أخبرني الشيخ باقر المزبور عن الشيخ تقي مـلا كتاب والد العالم العلامة الشيخ جواد وكان تقياً كإسمه ، وكان ممن تلمذ على آية الله بحر العلوم السيد المهدي الطباطبائي قدس الله سره قال : كـان للسيد جارية تباشر خدمته ببيتـه ففقدت يـوماً وبعث السيـد في طلبها والفحص عنهـا رجالاً ولم يعرف خبرها ، وكان ذلك اليـوم مغموماً من جهتها ، قـال : فكنت عنده في عصر ذلك اليوم فبينما هو مغموم إذ تهلل وجهه وظهر الفرح والسرور عليه وقال لي : وجدوا الأمة وجاؤوا بها وهم الآن في الزقاق الفلاني فاستقبلهم تجدهم قد أقبلوا بها ، قال : فأسرعت إليهم حتى انتهيت إلى ذلـك الموضـع فوجدت جماعة مقبلين ومعهم الأمة ، فرجعت قبلهم إلى السيد وقلت له : من أين علمت ذلك ؟ فقال بعدما وضع يده على شيبته الشريفة : أتستكثر على هذه الشيبة هذه الجزئية ؟ ثم ساق بعض كراماته في المكة المشرفة بهذا السند وقد تقدم في آخر الجزء الأول[1] .

وقال أنجح الله آماله : وبالإسناد قـال : سافـر السيد إلى كـربلاء ومعـه جماعة يتبعونه غالباً في أسفاره منهم الشيخ تقي (ره) حاكي القصة قال : وكانت القافلة التي فيها السيد تمشي في ناحية ورجل آخر يمشي لنفسه ، وكلمـا نزل السيد في موضع نزل ذلك الرجل في موضعه منفرداً ، وكلما رحل السيد رحل ذلك الرجل ، فالتفت السيد إليه ونحن سائرون فأومى إليه فقـدم الرجـل وقبّل يدي السيد وجعل السيد يسأله عن رجال وصبية ونساء يسميهم كلهم بأسمائهم من أهل بيت ذلك الرجل ومن جيرانه حتى سـأله عمّـا يقرب من أربعين نفسـاً وفارقه والرجل يجيبه عنهم مستبشراً وهو غريب ليس من شكل أهل العراق ولا من لهجتهم في اللسان فسألنا السيد ؟ فقال : هو من أهل اليمن ، فقلنا : متى سكنت في اليمن حتى عرفت هؤلاء ؟ فأطرق رأسه وقال : سبحان الله لو سألتني

(١) من الطبعة الحجرية السابقة والجزء الثاني (ص ٢٠٦ ـ ٢١٣) من هذه الطبعة فراجع .

عن الأرض شبراً شبراً لأخبرتك بها .

قال كثّر الله أمثاله : وحكى لي الشيخ ناصر الصيقل قال: خرج السيد إلى زيارة القاسم فمرّ بالهاشمية ومعه من الأدباء والشعراء والعلماء جماعة منهم السيد صادق الفحام والشيخ راضي نصار فكلما مرّ بقبر أو أثر قال : هذا قبر فلان بن فلان كان من أصحابنا فاقرأوا له الفاتحة أو قال من أعدائنا فالعنوه ، حتى انتهى إلى موضع فوقف عليه وتأمله ولم يعلم أنه قبر من هو فأومأ إلى شيخ من الأعراب كان قريباً من ذلك الموضع ، وقال اسألوه عن هذا القبر ، فسألوه فقال : كنت أسمع تسمية هذا القبر بقبر أبي الويو وهم اسم عند العوام لابن آوى وهو الثعلب ، فرجع السائل بجواب الرجل فقال السيد اعطوا هذا الرجل حقّه من الشعر بدل اللعن أو الفاتحة فقال أحد الشعراء :

على أبي الويو سلام سلام

وقال الآخر : يهدي إليه مع دجاج عظيم .

وذلك أن ابن آوى يحبّ الدجاج فضحك السيد ثم استقبله شيوخ الخزاعل والتمسوا منه النزول هناك فشرب قهوة جيدة فقال لهم قولوا في مدحها فقال السيد بنفسه : * بارك الله فيك من قهوة * وقال السيد صادق * هي مرة لكنها حلوة * فقال له السيد : « پوچ گفتی » فقال الشيخ الراضي نضار عوضه : * زدتني فوق نشوتي نشوة * فقال له السيد : أحسنت ، قال الشيخ أحمد البلاغي : بلغوا الخان فنزلوا فيه في يوم بارد وعملوا شلة ، فقال السيد : قولوا فيها فقال أحدهم : * وجايز في الخان أكل الشلة * وقال الآخر : * إذا يكون في السماء علة * .

وقال رفع الله مقامه : سمعت من الشيخ محمد آل حاجي داود الخزعلي وكان في غاية الزهد والورع والسخاء والكرم وصفات أهل الله النفسانية والبدنية ، وكان من أهل الصدق في حديثه وكان في أول أمره مثرياً جداً ثم افتقر ولم يفرق بين حاليته في الرضا والشكر وكان يقال أنّه من أهل العلم وكان كثيراً

ما يسير كتب الأحاديث ، وكان مطّلعاً على أكثر ما في أصـول الكافي وفـروعه وغيره ، قال : كان السيد جواد العاملي (ره) صاحب مفتاح الكرامة يتعشى ليلة إذ طرق الباب عليه طارق عرف أنه خادم السيد بحر العلوم فقام إلى الباب عجلاً فقال له أن السيد قد وضع بين يديه عشاؤه وهو ينتظرك فذهب إليه عجـلاً فلما لاح للسيد قال له السيد : أما تخاف الله أما تراقبه أما تستحيي منه ؟ فقال : ما الذي حدث ؟ فقال له : إن رجلاً من إخوانك كان يأخذ من البقال قرضاً لعياله كل يوم وليلة قسباً[1] ليس يجد غير ذلك ، فلهم سبعة أيام لم يـذوقوا الحنـطة والأرز ولا أكلوا غير القسب ، وفي هذا اليوم ذهب ليأخذ قسباً لعشائهم فقال له البقال : بلغ دينك كذا وكذا فاستحيى من البقال ولم يأخذ منه شيئاً وقد بات هو وعياله بغير عشاء وأنت تتنعم وتأكل وهو ممن يصل إلى دارك وتعرفه وهو فلان ، فقال : والله ما لي علم بحاله ، فقال السيد (ره) : لو علمت بحاله وتعشيت ولـم تلتفت إليه لكنت يهودياً أو كافراً وإنما أغضبني عليك عدم تجسسك عن إخوانك وعدم علمك بأحوالهم ، فخذ هذه الصينية يحملها لك خادمي ويسلمهـا بيدك عند باب داره ، وقل له قد أحببت أن أتعشى معك الليلة وضع هذه الصرّة وفيها من الدراهم تحت فراشه أو بوريائه أو حصيره ، وابق له الصينيـة فلا تـرجعها وكانت كبيرة فيها عشاء ، وعليها من اللحم والمطبوخ النفيس ما هو مأكل أهل التنعم والـرفاهيـة ، وقال السيـد له : أعلم أني لا أتعشى حتى تـرجع إليّ لـه فتخبرني أنه قد تعشّى وشبع ، فذهب السيد جواد ومعه الخادم حتى وصلوا إلى دار المؤمن فأخذ من يـد الخادم مـا حمله ورجع الخـادم وطرق البـاب وخرج الرجل فقال له السيد : قد أحببت أن أتعشى معك الليلة ، فلما أكل قال المؤمن للسيد : ليس هذا زادك لأنـه مطبـوخ نفيس لا يصلحه العـرب ولا نأكـل حتى تخبرني بأمره فأصرّ عليه السيد جواد بالأكل وأصرّ هو بالإمتناع ، فقال : والله ما اطلع على قصتنـا أحد من جيـرتنا فضـلاً عمن بعـد ، وأن هـذا السيـد لشيء عجيب ، قال سلّمه الله : وحدث بهذه القضيـة ثقة أخـرى غيره وزاد فيـه إسم

(١) القسب: تمر يابس يعرف بالتمر الزاهدي.

الرجل وهو الشيخ محمد نجم العاملي ، وأن ما في الصرّة كان ستين شوشياً كل شوشي يزيد على قرانين بقليل .

قلت :وحدثني بها الثقة الجليل الآغا علي رضا الأصفهاني عن خاصة السيد وصاحب سره المولي زين العابدين السلماسي ، وأما الشيخ محمد الخزعلي فقد أدركته (ره) في آخر عمره ، وقد جاوز المائة وكان فوق ما مدحه السيد حرياً لكل ثناء جميل حشره الله مع أحبته .

وقال أنجح الله مرامه: ومما اشتهر عن السيد أن جماعة من الأعيان والعلماء ظنوا أنه صاحب الزمان محمد بن الحسن (ع) برز بهذه الكيفية لبعض الحكم حتى رأوه شك في الصلوة بين السجدة والسجدتين فعلموا أنه ليس إماماً لعصمته من السهو ، وأنه خرج في يوم صائف شديد الحر وكان لم يزل وبه مرض الخفقان ، فعجبوا كيف جاز عنده السفر وفي ذلك الحر وهو في ذلك الحال ، وكان ممن سافر معه الشيخ حسين نجف (ره) فلما كانوا في البرية على رواحلهم أقبلت غمامة فظلّلتهم وجائهم النسيم البارد وصاروا كأنهم في سرداب ، وتبعتهم الغمامة تسير معهم حتى قربوا من الخان ، فتخلف الشيخ حسين نجف يتكلم مع رجل في مطلب وسارت الغمامة مع السيد ، فأشرقت الشمس على الشيخ وكان في حرّها الشديد بعد ذلك البرد فسقط مغمى عليه لكبر سنّه أو ضعف بنيته فحمل حتى أدخل الخان ووضع إلى جنب السيد فقال الشيخ : سيّدنا لِمَ لم تدركنا الرحمة ؟ فقال : لم تخلّفتم عنها ، وفي جوابه تورية لطيفة .

وقال أراه الله تعالى إمامه : حدث الشيخ أحمد الصدتوماني وهو ثقة تقي قال : قد استفاض عن جدنا المولى محمد سعيد الصدتوماني وكان من تلامذة السيد أنه جرى في مجلسه ذكر قضايا مصادفة رؤية المهدي (ع) حتى تكلم هو في جملة من تكلم في ذلك ، فقال : أحببت ذات يوم أن أصل إلى مسجد السهلة في وقت ظننته فيه فارغاً من الناس ، فلما انتهيت إليه وجدته غاصّاً بالناس ولهم دوي ولا أعهد أن يكون فيه في ذلك الوقت أحد فدخلت صفوفاً

صافين للصلوة جامعة فوقفت إلى جنب الحائط على موضع فيه رمل فعلوته لأنظر هل أجد خللاً في الصفوف فلأسده (كذا) فرأيت موضع رجل واحد فيما بين بعض تلك الصفوف فذهبت إليه ووقفت فيه فقال رجل من الحاضرين : فقل رأيت المهدي (ع) ؟ فعند ذلك سكت السيد وكأنه كان نائماً فانتبه ، فكلما طلب منه اتمام المطلب لم يتمه .

وقال أدام الله تعالى إكرامه : رأيت في رواية ما يدل على أنك إذا أردت أن تعرف ليلة القدر فاقرأ حم الدّخان كل ليلة في شهر رمضان مائة مرة إلى ليلة ثلاث وعشرين ، فعلمت ذلك وبدأت في ليلة الثلاث والعشرين أقرأ على حفظي بعد الفطور إلى أن خرجت إلى الحرم العلوي في أثناء الليل ، فلم أجد لي موضعاً أستقر فيه إلا أن أجلس مقابلاً للوجه مستدبراً للقبلة بقرب الشمع المعلّق لكثرة الناس في تلك الليلة فتربعت واستقبلت الشباك وبقيت أقرأ حم ، فبينما أنا كذلك إذ وجدت إلى جنبي إعرابياً متربّعاً أيضاً معتدل الظهر أسمر اللون حسن العينين والأنف والوجه ، مهيباً جداً كأنه من شيوخ الأعراب إلا أنه شاب ولا أذكر هل كان له لحية خفيفة أم لم تكن ؟ وأظن الأول ، فجعلت أقول في نفسي ما الذي جاء بهذا البدوي إلى هذا الموضع وتجلس هذا الجلوس العجمي وما حاجته في الحرم وأين منزله في هذا الليل أهو من شيوخ الخزاعل وأضافه بعض الخدمة مثل الكليد دار أو نائبه وما بلغني خبره وما سمعت به ، ثم قلت في نفسي : لعله المهدي (ع) وجعلت أنظر في وجهه وهو يلتفت يميناً وشمالاً إلى الزوار من غير إسراع في الإلتفات ينافي الوقار ، وجلست امرأة قدامي ملاصقة بظهرها ركبتي ، فنظرت إليه مبتسماً ليراها على هذه الحال فيبتسم على حسب عادة الناس فنظر إليها وهو غير متبسم ورجع إلى النظر يميناً وشمالاً ، فقلت في نفسي : أسأله أنه أين منزله أو من هو ؟ فلما هممت بسؤاله انكمش فؤادي إنكماشاً[1] تأذيب منه جداً وظننت أنّ وجهي اصفرّ من هذه الحالة وبقي الألم في فؤادي ، حتى قلت في نفسي : اللهم إني لا أسأله

(١) الإنكماش: الإنقباض.

فدعني يا فؤادي وعد إلى السلامة من هذا الألم ، فإني قد عرضت عما أردت من سؤاله وعزمت على السكوت ، فعند ذلك سكن فؤادي وعدت إلى التفكر في آمره وهممت مرة ثانية بالإستفسار منه وقلت : أيّ ضرر في ذلك وما يمنعني من أن أسأله فانكمش فؤادي مرة ثانية عندما هممت بسؤاله وبقيت متألماً مصفراً حتى تأذيت وقلت : عزمت أن لا أسأله ولا أستفسر إلى أن سكن فؤادي وأنا أقرأ لساناً وأنظر إلى وجهه وجماله وهيبته وأفكّر فيه قلباً حتى أخذني الشوق إلى العزم مرة ثالثة على سؤاله فانكمش فؤادي وتأذيت في الغاية وعزمت عزماً صادقاً على ترك سؤاله ، ونصبت لنفسي طريقاً إلى معرفته غير الكلام معه وهو أني لا أفارقه وأتبعه حيث قام ومشى حتى أنظر أين منزله إن كان من سائر الناس أو يغيب عن بصري إن كان الإمام (ع) ؟ فأطال الجلوس على تلك الهيئة ولا فاصل بيني وبينه بل الظاهر أن ثيابي كانت ملاصقة لثيابه ، وأحببت أن أعرف الوقت والساعة وأنا لا أسمع من كثرة أصوات الناس صوت ساعات الحرم ، فصار في مقابلي رجل عنده ساعة فقمت لأسئله عنها ، وخطوت خطوة ففاتني صاحب الساعة لتزاحم الناس فعدت بسرعة إلى موضعي ، ولعلّ إحدى رجلي لم تفارقه فلم أجد صاحبي ، وندمت على قيامي ندما عظيماً وعاتبت نفسي عتاباً شديداً .

وقال سهل الله عليه أيامه : بالإسناد السابق قال : كنا في مجلس درس السيد فدخل أعجمي من الزوار فقال للسيد : إني رأيت أمراً عجيباً فاذن لي أن أسألك عنه وأقصّه عليك ! فقطع السيد البحث وقال : تكلم فقال : أنا زوار أتينا قاصدي النجف من بلادنا وفينا مشاة من جملتهم رجل صالح كان يعجبني مواظبته على صلوة الليل ، ومشيه راجلاً بشوق الزيارة فكنت أتعمد القرب منه في سيري حتى انتهينا إلى الخان بعدما خرجنا من كربلاء والرجل يمشي وهو سوي صحيح فاستقبل جهة النجف ، وقال : يا أمير المؤمنين إني ما أتيت إلا بقصد الوصول إلى ضريحك والتبرك به وزيارتك والآن المعذرة إلى الله وإليك فقد حال الموت بيني وبين ما أردت واستقبل القبلة وغمض عينيه ووجدناه ميتاً فحملنا جنازته ووضعناها بالإيوان بباب النجف قريباً من موضع الدزدبانية ،

وأوصيت أصحابي أن يعجلوا في الرجوع إليه ، بعد أن يحصلوا منازلهم ويلقوا رحالهم لنجهز الجنازة ووعدوني بالإستعجال في ذلك ، وذهبت فالفيت لي منزلاً وحططت رحلي فيه ودبّرت كفناً وسدراً وكافوراً وجئت مستعجلاً إلى الإيوان فلم أجد الجنازة فيه ، فقلت للدزدبانية : أين الجنازة ؟ فقالوا : حملها أصحابك إلى المغسل ، فقلت : أساروا أسرع مني ؟ وذهبت إلى المغسل فوجدت جماعة غير أصحابي يباشرون تغسيل الجنازة ومعهم كفن وسدر وكافور فغسّلوه وحنّطوه وكفّنوه وصفوا فصلوا عليه ووقفت معهم في صفهم ، فلما كبرنا الخامسة لم أرَ الجنازة ولا أحداً منهم ، ولا أدري إلى الآن أين ذهبوا ؟ فقال السيد : نعم قد كان ذلك كثيراً ويكون كثيراً وهو الآن كائن .

وقال أسعد الله أيامه : سمعت من الشيخ أحمد البلاغي أن أحد رجلين كانا في درس السيد بحر العلوم بشّر صاحبه بأنه وجد الكتاب الفلاني من كتب التواريخ ودفعه إليه ففرح به ، فقال السيد : لو أعلمتموني بأنكم طالبون له فإني حافظ لما فيه بتمامه أتلوه عن ظهر القلب ففتحوه وجعل السيد يقرأ عليهم ما فيه وهم يرون والسيد يقرأ على حفظه .

وقال أكب الله أعدائه : وعنه أن والدي السيد هاشم كان حافظاً للقانونچه وهو كتاب في الطب بتمامه عن ظهر القلب وأن السيد كان جامعاً بين قوتي الحافظة والذكاوة على خلاف العادة الغالبة ، وأنه كان في سفر مقبلاً على دخول بلد فألهمه الله تعالى التفكر في مسألة مشكلة حتى أنهاها على وجهها ، فلما دخل إليها ، سأل عنها على وجه الإمتحان قبل أن يستريح من التعب فأجابهم على وجه التفصيل كما ينبغي ثم وعظهم وقال : ما ينبغي لكم امتحان العالم وهو في التعب غير صافي الذهن ونحو ذلك مما يوجب تخجيله بغير حق .

وقال أجزل الله عطائه : وأخبرني الثقة الجليل الشيخ جواد بن الشيخ حسين نجف عن أبيه وابنه الثقة الشيخ يعقوب عن جده المزبور أيضاً كلاهما سمعاه يخبر أن فلاناً وهو جد سعيد السقا كان كثير الدخول إلى مجلس السيد صادق فحام ، وهو الذي تلمذ عليه في الأدبية السيد المتقدم وعديله الشيخ

جعفر أعلى الله مقامهما وكانا يقبلان يده بعد رياستهما وفاءاً لحق التعليم ، قال : وكان كثير الخروج عصراً لقراءة الفواتح للموتى ، فخرج في بعض الأيام فاتفق له الذهول عن الوقت والاشتغال بالفواتح إلى أن أغلقت عنه باب النجف ، فبات في المقابر ، فلما أظلم الليل رأى جماعة على الخيل مقبلين فقال : لعلهم من العرب الذين يسلبون المنقطعين عن الناس فكمن عنهم في حفيرة وإذا هم بالقرب منهم ، وفيهم السيد صادق الفحام وجماعة من أصحابه من أهل النجف ، وفي وسطهم رجل غير متعمم لا يعرفه ، فقال إليهم وسلم عليهم فقالوا : لسنا فلاناً فلاناً وإنما أولئك في النجف بل نحن ملائكة أتينا مشيعين لهذا الرجل البصري الذي معنا لأنه كان كاسباً وقد جعل في كل ربح يربحه للحسين (ع) سهماً ، فيجمع ذلك في موضع فإذا كان المحرم شرى به شيرجا[1] للضياء وفرّقه على مقيمي التعزية وشرى أبلوجا ووضعه في قربة مع ماء وسقى منه في مجالس التعزية ، فاستحق بذلك الإكرام ، وإنما غفلت عن نفسك الليلة فلم تدخل البلد لأنه مقروض لأبيك من الأرز فأراد أن يفيك أو تبرئه الذمة وسايرهم الرجل فإذا هم في أرض مشرفة منيرة مرتفعة طيبة ونزلوا عن خيلهم وقد ربطت في ناحية وإذا هم على فرش من الديباج والحرير والرجل معهم ، وقد اتكأوا على المساند وأحضرت بين أيديهم المواعد وأنواع الفواكه فاشتهى الرجل من بينها التين وأكل منه وخيروه بين إبراء ذمة البصري وبين أخذ الأرز ، فاختار الثانية فقالوا له ابسط جانب عبائك فبسطه فوضع الأرز فيه فجمعه ، واختار القيام فقام فلم ير لهم أثراً ووجد نفسه في المقابر كما كان إلا أن معه الأرز ووجد الفجر طالعاً ورجع إلى أهله بارزه فوضعه في حوض[2] فمكثوا يأكلون من ذلك الأرز ثلاثة أشهر ووجد الناس منه رائحة التين في هذه المدة ، وهم يعجبون من شمهم له في غير أوانه ، وأصرت عليه زوجته أن يخبرها بقضية الأرز وسبب ما فيه من البركة وعدم نفاده فلما أخبر بذلك ذهبت

(١) الشيرج : دهن السمسم . (روغن چراغ) .
(٢) كذا .

من فيه رائحة التين ولم يجدوا من ذلك الأرز حبة واحدة ، وكان تكلم الملائكة مع الرجل بعد استقرارهم في المجلس لكن جرى التحرير بمخالفة الترتيب .

قلت : وحدثني بهذه الحكاية الشيخ جواد حفظه الله تعالى من غير واسطة مع اختلاف في بعض الكلمات لا يضر بالمقصود .

وقال أجمل الله حبائه : وحدثني الثقة المعتمد السيد محمد الدسبولي القاضي وكان من تلامذة خاتم المجتهدين الشيخ مرتضى الأنصاري قدس سره ، وقبله من تلامذة صاحب جواهر الكلام ، أنه كان ، مبرزاً في دسبول يحكم ويقضي ويؤدب ويعزر ويأخذ الخمس لأهله قهراً وغيره من الحقوق وكان غير مجاز من صاحب الجواهر بحسب اطلاعه ، إلا أنه أخذ منه الإجازة بنوع من الحيلة في أواخر أمر الشيخ حيث امتنع من إعطاء الإجازات ولو لمن هو أفضل ممن أخذوا في السابق منه إجازة الاجتهاد المطلق ، وأخبرني بالحيلة وأنه ما كان يدري بذلك أحد من الناس قال : فدخلت في يوم إلى مسجد مهجور أحببت العمل فيه ، فوجدت ؛ ه رجلاً من حيكة أهل دسبول ومن أحد القسمين المعروفين اللذين بينهما الدماء والحرب والعداوة الحيدرية والنعمتية ، فقال لي : احتلت بالعبد الصالح وأخذت منه الإجازة بغير علم منه وجلست في منصب الإمامة ولست له أهلاً إن عذابك في جهنم سبعون خريفاً وذكر لي أشياء وقعت مني سراً لا يعلمها إلا الله وبعضها أسرار قلبية وضمائر نفسية وفصّلها على واقع الأمر ، فعلمت أن له سبيلاً إلى الواقع فأخبرني أنه يأتيه رجل من رجال الغيب وهم خدام صاحب الأمر (ع) وهم أربعون رجلاً وكبيرهم القطب ، قال : فلما فارقته خرجت إلى قبر الإمام زاده لا يخلو بنفسي فأبكى عليها وبكيت هناك كثيراً واستشفعت بالإمام زاده ، وأتيت المسجد في اليوم الآخر لعلي أجد صاحبي ، فوجدته فقال : أبشر فإن الإمام زاده ـ وهو لا يدري بأني ذهبت إلى قبره ـ جاء إلى خدمة الإمام (ع) وشفّع فيك وأكثر من الإلتماس وطلب العفو لك ، والإمام (ع) ساكت لم يرد عليه ، فأمر القطب صاحب الذي يأتيني إن اشترط عليك أن تفزع ذمتك من كل مال أخذته من رجل آخر وإن طابق الواقع ، وتبدل نفسك لمقاصة كل من أمرت بتعزيزه فمن شاء أخذ منك

ومن شاء أبرء ، قال : فخرجت من دسبول إلى شُشتر ، وبعثت إليهم المكاتيب تقريباً من أربعمائة كتاب إلى كل رجل ، وأخبرتهم إنّي تائب وباذل نفسي للمقاصّة لمن كتب إلي بطلبها وموف من قدرت على وفائه المال ، وموطن نفسي على الوفاء لما عجزت منه عند الإمكان ، فلما وصلت الكتب إليهم بكوا عليّ وكتبوا إلي إبراء الذمة وعدت إلى النجف على هذا الوجه .

ومما أخبرني به السيد محمد (ره) عن ذلك الرجل الحائك عن صاحبه أن للأحكام الشرعية عندنا تفاصيل ليست عندكم فللنظر إلى الأجنبية بغير إذن حكم وبلذة من الشاب الذي ليس له زوجة حكم ومن الذي لا زوجة له حكم ومن الشيخ حكم إلى غير ذلك من التفاصيل في مقدار العقوبة والتعزير وغيرهما ، قال : وقال لي : جائني صاحبي ليلة فقال : يريد القطب أن يسافر بأصحابه إلى البلدة الفلانية فإن أحببت فسر معنا ، قال : فسرت معهم وإذا بالأرض تمشي من تحتنا وتنطوي لنا وتمرّ علينا الجبال والأشجار بخلاف جهتنا ، فانتهينا إليها ليلتها تلك فانفتح لنا بابها ونصب للقطب كرسيّ فمرهم بإحضار رجل ، فذهبوا وأنا معهم إليه وطرقوا بابه طرق الحكام وفحشوا عليه وأخرجوه قهراً ، وأكثروا من ضربه في الطريق ، فأوصلوه إلى القطب وأمر بضربه أيضاً حتى تركوه كالجنازة ودخلنا بعض المساجد ، وتفرقنا في النهار نمشي بين الناس ونجدهم مستبشرين معتقدين أنّ فاعل ذلك به حاكم البلد ، ثم رجعنا في الليلة الأخرى بطيّ الأرض أيضاً ، قال : وأنا أعلم أنّ هذا الرجل الحائك لم يخرج من دسبول قطّ ولم ير تلك فسألته صفة بعض المواضع التي فيها وقد رأيتها فوصفها وصف المشاهد لها ، وقلت له : هل يوجد في النجف من يصل إلى رجال الغيب ؟ فقال : نعم ، ولا فضل له على الخيار الذين لا يعرفونهم إنما ذلك لحكم خاصة وهم بين الناس ولا يعرفم الناس وقال أخي السيد علي للسيد محمد : أن هنا رجلاً يقال له سيد محسن الحضرمي ، له مريدية وتنقل عنه أشياء ويدّعي أنه يأتيه رجل من رجال الغيب فابعث إلى صاحبك كتاباً تسأل فيه عن صدقه فبعث بذلك كتاباً ثم بعد مضي أشهر جاءه الجواب بأنه صادق وهو أقل من يراهم درجة ، وأردت أن أمتحن السيد محسن المذكور بطريق لا يفهم

منه أني ممتحن له ، فكتبت له صورة رواية ولم تكن رواية وسـألته عن مـرجع ضمير فيها وأعدته في نفسي على موضع خاصّ ، فقلت : إن أخبر عن شيخه الذي يزعم أنه من رجال الغيب ويكتب ما يمليه عليه عن مرجع الضمير الـذي في نفسي وأصاب فهو صادق فأخذ الورقة وجعل يقول لي كلما لقيته يقول : لم يأتيني شيخي هذه الأيام ثم بعد مدة ، قال : أتاني فقال كلام بلا فائدة إلى اليوم ما صدر ، فقلت : ما الذي أراد بذلك ؟ فقال : يعني لا فائدة لك في السؤال عن هذه المسألة ، فظننت بذلك أنه يأخذ جواباً لا يفهم معناه .

قلت : وهذا السيد كان عالماً صالحاً تقياً كنت معه في طريق الحج في الحجة الأولى في سنة (١٢٨) وكان معنا في هـذه الزيـارة جماعـة من أعوان السلطان ناصر الدين شاه القاجار ، منهم الخير الباذل حسينخان الملقب بشهاب الملك ، وقد استدعى في النجف الأشرف من رئيس المسلمين وشيخ الفقهـاء والمتجهـدين الشيخ مـرتضى الأنصـاري (ره) أن يبعث معـه من يكفـل الأمـور الشرعية من الصلوة وتعليم المسائل وغيرها فى السفر فبعثه معه .

وقال نشر الله ثنائه : وكان رجل يسمى سيد محمد محمـد الشرمـوطيي أوائل زمن صاحب جواهر الكلام وكان من تـلامـذتـه ، وبلغني أن الحجۃ (ع) ربما جائه وتكلم معه وعرف ذلك الناس بعد مفارقته ، وسمعت من أخيه السيد موسى أنه كلمه رجل من الطلبة فقال له : إنّي رجل شبق محتاج إلى التـزويج وعند الشيخ محمد حسن (ره) صلوة نيابة كثيرة الأجرة فأحب أن تشفع لي عنده في أن يدفع لي من ذلك قدر ما يكفيني لتزويجي أربعمـائة شـامي ، فقال لـه السيد محمد : إني لا أحتمل المنة ولا أكلم الشيخ في ذلك ولكن في كل سنة يصل إلى هذا المقدار من أرضنا من خـارج البلد ، والبارحـة وصل إلى ذلـك فخذه وتزوج به ، فدفعه إليه وبقي الديان يطالبونه وهو يماطلهم ، فقلنا له : ما صنعت بالمال وأكثرنا عليه السؤال حتى أخبرنا بالحال ، نعظم ذلك على العيال وكثر فيه منهم القيل والقال ، واشتد العتاب والملام وكثر عليه منّا الكلام ، وهو يقول : أن الله سيخلف ذلك وعليك الاتكال لا على ما يقبض من المال ، ثم طرق الباب طارق فخرجت إليه فسألني عن السيد محمد فدعوته له وجئنا في

الدار على الحصير يتكلمان ، وفطنت على الرجل أنه وضع صرة تحت الحصير والسيد محمد لا يعلم بذلك ثم قام الرجل وخرج معه السيد يشايعه فوجدت في المرة شاميات فأخذت واحداً منها ووضعته في جيبي ورددت الصرة إلى موضعها ثم أخبرت السيد محمد بأن الرجل حين كان يتكلم معك وضع صرة تحت الحصير ، قال : فجاء فحسب ما فيها فإذا هي أربعمائة شامي إلاّ واحداً ، فقال : أخي عندك واحد منها ؟ فقلت : نعم ، فقال : أما قلت لك أن الله سيخلف ما دفعته في قضاء حاجة المؤمن ؟!

وقال أدام الله بقائه : ودخل دارنا مغربي[1] في أيام مشارفتنا للتزوج ببنات الشيخ صاحب الجواهر (ره) ، فسماني بإسمي وإسم أبي وما مرّ عليه صغيراً وكبيراً وامرأة اتفق دخولها إلى دارنا إلاّ وأخبرنا بأسمائهم وأسماء آبائهم كما هي ، وقال لي : عندك كتاب الجفر وتكون عالماً به وأنت تكون عالم الدّهر وأنت كثيراً ما تكتب ويأتيك في أثناء الكتابة الفكر في رزقك والحيرة فأعرض عن ذلك ، فإن رزقك يأتيك وفي الصندوق طاقة للعرس ، حسن مات ، حسين مات ، شريف مات . وهؤلاء أطفال صغار كنا نسيناهم فظننا أنه يهجر ثم بعد ذلك ذكرناهم فعلمنا صدقه فيهم أيضاً ، وأشار لي بما يصيبني من النكبات بسبب التزويج بكيفية أظهرها لي في وجهه ، وسأله أخي السيد علي عن إسم من تكون له زوجة وعن يوم تزويجنا فسماها فاطمة ، وكانت كذلك وقال : تتزوجون غداً ببنات الشيخ محمد حسن وهو رجل غريب لا يعرف الشيخ ولا غيره ، وكان العقد بمعنى أخذ الوكالة في الغد كما قال وقال له أخي : نحن من السادة الحسنية أم الحسينية ؟ فقال : بل من السادة الرضوية وأنتم أنجب السادات ، وقال للسيد على أخي : كنت مريضاً بمرض نوازل كدت تموت فيه لولا حفظ الله وكان كذلك ، ووضع السكينة العريضة التي معه على عنق أخي حتى غاصت السكين كلها في عنقي (عنقه ظ) من قفاه ثم أخرجها ، وذلك بعنوان تعويذه وأراد أن يفعل مثل ذلك بي فأبيت ، وكان عند أخي قباء عتيق

---

(١) المراد به من عنده بعض العلوم الغريبة ـ اصطلاح جديد للعرب ـ (كذا في الهامش).

فدفعه إليه ، وعندي محزم عتيق فدفعته إليه فـاحتزم بـه وخرج ، فـوجد امـرأة تمشي وهو خلفها فقال لها : يا بنت عاصي ، الرزق من الله لا من سيد محمد القزويني ، وكان بلغها تطليقـه إياهـا وهي محزونـة تفكر في ذلـك ، فوجـدته يكلمها بما في نفسها ثم أخبرها بانه محتزم بمحزمي فأتتنا وأخبر تنا بما جـرى بينه وبينها ، وكان الصالح الحاج ميرزا خليل الطبيب قد سرق منه في تلك الأيام مبلغ من المال جمعه من الطبابة فأحضروه فقال لهم : تعود إليكم سرقتكم بعد أربعين يوماً ، فعادت بما لا يبعد مطابقته لذلك .

ذكر طرف في بعض النائمين

روى النجاشي بإسناده عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبي رافع قال : دخلت على رسول الله (ص) وهو نائم أو يوحى إليه ، وإذا حية في جانب البيت فكرهت أن أقتلها فأوقظه فاضطجعت بينـه وبين الحية حتى أن كـان منه سوء يكون إلى دونه ، فاستيقظ وهو يتلو : ﴿ **إنما وليكم الله ورسـوله والـذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون** ﴾ ، ثم قال : الحمد لله الذي أكمل لعلي منيته وهنيئاً لعلي بتفضيل الله إياه ، ثم التفت فـرآني إلى جانبه فقال : ما أضجعك هنا يا أبا رافع ؟ فأخبرته خبر الحية ، فقال : قم إليها فاقتلها فقتلتها ، ثم أخذ رسول الله (ص) بيدي ثم قال : يا أبا رافع كيف أنت وقـوم يقاتلون علياً ؟ هو على الحق وهم على البـاطـل ؟ يكـون حقـاً في الله جهـادهم فمن لم يستطع جهـادهم فبقلبه ، فمن لم يستـطع فليس وراء ذلـك شيء ، فقلت : ادع لي أن أدركتهم أن يعينني الله ويقـويني على قتـالهـم ، فقال : اللهم أن أدركهم فقوّه واعنه ؟ ثم خرج إلى الناس فقال : يا أيها الناس من أراد أن ينظر إلى أميني على نفسي وأهلي فهذا أبو رافع أميني على نفسي ، قال عون بن عبيد الله بن أبي رافع : فلما بويع عليّ وخالفه معاوية بالشام وسار طلحة والزبير إلى البصرة ، قال أبو رافع : هذا قـول رسول الله (ص) سيقـاتل علياً قوم يكـون حقاً في الله جهـادهم ، فباع أرضـه بخيبر وداره ثم خـرج مع علي (ع) وهو شيخ كبير له خمس وثمانون سنة وقال : الحمد لله لقد أصبحت لا أحد بمنزلتي لقد بايعت البيعتين بيعة العقبة وبيعة الرضوان ، وصليت القبلتين

وهاجرت الهجر الثلاث ، قلت : وما الهجر الثالث ؟ قال : هاجرت مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة ، وهاجرت مع رسول الله (ص) إلى المدينة ، وهذه الهجرة إلى علي بن أبي طالب (ع) إلى الكوفة فلم يزل مع علي (ع) حتى استشهد ، فرجع أبو رافع إلى المدينة مع الحسن (ع) ولا دار له بها ولا أرض ، فقسم له الحسن (ع) دار علي (ع) بنصفين وأعطاه سنخ أرض أقطعه إياها فباعها عبيد الله بن أبي رافع من معاوية بمائة ألف وسبعين ألفاً .

وفي كتاب أمان الأخطار للسيد رضي الدين بن طاوس عن بعض التواريخ في بعض أسفار النبي (ص) أنه كان قد قصد قوماً من أهل الكتاب قبل دخولهم في الذمة فظفر منهم بامرأة قريبة العرس بزوجها وعاد من سفره ، فبات في طريقه وأشار إلى عمار بن ياسر وعباد بن بشر أن يحرساه فاقتسما الليل ، فكان لعباد بن بشر النصف الأول ولعمار بن ياسر النصف الثاني ، فنام عمار بن ياسر وقام عباد بن بشر يصلي وقد تبعهم اليهودي بطلب امرأته ويغتنم إهمالاً من التحفظ فيفتك بالنبي (ص)[1] فنظر اليهودي إلى عباد بن بشر يصلي في موضع العبور فلم يعلم في ظلام الليل هل هو شجرة أو أكمة أو دابة أو إنسان فرماه بسهم فأثبته فيه فلم يقطع عباد بن بشر الصلوة فرماه بآخر فأثبته فيه فلم يقطع الصلوة فرماه بآخر فخفف الصلوة وأيقظ عمار بن ياسر فرأى السهم في جسده فعاتبه فقال : هلا أيقظتني في أول سهم ؟ فقال : كنت قد بدئت بسورة الكهف فكرهت أن أقطعها ولولا خوفي أن يأتي العدو على نفسي ويصل إلى رسول الله (ص) وأكون قد ضيّعت ثغراً من ثغور المسلمين ما خففت من صلوتي ولو أتى على نفسي فدفعا العدو عما أراده .

وحدثني السيد الأجل الأكمل وجنة المعالي الدائمة الآكل قدوة العلماء الراسخين في العلم والعمل البحر المتلاطم الزاخر مولانا جناب السيد محمد باقر السلطان آبادي متع الله المسلمين بطول بقائه قال : كان في بيتنا هرة تعودت صيد فراخ الحمام الذي كان ساكناً فيها وأكله ، فلما جاوزت حدّ الاعتداء

---

(١) فتك به : بطش به أو قتله على غفلة .

وبالغت في الظلم والإيذاء رأيت قتلها حسناً فترقبتها يوماً كانت في صحن الدار ، فأخذت تفنكة[1] وقابلتها بها وقصدت إخراجها ، فلما تفطنت بذلك هربت وغابت مدة طويلة واسترحنا من شرّها ، فبينما أنا نائم في يوم في الحجرة التي كان فيها كتبي ، إذا بصوت هذه الهرة وصياحها بنحو يتبين منه استغاثتها والتجاها فانتبهت مذعوراً وإذا بها قد دخلت تلك الحجرة وصعدت الرازونة التي كان فوق الكتب التي فيها القرآن الكريم ، ووضعت يديها فوقه كالمتوسل به وهي تنظر إليّ وتصيح ، فلما تأملت في حالها ودخولها ووضع يديها فوق القرآن واستغاثتها عرفت أنها استشفعت بالقرآن فقلت : قد عرفت مقصدك وقبلت استقالتك وشفاعة شفيعك بشرط أن تتوب من صيد فراخ الحمام ، فنزلت وتردّدت في الدار كما كانت في السابق ولم تقرب إلى فراخ الحمام أبداً .

دعاء الطائر الرومي

روى ابن بشكوال[2] بسنده إلى أحمد بن محمد العطار عن أبيه قال : كان لنا جار فأسر وأقام في الأسر عشرين سنة ، وآيس أن يرى أهله قال : فبينما أنا ذات ليلة أفكر فيمن خلفت من صبياني وأبكي إذ أنا بطائر سقط فوق حائط السجن يدعو بهذا الدعاء ، قال : فتعلمته من الطائر ثم دعوت الله به ثلاث ليال متتابعات ثم نمت ، فما استيقظت إلا وأنا في بلدي فوق سطح داري ، قال : فنزلت إلى عيالي فسرّوا بي بعد أن فزعوا مني لما رأوني ورأوا ما بي من تغير الحال والهيئة ، ثم إني حججت من عامي فبينما أنا أطوف وأدعو بهذا الدعاء إذ أنا بشيخ قد ضرب يده على يدي ، وقال لي : من أين لك هذا الدعاء فإن هذا لا يدعو به إلا طائر ببلاد الروم متعلق بالهواء ؟ فحدثته بقصتي وبما جرى عليّ وإني كنت أسيراً ببلاد الروم وتعلمت الدعاء من الطائر ، فقال : صدقت فسألت

---

(١) معرب «تفنگ» (كذا في الهامش).

(٢) هو أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود ابن بشكوال الخزرجي الأنصاري القرطبي كان من علماء اندلس توفي فيه سنة ٥٧٨ . له كتب منها كتاب المستغيثين بالله ولعل المؤلف (رحمه الله) نقل هذا الحديث من ذلك الكتاب وحكى عنه المحدث القمي (رحمه الله) في الكنى والألقاب بعض القصص العجيبة فراجع إن شئت.

الشيخ عن اسمه فقال : أنا الخضر وهو هذا الدعاء .

ونقل السيد الأجل رضي الدين بن طاوس في كتاب المجتنى عن كحيل بن مسعود الزاهد الطوسي أنه سمع رجلاً كان أسر ببلاد الروم ثلاثين سنة في أضيق حبس فنذر إن خلصه الله أن يحج من سنته راجلاً من منزله ، فرأى ذات ليلة طيراً أبيضاً قد وقع على شرف ذلك الحبس يدعو بهذا الدعاء بلسان فصيح ، فحفظ منه ودعا به ثلاث (مرات ظ) متواليات ، فبعث الله ملكاً فاحتمله من حبسه وردّه إلى منزله فحجّ من منزله ووفى بنذره ودعا بهذا الدعاء في طوافه ، فسمعه رجل فتعلق به ، فقال له : من أين لك هذا الدعاء ؟ فإن أبي حدّثني عن جدي عن النبي (ص) أن هذا دعاء طائر أبيض رومي بقسطنطنية ببلاد الروم ، وأنه دعاء الفرج ، فقال : إني سمعت من ذلك الطير وقصّ عليه القصة ونحن نسوق الدعاء بلفظ السيد (ره) :

هذا الدعاء : اللهم إني أسألك يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث ولا تغطي عليه الدهور وأنت تعلم مثاقيل الجبال ومكائيل البحار ومما أظلم عليه الليل وأشق عليه النهار ولا يواري عنك سماء سماءاً ولا أرض أرضاً ولا جبال ما في عقورها ولا بحار ما في قمورها أنت الذي سجد لك سواد الليل ونور النهار وشعاع الشمس وضوء القمر وروي الماء وحفيف الشجر أنت الذي نجيت نوحاً من الغرق وغفرت لداود ذنبه وكشفت عن أيوب ضرّه ونفسه وعن يونس كربته في بطن الحوت ورددت موسى من البحر على أمه وصرفت عن يوسف السوء والفحشاء وأنت الذي فلقت البحر لبني إسرائيل حين ضربه موسى بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم حتى مشى عليه وشيعته وأنت الذي صرفت قلوب سحرة فرعون إلى الإيمان بنبوة موسى (ع) حتى قالوا : آمنا برب العالمين وأنت الذي جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم (ع) وأرادوا به كيداً فجعلتهم الأخسرين يا شفيق يا رفيق يا جاري اللصيق يا ركني الوثيق يا مولاي بالتحقيق صلّ على محمد وآل محمد وخلّصني من كرب المضيق ولا تجعلني أعالج ما لا أطيق أنت منقذ الغرقى ومنجي

الهلكى وجليس كل غريب وأنيس كل وحيد ومغيث كل مستغيث صل على محمد وآله وفرّج عني الساعة الساعة فلا صبر لي على حلمك يا لا إله إلا أنت ليس كمثلك شيء ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

غريبة

قال الفيروزآبادي في القاموس : أن عبود كتنور رجل نوام نام في محتطبه سبع سنين .

في حديث مفضل أن أول الناس دخولاً الجنة عبد أسود يقال له عبود ، وذلك أن الله (عزّ وجلّ) بعث نبياً إلى أهل قرية فلم يؤمن به أحد إلا ذلك الأسود ، وأن قومه احتفروا له بئراً فصيروه فيها وأطبقوا عليه صخرة ، فكان ذلك الأسود يخرج فيحتطب فيبيع الحطب ويشتري به طعاماً وشرباً ثم يأتي تلك الحفرة فيعينه الله تعالى على تلك الصخرة فيرفعها ويدلي إليه ذلك الطعام والشراب وأن الأسود احتطب يوماً ثم جلس ليستريح فضرب بنفسه شقه الأيسر فنام سبع سنين ، ثم هب من نومته وهو لا يرى إلا أنه نام ساعة من نهار ، فاحتمل حزمته فأتى القرية فباع حطبه ثم أتى الحفرة فلم يجد النبي (ص) فيها ، وقد كان بدا لقومه فيه فأخرجوه فكان يسأل عن الأسود فيقولون : لا ندري أين هو ؟ فضرب به المثل لمن نام طويلاً .

وفي ربيع الأبرار للزمخشري نام عبود وكان عبداً أسوداً حطاباً في محطبه أسبوعاً ، فضرب به المثل فقيل : نام نومة عبود ، وقيل : تمادت عبود على أهله ، فقال : أندبوني لأعلم كيف تندبوني إذا متّ فسجى وندب فإذا به قد مات ولينظر العاقل في هذه الحكاية ثم كلام هؤلاء الأخشاب واستبعادهم بقاء حيّ يأكل ويشرب في الدنيا ، عجّل الله ظهوره وعدم استبعادهم نوم أسود سبع سنين وبقائه بلا غذاء .

مسائل فقهية

الأولى : النوم الغالب على حاسة السمع والبصر بل الأولى خاصة

لاستلزام الغلبة عليها الغلبة على سائر الحواس ناقض للوضوء من غير فرق بين هيئات النائم من القيام والقعود والإجتماع والإنفراد ، لدلالة الأخبار المتواترة عليه ففي التهذيب عن حريز عن زرارة عن أحدهما (ع) قال : لا ينقض الوضوء إلا ما خرج من طرفيك أو النوم ، « وفيه » عن عبد الله بن المغيرة ومحمد بن عبد الله قالا : سألنا الرضا (ع) عن الرجل ينام على دابة فقال : إذا ذهب النوم بالعقل فليعد الوضوء ، « وفيه » عن عبد الحميد بن غواص عن أبي عبد الله (ع) قال : سمعته يقول : من نام وهو راكع أو ساجد أو ماش على أيّ الحالات فعليه الوضوء . « وعن ابن بكير » قال : قلت لأبي عبد الله (ع) قوله تعالى : ﴿ **إذا قمتم إلى الصلوة** ﴾ ما يعني بذلك إذا قمتم إلى الصلوة ؟ قال : إذا قمتم من النوم ، قلت : ينقض النوم الوضوء ؟ فقال : نعم ، إذا كان يغلب على السمع ولا يسمع الصوت ، « وفيه » عن زيد الشحام عن الصادق (ع) أن علياً (ع) كان يقول : من وجد طعم النوم فإنما وجب عليه الوضوء ، وزاد في الكافي طعم النوم قائماً أو قاعداً ، إلى غير ذلك مما لا حاجة إلى ذكره .

وما نسب إلى الصدوق من اختصاص النوم الناقض بما عدا من نام قاعداً بدون الإنفراج لروايته بعض الأخبار الظاهر فيه « ضعيف » والخبر محمول على التقية أو إذا لم يغلب على السمع .

وفي التهذيب عن إسحاق بن عبد الله الأشعري عن أبي عبد الله (ع) قال : لا ينقض الوضوء إلا حدث والنوم حدث .

قال صاحب المعالم (ره) في المنتقى : الغرض من هذا الحديث نفي النقض عما لا يصدق عليه إسم الحدث ، ولما لم يكن الإسم واضح الصدق على النوم في اللغة والعرف مع أنه من جملة النواقض صرّح بإطلاقه عليه إما مجازاً أو في العرف الخاص ، والحقيقة الشرعية بعض أنواعه إن قلنا بثبوتها ، والمقتضي لهذا التصريح إما دفع توهم عدم النقض به من ظاهر الحصر وعدم ظهور دخوله فيه ، وإما جواب عن سؤال يرد على الحصر ، وهو أن النقض بالنوم معلوم من مذهبهم (ع) وهو خارج عن الحصر بحسب الظاهر ، فكيف

الوجه فيه ؟ وأنت خبير بأن الحديث على كلا التقديرين يفيد كون النوم نـاقضاً لكنها إفادة تبعية بمعونة المقام والفائدة المطلوبة به أولاً وبالذات نفي ناقضية ما ليس بحدث من نحو اللمس والقي والقهقهة كما يقوله جمع من العامة .

إذا عرفت هذا فاعلم أن بعض الأصحاب حاول أن يحتج بهذا الحديث على كون النوم ناقضاً ولم يتفطن للتقريب الـذي ذكرنـاه ، فارتكب في تـوجيه الاحتجاج به شططاً وتكلف في ذلك ما هو عن التحقيق بمعزل مع ظنه أنه منه وكثرة تبحجه به ، وأرى أنه هو الباعث على ذكره في الإحتجاج ، وإلا فالأخبار الواردة بهذا الحكم كثيرة واضحة الطريق والدلالة كما رأيت ، فلا وجه للعدول عنها إلى هذا الخبر مع احتياجه على ما فهمه منه إلى مزيد التكلف ، وحاصل كلامه أن لكل واحد من الأحداث جهتي اشتراك وإمتياز ، فجهة الإشتراك هي مطلق الحدث ، وجهة الإمتياز هي خصوصية كل واحد منهـا وهما متغـايرتـان قـطعاً ، ومن المعلوم أن تلك الخصـوصيات ليست أحـداثاً وإلا لكـان مـا بـه الإشتـراك داخلاً فيمـا بـه الامتيـاز فيلزم التسلسـل ، وإذا انتفت الحـدثيـة عن المميـزات لم يكن لها مـدخل في النقض ، بـل يكون مستنـداً إلى المشتـرك الموجود في النوم بمقتضى قوله (ع) : والنوم حدث ، ووجود العلة يستلزم وجود المعلول وهذا الكلام لا يخفى حاله على من تدبره ومن رام توضيحه فليعلم أن الأحكام الشرعية إنما تجري على الكليات باعتبار وجودها الخـارجي ولا ريب في صدق الكلي حقيقة على أفرادها الموجودة المتمايزة بالخصوصيـات فيكون الخصـوصيات بعض المـواد من لفظ الكلي ، فكيف لا يكون لهـا مدخـل في النقض ثم أن عدم صدق الكلي على الخصوصيات بانفرادها مسلم واللازم منه هنا أن لا تكون هي وحدها ناقضة والأمر كذلك ، فإنما هي جزء الناقض ، ومع هذا فالكلام مبني على كون الحـديث وارداً في حكم النوم ، وأن الغـرض منه بيان كونه ناقضاً ولفظه غير واف ببيان هذا الغرض من حيث أن قوله : لا ينقض الوضوء إلا حدث مشتمل على حكمين سلبي وإيجابي ، وانتظام كل منهما مع قـوله والنـوم حـدث لا ينتـج ، لعـدم اتحـاد الـوسط في مـادة ا السلب وعقم الموجبتين في الشكل الثـاني ، ونحن قد بيّنـا أن الغرض من الحـديث خلاف

ذلك والذوق السليم يشهد بما قلنا ولا إشكال معه (انتهى) .

والمراد من البعض هو العلامة (ره) وما نقله عنه هو ما ذكره في المختلف والمنتهى . **وتوضيح أصل إشكال العلامة فيهما** : أن قوله (ع) : لا ينقض الوضوء إلا حدث بملاحظة الحصر في قوة عقد سلبي هو لا ينقض الوضوء غير الحدث وإيجابي هو ينقضه حدث ولفظ الحدث نكرة في سياق الإثبات فتصير القضية مهملة ، ويكون حاصل المراد أن حدثاً ما ناقض للوضوء وإذا انضمّ أحدهما مع قوله (ع) : والنوم حدث بجعله صغرى أو كبرى يحصل أشكال أربعة ، « الأول » : لا ينقض الوضوء غير الحدث والنوم حدث وهذا عقيم لعدم تكرر الأوسط ، « الثاني » : عكسه وهو الأول ، « الثالث » : أن يجعل العقد الإيجابي صغرى فإن جعل الناقض حدث ما يرجع إلى الشكل الثاني ولا ينتج لعدم اختلاف المقدمتين . وإن جعل حدث ما ناقض يرجع إلى الشكل الرابع ولا ينتج أيضاً لعدم كلية الصغرى مع عدم الإختلاف بالإيجاب والسلب ، « الرابع » : عكسه في الصورتين وفي الأولى مثله وفي الثانية يرجع إلى اشكل الأول ولا ينتج لعدم كلية الكبرى وملخص جوابه : أن الحدث المذكور في الجزء الأول وإن كان نكرة في سياق الإثبات ، إلا أنه بملاحظة المقدمة المذكورة وأن إسناد النقض إلى الفرد باعتبار وجود الطبيعة تحصل كبرى هي : كل حدث ناقض وإذا جعل الجزء الأخير صغرى يحصل ضرب من الشكل الأول الجامع لشرائط الانتاج .

ويرد عليه « أولاً » : ما أشار إليه في المنتقى من أن الخبر مسوق لبيان نفي ناقضية غير الحدث كالنخامة وتقليم الظفر ومس الفرج والدبر وغيرها مما يقول به العامة والمقتضى لذكر النوم هو دفع أحد التوهمين إلا أنه يدل على كونه ناقضاً تبعاً ، وعلى ما ذكره (ره) يصير الكلام مسوقاً لبيان ناقضية النوم ولا يخفى بعده ، « وثانياً » : أن الظاهر من ذكر حدثية النوم بعد الحكم بناقضية الحدث أن المقصود إثبات حكم الناقضية للنوم وإلا كان المقصود بيان إطلاق لفظ الحدث عليه شرعاً أو عرفاً من غير بيان ترتب حكم شرعي عليه في هذا

الكلام ، وهذا لا يليق بشأن الإمام (ع) ، وعلى هـذا يمكن تصحيح الشكـل بدعوى كون المراد من الحدث في العقد الإيجابي جميع أفراده بقرينة السياق ، وإلا لزم انحصار الناقض في النوم ولا نحتـاج إليه بعـد الظهـور المذكـور ، إذ يكفي في ناقضيته كون فرد ما من الحدث ناقضاً ، « وثالثاً » : مـا ذكره الـوالد العلامة (ره) من أنه لو صح ما ذكره لزم أن لا يصـدق شيء من الأجناس على الفصول[1] مع أنها تصدق عليها صدقاً عرضياً إذ هي أعراض عامة للفصول كما أنهـا أعراض خـاصة لـلأجنـاس ، فـلا يلزم من صـدق القـدر المشتـرك على الخصوصيات وكونها أفراداً له دخول ما به الإشتراك فيما به الإمتياز لكونه صدقاً عرضياً ، وإنما يلزم ما ذكره لو كان صدقه عليها ذاتياً وهو ممنوع فقوله : أن تلك الخصوصيات ليست بإحداث غيـر لازم مما ذكـره من الوجـه بناءاً على كـون الحدث المشترك ذاتياً لإفراده جنساً لها ، والخصوصيات فصولاً لها وكذا لو كان طبيعة الحدث ذاتية لها نوعاً بالنسبة إليها أو عرضيـة لها ، فـالحدث المشتـرك خارج عن المميزات على التقادير ، فلا يلزم من صدقه عليها دخوله فيها لكونه صدقاً عرضياً فلا يتم الإستدلال ، « ورابعاً » ما ذكره أيضاً ما ملخصه أن عـدم صدق الحدث على الخصوصيات لا يستلزم استناد النقض إلى طبيعته المشتركة لصدق الحدث على الفـرد المركب منهمـا ، فالعقـد السلبي لا ينفي ناقضيتـه لجـواز كون فـرد مخصوص من الحـدث ناقضـاً ، بأن يكـون لكـل من القـدر المشتـرك والخصوصيـة مدخلية فيه ، وعلى هـذا لا يدور النقض مـدار وجود الـطبيعة ، حتى يحكم بنـاقضية النـوم بنصّ الروايـة ، لانتفاء جـزء العلة وهي الخصوصية (انتهى) .

قلت : هذا يتم لو كان الحدث عنواناً عبّر به عن تلك الأفراد المتباينة ، وإلا بأن كان جنساً أو نوعـاً لها ، وقـد علق عليه الحكم فـالمدار على وجـوده

---

(١) حيث قال بأن النوم بما هو ليس حدثاً بما لـه من الخصوصيـة الممتازة لتغـايره الجهـة المشتركة ومن المعلوم أن تلك الخصوصية ليست حدثاً وإلا كان ما به الاشتراك داخلاً فيما به الإمتياز فيلزم التسلسل.

وصـدقه على الفـرد لكونـه بعينه وجـود تلك الماهيـة في الخارج لا لمـدخليته للخصوصية كما في سائر المواضع هذا .

وقد رام المحقق الأصفهاني في شرح الروضة أن يرفع الملامة عن كلام العلامة (ره) فقال بعد نقل كلام المنتقى : أما ما ذكـره أولاً فلأنـه اعترف بـأن إفادته لذلك على التقريب الذي ذكـره إنما هي إفـادة تبعية بمعـونة القـرائن ، ومقصود العلامة أن يدل على إفادته ذلك بلا معونة بأن يحمله على صورة قياس ينتج المطلوب ، لا أنه لم يتفطن لما ذكره من التقريب ، على أنّه إذا قطع النظر عن التوجيه الذي ذكره العلامة فكما يحتمل أن يكون قوله (ع) : والنوم حدث دفعاً لأحد الوهمين اللذين ذكرهما ، يحتمل أن يكون دفعاً لتوهم أن يتوهم أن كون النوم غير ناقض للوضوء لكونه غير داخل في الحديث فدفع بأنه ليس لذلك بل هو حدث لكنه لا ينقض الوضوء ويؤكد ما ذكرنا أنـه لو كـان ضمّ إلى ذلك لفضاً قولنـا لكنه لا ينقض الـوضوء لصـحّ من غير تكلف ولا ارتكـاب لخلاف ظاهر ، « ولا يتوهمن» أنه لا معنى للحدث إلا ما ينقض طهارة ، فإذا كان النوم حدثاً كان ناقضاً البتة ، أما أولاً : فلأن هذا إنما هـو المعنى الذي نفهمـه من الحدث ، ومن الجائز أن يكون له معنى لا يتعلق بالنقض وإن لم نعلمه بل هذا هو الظاهر ، وإلا لم يكن في الظاهر لقوله : لا ينقض الوضوء إلا حدث معنى محصل كما لا يخفى ، ولو سلم فلا يلزم من ذلك أن يكون ناقضاً للوضوء لعدم انحصار الطهارة فيه ، ولا يجوز لك أن تقول أنّه إذا كان ناقضاً لطهارة فهو ناقض للوضوء البتة لعدم القائل بكونه ناقضاً لغيره لا له ، فإنه غير مجد هيهنا ، فـإن المقصـود أن يكون هـذا الحديث دالاً على ذلـك وما ذكـرته شيء خـارج عنه وبالجملة فإنّما يعلم حقيقة هذا الكلام إذا علم حال المخاطب به وما توهّمه ، وكما يحتمل أن يكون توهم أحد ما ذكرته فيحتمل ما ذكرنا على السواء ، **وأيضاً من الجائز** : أن يكون تمام الخبر جواباً بالسؤالين وأن المخـاطب به سئـل هل ينقض الوضوء غير الحدث ، وهل النوم بحدث فأجاب عن كل بما يناسبـه من غير اتصال لأحدهما بالآخر ، **ومن الجائز** : أن يكون رداً على من زعم أن النوم ناقض للوضوء لأنه مظنة للحدث بـأن النوم نفسـه حدث ومـع ذلك لا يلزم أن

يكون ناقضاً فضلاً عما إذا كان مظنّة كما ظنّه ، **ويجوز أيضاً** : أن يكون التنكير في كل من لفظي الحدث للإفراد أو التعيين ، ويكون المراد بكل منهما غير المراد بالآخر حتى يكون المعنى لا ينقض إلا حدث والنوم حدث آخر نحو قولك هذا ضرب وذاك ضرب ، وهذا رجل وذاك رجل وأمثال ذلك ، وحينئذ فيكون نصاً على عدم نقضه له ، **ويجوز أيضاً** : أن يكون الواو للحكاية لا للمحكي فيكون بمعنى أنه قال : لا ينقض الوضوء إلا حدث ، وقال النوم حدث ، فلا يكون لأحدهما اتصال بالآخر بل يحتمل أن يكون بين القولين متطاول من الأول ، « فإن قلت » إذا احتمل الكلام ما ذكرت من الوجوه فما يجدي الإستدلال به على وجه واحد هو جعله على صورة القياس ، « قلت » : لا توقف لما ذكره العلامة على أن يكون لفظ الخبر على صورة القياس ، فإنه يكفيه أنه يثبت به أن منشأ النقض وعلته كون الشيء حدثاً ويثبت به أيضاً أن النوم حدث ، فلنا أن نضمّ بينهما حتى يفيدنا المطلوب سواء كان مراداً في الخبر أم لا ، إلا أن الأولى (ح) أن يحمل عليه الخبر ليكون أفيد وأدق فلذا حمله عليه ، **وما ذكره ثانياً** : من أن الأحكام الشرعية إنما تتعلق بالكليات باعتبار وجودها الخارجي فهو مسلم ، ولا يضرّ بالمعنى الذي قصده العلامة هنا فإنه إنما أراد أن النقض تعلق بماهية الحدث ، بمعنى أن كل ناقض له فإنما ينقضه من جهة كونه حدثاً لا من جهة كونه بولاً خاصة مثلاً ، ولم يرد أن الناقض إنما هو ماهية الحدث ، ولا شك أن ذلك المعنى الذي قصده لا فساد فيه ، بل أكثر الأحكام كذلك ، مثلاً تعلق الوجوب بالصلوة يقتضي إيجاد فرد من أفراد تلك الصلوة بأية هيئة مشروعة أريدت ، وفي أي مكان مباح أرد ، وفي أي لباس مباح أريد من غير أن يكون تعلق الوجوب بشيء من الخصوصيات التي لا بد منها في الافراد ، وبالجملة فلا أعرف تكليفاً شرعياً تعلق بأمر شخصي لا شركة فيه أصلاً ، بل كل ما نعرفه من التكاليف إنما تتعلق بالكليات وامتناع وجود الكلي إلا في ضمن الخصوصيات لا يقتضي أن يكون لشيء منها أو للقدر المشترك بيها مدخل في حكم الشرعي المتعلق بالكلي إلا أن يريد بالمدخلية مجرد امتناع تحقق الكل المتعلق به الحكم بدون فرد من أفرادها ، وهذا القدر

من المـدخلية لا يضـرّنا ولا يجـديه ، وبهـذا يظهـر فساد مـا ذكـره ثـالثـاً فـإن الخصوصيات كما ليست أنفسها نواقض كذلك ليست أجزاء للنواقض ، وأمـا ما ذكره رابعاً : ففيه أولاً : أنّا قد بيّنا عدم ابتناء كلام العلامة على ذلك ، وثانياً : أن من العجيب أنه أورده العلامة وأجاب عنه ، فلعله أراد أن ما أجاب به عنه لا يكون جواباً فإنه لـم يصرّح بتصحيح صورة القياس إلا أنه أشار إلى ذلك إشارة مفهمة لمن كان له دربة في علم القياس عارفاً بالتحليل (انتهى) .

وأنت خبير بأنه (ره) وإن أتعب نفسه في استخراج تلك الوجوه غير أنه لم يذكر ما يساعده ظاهر الخبر ويقبله الـطبع السليم ، أمـا ما ذكـره من أن غرض العلامة إفادة ما ذكره بلا معونة القرينة بل بصورة القياس المنتج ، ففيه أنه يحتاج إلى أخـذ إحدى المقـدمين من القضية الأولى الـظاهـرة في نفي نـاقضيـة غيـر الحدث ، فتصير تبعية والنتيجة تابعة لأخسهما ، وأما الإحتمال الأول الذي ذكره ففيه أولاً : أن النوم في الجملة ناقض باتفاق المسلمين ، فلا يتوهم عدم نقضه فضلاً عن مسلميته ، ثم توهم كون ذلك لعدم حدثيته حتى يحتاج إلى الدفع ، « وثانياً » أن فتح ما ذكره في التأكيد سدّ التمسك بجميع الظواهر أو بأغلبها ، إذ قلّ ظاهر لا يحتمل فيه معنى إذا قدر معه كلمة أو كلمات لا يصير نصاً أو ظاهراً فيه ، وأما ما ذكره من احتمال أن يكون للحدث معنى آخر ففيه أن الحدث عند الشرع والمتشرعة وفي استعمالات الأخبار والسنة مقابل للطهـارة ، فبأيّ معنى أخذت كان مقابلها ، فإن الطهارة قد تطلق على الأفعال المخصوصة من الوضوء والغسـل ، سواء كـانت مصدراً أو إسم مصـدر بـاعتبـاريهمـا ، وعلى الحـالـة الحاصلة عقيب ذلك سواء كانت وجودية أو هي مجرد رفع البـاطن عن الأقذار الحدثية ، وكذلك الحدث في هذه المراتب نعم قد يطلق مسامحـة على نفس الأعيان الخارجية من البول وأخواته ولم يذكر أحد للحدث معنى يمكن صـدقه على النـوم مما يتعلق بـالأمور الـدينية التي تتعلق الغـرض ببيانـه وما ذكـره من احتمال كونه ناقضاً لغير الوضوء لأنه بعد تسليم كـون معنى الحدث مـا ينقض الطهارة غريب في الغاية ، فإن الخبر صريح في كونه (ع) في مقام ذكر ما ينقض الوضوء وما لا ينقضه فالتفكيك بين الفقرتين مع عدم شاهد عليه مستهجن جداً

مثل ما ذكره في الإحتمال الثاني ، إذ لا سائل ولا سؤال هنا فكيف يفكك بين الكلامين المتصلين بمجرد الاحتمال ، مع أن السؤال الثاني لا بدّ وأن يكون عن ناقضيته لما مرّ فيتم المطلوب . وأما الإحتمال الثالث فهو صحيح لكن قوله ومع ذلك لا يلزم (الخ) تقدير كلام يخرج معه الكلام عن ظهوره ، وقد قرّر في محله حجية الظواهر ما لم يعلم أو يظن بالظن المعتبر بنصب قرينة تخرجها عن الظهور فكيف إذا علم أو ظن بعدمه وقد عرفت : أن في الإعتناء بمثل هذا الاحتمال لا يبقى للتمسك بالظواهر مجال ، ومع عدم التقدير لا يضرّ بما ذكره صاحب المنتقى كما لا يخفى ، وأما الإحتمال الرابع ففيه أن إرادة فرد ما من الحدث الأول مع عدم معلومية للمخاطب وكونه (ع) في مقام بين ما ينقض الوضوء وما لا ينقضه قبيح ، كإرادة فرد ما من الماء في قوله تعالى : ﴿ **وأنزلنا من السماء ماءاً ظهوراً** ﴾ ، فلا بدّ وأن يراد منه الجنس وماهية الحدث ومعه فالمتعين هو أحد الاحتمالين في كلام صاحب المنتقى ، وأما الإحتمال الخامس ففيه من البعد ما لا يخفى ، وأما ما ذكره فيما ذكره ثانياً فهو مسلم في الأمثلة التي ذكرها غير أن كون الحدث بالنسبة إلى تلك الأفراد المتباينة التي لا يجمعها في العرف شيء وإنما يجمعها القدر المشترك الذي كشف عنه الشارع المحتمل كونه سبباً مع انضمام خصوصية في كل فرد مثل الصلوة التي لا شبهة في إلقاء خصوصيتها المكانية والزمانية وغيرها في صدقها على إفرادها شرعاً وعرفاً محل تأمل كما تقدم ، ولا يوجب هذا الإحتمال كون التكليف متعلقاً بأمر شخصي ، إذ كل واحد من أفراد الحدث بالنسبة إلى أفراده كالصلوة بالنسبة إلى أفرادها وبذلك يعرف النظر في تتمة كلامه فلاحظ وتأمل .

تنبيه

صريح الأخبار الماضية المؤيدة بالشهرة العظيمة والإجماع المنقول كون النوم بنفسه حدثاً ، وأن ناقضيته لذلك لا لكونه مظنة للحدث ، وما في العلل والعيون عن الفضل عن الرضا (ع) في علة ناقضية النوم وأما النوم فإن النائم إذا غلب عليه النوم تفتح كل شيء منه واسترخى ، فكان أغلب الأشياء عليه فيما يخرج منه الريح فوجب عليه الوضوء لهذه العلة مطروح ، أو المراد منها ومن

سائر العلل المذكورة في هذا الخبر كما يظهر بالتأمل الدواعي كالمشقة بالنسبة إلى السفر ، والإعلام بالنسبة إلى الجهرية ، وقد يؤتى بها لأجل تقرير الحكم في ذهن المكلف ، أو لأمور أخر وليست من الأسباب والعلل التي بوجودها يوجد المعلول وينعدم بانعدامها ، وإلا لرفع القصر عند عدم المشقة وأوجب عند وجودها في غير السفر مع بطلانهما بالإجماع مع أنه لا يكاد يوجد ثمرة فقهية ، إذ لا يكاد يوجد في العادة نوم مفروض لا يكون معه احتمال خروج الحدث معه فيعلم بانتفاء العلة الدائرة معه الحكم والذي يلوح من إشارات أخبار الباب وإلحاق الأصحاب كافة كلما أزال العقل أو غطاه من جنون وسكر وإغماء به من غير ذكر مستند للإلحاق كون العلة ذهاب العقل ، فيكون أشدّ في الحدثية من إخواته ، ولعله لذا انتفى في الأنبياء وأوصيائهم (ع) كما تقدم ، من أن نومهم لم يكن ناقضاً لوضوئهم وأن هذا لم يكن لتخصيص في ناقضيته بل خروج موضوعي لعدم كون نومهم غالباً على عقلهم ، ومما يدل على كونه أقوى في الحدثية منها أنه لا خلاف بينهم في استحباب إعادة الإغسال المشروعة للفعل قبله ، إذا أحدث بالنوم ويدل عليه ما في الكافي عن النضر عن أبي الحسن (ع) قال : سألته عن الرجل يغتسل للإحرام ثم ينام قبل أن يحرم ؟ قال : عليه إعادة الغسل ، وعن ابن أبي حمزة عنه (ع) عن رجل اغتسل للإحرام ثم نام قبل أن يحرم ؟ قال؛ عليه إعادة الغسل ، وفيه عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي إبراهيم عن الرجل يغتسل لدخول مكة ثم ينام فيتوضأ قبل أن يدخل أيجزيه ذلك أو يعيد ؟ قال : لا يجزيه لأنه إنما دخل بوضوء ، وعن ابن أبي حمزة عن أبي الحسن (ع) قال : قال لي : إن اغتسلت بمكة ثم نمت قبل أن تطوف فأعد غسلك ، وعن العلامة الطباطبائي : أن الأصحاب لم يفرّقوا بين غسل الإحرام وغيره ، وأمّا غير النوم من الأحداث فالمشهور كما في الحدائق الإكتفاء بالغسل الأول وهو صريح في استحباب الإعادة وعدم النقض وتمام الكلام في محله .

الثانية : يستحب لمن أراد الوضوء من حدث النوم أن يغسل يديه قبل إدخالهما الإناء الذي يغترف منه مرة لما رواه في الفقيه عن الصادق (ع) أنه

قال : أغسل يـدك من النوم مـرة وفي التهذيب عن أبي جعفـر (ع) قال (ع) : يغسل الرجل يده من النوم مرة ، وعن عبد الكريم بن عتبة أنه قال للصادق (ع) في خبر : فإنه استيقظ من نومه ولم يبل ، أيـدخل يـده في وضوئـه[1] قبل أن يغسلهما قال : لا ، لأنه لا يدري حيث باتت يده فليغسلها ، وقد حمل بعضهم الخبر على التقية لأن العامة رووا مضمـونه عن النبي (ص) مـع فتوى أكثـرهم بالوجوب ، وربما استظهر من الخبر تعدد الغسل ، فإن ظاهره كون الغسل لأجل النجاسة الوهمية الحاصلة من ملاقاة نجاسـة البول وغيـره ، وفيه أنـه حكـمة لا تصلح لـلانعكاس ولـذا لم يعتبر في الغسـل شرائط التـطهير ، فكمـا جـوزت النجاسة الوهمية التخفيف في الكيفية جاز أن تخفف في الكمية .

الثالثة : يكره للجنّب النوم إلا بعد الوضوء ، أو الغسل ، أو التيمم ، ففي الفقيه عن الحلبي قال : سئل أبو عبد الله (ع) عن الرجل أينبغي له أن ينام وهو جنّب ؟ فقال : يكره ذلك حتى يتوضّأ ، « وفي التهذيب » عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله (ع) عن الرجل يواقع أهله أينام على ذلـك ؟ قال : إن الله يتـوفى الأنفس في منامها ، ولا يدري ما يـطرقه من البليـة إذا فرغ فليغتسـل ، « وفي كتاب » جعفر بن محمد بن شريح عن عبد الله بن طلحة النهدي قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : ثلاثة لا يقبل الله لهم صلوة ، جبـار كفار ، وجنّب نـام على غير طهارة ، ومتضمخ بخلوق وتقدم بعض الأخبار في الفصل الثـاني في مطلق الجنّب وخصوص الصائم ومن أراد النوم في ليـالي شهر رمضـان وجملة وافرة من أحكام النوم .

الرابعة : النوم في الصلوة مبطل لها لانتقاض الطهارة المشروطة بها به ، وقد روى الكليني بالخصوص عن الصادق (ع) قال : ليس يرخص في النوم في شيء من الصلوة .

الخامسة : من نام صلوة العشاء أصبح صائمـاً وقد مـرّ دليله في الفصل المذكور .

---

(١) وفي نسخة الكافي (من إنائه) بدل (في وضوئه).

السادسة : يكره مدافعة النوم والصلوة مع النعاس لما تقدم في غايات النوم بطرق عديدة عنهم (ع) في قوله تعالى : ﴿ **لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون** ﴾ ، إن المراد من السكر سكر النوم ، « وفي الفقيه » ، عن أبي عبد الله (ع) قال : إذا غلب الرجل النوم وهو في صلوة فليضع رأسه فلينم ، فإنّي أتخوف عليه إن أراد أن يقول : اللهم أدخلني الجنة أن يقول : اللهم أدخلني النار ، وفي حديث الأربعمائة إذا خالط النوم القلب وجب الوضوء إذا غلبتك عينيك وأنت في صلوة فاقطع ونم ، فإنك لا تدري لعلك أن تدعو على نفسك .

السابعة : يستحب للنائم كلما انقلب في فراشه أن يقول ما رواه الشيخ بإسناده عن محمد بن علي بن محبوب عن الحسن بن علي بن عباس بن عامر عن جابر عن أبي بصير عن أبي جعفر (ع) قال : ﴿ **كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون** ﴾ ؟ قال : كان القوم ينامون ولكن كلما انقلب أحدهم قال : الحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ورواه السيد الأجل علي بن طاوس في فلاح السائل عن محمد بن الحسن عن الصفار وعن الحسن بن علي بن عبد الله بن المغيرة عن العباس (الخ) ، « وفيه » : حدّث علي بن محمد بن يوسف عن جعفر بن محمد بن مسرور عن القاسم بن محمد بن علي بن براهيم الهمداني عن أبيه عن أحمد بن عبد ربه بن خانبة الكرخي بكتابه وهو كتاب عرض على أبي الحسن العسكري (ع) فقال (ع) : صحيح فاعملوا قال ابن خانبة في هذا الكتاب : فإذا انتبهت من منامك وتقلبت على الفراش فقل لا إله إلا الله الحي القيوم وهو على كل شيء قدير سبحان الله رب العالمين وسبحان الله رب السموات السبع وما فيهن ورب الأرضين السبع وما فيهن ورب العرش العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العلمين .

الثامنة : من نام في وقت الفريضة حتى انقضى وجب عليه قضاؤها لما رواه الشيخ والكليني في الصحيح عن أبي جعفر (ع) أنه سئل عن رجل صلى بغير طهور أو نسي صلوات لم يصلها أو نام عنها ؟ فقال (ع) : يقضيها إذا ذكرها من ليل أو نهار ، « وفي توحيد الصدوق » عن الصادق (ع) في حديث قال : أن

الله أمر بالصلوة والصوم ، فقام رسول الله (ص) عن الصلوة فقال : أنا أنيمك وأنا أوقظك فاذهب فصل ليعلموا إذا أصابهم ذلك كيف يصنعون ، ليس كما يقولون إذا نام عنها هلك ، وكذلك الصيام أنا أمرضك وأنا أصححك فإذا شفيتك فاقضه ، وروى الشيخ عن الصادق (ع) قال : من نام قبل أن يصلي العتمة فلم يستيقظ حتى يمضي نصف الليل فليقض صلوته فليستغفر الله ، وعن أبي بصير عنه (ع) قال : سألته عن رجل نام عن الغداة حتى طلعت الشمس ؟ فقال : يصلي ركعتين ثم يصلي الغداة ، وروى الكليني عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله عنه (ع) رجل نسي صلوة حتى دخل وقت صلوة أخرى فقال : إذا نسي الصلوة أو نام عنها صلى حين يذكرها (الخبر) وروى الشيخ بإسناده عن أبي بصير عنه (ع) قال : إن نام رجل ولم يصلّ صلوة المغرب والعشاء أو نسي فإن استيقظ قبل الفجر قدر ما يصليهما كلتيهما فليصليهما ، وإن خشي أن تفوته إحديهما فليبدأ بالعشاء الآخرة ، وإن استيقظ بعد الفجر فليبدأ فليصل الفجر ثم المغرب ثم العشاء الآخرة (الخبر) وعن ابن مسكان عنه (ع) ما يقرب منه ، ونقل الخبرين السيد بن طاوس عن كتاب الصلوة للحسين بن سعيد كما في البحار ، والأخير عن كتاب عبد الله بن علي الحلبي ، ويدلّ عليه أيضاً العمومات الواردة في القضاء وإن من فاتته صلوة فذكرها في وقت أخرى يقضيها ولا فرق في أسباب الفوت من النوم وغيره ، فإن المدار على صدقه كما لا فرق بين أفراد النوم خلافاً للذكرى حيث ألحق النوم على غير العادة بالإغماء في عدم وجوب القضاء لعدم الدليل على وجوب القضاء عدى الأخبار المذكورة المختصة بحكم التبادر بالنوم العادي ، فيبقى غيره تحت الأصل ، وفيه بعد تسليم التبادر أن عمومات الباب المعتضدة بعمل الأصحاب لعدم تفصيلهم فيه كافية في حكم المذكور ، والنوم العادي بأقسامه أو في غالب الأوقات أيضاً مما غلب الله به على صاحبه ، وقد خرج عن هذه القاعدة الحاكمة بعدم القضاء ، فلا يوجب في الحكم في غير العادي كثرة تخصيص فيتمسك بها لنفيه لعدم كونها فردين منها ، بل هما حالتان تعرضان لفرد واحد منهما قد خرج مطلقاً عن تحتها .

التاسعة : لو نام عن صلوة الكسوفين فإن كان كلياً بأن احترق القرص كله يجب عليه القضاء ، سواء علم به قبل النوم أم لا ، وإلا فإن علم به ثم نام عمداً أو نسياناً فكذلك ، سواء احترق الكل أو البعض ، وإلا فلا يجب عليه القضاء ، ويدل على الأول مضافاً إلى عمومات قضاء الفريضة الفائتة الشاملة لصلوة الكسوفين المؤيدة بالشهرة العظيمة والاجماعات المنقولة في السنن جماعة ما رواه الصدوق بإسناده عن الفضيل ومحمد بن مسلم أنهما قالا : قلنا لأبي محمد (ع) : انقضى صلوة الكسوف ومن إذا أصبح فعلم وإذا أمسى فعلم ؟ قال : إن كان القرصان احترقا كلهما قضيت ، وإن كان احترق بعضهما فليس عليك قضاءه ، وروى الشيخ بإسناده عن حريز قال : قال أبو عبد الله (ع) : إذا انكسف القمر ولم تعلم به حتى أصبحت ثم بلغك ، فإن كان احترق كله فعليك القضاء ، وإن لم يكن احترق كله فلا قضاء عليك ، وروى الكليني والشيخ بإسنادهما عن حريز ومحمد بن مسلم عنه (ع) قال : إذا انكسفت الشمس كلها واحترقت ولم تعلم ثم علمت بعد ذلك فعليك القضاء ، وإن لم تحترق كلها فليس عليك قضاء ، وعلى الثاني مضافاً إلى العمومات المتضدة بما مرّ إطلاق ما رواه الشيخ بإسناده عن حريز عمن أخبره عن أبي عبد الله (ع) قال : إذا انكسف القمر فاستيقظ الرجل فكسل أن يصلي فليغتسل من غد ، وليقض للصلوة وإن لم يستيقظ ولم يعلم بانكساف القمر فليس عليه إلا القضاء بغير غسل ، كذا قيل وفيه تأمل إذ الظاهر بقرينة الذيل ووحدة الفرض إلا بالعلم وعدمه كون الإحتراق كلياً ، وما رواه بإسناده عن عمار عنه (ع) في حديث قال : إن لم تعلم حتى يذهب الكسوف ثم علمت بعد ذلك فليس عليك صلوة الكسوف ، وإن أعلمك أحد وأنت نائم فعلمت ثم غلبتك عينك فلم تصلّ فعليك قضاؤها ، ولوجوب حمل صدره على البعض يصير الذيل نصاً في المطلوب ، وقال الكليني في رواية أخرى : إذا علم بالكسوف ونسي أن يصلي فعليه القضاء وإن لم يعلم به فلا قضاء عليه ، هذا إذا لم يحترق كله واختصاصه بالنسيان غير مضرّ بعد عدم القول بالفصل ، وعلى الثالث ذيل الخبرين السابقين وصدر خبر عمار ، وأخبار أخر ، نافية للقضاء في المقام مطلقاً لا بدّ من حملها

على هذا القسم بقرينة ما مرّ عن التذكرة من نفي الخلاف فيه بل عن القاضي التصريح بالإجماع فيه وحجج المخالف في الأخيرين ضعيفة جداً .

العاشرة : يستحب إيقاظ النائم للصلوة بالفعل أو القول لما رواه الحميري في قرب الإسناد عن الصادق (ع) عن أبيه (ع) أن علي بن أبي طالب (ع) خرج يوقظ الناس لصلوة الصبح فضربه ابن ملجم ، « وفي مجمع البيان » عن أبي سعيد الخدري عن النبي (ص) قال : إذا أيقظ الرجل أهله من الليل وتوضأ وصليا كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات ، « وفي التهذيب والعلل » عن يعقوب بن سالم عن أبي عبد الله (ع) عن الرجل يقوم من آخر الليل فيرفع صوته بالقرآن ، فقال : ينبغي للرجل إذا صلى في الليل أن يسمع أهله لكي يقوم القائم ويتحرك المتحرك ، « وفي مسائل » علي بن جعفر عن أخيه (ع) قال : سألته عن رجل يكون في صلوته وإلى جنبه رجل راقد ، فيريد أن يوقظه فيسبح فيرفع صوته ولا يريد إلا ليستيقظ الرجل هل يقطع ذلك صلوته وما عليه ؟ قال : لا يقطع ذلك صلوته ولا شيء عليه ولا بأس به .

الحادية عشر : من نام في شهر رمضان واستمر نومه حتى زالت الشمس فإن كان قد نوى الصوم فلا قضاء عليه وإن استمر نومه في مجموع النهار ، وإن لم ينوه فعليه القضاء لدعوى غير واحد الإتفاق عليه بل في الجواهر أنه من الضروريات المستغنية عن الإستدلال ، ويدل على الأول الروايات الدالة على رجحان النوم للصائم كقوله (ع) : نوم الصائم عبادة ، وقوله (ع) : قيلوا فإن الله يطعم الصائم ويسقيه في منامه إذ لو كان مفسداً كالجنون والحيض لم يكن فرق بين القليل منه والكثير ولا يضرّ عدم قابلية النائم للتكليف بالإمساك عن الأمور المخصوصة ، إذ ليس التكليف بالصوم إلا كتكليف المولى عبده بالكون في المسجد مثلاً طول النهار أو بالإمساك عن الغذاء الفلاني فاشتغل المكلف بالإمتثال فعرض له في الأثناء حالة لا يحس فيها بشيء أصلاً أو بخصوص هذا الذي كلف به من نسيان أو إغماء أو نوم ثم ارتفعت فإنه يعدّ ممتثلاً مطيعاً في العرف ولم يدل دليل على أنه يعتبر في الصوم أمر زائد على الإمساك مع كون

الممسك مطيعاً ، ومنه ظهر الوجه الثاني فإن الّذي أدخل هذا الفعل في الأفعال الممتثلة المثابة عليها هو مجرد سبق القصد والنية حقيقة لا الإمساك في حالا لا يحسن معه التكليف بل هو المدار في الإمتثال والإطاعة ، وإن ارتكب شيئاً من المفطرات في حال عدم الإلتفات فضلاً عن مجرد عروض الحالة مع عدم الإرتكاب فإذا أنتفى انتفى الإمتثال الموجب للقضاء مع إنه إجماعي أيضاً .

الثانية عشر : من أجنب في ليالي شهر رمضان في اليقظة أو في المنام ثم علم فنام عازماً على ترك الغسل فلم ينتبه حتى أصبح جنباً فهو كتعمد البقاء جنباً يحرم عليه هذا اليوم ، ويجب عليه القضاء والكفارة ، وإلا بأن نام غير ناوٍ للغسل ولا لعدمه لتردده ، فاستمر نومه إلى الفجر كان كالأول ، وإلا بان عزم على الغسل واحتمل الإنتباه إذ لولاه لكان كمتعمد البقاء ثم نام فلم ينتبه فلا شيء عليه وهذه هي النومة الأولى لا التي أجنب فيها ، وإن انتبه ثانياً ثم نام كذلك وهي النومة الثالثة وأصبح جنباً فعليه القضاء والكفارة ويحرم عليه النوم في الموضعين ، وهذه مسائل يحتاج تنقيحها إلى بسط لا يقتضيه المقام ، وإنما المناسب الإشارة الإجمالية إلى مداركها من الأخبار التي ذكرها هو الداعي إلى ذكرها .

فنقول ويدل على الأول مضافاً إلى ما دل على حرمة تعمد البقاء على الجنابة من الأخبار المتواترة والإجماعات المستفيضة ضرورة عدم الفرق بين المستيقظ العازم على ترك الغسل والنائم العازم عليه صحيحة الحلبي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال في رجل احتلم أول الليل أو أصاب من أهله ، ثم نام متعمداً في شهر رمضان حتى أصبح ، قال : يتم صومه ذلك ثم يقضيه إذا أفطر شهر رمضان ويستغفر ربه ، وخبر إبراهيم بن عبد الحميد عن بعض مواليه قال : سألته عن احتلام شهر رمضان إلى أن قال : فمن أجنب في شهر رمضان فنام حتى يصبح فعليه عتق رقبة أو إطعام ستين مسكيناً وقضاء ذلك اليوم ، ويتم صيامه ولم يدركه أبداً وصحيحة البزنطي عن أبي الحسن (ع) قال : سألته عن رجل أصاب من أهله في شهر رمضان ، أو أصابته جنابة ثم ينام حتى يصبح متعمداً قال : يتم ذلك اليوم وعليه قضاؤه .

وعلى الثاني إطلاق خبر إبراهيم المتقدم والمروزي عن الفقيه (ع) قال إذا أجنب الرجل في شهر رمضان بليل ولا يغتسل حتى يصبح فعليه صوم شهرين متتابعين مع صوم ذلك اليوم ، ولا يدرك فضله ، وصحيحة محمد بن مسلم عن أحدهما (ع) قال : سألته عن الرجل تصيبه الجنابة ، وفي لفظ الكليني يصيب الجارية في رمضان ثم ينام قبل أن يغتسل ، قال : يتم صومه ويقضي ذلك اليوم إلا أن يستيقظ قبل الفجر ، فإن انتظر ماء يسخن أو يستسقي فطلع الفجر فلا يقضي .

ووجه حرمة النوم في الأول ذكر الإستغفار في خبر الحلبي ، وفي الثاني مضافاً إلى مفهوم الرضوي المنجبر إذا أصابتك جنابة في أول الليل فلا بأس أن تنام متعمداً وفي نيتك أن تقوم وتغتسل ، فإن غلبك النوم حتى تصبح فليس عليك شيء ، إن النوم على حالة يوجب استمرارها حكماً إلى آخر النوم عقلاً وعرفاً ، فالنائم على حالة كالباقي عليها مستيقظاً ، ولذا كان النوم مع عزم ترك الإغتسال كتعمد البقاء على الجنابة ويشير إلى ذلك ما ورد في مدح نوم العالم وناوي القيام في آخر الليل والصائم وأمثالهم ، فالنائم متردداً كالمستيقظ متردداً إلى الصبح ، والمتردد في الغسل متردد في النية للصوم ، واتفقوا على أن من بات عازماً على ترك الصوم أو متردداً فيه فسد صومه لترك تبييت النية ليلاً ، فالنائم المتردد في الغسل والصوم مستحق للعقاب لإفساده الصوم وحيث أن فساد الصوم في أول جزء من الفجر مستند إلى تلبسه إليه بالنوم فيستحق العقاب عنده ، مع أن الأصل عدم الإنتباه فهو كمن ترك الغسل في الجزء الأول ، مع علمه بطروّ العجز بعده وعدم العلم بارتفاعه في آخر الوقت ، ولا فرق في الإستحقاق بين اعتياد الإنتباه وعدمه إذا لم يتفق الإنتباه ، لأنه نافع إذا كان علمه بذلك موجباً لعزمه على الفعل بعد الإنتباه ، فإن العلم بسعة الوقت إنما يوجب الرخصة من جهة رجاء إدراك الفعل في بعض أجزائه ، وبما ذكرنا ظهر عدم حرمة النوم وعدم وجوب الكفارة على من نام ذاهلاً .

وعلى الثالث خبر العيص بن القاسم عن أبي عبد الله (ع) عن الرجل ينام في شهر رمضان فيحتلم ثم يستيقظ ثم ينام قبل أن يغتسل ؟ قال؛ لا بأس

وإطلاقه مقيّد لما مرّ وصحيحة معاوية بن عمار عنه (ع) : الرجل يجنب في أول الليل ثم ينام حتى يصبح في شهر رمضان ؟ قال : ليس عليه شيء ، قلت : فإنه استيقظ ثم نام حتى أصبح ؟ قال : يقضي ذلك اليوم عقوبة ، وصحيحة ابن رئاب قال : سئل أبو عبد الله (ع) وأنا حاضر عن الرجل يجنب بالليل في شهر رمضان فينام فلا يغتسل حتى يصبح ؟ قال : لا بأس يغتسل ويصلي ويصوم وادّعى غير واحد عدم الخلاف فيه .

وعلى الرابع ذيل صحيحة معاوية بن عمار وصحيحة ابن أبي يعفور عن الصادق (ع) الرجل يجنب في شهر رمضان ثم يستيقظ ثم ينام حتى يصبح ! قال : يتم صومه ويقضي يوماً آخر ، وإن لم يستيقظ حتى يصبح أتمّ يومه جاز له ، والرضوي المنجبر في المقام بنقل الإجماع وعدم الخلاف والشهرة العظيمة بعد الكلام المتقدم ، إلا أن يكون انتبهت في بعض ثم نمت وتوانيت ولم تغتسل وكسلت فعليك صوم ذلك اليوم والكفارة (الخ) ، والجزء الأخير إما مطروح أو محمول على ما إذا تردد في الغسل أو لم يكن من عادته الإنتباه هذا ، ولكن ظاهر موثقة سماعة قال : سألته عن رجل أصابته جنابة في جوف الليل في رمضان فنام وقد علم بها ولم يستيقظ حتى أدركه الفجر ؟ قال : عليه أن يتمّ صومه ويقضي يوماً آخر ، إن نومة المحتلم التي يحتلم فيها يعدّ نومة أولى حتى يكون النوم بعد الإستيقاظ نومة ثانية ، ولذا فرّق بعضهم بين المحتلم فأوجب عليه القضاء إذا نام محتلماًواستمر على طلوع الفجر ، لهذا الخبر ولعموم صحيحة الحلبي المتقدمة وبين الجنب لخروجه عن العموم بما مر ، والإنصاف أنه خلاف ظاهر الفقهاء من عدم فرقهم بينهما وتصريحهم بأن الإنتباه من الإحتلام لا يعد من الانتباهين ، ويدل على حرمة النوم الثاني ذيل صحيحة معاوية فإن العقوبة إنما تكون على فعل محرم ، وذيل خبر الحلبي السابق بناء على عدم إرادة ظاهرة من النوم عازماً على الترك ، فإن لازمه لكونه في مقام البيان ذكر الكفارة لكونه كمتعمد البقاء على الجنابة فعدم ذكرها دليل على عدم وجوبها .

وعلى الخامس إما في وجوب القضاء فلعدم فرق أحد بينه وبين سابقه فيه

وإما في وجوب الكفارة وهو المشهور فعموم خبر المروزي وعبد الحميد السابقين خرج عنه ما دلّ الدليل على عدم إيجابه بشيء كالنومة الأولى في الجملة أو إيجابه القضاء خاصة كالنومة الثانية ، وبقي الباقي وضعفهما منجبر بالإجماع المنقول في الخلاف والغنية والوسيلة وجامع المقاصد ، والشهرة المحققة والمحكية ، ولولا الانجبار ومكن المناقشة فيهما بظهور الأول في النومة الأولى واشتماله ما لا يقول به أحد من عدم جواز النوم مع الإحتلام نهاراً قبل الغسل ، وظهور الثاني في التعمد وتعيين الكفارة فيهما بما ذكر ، والحق أن الحكم بالوجوب لا يخلو من إشكال خصوصاً عند من لم يحرم النوم حينئذ كصاحب الجواهر .

الثالثة عشر : كان الأكل والنكاح في ليالي شهر رمضان محرماً لمن نام فيها ثم نسخ فيجوز كلاهما إلى مطلع الفجر وإن نام غالبها كتاباً وسنة وإجماعاً بل ضرورة وفي تفسير علي بن إبراهيم عن الصادق (ع) كان النكاح والأكل محرماً في شهر رمضان بالليل بعد النوم يعني كل من صلى العشاء ونام ولم يفطر ثم انتبه حرم عليه الإفطار وكان النكاح حراماً بالليل والنهار في شهر رمضان ، وكان رجل من أصحاب النبي (ص) يقال له : خوات بن جبير أخو عبد الله بن جبير الذي كان رسول الله (ص) وكّله بفم الشعب يوم أُحد في خمسين من الرماة ففارقه أصحابه وبقي في اثني عشر رجلاً فقتل على باب الشعب وكان أخوه هذا خوات بن جبير شيخاً كبيراً ضعيفاً وكان صائماً ، فأبطأت عليه أهله بالطعام ، فنام قبل أن يفطر فلمّا انتبه قال لأهله : قد حرم عليّ الأكل في هذه الليلة ، فلما أصبح حضر حفر الخندق فأغمي عليه ، فرآه رسول الله (ص) فرقّ له وكان قوم من الشبان ينكحون بالليل سرّاً في شهر رمضان ، فأنزل الله (عزّ وجلّ) قوله : **﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهنّ علم الله إنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفى عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾** ، فأحلّ الله تعالى النكاح بالليل في شهر رمضان والأكل بعد النوم إلى طلوع الفجر ، وروى المشائخ الثلاثة ،

قريباً منه وفي تفسير النعماني عن أمير المؤمنين (ع) قال : إنّ الله لمّا فرض الصيام فرض أن لا ينكح الرجل أهله في شهر رمضان لا بالليل ولا بالنهار على معنى صوم بني إسرائيل في السّورية فكان ذلك محرّماً على هذه الأمة ، وكان الرجل إذا نام في أوّل الليل قبل أن يفطر حرم عليه الأكل ، وكان رجل من الصحابة يعرف مطعم بن جبير شيخاً فكان الوقت الذي حفر فيه الخندق حفر في جملة المسلمين وكان في شهر رمضان ، فلما فرغ من الحفر وراح إلى أهله صلى المغرب فأبطأت عليه زوجته بالطعام فغلب عليه النوم ، فلما أحضرت إليه الطعام انتبهته ، فقال لها : استعمليه أنت فإني قد نمت وحرم عليّ وطوى ليلته وأصبح صائماً ، فغدا إلى الخندق وذكر مثله ، والأصح ما في الأخبار السابقة من كون صاحب النبي (ص) والموجود جبير بن مطعم المتوفى قبل عام بدر بسبعة أشهر وقضية الخندق بعده .

الرابعة عشر : الحق أنّ النائم في عرفات من أول الزوال إلى الغروب كالنائم في تمام يوم صومه ، فإن سبقت منه النية عدّ ممتثلاً وإلا فلا ، لعين ما قدمناه في الصائم ، قال العلامة في التذكرة : النائم يصح وقوفه إن سبقت منه النية للوقوف بعد الزوال ، وإن استمر نومه إلى الليل ، أما لو لم يسبق منه النية واتفق نومه قبل الدخول إلى عرفة واستمرّ إلى خروجه منها فإنه لا يجزيه خلافاً للعامة فإنهم قالوا بإجزائه إلا عند بعض الشافعية ، وفي المنتهى لو كان نائماً صحّ وقوفه لسبق النية منه ؛ وعندي فيه إشكال على تقدير استمرار النوم من قبل الدخول إلى بعد الفوات ، أما الجمهور فجزموا بالصحة على هذا التقدير ، واختاره الشيخ على تردّد قال : لأن الواجب الكون ومنع ابن إدريس ذلك ، وقال؛ أنه لا يجزيه لعدم النية وهو الأقوى عندي ، وظاهر الدروس البطلان مطلقاً ، قال : ورابعها : السلامة من الجنون والإغماء والسكران والنوم في جزء من الوقت فلو استوعب بطل ، واجتزء الشيخ بوقوف النائم فكأنّه بني على الإجتزاء بنية الإحرام ، فيكون كنوم الصائم وأنكره الحليون ويتفرّع عليه من وقف بها ولا يعلمها فعلى قوله يجزى ، ويحتمل أن يكون غرضه الاستيعاب مع عدم سبق النية في قبال الشيخ المجتزى به فلا خلاف وإلا فهو ضعيف كضعف

الحكم بالبطلان مع إدراك الإضطراري أو اختياري المشعر إن أراد بـه بطلان الحج ، والكلام في وقوف المشعر كذلك .

الخامسة عشر : يجب على الحاج البيتوتة بالنوم وغيره ليلة الحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة بمنى من أول الليل إلى نصفه ، وقيل يجزى النصف الثاني ولا يجوز له بيتوته في غيرها إلا أن يبيت بمكة مشتغلاً بالعبادة ، إلا ما يضطر إليه من الأكل والشرب والنوم الغالب عليه وينام في الطريق بين مكة ومنى على ما يظهر من الأخبار وإن لم يساعده فتوى الأخيار وإن بات بغيرها كان عليه عن كل ليلة شاة وتنقيح المسألة وما يتبعها من الفروع موكول إلى محله غير أنّا نذكر بعض الأخبار المناسب للمقام ، « روى الشيخ » بإسناده عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله (ع) قال : إذا فرغت من طوافك للحج وطواف النساء فلا تبيت إلا بمنى ، إلاّ أن يكون شغلك في نسكك ، وإن خرجت بعد نصف الليل فلا يضرّك أن تبيت في غير منى « وبإسناده » عن صفوان قال : قال أبو الحسن : سألني بعضهم عن رجل بات ليالي منى بمكة فقلت : لا أدري فقلت : جعلت فداك ما تقول فيها ؟ فقال (ع) : عليه شاة إذا بات ، فقلت : إن كان إنما حبسه شأنه الذي كان فيه من طوافه وسعيه لم يكن لنوم ولا لذة عليه مثل ما على هذا ؟ قال : ما هذا بمنزلة هذا ، و « بإسناده » عن علي عن أبي إبراهيم (ع) قال : سألته عن رجل زار البيت فطاف بالبيت وبالصفا والمروة ثم رجع فغلبته عينه في الطريق فنام حتى أصبح ، قال : عليه شاة وحمل على الأفضلية ، « وبإسناده » عن محمد بن إسماعيل عن أبي الحسن (ع) في الرجل يزور فينام دون منى ؟ فقال : إذا جاز عقبة المدينين فلا بأس أن ينام ، ورواه الكليني عن الصادق (ع) ، « وبإسناده » عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله (ع) قال؛ من زار فنام في الطريق فإن بات بمكة فعليه دم ، وإن كان قد خرج منها فليس عليه شيء ، وإن أصبح دون منى ، « وروى الكليني » عن هشام بن الحكم عنه (ع) قال : إذا زار الحاج من منى فخرج من مكة فجاوز بيوت مكة فنام ثم أصبح قبل أن يأتي منى فلا شيء عليه ، « وفي قرب الإسناد » عنه (ع) عن أبيه عن علي قال : في الرجل أفاض إلى البيت فغلبته عيناه حتى أصبح قال : لا بأس عليه

ويستغفر الله ولا يعود .

السادسة عشر : لا يستحب النوم في وادي المحصب[1] وإنما يستحب لمن نفر في اليوم الثالث عشر لعدم اتقائه الصيد والنساء في إحرامه أو لغروب الشمس عليه في ليلته وهو بمنى فوجب عليه المبيت فيها وتسمى الليلة ليلة التحصيب والنفر بالنفر الأخير أن ينزل في وادي المحصب ويستريح فيه قليلاً ويستلقي على قفاه لما رواه الكليني بإسناده عن معاوية بن عمار فإذا نفرت وانتهيت إلى الحصبا وهي البطحاء فشئت أن تنزل قليلاً ، فإنّ أبا عبد الله (ع) قال : كان أبي ينزلها ثم يحمل فيدخل مكة من غير أن ينام بها ، ورواه بسند آخر وزاد وقال؛ أنّ رسول الله (ص) إنما نزلها حيث بعث بعائشة مع أخيها عبد الرحمن إلى التنعيم ، فاعتمرت لمكان العلة التي أصابتها ، فطافت بالبيت ثم سعت ثم رجعت فارتحل من يومه ، وعن أبي مريم عنه (ع) أنه سئل عن الحصبة فقال : كان أبي ينزل الأبطح قليلاً ثم يجيء فيدخل البيوت من غير أن ينام بالأبطح (الخبر) ورواه في الفقيه هكذا كان أبي ينزل الحصبة قليلاً ثم يرتحل وهو دون خبط وحرمان ، وظاهره تحديد الأبطح أو الحصبة فارماد من الخبط والحرمان موضعان يقربان منه كما صرّح به في مجمع البحرين ، وإن قال في المدارك إني لم أقف في كلام أهل اللغة على شيء يعتدّ به في ضبط هذين اللفظين وتفسيرهما ، إذ في القاموس والحرمان واديان يصبان في بطن الليث ، وفيه والليث بالكسر موضع بين السرين ومكة ، وفيه وسرين كسجين موضع بمكة ، ولعل الخيط بالياء المثناة ففيه والخيط جبل معروف فما في الوافي في بيان الخبر لعل المراد بما دون خبط وحرمان أن لا ينام فيه مطمئناً ولا يجاوزه محروماً من الإستراحة فيه ، فإن الخبط بالمعجمة والموحدة طرح النفس حيث كان للنوم ، وفي بعض النسخ ذو خبط يعني يرتحل وهو طارح نفسه للنوم ومحرم من النوم غريب لا يساعده الكلام أصلاً ، وفي المنتهى وروى الجمهور عن نافع عن ابن عمر قال : كان يصلي به الظهر والعصر والمغرب والعشاء

ويهجع هجعه ويذكر ذلك عن رسول الله (ص) ، وضعفه ظاهر وفي تعيين الوادي خلاف يطلب من محله .

السابعة عشر : لو انقلبت الظئر في النوم فقتلت الولد لزمتها الدية في مالها إن طلبت بالمظائرة الفخر ، ولو كان للضرورة فديته على عاقلتها لما رواه الكليني عن أحمد بن محمد بن محمد بن أسلم عن هارون بن الجهم عن محمد بن مسلم قال : قال أبو جعفر (ع) : أيما ظئر قوم قتلت صبياً لهم وهي نائمة فقتلته فإن عليها الدية من مالها خاصة إن كانت إنما ظائرت طلب العز والفخر ، وإن كانت إنما ظائرت من الفقر فإن الدية على عاقلتها ، ورواه الشيخ بإسناده عن أحمد بن محمد بن خالد مثله ، ورواه عن محمد بن أحمد بن يحيى بإسناده عن عبد الرحمن بن سالم عن أبيه عنه (ع) مثله ، وعن الصفار عن محمد بن أسلم الجبلي عن الحسين بن خالد وغيره عن أبي الحسن الرضا (ع) مثله ورواه الصدوق عن محمد بن أحمد (الخ) .

ومن العجب أن الكليني والشيخ رويا الخبر عن البرقي عن محمد بن أسلم عن هارون بن الجهم ، مع أن البرقي في المحاسن رواه عن أبيه عن هارون ، فالخبر صحيح بالإصلاح الجديد وإن لم نقتصر الحجة منه فيه غير أن من اقتصرها فيه لعدم عثوره على سند المحاسن طعن على الخبر بضعف السند فردّه وحكم بأن الدية على العاقلة مطلقاً ، قال في الروضة : وفي سند الرواية ضعف أو جهالة يمنع من العمل بها وإن كانت مشهورة مع مخالفتها للأصول ، من أن قتل النائم خطأ على العاقلة أو في ماله على ما تقدم ، والأقوى أن ديته على العاقلة مطلقاً (انتهى) ، وفيه أن مخالفة القاعدة بالنصوص المعتبرة لازمة ، ووجه الإعتبار مضافاً إلى وجود الصحيح فيها واتفاق المشائخ الثلاثة على روايتها واشتهارها كما نص عليها المحقق في نكت النهاية وظهور كون الخبر موجوداً في كتاب هارون بن الجهم فلا يضر ضعف محمد بن أسلم الذي من جهته ضعف الخبر ، مع أن في ضعفه كلام لأن النجاشي نسب غلوه وفساده في الحديث إلى قائل مجهول ، ولم يطعن عليه الشيخ في كتابيه ، مع أنه روى عنه الأجلّاء مثل محمد بن الحسين بن أبي الخطاب كما في طريق الشيخ فيهما

وطريق الصدوق في الفقيه ومحمد بن علي ، والظاهر أنه البرقي كما في طريق النجاشي ومحمد بن عبد الله بن زرارة كما في التهذيب في باب المهور والأجور وفي باب ميراث الموالي مع ذوي الرحم ، وإسماعيل بن مهران كما فيه في باب تفصيل أحكام النكاح وفي الكافي في باب الزيادة في أجل المتعة ، ويعقوب بن يزيد كما فيه في باب الأسعار من كتاب المعيشة ، وعلي بن الحكم كما في باب بيع المرابحة ، ومعاوية بن حكيم كما فيه في باب ما يجب من حق الإمام على الرعية ومحمد بن الحسان الممدوح على الأظهر كما فيه في باب من استعان به أخوه فلم يعنه . وأحمد بن محمد بن خالد كما في التهذيب في باب ضمان النفوس ، وفي الكافي في باب علل التحريم من كتاب الأطعمة ، وفي باب معرفة دم الحيض والعذرة ، وفي باب حد المسير الذي يقصر الصلوة فيه والحسين بن سيف كما في الكافي في باب زيارة أبي الحسن الرضا ، وفي التهذيب في باب فضل زيارته ، ويكفي في جلالته والإعتماد عليه رواية هؤلاء الثقات الأجلّاء عنه فالأقوى التفصيل كما ذكرنا وإن وجب الإقتصار على الظئر لا التعدي إلى الأم كما حكي عن الشهيد في حواشيه .

الثامنة عشر : إذا تلف النائم غير الظئر نفساً أو طرفاً بانقلابه فالدية على العاقلة لصدق الخطأ المحض عليه باعتبار عدم القصد منه إلى الفعل ولا إلى القتل ، ولا بدّ من صدق العمد أو شبه العمد منهما أو من أحدهما ، ومع انتفائهما فهو خطأ لانتفاء الاحتمال الرابع ضرورة وهو كونه من باب الأسباب التي ضمانها عليه دون العاقلة ، وما في جملة من الأخبار في تعريف الخطأ من أنه أن تريد شيئاً وتصيب غيره أو من اعتمد شيئاً وأصاب غيره محمول على الحصر الإضافي كما يظهر من قوله (ع) بعد ذلك . فأما كل شيء قصدت إليه فأصبته فهو العمد ومن صدقه قطعاً على ما لا قصد فيه أصلاً ، ويمكن التمسك بالأخبار السابقة في شقها الأخير والتتميم في غير الظئر بالإجماع المركب ، مع أنّ القول بكون الدية في ماله لم ينقل صريحاً إلا من المقنعة والنهاية والجامع والتبصرة ، وما في الجواهر من نسبته إلى الإرشاد والتحرير ومجمع البرهان غريب وفي الأول ويضمن العاقلة ما يتلفه النائم بانقلابه وإن كانت ظئر

للضرورة ، ولو كانت للفخر فالدية في مالها ، وفي الثاني النائم إذا انقلب على غيره فأتلفه ، قيل : يضمن في ماله ، وقيل : الضمان على العاقلة وهو الأقوى ، وفي الثالث أيضاً ما هو كالصريح في ذلك وأن أوهم بعض كلامه خلافه فلاحظ .

التاسعة عشر : النائم كالصبي والمجنون في رفع قلم المؤاخذة عنه ، فلا يعاقب على ترك واجب أو فعل محرم في نومه إذا لم يعلم بذلك قبله إجماعاً ، « وفي الخصال » عن الحسن بن محمد السكوني عن الحضرمي عن إبراهيم بن أبي معاوية عن أبيه عن الأعمش عن ابن ظبيان ، قال : أتى عمر بامرأة مجنونة قد زنت فأمر برجمها ، فقال (ع) : أما علمت أن القلم يرفع عن ثلاثة عن الصبي حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يفيق ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وفي فضائل الأشهر الثلاثة للصدوق عن محمد بن إبراهيم عن عبد العزيز بن يحيى عن محمد بن زكريا عن أحمد بن عبد الله الكوفي عن سليمان المروزي عن الرضا (ع) عن رسول الله (ص) أنه قال في حديث : أن النائم لا يجري عليه القلم حتى ينتبه ما لم يكن بات على حرام ، وكذا هو مثلهما في عدم الاعتناء بما يجري على لسانه من العقود والإيقاعات لتخلف القصد إلى اللفظ ومدلوله والرضا بوقوعه فهو أسوء حالاً من الهاذل القاصد إلى اللفظ فقط والمكره المتخلف عنه الرضا دون القصد إلى اللفظ والمدلول بل ومن الغالط القاصد إلى نوع اللفظ ، « وفي كتاب الأشعثيات » أخبرنا عبد الله أخبرنا محمد حدثني موسى قال : حدثنا أبي عن أبيه عن جده جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي (ع) قال : طلاق النائم ليس بشيء حتى يستيقظ (الخبر) وأما ما يتلفه النائم مما يضمنه لصاحبه لو كان يقظاناً فظاهر حكم الأصحاب بالضمان في الصبي والمجنون والساهي والمخطي إطراد الحكم فيه نظراً إلى وجود العلة وهو استناد الإتلاف إلى أحد بالمباشرة أو التسبيب ، ومن أتلف مال الغير فهو ضامن وظاهر نسبة الفعل إلى أحد وإن كان هو الصادر عن قصد وإرادة منه إليه إلا أنه قد علم في باب الإتلاف عدم اشتراطهم ذلك في الحكم بالضمان وفي التحرير الراعي لا يضمن الماشية إلا بالتعدي أو التفريط مثل أن ينام عنها هذا وفي

الكتاب المذكور بالإسناد المتقدم أن علياً (ع) أتاه رجل فقال : إني رأيت في المنام كأني طلقت امرأتي ثلاثاً ، فقال (ع) له : إن ذلك من الشيطان لن تحرم عليك امرأتك إنما الطلاق في اليقظة وليس الطلاق في المنام ، « وفي كشف الغمة » والخرايج عن محمد بن أحمد الأقرع قال : كتبت إلى أبي محمد (ع) أسأله عن الإمام (ع) هل يحتلم وقلت في نفسي بعد ما فصل الكتاب الإحتلام شيطنة وقد أعاذ الله أوليائه من ذلك فردّ الجواب : الأئمة (ع) حالهم في المنام حالهم في اليقظة لا يغير النوم منهم شيئاً قد أعاذ الله أوليائه من لمة الشيطان[1] كما حدثتك نفسك ، « وفي الكافي » عدة من أصحابنا عن أحمد بن خالد عن الحسين بن سيف عن محمد بن سليمان عن أبي الحسن الثاني (ع) وعن محمد بن علي عن محمد بن أسلم عن محمد بن سليمان ويونس بن عبد الرحمن قالا : سألنا أبا الحسن الرضا (ع) عن رجل استغاث به قوم لينقذهم من قوم يغيرون عليهم ليستبيحوا أموالهم ويسبوا ذراريهم ، فخرج الرجل يعدو بسلاحه في جوف الليل ليغيث القوم الذين استغاثوا به فمرّ برجل قائم على شفير بئر يستقي منها فدفعه وهو لا يريد ذلك ولا يعلم ، فسقط في البئر فمات ومضى الرجل واستنقذ أموال أولئك القوم الذين استغاثوا به ، فلما انصرف إلى أهله قالوا : ما صنعت ؟ قال : قد انصرف القوم عنهم وأمنوا وسلموا فقالوا له : أشعرت أن فلان بن فلان سقط في البئر فمات ؟ فقال : أنا والله طرحته ، قيل : وكيف ذلك ؟ فقالت : إني خرجت أعدو بسلاحي في ظلمة الليل وأنا أخاف الفوت على القوم الذين استغاثوا بي ، فمررت بفلان وهو قائم يستقي من البئر فزحمته ولم أرد ذلك فسقط في البئر فمات فعلى من دية هذا ؟ فقال : ديته على القوم الذين استنجدوا الرجل فأنجدهم وأنقذ أموالهم ونسائهم وذراريهم أما أنه لو كان بإجرة لكانت الدية عليه وعلى عاقلته دونهم ، وذلك أن سليمان بن داود أتته امرأة عجوزة تستعديه على الريح ، فقالت : يا نبي الله إني كنت نائمة على سطح لي وإنّ الريح طرحتني من السطح فكسرت

---

(١) أي مسه .

يدي فأعدني على الريح ، فدعا سليمان بن داود الريح فقال لها : ما دعاك إلى ما صنعت بهذه المرأة ؟ فقال : صدقت يا نبي الله إنّ ربّ العزة (جل وعز) بعثني إلى سفينة بني فلان لأنقذها من الغرق ، وقد كانت أشرفت على الغرق فخرجت في سنتي وعجلتي إلى ما أمرني الله (عزّ وجلّ) به ، فمررت بهذه المرأة وهي على سطحها فعثرت بها ولم أردها فسقطت فانكسرت يدها ، فقال سليمان : يا رب بما أحكم على الريح ؟ فأوحى الله إليه : يا سليمان أحكم بارش كسر يد هذه المرأة على أرباب السفينة التي أنقذتها الريح من الغرق ، فإنه لا يظلم لديّ أحد من العالمين ، « وفي مجمع البيان » عن السدي قال : كان رجل من النصارى بالمدينة فسمع المؤذّن ينادي بالشهادتين ، فقال : حرق الكاذب فدخلت خادمة له ليلة بنار وهو نائم وأهله فسقطت شررة فاحترق هو وأهله واحترق البيت ، « وفي الكافي » عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن عثمان بن عيسى عن سماعة قال : أن رجلاً قال لرجل على عهد أمير المؤمنين (ع) : إني احتلمت بأمك ، فرفعه إلى أمير المؤمنين (ع) قال : إن هذا افترى عليّ ، فقال له : وما قال لك ؟ قال : زعم أنه افترى ، فقال أمير المؤمنين (ع) في العدل إن شئت أقمته لك في الشمس فأجلد ظلّه ، فإن الحلم مثل الظل ، ولكنا سنضربه حتى لا يعود يؤذي المسلمين ، وفي رواية أخرى قال : ضربه ضرباً وجيعاً ، « وفي الفقيه » قال الصادق (ع) : يقوم الناس من فرشهم على ثلاثة أصناف صنف له ولا عليه ، وصنف عليه ولا له ، وصنف لا عليه ولا له ، فأما الصنف الذي له ولا عليه ، فيقوم من منامه ويتوضأ ويصلي ويذكر الله (عزّ وجلّ) فذلك الذي له ولا عليه ، وأما الصنف الثاني فلم يزل في معصية الله (عزّ وجلّ) فذلك الذي عليه ولا له ، وأما الصنف الثالث فلم يزل نائماً حتى أصبح فذلك الذي لا عليه ولا له .

ومن عجائب الآيات الباهرة والألطاف الخفية والظاهرة ما حدث به العالم الجليل والحبر النبيل فخر المحققين العظام وشيخ فقهاء الإسلام حامي الدين المبين وماحي بدع الملحدين الحاج المولى علي الكني الرازي الطهراني أدام الله ظلاله على رؤوس الأقاصي والأداني ، وكتبه بخطه إني كنت يوماً في

الحرم المطهر الحسيني على ساكنه آلاف سلام وتحية قبل الظهر بساعتين تقريباً ، جالساً بما يلي الرأس الشريف بعد الزيارة متفكراً في حل مسألة قد أشكلت عليّ مستمداً فيه من الحضرة الحسينية ، فبينما أنا كذلك وإذا رأيت برؤية خاصة وحالة مخصوصة مثل أن يرى أحد شخصاً في وسط غبار أو سحاب رقيق ، الخاقان المغفور فتجعلي شاه القاجار لابساً قباءاً طويلاً قد رصّعت أطرافه باللئالي ظاهراً ، وفي كل عضد منه اثنان أو ثلاثة من أساور من الجواهر على هيئة كنت قد رأيتها في بعض تصاويره مكرراً ، قد دخل الحرم من الباب الذي يفتح إلى الحرم من جنب قبر حبيب بن مظاهر ووقف فيما يلي الرأس الشريف مستقبلاً إلى القبلة ووضع يده وبدنه على الشباك المطهر وزار زيارة مختصرة ، ثم رجع إلى خلف الشباك وأراد قبر علي بن الحسين وسائر الشهداء (عليهم آلاف التحية والثناء) وكان طريق مروره قريباً منّي ، فلما مضى من مضيه إلى سمت الخلف مقدار دقائق رجعت إلى حالتي متعجباً متوحشاً متحيراً في هذا الأمر وقلت في نفسي : ما له وللدخول في هذا المكان دفعة من غير سابقة انتشار خبر مجيئه إلى هذه البلاد ؟ فقمت من مكاني فوراً ومشيت خلفه لأراه في هذا المقام ثانياً فما ألقيته فيه فخرجت مستعجلاً إلى حارج الحرم وكان في وقت خلاء الخرم عن الناس ولم يكن غيري فيه إلا إثنان أو ثلاثة من سادات الخدام كانوا جالسين عند باب الرواق ، فقلت : لو سألتهم عن حال المرحوم بإسمه لنسبوني إلى الجنون مع معرفتهم بحالي فسألتهم عنه بوصف اللحية والقباء ، وقلت : هل مرّ بكم رجل بهذا الوصف ؟ فقالوا : ما رأيناه ، فذهبت عند الكشفدارية فسألت عن جميعهم حتى عن اللذين كانا يقعدان في طرفي الرواق المطهر فأنكروه كلهم ، فآيست منه وما ذكرت ذلك لأحد حتى سمعت أن المرحوم المغفور الحاج المولى محمد بن الحاج لطفعلي النوري رآه بهذه الحالة في تلك العوالم ، وأرّخ وقت الرؤية فكان موافقاً لتاريخ وفاته ، ولم أؤرّخه أنا لكني أعلم إجمالاً مطابقته لسنة ارتحاله ، رزقنا الله ما رزقه لدى الإرتحال بمحمد والآل عليهم سلام الله المتعال .

عجيبة أخرى فيها آيات لأولي النهي : حدثني العالمان الفاضلان التقيان

والعدلان البدلان المرضيان الأميرزا محمد باقر وأخوه الأميرزا اسماعيل الإمام في داخل حرم الكاظميين (ع) عن أبيهما الأكمل الأوحد المؤيد المسدد المولى زين العابدين السلماسي المتقدم إلى بعض فضائله الإشارة في المجلد الأول رحمه الله قال : لما رجعت من سفر زيارة الرضا (ع) مررنا بجبل ألوند قريب همدان ، فنزلنا فيه واشتغل أصحابي بنصب الخيام ، ونظرت في سفح الجبل فرأيت شيئاً أبيضاً فتأملت فإذا بشيخ أبيض اللحية عليه عمامة صغيرة بيضاء على دكان مرتفع بمقدار أربعة أذرع ، وقد نضد حوله أحجاراً كباراً بحيث لا يرى منه إلا رأسه ، فدنوت منه وسلمت عليه وألطفت به فآنس بي ونزل عن مكانه ، وحدثني بما جرى عليه وأنه ليس من سلك الفرق البطالين وأنه كان له أهلاً وولداً ، وبعد قضاء وطره منهم اختار العزلة لمجرد العبادة وعنده الرسائل العملية من علماء عصره ، وذكر من جملة ما رآه في هذا المكان أنه كان أول نزوله فيه في شهر رجب ، قال : فلما مضى منه خمسة أشهر وكنت مشغولاً بالصلوة في وقت المغرب فإذا بولولة عظيمة وأصوات عجيبة ففزعت وخففت الصلوة فنظرت في هذه البرية ، وإذا هي غاصة بالحيوانات متوجهة إليّ فزاد اضطرابي وخوفي وتعجبت من هذا الإجتماع ، فتأملت فإذا فيها من الحيوانات المتضادة كالغزال والأسد والايل[1] والنمر والذئب مختلطات صائحات بأصوات غريبة ، فاجتمعن عند محلي هذا رافعات رؤوسهنّ إليّ وصائحات في وجهي ، فقلت : من البعيد أن يكون سبب اجتماع هذه الوحوش والسباع المتضادة افتراسي ، ولا يفترس بعضهم بعضاً ما هذا إلا لحادث عظيم وأمر جسيم فتفكرت في ذلك فوقع في خاطري أن هذه عشية عاشوراء وهذا الإجتماع والغوغاء والنياح لمصيبة أبي عبد الله (ع) فلما اطمأننت بذلك طرحت عمامتي وضربت رأسي وألقيت نفسي من مكاني وجعلت أقول حسين حسين حسين شهيد حسين مظلوم حسين عطشان حسين وأمثال ذلك فانفرجن وجعلن لي مكاناً كالحلقة بينهن وجعل بعضهن

(١) الايل بتشديد الياء وفتحها : حيوان من ذوات الظلف للذكور منه قرون متشعبة لا تجويف فيها يقال له بالفارسية (گوزن) .

يضربن رؤوسهن على الأرض وبعضهم يطرحن نفسهن عليها إلى أن طلع الفجر فتفرقن مترتباً إلا وحش منهن فالأوحش ثم كان ذلك عـادتهن في كل سنـة إلى الآن ، وقد مضى ثمانية عشر سنة من ذلك الـوقت حتى قد يشتبـه عليّ الشهر فنعرف يوم العاشوراء من اجتماعهن ، قال (ره) : ثم قام العابد وأوقد ناراً وأتى بخمير وطبخ قرصين لفطوره وسحوره ، فالتمست منـه أن يكون غـداً ضيفاً لي أطبخ له طعاماً وآتيه به ، فقال : عندي ما يكفيني للرزق غداً فإن لم يأتني الغد شيء فأنا ضيفك بعده ، فلما مضى الغد وجنّ الليل قلت لأصحابي : اطبخوا طعاماً لطيفاً لهذا الضيف العزيز فإنه لم يأكل المطبوخ منذ سنين فهيّأوه بالليـل فلما أصبحوا طبخوا الأرز وكنت على سجادتي مشغـولاً بالتعقب إلى أن قـرب طلوع الشمس ، وإذا برجل يصعد الجبل مسرعاً ، ففزعت وقلت لخادمي جعفر ائتني به فناداه فقـال : أنا عـطشان اسقـوني وبعد الـوصول إلى العـابد أرجـع إليكم ، فلما وصل إليه نزل العابد وأخـذ منه شيئـاً ثم رجع ، وسلّم وجلس ، فقلت : ما وجه هذه العجلة وما كان شغلك بالعابد وما أعطيته ومن أنت ومن أين جئت ؟ قال : أصلي من بلد خوي قد سرقت من صغر سني واشتراني حـاجي فـلان الدبـاغ من أهل همـدان ، وجعلني عند المعلم فتعلمت القـراءة والخط والمسائل الدينية ، ثم زوّجني وأعطاني رأس مالي وجعلني مستقلاً في أموري ، ورأيت البارحة في المنام أمير المؤمنين (ع) فقال لي : أوصل إلى العابد إلى في جبل ألوند قبل طلوع الشمس منّاً من الدقيق الحلال الطيب ، فقلت : فـديتك من أين أعرف حليته وطيبه ؟ فقال (ع) : عند الحاجي فلان الدبـاغ ، فانتبهت وقد اشتبه عليّ الوقت من الليل فخرجت من داري خوفـاً من أن لا أتمكن من الوصول إليـه في الوقت الـذي عيّنه (ع) ، وكنت لا أعـرف دار الدبـاغ ، فلما مشيت قليلاً أخذوني الحرس وأتوا بي إلى رئيسهم ، فقال لي : يا غلام ما هذا وقت الخروج والسير ؟ فقلت : كان لي شغل مع الحاج فلان الدباغ وتعاهدت معه أن ألقاه في آخر الليل وانتبهت من النوم ولم أدر الوقت من الليل وخرجت من غير شعور ، فأخذتني الحرس وأتوا بي إليك ، وكان الدباغ المذكور رجـلاً معروفاً ، فقال : إني أرى في سيماء هذا الغلام آثار الصدق والصلاح فأذهبوا به

إلى دار الحاجي الدباغ ، فإن عرفه وأدخله داره وإلا فأرجعوه إليّ فاذهبوا بي إلى داره ، وقالوا : هذه داره ووقفوا في جانب فدققت الباب فخرج الحاجي بنفسه وفتح الباب فسلّمت عليه فردّ السلام واعتنقني وقبّل بين عيني وأدخلني في الدار ، ورجعت الجماعة ، فقلت : أريد مقدار منّ الدقيق الحلال ، فقال : حباً وكرامة فذهب وأتى بجراب مشدود الرأس وقال : فيه هذا المقدار ، فقلت : وكم قيمته ؟ قال : الذي أمرك بهذا أمرني أيضاً أن لا أبتغي منك القيمة ، فحملته على ظهري وصليت الفجر في أثناء صعودي إلى الجبل معجلاً خوفاً من فوت الوقت ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

قال المولى المذكور (ره) : وكان في سفح هذا الجبل الذي نزلنا به في تلك الأيام جماعة من أهل الأغنام ، فأرسلنا إليهم من يأخذ منهم شيئاً من اللبن والجبن فامتنعوا من بيعه وأخرجوهم من بينهم فرجعوا خائبين مغتمين فما كان ساعة إلا وأقبل إلينا جماعة منهم مضطرين وقالوا : لما امتنعنا من بيع اللبن والجبن وأخرجنا أصحابكم من دويرتنا ، حدثت في أغنامنا آفة ترجف قائمة وتضطرب حتى تخرّ ميتة وظننا أن هذا جزاء الفعل المذكور ، فالتجأنا بكم لعلكم تدفعوها عنّا ، قال : فكتبت لهم دعاء وقلت علّقوه على خشب تقيموه في وسط الأغنام ، فذهبوا ورجع جميع رجالهم بعد ساعة ومعهم من اللبن والجبن والسخال ما عجزنا عن جمعه ، ثم مضيت إلى العابد ، فقال : حدثت عجيبة بينكم وبين هذه الجماعة حدّثني جنّي من سكان هذا المكان بذهاب بعضكم إليهم وامتناعهم من المبايعة وزجرهم إياهم ، وإخراجهم من بينهم وتعصب جنة هذا المكان لكم وغضبهم عليهم ، وإتلافهم بعض أغنائهم والتجائهم إليكم وأخذهم الدعاء عنكم المشتمل على التهديد والوعيد على جماعة الجن قال : وإنهم لما رأوا كتابكم قال بعضهم لبعض : إذا رضوا عنهم وأوعدونا فارفعوا أيديكم عن الأغنام . وحدثني بهذه الحكاية الأخ في الله المبتغى مرضاته الآغا علي رضا حرسه الله عنه (ره) قال : وكان إسم العابد حسين الزاهد .

ذكر لغات تتعلق بالكتاب

« الصبحة » في الفائق للزمخشري نهى عن الصبحة هي نومة الغداة وفيها لغتان الفتح والضم يقال فلان ينام الصبحة والصبحة وإنما نهى عنها لوقوعها في وقت الذكر وطلب المعاش وسمعت من ينشد :

ألا أن نومات الضحى تورث الفتى خبالاً ونومات العصير جنون

وفيه عن مطرف من نام تحت صدف مائل ينوي التوكل فليرم بنفسه من طمار وهو ينوي التوكل ، هو كل بناء مرتفع شبه بصدف الجبل وهو ما صادفك أي قابلك من جانبه ، ومنه صدفا الدرة وهما القشرتان اللتان تكتنفانها من الصدف عن ابن الأعرابي . طمار : علم للمكان المرتفع يعني أن الإحتراس من المهالك واجب ، وإلقاء الرجل بيده إليها والتعرض جهل وخطأ عظيم .

وفي القاموس رجل كلؤ العين شديدها لا يغلبها النوم ، وفيه التحصيب : النوم بالمحصب للشعب الذي مخرجه إلى الأبطح ساعة من الليل ، أو المحصب موضع رمي الجمار بمنى . قلت : قد أشرنا إليه سابقاً ، « وفيه » : ورأب روباً رؤباً : سكر من نوم ، وفي الصحاح وقوم روبى أي خثراء الأنفس مختلطون ، وهم الذين أثخنهم السير فاستثقلوا نوماً ، ويقال شربوا من الرائب فسكروا قال بشر :

فأما تميم تميم بن مر فالفاهم القوم روبى نياما

وفيه النحب : أشد البكاء إلى أن قال : والنوم ، « وفيه » الهب والهبوب : ثوران الريح والانتباه من النوم ، « وفيه » وبات يفعل كذا يبيت ويبات بيتاً وبياتاً ومبيتاً وبيتوتة أي يفعله ليلاً ، وليس من النوم ومن أدركه الليل فقد بات ، « وفيه » السبات كغراب : النوم أو خفته أو ابتداؤه في الرأس حتى يبلغ القلب ، وقال الجزري في حديث عمرو بن مسعود قال لمعاوية : ما تسأل عن شيخ نومه سبات وليله هيات ، السبات : نوم المريض والشيخ المسن وهي النومة الخفيفة ، وأصله من السبت الراحة والسكون أو من القطع وترك

الأعمال ، ومرّ في صدر الكتاب كلام للسيد المرتضى في معنى السبات في قوله تعالى : ﴿ وجعلنا نومكم سباتاً ﴾[1] ، « وفيه » والبعث ككتف المتهجد السهران وبعث كفرح : أرق ، قال الجزري : ومنه الحديث أتاني الليلة آتيان فابتعثاني أي أيقظاني من نومي ، « وفيه » والأخبثان البول والغائط والنجر والسهر والضجر ، « وفيه » والضغث بالكسر : قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس ، وأضغثه احتطبه وأضغاث أحلام رؤيا لا يصح تأويلها لاختلاطها ، « وفيه » الغلث كالكتف الشديد القتال كالمغاث والمجنون ، ومن به نشوة عن الطعام والشراب وتمايل وتكسير من النعاس ، « وفيه » الدميجة بالضم وفتح الميم المشددة : النوام اللازم في منزله ، « وفيه » وتزوجه النوم : خالطه ، « وفيه » تاج البوم : نام ، « وفيه » والسبحة والسبح الفراغ والتصرف في المعاش ، والحفر في الأرض والنوم ،« وفيه » وتناجحت أحلامه : تتابعت بصدق ، « وفيه » ونكح النعاس : عينه غلبها ، « وفيه » وبّخ سكن من غضبه وفي النوم ، « وفيه » التسبيخ الفراغ والنوم الشديد ، وقرأ أنّ لك في النهار سبخاً طويلاً ، « وفيه » وشخ في نومه : غطّ ، « وفيه » وفخّ النائم يفخ فخّاً فخيخاً غط كافتخ ، والفخة النومة بعد الجماع والنوم على القفا ، ونوم الغداة .

وقال الجزري في حديث صلوة الليل أنه نام حتى سمع فخيخه أي غطيطه وفي حديث علي (ع) : أفلح من كان له مزخة يزخها ثم ينام الفخة ، أي ينام نومة يسمع فخيخه فيها ، المزخة بالكسر الزوجة لأنها يزخها أي يجامعها ، « وفيه » المنفسخ الساقط النائم ، « وفيه » كخّ في نومه يكخّ كخيخاً : غطّ ، « وفيه » النقاخ كغراب النوم في العافية والأمن ، « وفيه » البرد النوم ومنه : ﴿ لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً ، « وفيه » جيد يجاد فهو مجود : عطش أو أشرف على الهلاك والنعاس ، « وفيه » المرغاد مشددة الدال : النائم لم يقض كراه ، « وفيه » الرقد النوم كالرقاد والرقود بضمهما أو الرقاد خاص بالليل وقوم رقود ورقد ورجل يرقود : يرقد كثيراً والمرقد بالضم دواء يرقد شاربه وأرقده أنامه .

---

(١) راجع الجزء الأول من هذه الطبعة (ص ٢٦) .

وفي تهذيب الأزهري قال الليث المرقود النوم بـالليل ، والـرقاد النـوم . قلت : الـرقـاد والـرقـود يكـون بـالليـل والنهـار عنـد العـرب ومنـه قـول الله (عزّ وجلّ) : ﴿ قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقـدنا ﴾ هـذا قول الكفـار إذا بعثوا يوم القيـامة وانقـطع الكلام عنـد قولـه : ﴿ من مرقـدنا ﴾ ثم قـالت لهم الملائكة : ﴿ هذا ما وعد الرحمن ﴾ ويجـوز أن يكون هـذا من صفة المـرقد وتقول الملائكة حق ما وعد الرحمن وارقـدة : همدة مـا بين الدنيـا والآخرة ، ويحتمل أن يكون المرقد مصدراً ، ويحتمل أن يكون موضعاً وهو القبـر والنوم أخو الموت ، « وفيه » السهد بالضم اورق ، وقد سهد كفرح والسهـد بضمتين القليل النوم ، وفي المجمع والمسهد مثله ، ومنه حزني شديد وليلي مسهد أي لا نوم فيه ، « وفيه » وعبود كتنور رجل نوام نام في محتطبه سبع سنين يضرب به المثل لمن نام طويلاً ، « وفيه » الأغيد الوسنان المـائل العنق ، « وفيـه » وفهد كفرح نام وتغافل عما يجب تعهده وأشبه الفهد في تمدده ونومه فهو فهد ككتف وابل ، « وفيه » وانقد كأحمد وتدخل عليه أل : القنفذ وبات فلان بليل انقد ، لأنه لا ينام الليل كله .

وفي تهذيب الأزهري الأنقد بالدال والذال القنفذ ومن أمثالهم بات فلان بليل انقد إذا بات ساهراً يسري ، وذلك أن القنفذ يسري ليله أجمع ، « وفيه » قوله (ص) : إن وسادك تعريض كناية عن كثرة النوم لأن من عرض وساده طال نومه أو كناية عن عرض قفاه وعظم رأسه وذلك دليل للغباوة ، « وفيه » الهجود النوم كالتهجد وبالفتح المصلي بالليل ج بالضم وهجـد وتهجد استيقظ كهجـد ضد ، وأهجد نام وأنام والرجل وجده نائماً .

وفي مجمع البيان : التهجد التيقظ والسهر بما ينفي النوم ، والهجود النوم وهو الأصل هجد يهجد نام وقد هجدته إذا نومته ، قال لبيد :

قلت هجدنا فقد طال السـري   وقـد رنا إذ حنـا الدهـر غفـل

وقال آخر

ألا طـرقتنـا والـرفـاق هجـود   فبـانت بعـلات النـوال تجـود

وقال الحطيئة

ألا طـرقت عنـد الهنـود وصحبتي بحـوران حـوران الجنـود هجـود

وقال المبرد : التهجد السهر للصلوة أو لذكر الله ، وقـال علقمة التهجد يكون بعد نومة وعن مجاهد وعلقمة والأسود ولا يكون التهجد إلا بعد النوم ، وقال بعضهم ما تنقلب[1] به في كل الليل يسمى تهجداً والمتهجد الذي يلقي الهجود عن نفسه كما يقال المتجرح والمتأثم ، « وفيه » وهدهد : هدر ، والصبي حركه لينام ، « وفيه » واللذ النوم ، « وفيه » الخرير كالخرخر يخرّ ويخرّ غطيط النائم كالخرخرة ، « وفيه » ودامرت الليل كابدته وسهرته ، « وفيه » السمادير النعاس ، « وفيه » السنمار بكسر السين والنون وشد الميم القمر رجل لا ينام بالليل ، « وفيه » وسهر كفرح لم ينم ليلاً ورجل ساهر وسهار وسهران كتؤدة[2] وليل ساهر ذو سهر ، « وفي المجمع » السهر بالتحريك عدم النوم في الليل كله أو بعضه ، « وفيه » وشاعرها وشعرها نام معها في شعار وهو ما تحت الدثار من اللباس وهو يلي شعر الجسد ، « وفيه » وعبر الرؤيا عبراً وعبارة وعبّرها فسّرها وأخبر بآخر ما يؤل إليه أمرها واستعبره إياها سأله عبرها ، وقال الطريحي : وعبرت الرؤيا تعبيراً مثله ، وبعضهم أنكر عبرت بالتشديد وأثبت التخفيف ، يقال أصل الفعل باللام كما يقال إن كنت للمال جامعاً ، « وفيه » الهيثكور الذي لا يستيقظ ليلاً ولا نهاراً ، « وفيه » والتعار السهر والتقلب على الفراش ليلاً مع كلام ، « وفيه » والعزار بالكسر القليل من النوم وغيره ، « وفيه »

---

(١) وفي المصدر: ما تنفلت به ولعله الظاهر.

(٢) كذا في الأصل ولا يخلو اللفظة عن التصحيف وقد راجعت كتاب مجمع البيان في مادة سهر في قوله تعالى: فإذا هم بالساهرة (النازعات: الآية ١٤) فما وقفت فيه على هذه العبارة وقال في كتاب لسان العرب: السهر: الأرق وقد سهر بالكسر يسهر سهراً فهو ساهر: لم ينم ليلاً وهو سهران ورجل سهرة كهمزة أي كثير السهر (انتهى) وسائر ما ذكره أهل اللغة قريب من ذلك

فلعل الصحيح من الفظة (كثيره) فصحف.

والهكر ويحرك اعتراء النعاس أو اشتداد النوم وقد هكر كفرح وككتف وندس الناعس ، « وفيه » وقد علز كفرح وهو علزاي وجع قلق لا ينام ، « وفيه » والمتوفز المتقلب وينام ، « وفيه » ورجل خرس ككتف لا ينام بالليل ، « وفيه » والدفناس البخيل والراعي الكسلان ينام ويترك الابل وحدها ترعى ، « وفيه » وليلة التعريس التي نام فيها النبي (ص) وقد مرّ قصته ، « وفيه » والكباس كغراب من يكيس رأسه في ثيابه وينام ، « وفيه » النعاس بالضم الوسن أو فترة في الحواس نعس كمنع فهو ناعس ونعسان قليلة تناعس تناوم ، وقال الطريحي النعاس الوسن وأوّل النوم وهي ريح لطيفة تأتي من قبل الدماغ تعطي العين ولا تصل إلى القلب فإذا وصلت إليه كان نوماً ، « وفيه » وحرش ككتف من لا ينام وقيل جوعاً .

وفي النهاية في حديث الرؤيا لا تقصّها إلا على وادّ يقال قصصت الرؤيا على فلان إذا أخبرته بها أقصّها قصاً والقص البيان وفي (ق) وما اكتحلت غماضاً ويكسر وغمضاً بالضم وتغماضاً وتغميضاً بالفتح ما نمت وما اغتمضت عيناي ما نامتا .

وقال الثعالبي في سر الأدب : من مراتب النوم الغمض وهو أن يكون الإنسان بين النائم واليقظان ، « وفيه » خبط فلان طرح نفسه ، « وفيه » اسبط في نومه غمض ، « وفيه » غطّ البعير يغط غطيطاً : هدر والنائم سكت وغطغط النوم عليه غلب ، « وفيه » والوقيط من طار نومه فأمسى منكسراً ثقيلاً ، « وفيه » ورجل حافظ العين لا يغلبه النوم ، ، « وفيه » اليقظة محركة نقيض النوم وقد يقظ ككرم وفرح يقاظة ويقظة محركة وقد استيقظ ورجل يقظ كندس وككتف وكسكران جمع أيقاظ وهي يقظى جمع يقاظى ويقصة تقييظاً وأيقظه نبّهه ، « وفيه » ولا أنام حتى ينام ظالع الكلاب أي لا أنام إلا إذا هدئت الكلاب لأن ظالعها لا يقدر أن يعاضل مع صحاحها فينتظر حتى إذا لم يبق غيره سفدح ثم نام ، أو الظالع الكلب الصارف وهو لا ينام فيضرب للمهم بأمره الذي لا يغفله أو الظالع الكلبة الصارفة والذكور يتبعها ولا يدعها تنام ، « وفيه » وقرع ككتف من لا ينام وبت أتقرع وأنقرع أي أنقلب لا أنام ، « وفيه » الهجوع بالضم

والتهجاع النوم ليلاً أو التهجاع النومة الخفيفة هجع كمنع ، وهم هجع وهجوع ، « وفيه » وهكاع كغراب النوم بعد التعب ، « وفيه » فشغه النوم تفشيغاً غلبه ، « وفيه » هبغ كمنع هبوغاً نام وعدّه الثعالبي في آخر مراتب النوم وقال : وهو نوم الغرق ، « وفيه » الثطف محركة النعمة في الطعام والشراب والمنام ، « وفيه » وحجف كنصر وضرب وسمع حجفاً وحجيفاً نام ، « وفيه » الطيف الغضب والجنون والخيال الطائف في المنام ومجيئه في النوم ، وطاف الخيال يطيف طيفاً ومطافاً يطوف طوفاً وإنما قيل لطائف الخيال طيف لأنه أصله طيّف كميت وميت من مات يموت ، « وفيه » الأرق محركة السهر بالليل كالائتراق أرق كفرح فهو أرق وآرق وأرقه أسهره ، « وفيه » خفق فلان حرّك رأسه إذا نعس كأخفق .

وفي المغرب خفق نعس ومنه حديث ابن عباس وجب الوضوء على كل نائم إلا من خفق برأسه خفقة أو خفقتين ، « وفيه » عفق فلان نام قليلاً ثم استيقظ ، « وفيه » وأرنق النوم في عينيه خالطهما والترنيق الضعف في البصر والبدن وعدّه الثعالبي في سرّ الأدب من مراتب النوم وقال : هو مخالطة النعاس العين ، « وفيه » غفق القوم غفقة ناموا نومة والتغفيق النوم وأنت تسمع حديث القوم أو نوم في أرق ، « وفيه » ورجل مستفيق كثير النوم ، « وفيه » تنابكوا غلبهم النعاس والأجفان انطبق بعضها على بعض ، « وفيه » وأوّل الكلام تأويلاً وتأوله دبره وقدّره وفسّره والتأويل عبارة الرؤيا ، « وفيه » والحوقلة النوم وفيه والرجل النووم ، « وفيه » المغيطلة غلب النعاس ، « وفيه » القائلة نصف النهار قال قيلا وقائلة وقيلولة ومقالاً ومقيلاً وتقيّل نام فهو قائل جمع قيل وقيال وقيل كشرب ، « وفيه » الهوجل بقايا النعاس والهاجل النائم ، وهو جل نام ، « وفيه » تأطم السنور خرّ في نومه ، « وفيه » الحلم بالضم وبضمتين الرؤياج أحلام حلم في نومه واحتلم وتحلم وانحلم وتحلم الحلم استعمله وحلم به وعنه رأى له رؤيا أو رآه في النوم والحلم بالضم والإحتلام الجماع في النوم .

وفي تهذيب الأزهري حلم في نومه رأى الإحتلام ، « وفيه » الدلحم كجردحل النوم الخفيف أو الطويل ، « وفيه » واستعجم القراءة لم يقدر عليها

لغلبة النعاس ، « وفيه » النوم النعاس أو الرقاد كالنيام بالكسر والاسم النيمة وهو نائم ونوؤم ونوؤمة كهمزة وصرد ، جمع نيام ونوم ونيّم ونيم ونوام ونيام ونوم كقوم . أو هو إسم وجمع ما له نيمة ليلة بالكسر بيتها وامرأة نوؤم ونائمة جمع نوّم ، وأنامه نوّمه ، ويا نومان يختص بالنداء أي يا كثر النوم ، والمنام والمنامة موضعه ، وناومني فنمته غلبته ويأخذه نؤام كغراب يعتريه النوم ، وتناوم أراه من نفسه كاذباً كاستنام وتنوم احتلم وأنامه فلاناً وجده نائماً ، « وفيه » وانجنّ كاسودّ نام ، « وفيه » تهن كفرح فهو تهن ككتف نام ، « وفيه » الغدن محركة النوم والنعاس ، « وفيه » الوسن محركة وبهاء والوسنة والسنة كعدة ثقل النوم أو أوله أو النعاس ، وسن كفرح فهو وسن ووسنان وميسان كميزان ، وهي وسنة ووسني كثر نعاسه كاستوسن ، وتوسن الفحل الناقة أتاها وهي نائمة وكذا المرأة ، والوسنى الكثيرة النعاس والموسونة الكسلى ، وميسانة الضحى بالكسر مدح وزرق ما لم يوسن به في نومه .

وقال الفيومي : والنومة غشية ثقيلة يهجم على القلب فتقطعه عن المعرفة بالأشياء ، ولهذا قيل هو آفة لأن النوم هو أخو الموت ، وقيل النوم مزيل للقوة والعقل ، وأما السنة ففي الرأس والنعاس في العين ، وقيل : السنة هي النعاس ، وقيل : السنة ريح النوم تبدو في الوجه ثم تنبعث إلى القلب فينعس الإنسان فينام ، ونقل عن ابن القطاع أن الوسن بمعنى الاستيقاظ أيضاً .

وقال الشيخ الطبرسي السنة النوم الخفيف وهو النعاس قال عدي بن رقاع :

وسنان أقصده النعاس فرنقت[1]   في عينه سنة وليس بنائم

وقال الجرمزي والهاء في سنة عوض من الواو المحذوف ، دجه تدجيهاً نام في الدجية لقترة الصائد ، « وفيه » النبه بالضم الفطنة والقيام من النوم وأنبّهه فتنبه وانتبه ، « وفيه » الرؤيا ما رأيته في منامك جمع رأى كهدى .

(١) الترنيق: الفتور في النظر.

قال الشيخ الطبرسي (ره) : قال الزجاج : الرؤيا فيها أربـع لغات الـرءيا بالهمزة والرويا بالواو من غير همزة وريّا على الادغام وريا بكسر الراء ، قال أبو علي : الرؤيا مصدر كالبشرى والسقيا والبقيا والشورى إلا أنه لما صار إسماً لهذا التخيل في المنام جرى مجرى الأسماء ، وخرج من حكم الأعمال ، فلا يعمل واحد منها أعمال المصادر ومما يقوّي خروجه من أحكام المصادر تكسيرهم لها رؤى فصار بمنزلة ظلم ، والمصادر في الأكثر لا تكسر ، والـرؤيا على تحقيق الهمزة ، فإن خففت قلبتها في اللفظ واواً ولم تدغم الواو في الياء ، وإن كانت قد تقدمها ساكنة كما تقلب في نحو طي وليّ لأن الواو في تقـدير الهمـزة فهي كذلك غير لازمة فلا يقع الاعتداد بها ، وقد كسر أولها قوم فقالوا : ريا فهؤلاء قلبوا الواو قلباً على غير وجه التخفيف ، ومن ثمّ كسروا الفـاء كما كسـروا من قولهم قرن الوى وقرون لي .

وقال البيضاوي الرؤيا كالرؤيـة غير أنهـا مختصة بمـا يكون في النـوم ، « وفيه » غفا غفواً نام أو نعس كأغفى وأغفى أي نام على الغفا أي التين في بيدره وغفى كرضى غفية نعس ، « وقـال الأزهري في تهـذيب اللغة » يقـال : أغفى الرجل وغيره إذا نام نومة خفيفة ، « وفي الحديث » فغفوت غفوة واللغة الجيدة أغفيت إغفاءة ، وغفا قليل في كلامهم ، « وفيه » كرى كـرضى كرى فهـو كرو كريان وكرى وهي كرية مخففة نعس ، وأكرى زاد ونقص ضد ، وسهر في طاعة الله وتكرى نام .

وقال الفيومي : الكرا مثال عصا النعاس ، « وفيه » استلقى على قفاه نام وذكر الثعالبي في مراتب النوم التهويم ولم يذكره في القاموس .

قـال السيد المـرتضى في العزر في جملة كـلام لـه في قـولـه تعـالى : ﴿ وجعلنا نومكم سباتاً ﴾وقد تقدم ما لفظه : والوجه في الإمتنان علينا بأن جعل نومنا ممتداً طويـلاً ظاهـراً ، وهو لمـا في ذلك لنـا من المنفعة والـراحة ، لأن التهـويم والغرار لا يكسبـان شيئاً من الـراحـة بـل يصحبهمـا في الأكثـر القلق والإنزعاج ، وقال الزمخشري في الفائق : أن زيـاد لما أراد أهـل الكوفـة على البراءة من علي بن أبي طالب (ع) جمعهم فملأ منهم المسجد والرحبـة ، قال

عبد الرحمن بن السائب : فإني لمع نفر من الأنصار والناس في أمر عظيم إذ هومت تهويمة ، فزنح شيء أقبل طويل العنق أهدب أهدل ، فقلت : ما أنت ؟ قال : النقار ذو الرقبة بعثت إلى صاحب القصر ، فاستيقظت فإذا الفالج قد ضربه ، التهويم : دون النوم الشديد . زنح وسنح بمعنى وتزنح على فلان أي تسنح وتطاول ، قال الغريب النضري :

تزنح بالكلام على جهلا كأنك ماجد من آل بدر

أهدب طويل الهدب أهدل متدلي الشفة ، « وفي كنز اللغة » تهويم : ساعتي خفتين وسر جنيانيدن در نعاس ، « وفي نهج البلاغة » قال أمير المؤمنين (ع) ملكتني عيني فسنح لي رسول الله (ص) (الخ) قال ابن ميثم : قوله (ع) : ملكتني عيني استعارة حسنة ، وتجوّز في التركيب ، أمّا الإستعارة فلفظ الملك للنّوم ، ووجه الإستعارة دخول النائم في غلبة النوم وقهره ومنعه له أن يتصرف في نفسه كما يمنع الملك العبد من التصرف في أمره ، وأما التجوز ففي العين وفي الإسناد إليها ، أما الأول فأطلق لفظ العين على النوم لما بينهما من الملابسة أو ني إطباق الجفون من عوارضهما ، وأما الثاني فإسناد الملك إلى النوم المتجوز فيه بلفظ العين .

« وفيه أيضاً » قال (ع) : العين وكاء السنة[1] قال السيد وهذه من الإستعارات العجيبة ، كأنه (ع) شبّه السنة بالوعاء والعين بالوكاء ، فإذا أطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء ، وهذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النبي (ص) ، وروى العين وكاء الست على حذف لام الفعل والستة الاست ، والاست العجز وقد يراد به حلقه الدبر وأصله سته على فعل بالتحريك فحذفوا منه عين الفعل .

وفي الكافي في خطبة له (ع) : فرحم الله امرءاً راقب ربه وتنكب ذنبه وكابر هواه[2] وكذب مناه امرءاً زم نفسه من التقوى بزمام وألجمها من خشية ربها

(١) الوكاء : رباط القربة ونحوها .

(٢) تنكب : تجنب . كابر : خالف وغالب . وفي بعض نسخ المصدر (كابد) أي قاساه وتحمل المشاق في فعله .

بلجام فقادها إلى الطاعة بزمامها وقدعها[1] عن المعصية بلجامها رافعاً إلى المعاد طرفه متوقعاً في كل أوان حتفه[2] دائم الفكر طويل السهر غزوفاً عن الدنيا سئاماً[3] كدوحاً لآخرته [متحافظاً][4] امرءاً جعل الصبر مطية نجاته ، والتقوى عدة وفاته ودواء أجوائه[5] فاعتبر وقاس وترك الدنيا والناس ، ويتعلم للتفقه والسداد وقد وقر قلبه ذكر المعاد وطوى مهاده وهجر وساده .

المهاد الفراش وطيه كناية عن مجانبة النوم وكذا هجر الوساد .

ولنختم الكلام : بكلام الإمام الذي هو إمام الكلام وختام وصايا ومقاصد الحجج (عليهم السلام) وقد وفينا بحمد الله تعالى ومنه وبركات خلفائه في أرضه ما وعدنا إيراده من المهام المتعلقة بالرؤيا والمنام ، وما استطردنا في خلال ذلك من الحقائق واللطائف المستخرجة من آثار أئمة الأنام ، ما لم يجتمع في مصنف من زبر أهل الاسلام ، راجياً من الله تعالى أن يثبته في ديوان الحسنات ، ومن الإخوان والناظرين الإعراض عمّا ينظرونه فيه من الزلات ، فإن الإهجام على هذه الأمور من مثلي من أهل الضعف والقصود خطر يذم سالمه ، إلا أن الطمع في المثوبات عذر يستقال به عثرة صاحبه وكتب بيمناه الداثرة الجانية العبد المذنب المسيء حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي في ليلة الجمعة لسبع خلون من جمادى الأولى من سنة ألف ومائتين واثنين وتسعين في مشهد أمير المؤمنين (ع) والحمد لله أولاً وآخراً .

---

(١) قدعه كمنعه : كفه .

(٢) الحتف : الموت .

(٣) عزفت عن كذا : زهدت فيه وانصرفت عنه . وسئاماً أي ملولاً . والكدح : السعي والاهتمام .

(٤) ما بين المعقوفتين إنما هو في المصدر دون الأصل .

(٥) الأجواء جمع الجوى : الداء في البطن . الحرقة وشدة الوجد من عشق أو خوف كتب بأنامله الداثرة العبد الفلاني السيد هاشم بن السيد حسين الرسولي المحلاتي عفى عنه وعن والدين بحق محمد وله الطاهرين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وقد كان الفراغ في الثالث والعشرين من جمادى الثانية سنة ١٣٨٠ .

إلى هنا تم الجزء الرابع وبه تم الكتاب بعون الله الملك الوهّاب وتوفيقه ومنّه ، ونحمده تعالى على هذا التوفيق ، وهدايته إلى الحق القويم من الطريق ، وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

ومما يجب التنبيه عليه في هذا المقام هو أن الأصل في طبع هذه النسخة هو النسخة المطبوعة بالطبع الحجري سنة ١٣٠٥ ولم نعثر مع شدة الفحص وبذل النفقة من الناشر إلا على نسختين مخطوطتين أحديهما وقف البلد في بلدة شيراز وقد قصرت الأيدي عنها ، والأخرى في مكتبة بعض العلماء وقد تعذّر من إعطائها إلينا ومقابلتها بعذر شرعيّ ، وكانت نسخة الأصل أيضاً مغلوطة جداً ولذلك وقعت عند التصحيح في محذور عظيم وتعب شديد لا يخفى على من له بصيرة بهذه الصناعة وقد راجعت كثيراً من مصادر الكتاب مما ظفرت به على كثرتها ، وكم من جهد بذلته وفكر أجلته حتى خرج من الطبع بهذه الصورة ، ومعه فقد بقيت مواضع لم أهتد إلى تصحيحها وتمييز صحيحها عن سقيمها طريقاً سوى الظن وذلك من جهة عدم الظفر إلى المصدر المنقول منها أو سقط كلمة أو حرف أو سائر الجهات فتركتها كما هي مع التنبيه في الذيل على ما هو الظاهر المختلج بالبال والحمد لله على كل حال .

وأنا العبد الفاني

السيد هاشم الرسولي المحلاتي

عفى عنه

الفهرس

الفصل السادس في أقسام الرؤيا

الفصل السابع في حقيقة الرؤيا



